الفقه

الاجتماع

آية الله المجاهد
الحاج السيد محمد الحسيني الشيرازي
دام ظله

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

Shīrāzī, Muḥammad al-Mahdī al-Ḥusaynī

الفقه

الاجتماع

آية الله المجاهد
الحاج السيد محمد الحسيني الشيرازي
دام ظله

(Arab)
BP194
.2
.T4S4
1970z
vol. 57

مطبعة
سيد الشهداء عليه السلام
قم - ايران

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
32101 015593450

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد و آله الطاهرين، واللعنة على اعدائهم الى يوم الدين .

تمهيد :

لقد ذكر فقهائنا جملة من الامور المذكورة في علم الاجتماع في مختلف مباحث [الفقه] مثل : [كتاب الطهارة ، وكتاب الحج ، و كتاب الجهاد ، وكتاب النكاح ، وكتاب احياء الموات] ونحو ذلك .

وفي هذا العصر اعتاد الناس ان يكتبوا كتباً مستقلة حول هذا العلم ، و نحن اتباعاً للفقهاء جمعنا جملة مما ذكروا في هذا الكتاب الذي رأينا ان نجعله مستقلا ليكون موضع فائدة لطلاب العلوم الدينية باذن الله تعالى ، و نسأله سبحانه ان ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويوفقني لاصابة الحق انه لما يشاء فعال ، وهو الموفق المستعان .

مقدمة

أ ـ الانسان نفس وبدن وروح ، وقد ذكر القرآن الحكيم النفس و جعلها محتملة الامرين ، مثل قوله سبحانه : « و نفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها» .

وقد ذكر البدن بطور حيادى كأنه لاشأن له ، مثل قوله سبحانه : «فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » .

وذكر الروح باعظام كالاية الانفة وغيرها، فكأن البدن سفل، والروح علو ، والنفس بينهما ان مالت الى الاعلى كانت مع العليين ، وان مالت الى الاسفل كانت في سجين .

و النفس يحيط بها البدن ، والبدن في الاجتماع ، ويحيط به المدينة و نحوها ، وحولها المحيط الطبيعي ، والنفس قادرة على اصلاح نفسها ، ثم بدنها، ثم الاجتماع، ثم المحيط الاصطناعي ، ثم المحيط الطبيعي ، كما ان النفس قادرة على تخريب الكل ، والمجتمع انما يتولد من نقطة البدء ، فاللازم في علم الاجتماع، ان نشرع من هنا، ونبني الهيكل الاجتماعي الصحيح من النفس النقية النظيفة، و [أفلح] و [خاب] في الاية الكريمة ليسا للاخرة فحسب ، وانما للدنيا أيضاً ، فانه وان كان مطرح نظر القرآن الحكيم الاخرة فان الدار الاخرة هي الحيوان ، لكنه ينظر الى الدنيا كقنطرة، ولذا ورد في القرآن الحكيم : « وابتغ فيما أتاك الله الدار الاخرة ، ولاتنس نصيبك من الدنيا » .

كيفية اعادة المجتمع الاسلامي

ب ـ وحيث ان الاجتماع الاسلامي لالف مليون مسلم قد تحطم ، بل قد تحطم الاجتماع البشري كله ، حيث استبد بالعالم قيادات غير رشيدة ، فاللازم ان نتحرى أفضل السبل لاعادة الاجتماع الصحيح ، لابالنسبة الى المسلمين فقط، بل بالنسبة الى البشرية جمعاء .

قال سبحانه: « وما أرسلناك الاكافة للناس » .

وقال تعالى : « ومالكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين » .

وهذه الاعادة تكون بالاسس الخمسة باذن الله تعالى، وهي :

(١) التنظيم الحديدي الذي يراعى فيه جانب التنظيم من ناحية ، و جانب الحرية من جانب آخر،حتى يكون التنظيم هيكلا استشارياً في العمل.

قال سبحانه: « من كل شيء موزون » .

وقال علي عليه السلام : (نظم أمركم) .

وقال سبحانه : « يضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ».

(٢) التوعية الكاملة المناسبة للعصر، والتي تبدأ [بعد الايمان الرشيد] بالسياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع، فقد ورد : (وساسة العباد) و : (من لا معاش له لامعاد له) و قال علي عليه السلام : (واجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ماتحب لنفسك ، واكره له ماتكره لها، ولاتظلم كما لاتحب ان لاتظلم، وأحسن كما يحب ان يحسن اليك).

(٣) السلم ، فان السلام نبتة لاتقلعها العواصف ، قال سبحانه : « ادخلوا في السلم كافة » وشعار الاسلام السلام ، وحتى الدولة المرهوبة الجانب ، خير لها ان تحل كل مشاكلها بسلام ، لانّه احمد عاقبة ، واهنأ مذاقاً ، والقوة

وضعت لقصوي حالة الضرورة ، ولذا نرى شعار الانبياء عند دعوتهم السلام وقد روي عن المسيح عليه السلام : (احبوا أعدائكم) .

(٤) الجماهيريـة ، فلا يكون التنظيم صنماً دون المبدأ ، وكل حركة اتخذت الصنمية انفصلت عن الجماهير، وبذلك تذوي وتذبل، وجزائها حينئذ ان لاتصل الى الهدف المنشود ، بينما ترى غيرها تقدمت في الميادين ، و أخذت الساحات ، التي كانت الحركة تأمل كسحها ، فالناس أما أخ لك في الدين أونظير لك في الخلق .

(٥) و يأتي أخيراً ، دور الاكتفاء الذاتي ، فكل محتاج الى غيره مقود لـه، وبذلك يفقد صفة القيادة .

قال الامام أميـر المؤمنين عليه السلام: (احتج الى من شئـت تكن أسيره ، و استغن عمن شئت تكن نظيره، وأحسن الى من شئت تكن أميره) .

تجنب الاخطاء حين العمل

ج ـ ويلزم تجنب الاخطاء التي كثيراً ماتقع فيها الجماعات العاملة مما يسبب وقوفها في منتصف الطريق، أوارتدادها القهقري .

(١) مثل الانتهازية بالاعمال النفعية ، التي لاتؤمـن بها الجماعة ، وانما لكسب القوة الوقتية، اذ بعد عمل أوعملين كهذه، تنكشف سوئة الجماعة ، ومثل هذه الجماعة غير جديرة بالاعتماد، فينفض الناس من حولها، وكثيراً ماترى حزباً يعمل خمسين سنة أوأكثر ولا يكون الا كجمعية خيرية كبيرة، لها شعب وفروع وبينه وبين هدفه مسافة شاسعة، وليس ذلك الا لارتكابه مثل هذا الخطأ أوغيره .

(٢) أو عدم اطروحة جديدة لهم ، بعد نقدهم الاطروحـة الموجودة

المطبقة في الساحة، فنظامهم الذي يأملون تطبيقه، فيه ابهام واجمال، من حيث الحريات ، أوالسياسة والاجتماع والاقتصاد، أومعاملة الاقليات، أونحو ذلك والناس لايتركون ما جربوه الى شيء مجهول ، فعلى الجماعة التي تريد التقدم والاشتهار، والسيطرة ،انيكون لها برنامج معلوم مفهوم، ويكون أفضل من البرنامج الموجود ، والاباء بالفشل .

(٣) أو توجس الناس منهم خيفة ، حيث لا سلام لهم مع الجماعات و القوى التي في الساحة ، و بذلك يأخذون في هدمهم ، وتفريق الناس من حولهم، وقد ورد في الحديث: (لو وضع الرفق على شيء زانه، ولووضع الخرق على شيء شانه) .

وفي الحديث: (ان جبرئيل عليه السلام، كلما نزل أمر الرسول صلى الله عليه وآله بمداراة الرجال . . .) وهكذا يلزم على كل جماعة عاملة ان تدقق في الاخطاء التي وقعت فيها الجماعات الاخر ، فيتجنّبها والاكان مصيرها الفشل ، كما كان مصير تلك الجماعات .

مراحل العمل

د ـ ثم انالطريق الى جمع كلمة المسلمين، وانقاذهم من براثن التخلف والذل ، بعيد المدى ، حيث ان الامراض قد استفحلت فيهم، وقد انطبق على جملة منهم، قوله سبحانه: « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً » هذا بالنسبة الى انقاذ المسلمين فحسب، فكيف بانقاذ غيرهم، من الذين سقطوا في انياب الطغاة ؟ اذاً ، فاللازم على الجماعة العاملة ان تخطط تخطيطاً سليماً ، لاجل الوصول الى الهدف، والتخطيط لابد وان يقسم الى مراحل ثلاث :

(١) المرحلة القصيرة المدة، بالتكوين والتنظيم بكل هدوء وحزم و

تعقل ، كالنبتة تكوّن نفسها ـ باذن الله تعالى ـ تحت التراب ، فتمتص من الماء والنور والاملاح وغيرها حتى تتأهل، لان تكون نبتة تخرج برأسها الى السطح « كزرع اخرج شطائه » .

(٢) المرحلة المتوسطة المدة ، وذلك بوضع الاسس الفكرية الصحيحة المتكاملة اللائقة المؤهلة، لان تكون بديلة عن الاوضاع السائدة، وهذه المرحلة متوسطة بين الاولى والاخيرة، حيث تهضم في نفسها المرحلة السابقة، وتكون كالفرخ الذي يخرج من البيضة ، وقد تقوى بالبيضة وجعلها قاعدة الانطلاق وهذه المرحلة تحمل اعباء المرحلة السابقة، من ناحية ، وتؤهل نفسها للمرحلة اللاحقة .

(٣) ثم يأتي دور المرحلة الاخيرة والنهائية بتجميع القوى والقدرات ، وتكوين الانصار والشمول والسعة، حتى تكون بالفعل بديلا عن النظام القائم وبذلك تكون الجماعة قد وصلت الى هدفها المنشود ، وتمكّنت من اقامة حكم الله في الارض ، بما لامثيل له ، لامن حيث الحرية ، ولا من حيث السلام ، ولامن حيث الرفاه .

الميزانية الدقيقة

هو كما نشاهد في عالم الصناعات وجود الميزانية الدقيقة للاخذ والعطاء فاذا زادت الكهرباء مثلا جعل الميزانية الضغط منخفضاً ، واذا قلت جعلته عالياً ، كل ذلك لحفظ التوازن المطلوب في المحل المجهز بالكهرباء ، كذلك يلزم ان تكون الجماعات العاملة ذات ميزانيات دقيقة ، تعرف كيف تأخذ الكر والفرمع الضغوط العالمية على البلاد الاسلامية، فاذا علا الضغط تخففه ، واذا انخفض تأخذ بالسير للامام وهكذا ، وهذا الامر في الانسان يحتاج الى رؤية

مستقبلية دقيقة ، بينما الماديات مثل الميزانية الكهربائية لاتحتاج الى ذلك .

ثم لايخفى ان ماذكرناه في هذا الكتاب، كما ان ماذكرناه في كتابي [الفقه: الاقتصاد] و[الفقه : السياسة] كان حسب ماوصل اليه الفكر مما يستنبط من الادلة الاربعة مع أخذ الموضوعات من العرف ،حسب « ماأرسلنا من رسول الابلسان قومه » و « نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم » ولعل الله سبحانه يقيّض جماعة من علماء المسلمين ليستنبطوا هذه المواضيع الثلاثة بالاضافة الى الكتب المعنية بهذه الشؤن من قبل، ليجد الطالب فيما يستخرجه من الاوفق بالحق منها بغيته ، والله المسؤل ان يوفقنا لاتباع مراضيه ، وهو الموفق المستعان .

المعرفة

(مسألة ـ ١ ـ) الانسان يتلاقى مع المحيط الطبيعي أو الاجتماعي أو الصناعي ، وقد أودع الله في الانسان ذخائر ، كما قال علي عليه السلام في حكمة بعث الانبياء :(ليثيروا لهم دفائن العقول) وبهذا التلاقى تنعكس حالات المحيط الى داخله ، ممايسمى أول المعرفة .

وقد أودع الله في الانسان حب الاستطلاع ، ولذا نرى الطفل منذ صغره الباكر يهتم بالاشياء يأخذها ويقلبها ويتذوقها ويستمع اليها، ليعرف خصوصياتها وطعومها ، وأصواتها ، وملمسها ، وأحياناً يستشمها لمعرفة روائحها .

ثم هناك في داخل الانسان جهاز العقل، وهو كالنبتة ، تنمو وتنمو ، فان شذب وهذب نمى نمواً مستقيماً والا نمى نمواً منحرفاً، وهذان: [الحس والعقل] يتعاونان ليكونا للانسان المعرفة ، ان قليلا أو كثيراً .

والثواب والعقاب في الدنيا والاخرة مرتبطان بالعقل، والافالمجنون يحسّس ولا يعاقب كما لايثاب ، لانه لاعقل له ، وفي الحديث : ان الله لما خلق العقل قال له : بك اثيب وبك اعاقب .

ثم ان تلاقي الانسان والمحيط، يوجب تأثير احدهما في الاخر، فالمحيط بأقسامه الثلاثة يؤثر في الانسان، من طريق الحواس الخمس، ولذا كان المحكي عن ابن سيناء انه قال : (من فقد حساً فقد علماً) اى سلسلة من العلوم المرتبطة بتلك الحاسة كما ان الانسان يؤثر في المحيط تشذيباً وتهذيباً وتنظيماً واصلاحاً.

المعرفة صحيحة وخاطئة

والمعرفة الذهنية المستفادة من الحواس، والعقلية التي تتكون عند الانسان من داخله ليست صحيحة دائماً ولاباقية دائماً ، بل أحياناً تكون اشتباهاً ، كمن يرى ماء البحر أسود ، أو الشيء الكبير ـ من البعيد ـ صغيراً، كما ان المعرفة أحياناً تتغير بأقسامها الثلاثة من الصحيح الى الغلط ، وبالعكس ، أو من الغلط الى الغلط ونادراً يمكن ان يكون من الصحيح الى الصحيح ، باعتبار ان الصحيحين لهما جامع صحيح هما جزئياه ، كما في قصة داود وسليمان عليهما السلام حيث كان أخذ صاحب البستان الاغنام لنفسه في قبال زرعه ـ حيث كانا بقيمة واحدة ـ وكان أخذها لاجل الاستفادة مدة استدراكه مقدار ما فسد من زرعه ، ثم ردها ، كلاهما صحيحاً ، ولذا قال سبحانه : «وكلا آتينا حكماً وعلماً» وان كان الثاني أفضل ، ولذا قال تعالى : « ففهمناها سليمان » .

سير الحركة الفكرية

ثم ان المعرفة تبتدء ـ صحيحة أو منحرفة ـ بالرؤية ، حسية [والمراد بها أعم من الحواس الخمس] أو عقلية ، ثم تتحول الى الشك، وبعده الظن، ثم العاطفة وأخيراً العقيدة ، والمرتبة الرابعة (الا ما كانت في سلسلة العواطف) قد تكون مقرونة بالحقيقة ، وقد تكون مقرونة بالاحساس المجرد .

والدال ان كان لفظاً ، أو غير لفظ ، يرشد الى شيء آخر يسمى [مدلولا] و [مفهوماً] و[معنى] ـ باعتبارات ذكرناها في الاصول ـ وقد يسمى [مراداً] و [مقصوداً] وغير ذلك .

ثم ان جمع المعلومات تنتهى الى الاستنتاج ، بسبب الفكر ، وقد عرفه الحاج السبزواري بقوله :

والفكر حركة الى المبادى ومن مبادي الى المراد

لكن الجزئي لايكون كاسباً ولامكتسباً ، وانما الكاسبة والمكسوبية ، انما تكونان بالكلية المنتزعة عن الجزئي ، وللكلية كذلك .

فان أقسام الحركة الفكرية أربعة : لانها أما من الجزئي أومن الكلي ، وكل أما الى الجزئى أو الى الكلي ، فان كان من الجزئي الى الجزئى كذلك سمي [تمثيلا] وان كان منه الى الكلي سمى [استقراءاً] وان كان من الكلي الى الكلي أوالى الجزئى سمي [قياساً] .

والانتقال من شيء الى شيء ، قديكون سريعاً وقديكون بطيئاً ، وقديتوقف الى الابد ، وقد يهيّ المقدمات انسان ، فيأتي انسان آخر ليأخذ النتيجة . . . والماديون ، حيث ينكرون ماوراء المادة، ينكرون انتكون المعرفة ماورائية لكن الثابت في علم الفلسفة وجود الماوراء ، ولذا فقد تكون المعرفة غيبية ، بمقدماتها ونتائجها ، وقدتكون كذلك باحداها .

ثم ان المعرفة تنقسم بانقسام الاحكام الخمسة : فهي بين واجبة : كمعرفة اصول الدين والاحكام الشرعية المبتلى بها ، وتعلم الصناعات كفاية ، ومحرمة : مثل تعلم السحر وماأشبه على الشرط المذكور في كتاب المكاسب ، ومستحبة كتعلم الاداب والاخلاق غير الواجبة منهما ، ومكروهة كتعلم النساء الكتابة وسورة يوسف في صورة احتمال الخطر بمالايوجب الحرمة ، ومباحة هي مادون الاقسام الاربعة فتأمل .

العاطفة

(مسألة ـ ٢ ـ) ارتطام الاحساس بالذهن ، قد يتولد منه العاطفة الحسنة أو السيئة ، بينما الفكر المنطقي لايوجد هذا الشيء الانادراً، فان الانسان قد يرى فقيراً يتضور جوعاً ويرتعد من البرد ، فيأخذ طعام أطفاله ويعطيه له ، فان هذه العاطفة السيئة غالباً ـ لانها طغت على الحقيقة ـ انما وجدت لاجل ارتطام الحس بالذهن ، بينما اذا كان قيل له : ان هناك فقيراً ، ربما لم يقدم له حتى مايستحق فكيف بطعام واجبي النفقة عليه؟ ولذا الانسان لايبكي غالباً لمأساة كربلاء وحده وانما يبكي اذا سمع الخطيب ينعي، مع ان المأساة موجودة في ذهنه.. وكذلك الحال في العاطفة الحسنة .

لكن نفس العاطفة قد تتحرك بدون الارتطام بالخارج ، وانما من مجرد التفكر، ولذا قد يبكى أو يضحك الانسان المنفرد، فيما لايواجه موجب الضحك أو البكاء خارجاً ، نعم انما تتحرك العاطفة من الحس أو الفكر ، اذا كان ما يراه أو يفكر فيه من سلسلة محركات العواطف .

العواطف المتحجرة

وقد يوجد من لاتتحرك عاطفته ، وان واجهت مثل هذه السلسلة ، وهو لايخلو من انحراف في خلقته ـ لانحرافاً هو علة تامة ، بل بقدر المقتضى ، اذ الانسان وان خلق أطواراً ، الا انهم معادن كمعادن الذهب والفضة ، بين خير

وأخير وحسن وأحسن ، لاسّيء وحسن ، فقد ثبت في اصول الدين ان الله لايخلق [مالاخير فيه ولاشر] ولا [ماشره يساوي خيره] ولا[ماشره يزيد على خيره] وانما يخلق الامرين الاخرين فقط ـ وانحراف الخلقة ، يمكن تقليله وسحبه الى الجادة المستقيمة ولو بقدر ـ .

أومن عدم انماء لملكته ، فان الصفات النفسية ـ على الاغلب ـ كالعضلات الجسمية قابلة للنمو ـ كما ثبت في علم الاخلاق ـ فكما ان الانسان بالرياضة الجسدية يقوى وتتشد عضلاته وأعصابه ، كذلك الانسان بالرياضة الاخلاقية ، تتقوى ملكاته الحسنة ، وتزوى صفاته السيئة ، قال الشاعر: (ولن تستطيع الحلم حتى تحلما) . ولذا ورد مدح التباكي في الاخبار .

وحيث ان جمود العاطفة مذموم في الشريعة ، قال رسول الله ﷺ لذلك الشخص الذي قال لم اقبل أولادي: ماذا أفعل ان نزع الله الرحمة من قبلك!! ومن المعلوم ان المراد بنزع الله ، ماكان بسبب تـرك الانسان مقدماته ، مثل طبع الله، واضله الله ـ كماحقق في علم اصول الدين، فى مبحث الجبر والاختيار ـ وورد في الدعاء الاستعاذة بالله ، من قلب لايخشع ، ومن عين لاتدمع .

ومن هـذا المنطلق ـ منطلق تأثر الانسان بالحواس في تحرك عاطفته ـ ذكر الانسان في القرآن الحكيم والسنة المطهرة، بالايات الكونية ، قال سبحانه «ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السموات والارض ، ربنا ماخلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار» .

مع وضوح ان الادلة المنطقية والاستدلالات العقلية كانت كافية في الدلالة والايصال .

ثم ان انماء العاطفة الموجب للعمل بالواجب واجب ـ لو قيل بوجوب

مقدمة الواجب ـ مثل انماء العاطفة نحو واجب النفقة والارحام حتى يوجب القيام بشئونهم الواجبة والصلة الواجبة، وللعمل بالمحرم محرم ـ ان قيل بحرمة مقدمة الحرام ـ كانمائها لاجل الزنا وما أشبه، وانمائها لاجل المستحب والمكروه له حكمهما ، وما عدا ذلك مباح .

الحقائق ثابتة ومتغيرة

(مسألة ـ ٣ ـ) ان العالم منقسم الى حقائق ثابتة ومتغيرة ، فالثابتات ، أمثال الرياضيات، والكل أعظم من الجزء، وامتناع اجتماع وارتفاع النقيضين واحتياج كل معلول الى علة ، وحسن الاحسان ، وقبح الظلم ، والمتغيرات مثل تحول الزمان ، واللغات ، والاضافات ، والحالات .

فانه من غير المعقول ان تكون نتيجة ثلاثة في ثلاثة ـ ذات يوم ـ ثمانية ، أو عشرة .. وان يصبح جزء الشيء أعظم من كله ، وان يوجد زيد وعدمه في آن واحد، أو ان يوجد لازيد ولا لازيد، في آن واحد ـ بشرائط اجتماع النقيضين وارتفاعهما ـ .. وان يوجد شيء بلاعلة ، مثل : ان ترتفع كفه ميزان وتنخفض الاخرى بدون سبب اطلاقاً .. وان يكون رفع الظلم عن المظلوم قبيحاً ، او يكون ظلم الناس حسناً .

كما ان في المتغيرات من غير المعقول ، ان يجمد الزمان ، بأن لايكون للجسم بعد رابع ، وجرت العادة بتغير اللغات ، كما ان الانسان المنفرد قد يتزوج فيصبح زوجاً ، والرجل بلاولد ، قد يلد فيصبح أباً ، والطفل يتحول شاباً ، وهكذا .

وربما ينقسم الاشياء الى حقائق خارجية ، كالانسان والحيوان ، والى امور انتزاعية ، لامدخلية للاعتبار فيها ، فهي هي لاتتغير بتغير الاعتبار ، مثل: زوجية الاربعة، والى امور اعتبارية تحتاج الى اعتبار المعتبر، مثل جعل الورقة

مالا، فباعتباره تكون ذات مالية ، كما ان بسبب الاعتبار تسقط عن الاعتبار.. وبذلك ظهر ان المعرفة قسمان ثابتة ومتغيرة .

أما جعل بعض علماء الاجتماع ـ تبعاً لبعض علماء الفلسفة ـ كل الامور متغيرة، كما ذكروه في منطق الديالكتيك ـ وتبعاً لذلك جعلوا المعرفة متغيرة ونسبية ، بحجة ان المعرفة فرع المحيط والانسان وحيث ان كليهما في تغير وتحول دائم ، فلابد وان تكون المعرفة متغيرة أيضاً ، فذلك مما لم يقم عليه دليل ، بل الدليل على خلافه ، اذ يرد عليه :

(١) ان المعرفة قسم منها فرع المذكورين لا كل أقسامها ـ كما تقدم.

(٢) ان جملة من الحقائق في الخارج لاتتغير .

(٣) النقض ، بأنه لو كانت كل الحقائق في تغير والمعرفة تبع لها ، فمن اين اثبتتم تلك الكلية، القائلة بأن [المعرفة تتغير] فاللازم بطلان أحد الامرين كما ذكروا في من قال: [كل اخباري كاذبة] .

ومما تقدم ظهر، ان المعرفة قدتكون صحيحة ، وقد تكون فاسدة، و احديهما لايمكن ان تنقلب الى الاخرى، فان المعرفة الصحيحة هي المطابقة للواقع ، والفاسدة هي المخالفة له ، ويقال للمعرفة الصحيحة [حق] باعتبار ان الواقع يطابقها، و[صدق] باعتبار انها تطابق الواقع .. أما اصطلاح الصحيح والاصح، والفاسد والافسد، فذلك باعتبار مجموع الاجزاء، فان طابق الكل كان أصح، والا كان صحيحاً، وان خالف الكل كان أفسد، والا كان فاسداً مثل الغذاء الصحيح الذي هو عبارة عما يلائم الصحة، وان كان يحرف الصحة بقدر غير ضار ، مثل ايجابه بعض النعاس في غير مورده، بينما الاصح لايوجب حتى مثل ذلك، وقد تقدم ان فتوى داود وسليمان كانت صحيحة بينما فتوى الثاني كانت أكثر استيعاباً للفضل، وكذلك الكلام في الفاسد والافسد .

لامدخلية للزمان في الحقائق

ثم ان الزمان بعد رابع للموجود الخارجي ـ كما ذهب اليه بعض المحققين ـ وهو لاتأثير له على الموجود، بأن يجعله نسبياً، بل عامل يقع في زمان ، دون زمان ، فلا تتغير الحقيقة بأن تكون نسبية ، بل بتبدّل العوامل تتبدل المسببات ، كالطفل، والشاب ، والهرم .. أما في مثل الرياضيات وما تقدم من سائر الأمثلة، فلا عوامل متعددة حتى توجب التغيير .

وعلى كل فتوهّم جماعة من الديالكتيكيين من علماء الاجتماع ان الحقيقة بدون الزمان وهم، لأساس له من علم أومنطق .

أماقوله عليه السلام: [ان الليل والنهار يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد] فهو كناية محضة، بالاضافة انه لاربط له بكلام أولئك .

ولماكانت العلل والمعلولات لها نظام عام، مثل قاعدة: [طغيان القدرة بدون الايمان] . قال سبحانه : « ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى» ومثل: (ان السلاح والعلم والمال والكثرة قدرة) كان ماضي الزمان دائماً مرآة لمستقبله، مثلا يقال: التاريخ يعطينا انه كلما تجمعت القدرة في يدانسان [غير المعصوم] وشبهه، طغى في السابق، كان الحكم كذلك في اللاحق، ثم يقال ان البلد الفلاني قد أخذ يجمع القدرة ، فلابد وانه يطغى، وطغيانه يسبب اضرار جيرانه، فاللازم تهيئة القدرة في قباله، أوالحيلولة دون تجميعه القدرة ومن هنا أخذ المثل المعروف: (التاريخ يعيد نفسه) .

وقال علي عليه السلام: (فسر في ديارهم وانظر الى آثارهم) .

المعرفة علمية وفلسفية

(مسألة ـ ٤ ـ) المعرفة قديقال لها [علم] وقد يقال لها [فلسفة] وهي كلمة يونانية من [فيلاسوفا] أي محب الحكمة، وبينهما عموم مطلق، اذ كل فلسفة علم، وليس العكس، والفارق اصطلاحي ، فان الانسان قديكون بصدد معرفة موضوع واحد ينتهي الى غاية واحدة ، فيحصل ذلك ، وهذا مايسمى بالعلم ، كما اذا صار بصدد الموضوع الذي هو [بدن الانسان] ليعرف صحته وسقمه، وعلائم كل منهما، وعلاج سقمه ـ بمختلف أقسامه ـ ولذاكان موضوع كل علم هوالجامع لموضوعات مسائله ، كما ان محمول كل علم هو الجامع لمحمولات مسائله، وهذهالجملة الواحدة [اعتباراً] من المسائل تعطي معرفة الغاية المتوخاة، وكذلك الكلام في علم التفسير ، والتاريخ، و النحو والبلاغة وغيرها .

أما الفلسفة فهي عبارة عن المسائل التي تعطي المعلومات العامة عن الحياة، والكون، والمبدء، والمعاد ، ولذا قدتسمى بالمعرفة الكونية ، وليس ذلك خاصاً بطائفة خاصة من المعلومات ، مثل العلوم التي هي عبارة عن طائفة خاصة، ولذا يتكلم في الفلسفة عن الوجود والعدم، والمهية والجواهر والاعراض وغيرها، ولذا كان الفيلسوف في الزمان السابق يسعى لاستيعاب العلوم ، ثم يسعى لاستخراج الفلسفة الموحدة من كل تلك .

أمافي الحال الحاضر، حيث تكثرت العلوم تكثراً خارجاً عن استيعاب الانسان

لم يبق للفيلسوف الا انيعرف العموميات .. ثم ان جملة من علماءالاجتماع جعلوا [الفنون الجميلة] في قبال [العلم] وذكروا ان الفارق بينها ، وبين العلم: انالعلم يتغلّب فيه الجانب الادراكي، بينما [الفنون الجميلة]يتغلّب فيها الجانب العاطفي، وهذا ليس أكثر من اصطلاح، فهو مثل ان يجعل العلم في قبال [النحو] بحجة ان العلم يهتم بالفكر، والنحو يهتم باللسان، أوغير ذلك من التشقيقات الممكنة التي لاتخرج الشقوق من واقع كونها أقساماً من العلوم .

الواقع : تجربي وذهني

ثم ان الواقع قسمان : قسم يخضع للتجربة ، حيث انها امور عملية ، و التجربة تقود الى القوانين المودعة في ذات الاشياء، مثلا: مكتشف الكهرباء وصل اليها بسبب التجربة، فكانت قوانينها المودعة في الكون مجهولة، والتجربة والبحث قادا المجرب الى تلك القوانين .

وعليه فلا مدخلية للتجربة في تغيير الواقع، وانما لها مدخلية في كشف الواقع، وكلما زاد الانسان تجربة في هذا الميدان، زاد كشفاً للواقع، وقدقال علي عليه السلام في حكمة بعث الانبياء: (ويروهم الايات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع) .

وقسم آخر لايخضع للتجربة، مثلا : هل ان الشيء مركب من جنس و فصل ؟ وان الوجود والعدم لايجتمعان، وان الزمان لايعقل جمع أطرافه ، و ان كل ترجح بلا مرجح محال و .. لايمكن اخضاعه للتجربة، ومنه يعلم ان قول بعض الماديين، ان كلما لم يخضع للتجربة ليس بعلم، مخالف للبداهة، وعلى ماتقدم فتراكم التجارب لايغير الواقع، وانمايصل الى اسرار أكثر تعقداً

وغموضاً، كالذي يسير في المدن، كلما أكثر من السياحة ظهرت له مجهولات جديدة، لا ان المعلوم الجديد ناسخ للمعلوم القديم .

ثم ان التجربة التي هي مقدمة للعلم الواجب ، واجب ـ على القول بوجوب المقدمة ـ و من ذلك يعرف الاقسام الاربعة الاخر ، من الاحكام الخمسة .

الطريق الى المعرفة

(مسألة ـ٥ ـ) العلماء قسموا العلم الى قسمين : قسم مرتبط بـما وراء المادة، وقسم مرتبط بالمادة .

أ ـ فالاول هو العلم الالهي، ومايتبع ذلك، من النبوة والامامة والمعاد، وهذا هو المسمى بعلم اصول الدين ، في قبـال علم فروع الدين ، المرتبط بالسلوك الانساني، والذي يتمركز في حواسه الخمس، باضافة مايرتبط بعمل نفسه اي النية والفكرة، وقد ورد في الحديث الشريف: (انما الاعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى) .

وورد أيضاً: (فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة) .

ب ـ والثاني هو العلم المرتبط بالمادة، والمراد بالمادة الاعم من المادة الثقيلة كالارض والجسم، أو الخفيفة كالنفس والعقل، اذ لم يثبت انهما مجردان فان ادلة تجردهما لاتكفي لاثبات ذلك، وعلى اي حال، فهذا العلم في تقسيم أولى، ينقسم الى خمسة علوم :

(١) علـم النفس ، والمراد بـه الاعم من النفس والعقل والروح ـ في الاصطلاح ـ .

(٢) علم الجسد .

(٣) علم المحيـط الاجتماعي المكـّون من الترابـط الانساني بعضهم ببعض .

(٤) علم المحيط الاصطناعي المرتبط بالمدينة ، مما يعيش الانسان فيه سواء كان المحيط مرتبطاً بالصنعة، كالمحيطات الحاضرة ، أملا كالمحيطات السابقة على اكتشاف العلوم والصنائع الحديثة .

(٥) علم المحيط الطبيعي مما حول الانسان من سماء وأرض ، وحيوان ونبات وماء ، وغير ذلك ، وقد جاء بعض المحدثين فقسموا العلوم الى أربعة :

(١) العلم الالهي .

(٢) العلم بالمادة التي لاروح لها ، مما يسمى بالفيزياء الاعم ، كعلوم الفيزياء والكيمياء وعلم الفلك، وعلم الارض ـ بمختلف شعبه من معدن وماء وتراب وغيرها ـ .

(٣) العلم بالمادة التي لها روح ،مثل علم النبات ، وعلم الحيوان وعلم البيئة .

(٤) العلم الاجتماعي المرتبط بالانسان، وقديسمى بالعلوم الانسانية ،كعلم الاجتماع ، وعلم السياسة ، وعلم الاقتصاد ، وعلم الطب ، وعلم النفس .

والمهم في هذا الكتاب نوع من القسم الرابع ، اي [علم الاجتماع] بالمعنى الاخص .

وحيث ان كل واحد من هذه العلوم له جهة مشتركة مع سائر العلوم ، وجهة مختصة ، يحتاج كل عالم باحدهما ، الى نوعين من العلم :

(١) مبادى العلوم العامة ، وقد يصطلح عليه بالجنس ، أو الجامع .

(٢) العلم بالشيء الذي يهمه من العلم الخاص مثل هذا ، مثل من يريد معرفة الانسان ، فانه بحاجة الى معرفة الحيوان في الجملة ، ثم معرفة الانسان بما هوانسان .

ثم ان كشف المعلومات في كل علم مادي بحاجة الى شيئين (الاول) الطرق الفكرية ، و (الثاني) الطرق التجريبية ، وذلك لان الفكر هو الذي يصدق أو يكذب التجربة ، وبعبارة اخرى يقول : بأن ما أدركه الانسان هل هو صحيح مطابق للواقع أولا ؟ اذربما يدرك الانسان الشيء فيزعمه صحيحاً ، بينما يدل الفكر على بطلانه وبالعكس ، وقد عد بعض السوفسطائيين اخطاء الحس ، فأوصلها الى ثمانمأة ، مثلا : يرى الانسان منتهى الخطين الموازيين ملتصقاً ، بينما لاالتصاق ، وانما تخيله الحس كذلك ، حيث التصاق نوري العينين ، وهكذا بالنسبة الى المريض الذي يزعم ان الحلومر ، أوان القريب بعيد، أوما أشبه ذلك .

اذاً يحتاج كل علم مادي الى معرفة الفلسفة ، ومعرفة المنطق ، قبل البدأ في تحقيق مسائل ذلك العلم الخاص، واخضاعها للتجربة ، فالمنطق يعطي معرفة استقامة الفكر وانحرافه ، والفلسفة تعطي العلم بالحقائق في مجالها الوسيع الشامل لكل العلوم .

وبعد هذين يأتي دور التجربة لاكتشاف مجهولات كل علم علم ، من طرقه التجريبية .

مراحل المعرفة

وحيث قد ظهر ان الفكر والتجربة يتعاضدان في كشف القوانين وحل المشاكل ، لابد وان يعرف ان كشف القانون ، وماوراء القانون يمر بمراحل ستة :

(١) معرفة المقصود ، اذ بدونها يكون الانسان طالباً المجهول ، ولذاكان اللازم على كل باحث ان يعرف أول مايعرف ماهو مقصوده للبحث والفحص

كالمسافر الذي يعين مقصده ثم يسير اليه متحرياً أفضل الطرق وأقصرها .

(٢) تجربة بدائية للوصول الى المقصود ، فان التجربة كالنبات تبتدأ بنبتة صغيرة ، ثم تنمو وهكذا التجربة ، وهي وان كانت ربما تصادف الواقع ، لكن الاغلب انها تخفق ، بل وتخفق معها تجارب آخر ، خصوصاً اذا كان الهدف عالي المنال ، وقد نقل عن مكتشف الكهرباء انه جرب لحفظ النور في الزجاج أكثر من تسعة الاف تجربة ، حتى قال له بعض أصدقائه : ألم يكفك ما صرفت من عمرك هباءاً ان تعترف ان ماترومه شيء غير عملي ؟ قال : اني لم أصرف ولاشيئاً قليلا من عمري هباءاً ، لاني عرفت ان هذه التسعة الالاف تجربة ، ليست بطرق ، والان احاول تجربة جديدة لسلوك طريق جديد ، لعله يكون موصلا ، وأخيراً وصل ، واستنار الانسان بالمصابيح الكهربائية .

(٣) تكوين فرضية للوصول الى الهدف ، لان التجربة العميقة انما تكون بعد الفرضية .

(٤) تجربة وسعية لاجل معرفة مدى صحة الفرضية المذكورة ، بالملاحظة والتجزئة ، والتركيب ، والتحليل ، والدقة ، وماأشبه ذلك .

(٥) وعند ذاك ينكشف القانون ، الذي كان الهدف الاسمى للعالم الباحث ولذا قالوا : ان الغرض أول في الفكر ، وآخر في العمل ، كمن يفكر في دار سكنى ، ثم يهي أدواتها ، ويبنيها ، فاذا تم البناء ، صارت صالحة للسكنى ، ويحصل غرضه في الخارج .

(٦) وتبقى مرحلة أخيرة ان كان الباحث يريد التوسع والتقدم ، لا الجمود والوقوف وهي مرحلة الربط بين هذا القانون المكتشف ، وسائر القوانين : أيها تجتمع مع هذا القانون المكتشف في قانون أعم ؟ وأيها لاتجتمع ؟ وان شئت قلت : كشف النسب الاربع بين المكتشف وغيره ، هل تباين أو تساوي ، أو عموم

مطلق او عموم من وجه ؟

مثلا: اذاكان عالم،الاجتماع يرى فساد المجتمع بتفشي المنكرات[المقامر والمخامر ، والمباغي ، وما اليها] ويفكر في علاجها ، فانه يمر بالمراحل الست المذكورة .

فأولا: مسألته تفشي المنكرات، لاتدنى مستوى المعيشة،ولاكثرة اللصوص في الطرق .

وثانياً : يفكر في ان العلاج غلق أبواب المباغي والمقامر والحانات .

وثالثاً : يرى بعد التعمق في المسألة ، ان ليس العلاج ذلك ، اذ مادام جماعة من الناس يتعاطونها، يكون الغلق علاجاً صورياً ، فان المتعاطين ينتشرون ويتحايلون بالاختفاء عند التعاطي الى ان غير ذلك.. فيصل الى فرضية مفادها العلاج الحقيقى هو ايجاد الوعي في الناس، لان تعاطي هذه الامور الضارة انما يكون لعدم رشد الناس فكرياً ، ولذا لايعرفون مصلحتهم ومفسدتهم ، فيرجحون اللذة العابرة على العاقبة المحمودة .

ورابعاً : يقوده الامر الثالث الى تجربة فكرية أوعملية واسعة [من باب تداعي الافكار في الفكر وارتباط الامور في التجربة العملية] الى انه لماذا المنكرات؟ لماذا الاستعمار؟لماذا تحطم الزراعة والصناعة والتجارة؟ لما انعدام الحرية ؟ لماذا السجون ؟ وهكذا من الافكار المناسبة ، أوالعمليات المناسبة [في حقل التجارب] .

وخامساً : يصل الامر الى اكتشاف القانون وهو [كلما تدنى وعي الامة تفشت المنكرات ، وكلما ارتفع الوعي قلت المنكرات الى ان تنعدم] اذاً : فالعلاج ترفيع مستوى الوعي .

وسادساً : اذا أراد الانطلاق ، وعدم الجمود على القانون المكتشف، يفكر في النسبة بين هذا القانون المكتشف، وقانون السياسة ، والاجتماع ، والاقتصاد

والعقيدة ، والاخلاق،والحريات ، والقدرة ، وغيرها ، وبذلك يظهر طريق العلم [وحدته ، وكثرته ، وتداخله ، وتباينه] وطريق العمل . . واذا لم يمر الانسان بهذه المرحلة السادسة ، كانت علومه المتناثرة ، وتجاربه المتشتتة غير مرتبطة ، ولاتعطي رؤية وسيعة ، ولاقاعدة متينة .

الاسلام والتفكير

وقد أمر الاسلام بالتفكر ، والتدبر ، والتفقه ، والتعقل ، وما الى ذلك ، كما يجدها المتتبع في القرآن الحكيم، وأقوال الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وأولاده الطاهرين عليهم السلام .

وقدورد في الحديث : (في التجارب علم مستأنف) .

وقال علي عليه السلام : (قيمة كل امرء مايحسنه) .

وقال عليه السلام : (فان اشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك فانك أول ماخلقت كنت جاهلا ثم علمت وماأكثر ماتجهل من الامر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد حين) .

وقال عليه السلام : (الفكر مرآة صافية) .

وقال عليه السلام : (اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لاعقل رواية ، فان رواة العلم كثير ورعاته قليل) .

وقال عليه السلام : (لاعلم كالتفكر) .

وقال عليه السلام : (مالي أرى الناس اذا قرب اليهم الطعام ليلا ، تكلفوا انارة المصابيح ليبصروا مايدخلون بطونهم ، ولايهتمون بغذاء النفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم ، ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب ، في اعتقاداتهم وأعمالهم] .

وقال عليه السلام : (العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل ، والعلم يهتف بالعمل، فان اجابه والا ارتحل عنه) .

وسائل المعرفة

ثم ان العلوم تختلف ، في الوسائل التي تنتهي الى مسائلها :

(١) فالعلوم الفلسفية والعقائدية تعتمد على الطريقة التفكيرية .

(٢) والعلوم الفيزيائية والكيميائية تعتمد ـ على الاغلب ـ على التجربة العملية ، وان كان اللازم التفكر والتدبر حول جملة من خصوصياتها كما تقدم في بحث المراحل الست .

(٣) أما العلوم الاجتماعية ـ بمختلف شعبها كالاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية، والتاريخية ونحوها ـ فانها تعتمد على المشاهدات، والاحصاءات والاسناد ، فالعالم الاجتماعي يلتقى بالافراد ويسألهم ، أو يقدم لهم أوراقاً بالاسئلة ليملاوها ، أويأخذ نماذج من الامور ليعلم بهـا كليات تلك النماذج الى غير ذلك .

والواجب على المحقق الاجتماعي، في اللقاءات وما أشبه ان لايعتمد على الشائـعات ، والاجواء المصطنعة ، بل يكون لـه من الذكاء ما لا يخلط مـعه الحقيقة بالاصطناع، مثلا: المستبدون من الحكام مايفروضون أنفسهم على وسائل الاعلام ، وعلى المحلات العامة بواسطـة البوليس السري ، وعلى قطاعات كبيرة بواسطة الترغيب والترهيب ، وبذلك يملائون الاجتماع من أنفسهم، مع انـه املاء كاذب ، فالمحقق يجب ان يميز بين مثل هذه الاجواء ، وبين مثل الاجواء الحرة، ممايكون كل شيء طبيعياً فيها، فاذا كان الجو من القسم الاول كان على المحقق ان يتجنب في احصائياته ومقابلاته، عمّا يرتبط بالحاكم

ولوكان سيطر عليه بسبب الاعلام وسياسة التجهيل .

أمـا اذا كانت الاجواء مثل القسم الثاني تمكن المحقـق من السؤال و الاستعلام بكل حرية، مثالهما مثال من يمشي في أرض شائكة حيث يلزم عليه ان يلاحظ بكل دقة لئلا يصيب الشوك بدنه وملابسه، بينما من يمشي في أرضه مستوية ليس عليه هذه الملاحظة، وقـد يذهب الحاكم الدكتاتور، الى أبعد من ذلك فيشتري ـ في خارج بلده ـ وسائل الاعلام والضمائر، ويكون بذلك قد نصب شبكة لاصطياد المغفلين، والعلامة للقسمين لاتخفى، فانك اذا رأيت في دولة الباطل حزباً واحداً وتقديساً للفرد، وعدم تبدل الحاكم بين مدة ومدة وعدم حرية الصحافة، والاذاعة ، والتلفزيون، وماأشبه، علمت بان الجو ملغوم فالاحصاءات وأوراق الاسئلة والنماذج لاتعطي الا رائحة الحاكم، الا اذا كان المحقق دقيقاً نابهاً .. وبـالعكس من ذلك، اذا رأيت احزاباً متعددة وتعرض الفرد للتقديس والنقد، الى آخره، فانـه علامة صلاح الجو، وامكان الاعتماد عليه .

والاسناد أيضاً يجب ان نعرف صحيحها من سقيمها، وهـي تعرف من الخط، والورق، والانشاء، وزمان ومكان الانشاء كما انما ينشأ في حاشية رئيس مستبد لايكون سنداً ، بينما ما ينشأ في جو نظيف يكـون سنداً ، وهكذا يلزم الاحصاء في صحة هذا التاريخ أو ذاك ، الى غير ذلك .

من اين الاجتماع ؟

(مسألة ـ ٦ ـ) الانسان خلقه الله سبحانه، جسماً ونفساً، وله متطلبات جسمية، ومتطلبات نفسية، فالا كل، والسكن، والراحة، واللباس، ونحوهامن الاول، والعلم والادب والاجتماع والفضيلة ونحوها من الثاني، ثم ان الله سبحانه هيّي للانسان حاجياته ـ سواء حاجياته التي لاتحتاج الى العمل كالهواء والارض ونحوهما، أوالتي تحتاج كالدار والمأكل والملبس ـ من ناحية، كما بيّن له بقوانين سماوية، كيفية حركته وسكونه و تفكيره وعمله، من ناحية ثانية، حاله في ذلك ـ في مثال بسيط ـ حال صانع معمل مّا، حيث يهيّيء لوازم المعمل ويبين قوانين المعمل، فهناك في الخلقة، تعادل : بين الانسان في حاجياته وقوانينه، والانحراف عن تلك القوانين يوجب العطب والهلاك ولذا قال سبحانه: «ومن أعرض عن ذكرى، فان له معيشة ضنكاً» .

وقال تعالى: «يضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم» وقال عن لسان نوح: «فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً، و يمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً» .

فان الاعراض عن القوانين الصالحة يوجب ارتطام الانسان بالحواجز، كالذي يسير في الطريق المسدود، حيث يرتطم بالجدار .. كما ان اتباع غير السنن الالهية يوجب ثقل الحياة على الانسان ثقلا على نفسه [اصرهم] و ثقلا على أعضائه وجوارحه «والاغلال التي كانت عليهم» .. أما الاستغفار

بالسير في طريق الله ـ فانه الاستغفار الحقيقي ـ فانه يوجب تدارك نقص السابق « انه كان غفاراً » كالمريض اذا شرب الدواء حيث يستعيد صحته، واذا مشي الانسان في طريق الله بالتعاون، وزراعة الارض، وشق الانهار، والتزاوج والاستيلاء، كان درّ المطر كثيراً، لانه يتولد من كثرة مياه الارض، ويكثر الاموال بالتجارة والزراعة والصناعة، ويكثر البنون، وتكون الجنات والانهار: فالايات الثلاث هي بيان لطبيعة عدم سلوك، أوسلوك القوانين الصالحة التي جعلها الله سبحانه، بالاضافة الى الامر الغيبي الذى يعمله سبحانه ماورائياً .

فان الحياة يسيرها أمران: [القوانين الطبيعية المودعة في الكون باذن سبحانه] و [الامور الماورائية التي يجريها الله سبحانه، بدون اسباب ظاهرة] كالمعمل الذي يسير بسبب قوانينه، وبسبب المهندس الذي يسيره .

أما من يقول بالانسان الاول المنحدر من نسل الحيوان، وبالاشتراكية الاولى ، وبالاجتماع لاجل الاقتصاد ، و ان الاقتصاد هو البناء التحتي، لكل القوانين والانظمة والاخلاق والاداب والاديان، وما الى ذلك .. فانه لايعوزه الدليل فحسب، بل الدليل على خلافه في كل خطوة خطوة.

بين الترابط والتباعد

ثم ان الانسان حيث خلق اجتماعياً بالطبع، لالحاجاته الجسدية فقط: بل لحاجاته النفسية، حيث الانسان يستأنس بالانسان، ويستوحش لفقده، كان الانسان يؤثر في الانسان الاخر ـ سواكانا فردين، أومجتمعين، أوبالاختلاف ـ والتأثير قد ينتج الايجاب [بالترابط] وقدينتج السلب [بالتدابر] .

والترابط :

(١) قديكون لاجل هدف واحد، فيجتمعون للوصول اليه بدون انيكون

للمجتمعين لون واحد، وهذا يسمى [بالترابط الهدفي] .

(٢) وقد يكون من أجل وحدة اللون التابعة لوحدة الثقافة، في الاخلاق والاداب والدين والمراسيم، وهذا يسمى [بالترابط الاجتماعي] .

كما ان التدابير، بانفصال أحدهما عن الاخر على ثلاثة أقسام لانه :

(١) قد يكون لاجل الوصول وحده الى الهدف بدون عمل ما يوجب تأخير الاخر، وان كان الاخر أيضاً يريد نفس الشيء ـ سواء في فردين أو جماعتين ـ وهذا يسمى [بالاستباق] حيث ان كلا منهما يستبق الاخر في نيل هدف خاص كالمسابقة بالخيل .

(٢) وقد يكون كالاول، ولكن مع عمل مايوجب تأخير الاخر فهو ايجابي بالنسبة الى نفسه وسلبي بالنسبة الى الاخر، ويسمى [بالرقابة] كرقابة التجار وسائر الحرفيين .

(٣) وقد يكون الثاني باضافة كون الرقابة بالعداء والبغضاء و يسمى [بالمحاربة] كما في المقاتلات والحروب :

ثم ان كلا من الترابط والتدابر ـ غالباً ـ ينتهيان الى المسالمة ، وهي العيش الاجتماعي بين الفردين أو الطائفتين بسلام ، فالمسالمة في الترابط ، قد تكون مسالمة [الامرية والمأمورية] حيث يتسلط أحد الطرفين على الاخر فيسلم الطرف الثاني بآمرية الطرف الاول ، وقد تكون مسالمة [التوافق الاجتماعي] بدون الامرية والمأمورية، والتوافق، قد يكون [بالعدل] بأن أعطى كل طرف حقه، وقد لايكون بالعدل ، مثلا : نهر بين قريتين ، نفوس احديهما ألف ، ونفوس الاخرى ألفان ، فان قسم النهر بينهما نصفين كان مساواتهما بدون عدل ، وان قسم للاولى ثلثه كان عدلا ، فان بين اللفظين عموماً من وجه .

وكل من الامرية والمأمورية ، والتوافق، قد يكون مع الرضا الباطني ،

وقد يكون بدونه وأهم القسمين ما يكون بالرضى ـ اذ المقسر لايدوم ـ ولا يحصل الرضى الباطني ، أبداً الا اذا كان التطبيق يصادف الاصول المقبولة ، وبعبارة اخرى [كان النظام مطابقاًللايدلوجية] كأنه بدون ذلك يقع التدافع الخفي ، ثم الجلّي، بين النظام والاصول ، وينتهي أخيراً الى الانفصام، سواء في الحقل السياسي أو الاقتصادي أو غيرهما .

مثلا : اذا كانت السياسة المتخذة من الشريعة الاسلامية في قيادة الامة [بالنحو الاستشاري] كانت القيادة الديكتاتورية فرضاً على الامة ، فيقع التصادم بين معتقد الامة ، وبين نظامها السياسي ، وذلك ينتهي ـ ان عاجلا أو آجلا ـ الى التضارب والانفصام ، ولذاقالوا خير القيادات واطولها عمراً ما نبعت من باطن الامة .

وكذلك فى الاقتصاد، فاذا كان الاقتصاد الاسلامي أمراً وسطاً بين افراط [الرأسمالية] وتفريط [الشيوعية] ، كان الاقتصاد السليم القابل للتطبيق ما كان وسطاً بينهما ، فاذا جعل النظام الاقتصادي مائلا الى أحدهما ، أوجب التصارع بين الاصول [الايدلوجية الاقتصادية] والتطبيق [النظام المجعول] وينتهى أخيراً الى التعارض والانفصام . . وكذلك الامر في الثقافة وغيرها .

أما [المسالمة] التي ينتهي التخالف اليها ، فالغالب أن تكون بسبب المصلحين، بعد تهيء الطرفين نفسياًلها ، حيث ان الانسان مغرور غالباً ، فيزعم انه بامكانه أن يخرج خصمه عن الساحة، وبعد تجربة العداء ، يرى انه لم ينفعه ذلك ، وأخذ من طاقاته الشيء الكثير، بالاضافة الى ما حط من سمعته، بما لو صرفها في البناء لكان أجدى له ، وذلك هو المناخ المناسب للتعايش السلمي وحينذاك ينشط المصلح لجعل شروط تقارب وجهات النظر، والتوافق بين الجانبين قد يكون على نحو: [المهادنة] أو على نحو : [المعاهدة] أو على

نحو : [المصالحة] أوعلى نحو: [المعايشة] وهذه مراتب متدرجة فالمهادنة عـدم الخصام ، والمعاهدة يضاف الى المهادنة ، أن يتعهد كل طرف بعـدم الاعتداء ، ثم يأتي دور المصالحة ، حيث يصطلح الطرفان ويكونان كاخوة، وأخيراً يمتزجان كجماعة واحدة وهي : [المعايشة] .

الاسلام يدعو الى السلم

وقدحرض الاسلام على السلام، حتى مع الاعداء ، قال سبحانه : « ادفع بالتي هي أحسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، ولايلقاها الا الذين صبروا ، ولايلقاها الا ذوحظ عظيم » .

وقال الامام السجاد عليه السلام : (اللهم سددني لان أعارض من غشني بالنصح، واجزى من هجرني بالبر ، و اثيب من حرمني بـالبذل ، وأكافي من قطعني بالصلة ، و اخالف مـن اغتابني الى حسن الذكر ، و أشكر الحسنة واغضي عن السنة).

وفي القرآن الحكيم: « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله».

وقال سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان » .

أماقوله سبحانه : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » فذلك حيث قصوى حالات الاضطرار ، كالعملية الجراحية الخطرة، حيث لايقدم عليها الا في قصوى حالات الضرورة، ولذا كان الرسول صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام ، يخففون أبداً أسباب العداء ويقلصونها ، فقال صلى الله عليه وآله : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) وأعطى علي عليه السلام الماء لمن حاربوه ، وكذلك فعله ابنه الحسين عليه السلام في كربلاء، الى غير ذلك .

أقسام التجمعات

والجماعة قد تكون[جماعة ارادية] أي اجتمع أفرادها بالارادة والتخطيط المسبق ، وتسمى [بالجماعة الرسمية] أو [الهيئة الرسمية] مثل : أعضاء الحكومة فانها جماعة شكلت لاجل حفظ العدالة وتقديم البلاد الى الامام، مع ارادة وتخطيط،وقد تكون جماعة غير ارادية ، بأن لم يكن اجتماعهم عن تخطيط وارادة خاصة ، مثل الاجتماع في القرى والمدن ، حيث لم يجمع الافراد تخطيط وارادة خاصة فهي [جماعة غير ارادية] .

ثم الجماعة الجمتمعة قد تكون [طويلة الامد] كالمثالين السابقين ، وقد تكون[قصيرة الامد] وهذه الثانية قد تكون عن تخطيط ، وقد لا تكون كذلك.

فالاولى: كالمظاهرات التي خطط لها ، ولابد أن يكون ورائها عقل مدبر.

والثانية : كالمظاهرات العشوائية ، كما اذا اجتمع جماعة في أيام الغلاء عند الخباز، ثم أخذوا يتظاهرون بسبب الجوع وتطلب الخبز .

والجماعة قد تكون [بدائية] : [طبيعية] كأفراد عائد واحدة ، أو [غير طبيعية] كالاطفال الذين يجتمعون للّعب ، وقد تكون [غير بدائية] وتسمى [بالجماعة الثانوية] وهي التي تجتمع لاجل هدف خاص ويصرف أفرادها ، قسماً من نشاطهم ، في اطار الاجتماع ، كالجماعة الاقتصادية ، أو الثقافية، أو الصناعية .

واعضاء الجماعة قد يكونون[أعضاء مواجهة] لان اجتماعهم يتطلب المواجهة مثل أعضاء العائلة ، وأعضاء اللعب، وقد يكونون [أعضاء غير مواجهة] حيث ان اجتماعهم لا يتطلب المواجهة ، مثل أعضاء الشركات والاسهم، حيث ان التلاقي لا يكون بينهم ، وانما يرتبط كل عضو بالمكتب الذي فتح لاجل تلك الشركة

أو تلك الاسهم .

والاعضاء ان ربوا في محيط واحد، أو محيط مشابه، سميت الجماعة بـ[الجماعة المنسقة] والا كانت [جماعة غير منسقة] حيث ان العرف والعادة والاعمال عند الفعل ، وردود الفعل في الاولى مشابهة بخلافها في الثانية ، مثلا : قد يكون من ربي في الغابة ، اذا رأى السبع حمل عليه ، بينما من ربي في المدينة اذا رأى السبع فر منه ، فاذا رأى أحدهم من صديقه فراراً أو حملة ـ وهو بعيد عنه ـ علم الحادث في المنسقة، بينما لايعلم الحادث في غير المنسقة ،الى غير ذلك من الافعال وردودها .

ثم ان كل جماعة بالنسبة الى أفرادها تسمى [بالداخلة] وبالنسبة الى غير أفرادها تسمى [بالخارجة] سواء كانت الخارجة أفراداً متناثرين ، أو جماعة اخرى .

والاعضاء قد يكونون [أصليين] فيما كانوا نواة مركزية، وقد يكونون [فرعيين] فيما كانوا ثانويين ، وهكذا قد يكونون [أعضاء التشكيل] وقد يكونون [أعضاء الولاء] حيث لايتركب تشكيل الجماعة منهم وانما هم موالون يجمعون لهم المال، ويدافعون عنهم، ويروجون لهم، وقد تحتاج التشكيلة الى أفراد آخرين فتنتخب من الموالين من تجعلهم ضمن التشكيلة .

والاعضاء قد يربطهم رابط اللحم والدم، وتسمى [بالعشيرة] أو نحوها، وقد يربطهم رابط غيره، وتسمى [بالجماعة الاسترشادية] حيث يسترشد أعضائها بالاراء والافكار التي تتخذها الجماعة منهجاً لاجل بقاء الجماعة و تقدمها الى الامام في مقاصدها وأهدافها .

ثم الجماعات العاملة، لها حركة خاصة بها، في البعد الذي يهم الجماعة كالبعد السياسي بالنسبة الى الاحزاب ، والطبي بالنسبة الى جماعة الاطباء ، و هكذا، وهذه الحركة الخاصة غالباً تكون دورية، أي ان الجماعة توجد في

أفرادها نوعاً من الحركة، من حيث الكيف والكم ، و الفرد من الاعضاء المتأثر بالحركة، يعطي رد الفعل الى الجماعة، بما يزيدها حماساً وحركة، و الجماعة ـ بدورها سترد الحركة على نحو أشد من حركتها الاولى، الى الاعضاء، وهكذا تكون حركة الجماعة والفرد بين فعل وردّ فعل .

وهذه الحالة كما توجد في الجماعة المنظمة ذات الاهداف البعيدة، كذلك توجد في الجماعات التلقائية الذين اجتمعوا، صدفة لاجل حادث طارىء، مثل مشاهدة تمثيلية، أوانتظار مأكل أوسفر، أو ما أشبه ذلك .

فان اخذت الجماعة في الهرج والمرج والتخريب، سميت [بالغوغاء] .

ثم قديكون للجماعة معنى غير ماتقدم، وهو الافراد المشتركون في أمر حسن أو سيء، بدون انيكون بينهم ربط أورابطة مثل جماعة المهربين ، و جماعة اللصوص، وجماعة الكتاب، وجماعة الفقراء، وماأشبه، وفي الاصطلاح في اللغة العربية، تختلف الجماعة عن الجمعية، وان كان بينهما لغة تساو أو ترادف،مثلا: اذا كانت هناك جماعة مترابطة لاجل التأليف والنشر يقال لهم: [جمعية] بينما اذا لم يكن بينهم ترابط، بل كانوا متناثرين، اذا اريد التعبير عنهم يقال لهم جماعة المؤلفين، وهكذا .

وهكذا جرى الاصطلاح في تسمية الجماعات السياسية [بالاحزاب] ـ و ان كان معنا اللغوي أعم من ذلك ، فكل تجمع يسمى حزباً ، وان كان بدون ترابط قريب كترابط الجمعيات، قال سبحانه : «ولما رأى المؤمنون الاحزاب» وقال : « الا ان حزب الله »، وقال: «كل حزب بما لديهم فرحون»ـ وكذلك جرى الاصطلاح على تسمية جماعة [بالهيئة] ولا يطلق عليهم ، حزب أوجمعية مثل:[هيئة الدولة]لاعضائها، أوالهيئة لحسينية كذا ،ونحوذلك ،وقد يطلق على الهيئة [الجماعة]أيضاً .

الجمهور والامة

أما [الجمهور]أو[الجماهير] فالغالب اطلاقها على [العامة]وانما يطلق عليهم هذا اللفظ اذا اريد التعبير عن ارادة لهم، مثل : لايرغب الجمهور في كذا ،أو الجمهور يريدون المرشح الفلاني ، فقد يلاحظ كل قطعة من العامة جمهوراً، فيقال للمجموع[جماهير] وقد يلاحظ المجموع من حيث المجموع فيقال [جمهور] وحيث ان [الجمهور] يطلق على القطعة من العامة ، صح اطلاقه على طائفة خاصة مثل : [جمهور الفقراء] أو [جمهور البطالين] أو [جمهور الزراعين] الى غير ذلك .

و [الامة] و [الشعب] يطلقان على طائفة كبيرة من الناس ،والفارق بينهما ان الامة تقال باعتبار المبدء ، والشعب يقال باعتبار الذات .

قال سبحانه : « وان هذه امتكم امة واحدة » .

وقال :«وجعلناكم شعوباً وقبائل »ولذا لايصح ان يقال :[الامم الاسلامية] لان كلهم امة واحدة بينما يصح ان يقال : [الشعوب الاسلامية] لان الاسلام اشتمل على شعوب .

وحيث ان الجماعة المشتركة في هدف خاص طويل الامد، كالجماعة الاقتصادية ، أو الثقافية أو ماأشبههما لها نظم خاص ،وروابط بين أفرادها، وعمل خاص ،سميت [بالمنظمة] .

الاجتماع وشعبه

أما [الاجتماع] فهو المركب من اناس كثيرين، وغالباً يكون لهم منظمات وجماعات ، وجمعيات ، ومؤسسات ، سواء كانت رسمية [اي دولية] أو

غير رسمية .

والاجتماع يشتمل على [الاخلاق الاجتماعية] و [الاداب الاجتماعية] و[المواثيق الاجتماعية] و[القوانين الاجتماعية] و [المواريث الاجتماعية] و [الشعائر الاجتماعية] و [المقررات الاجتماعية] .

(فالاول) : صفاتهم النفسية كالكرم والبخل ، والشجاعة والجبن ،وحب الضيف وكرهه .

(والثاني) : آدابهم في بناء الدور، والسلام ، والمجالسة ، والصلة للرحم، وكيفية الملابس ، وماشبه .

(والثالث) : مايحصل من العهود بواسطة جماعة من كبار المجتمع مع آخرين منهم ، أو مع مجتمع آخر .

(والرابع): القوانين المرعية في بيعهم ونكاحهم ومواريثهم ومرافعاتهم ، مماجعل العقاب لمن خرقها .

(والخامس) : ماورثوها من الاباء والاجداد من الرسوم والاداب وغيرها.

(والسادس) : مايظهرونها من الاعمال في فترات خاصة بحسب عقيدتهم .

(والسابع) : ماكان من القوانين المرعية مما يحسن اتباعها ولاتصل الى القانون الذي يعاقب مخالفه ، فاذا لم يسر فرد على هذه الامور سمي [شاذاً] فان استمر على خلافه مع الاجتماع سمي [منحرفاً] .

ثم الحالة التي تظهر في الاجتماع وتشمل قطعة كبيرة منه بما فيها من حركة واضطراب ان كانت سريعة الزوال سميت [هوساً اجتماعياً]وان كانت بطيئة الزوال سميت [جداً اجتماعياً]فان وافق تلك هرج ومرج وحالات غير عادية سميت [بالجنون الاجتماعي] فان كان مثل ذلك حصل من حادث مخوف كسيل أوحرب فجائية أو زلزلة شديدة ، سميت [بالوحشة الاجتماعية] .

والروابط التى تحكم أفراد الاجتماع ان كانت سماوية سميت [دينا] كما ان الروابط سواء كانت سماوية أم لا، تسمى [انظمة]و[مناهج] و [قوانين] و [مسائل] و[روابط] وغيرها .

علاقة الفرد بالمجتمع ونحوه فى ضوء الاسلام

ثم لنختم هذه المسألة بكلمات عن علي أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة .

قال عليه السلام فى وصية له للحسنين عليهما السلام : (أوصيكما .. بتقوى الله ، ونظم أمركم ،وصلاح ذات بينكم ، فاني سمعت جدكما صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام) .

وقال عليه السلام : (وعليكم بالتواصل والتباذل ، واياكم والتدابر والتقاطع).

وقال عليه السلام : (وانما أنتم اخوان على دين الله ، مافرق بينكم الا خبث السرائر وسوء الضمائر، فلا توأزرون ولاتناصحون ، ولاتباذلون ولاتوادون ، ومايمنع أحدكم ان يستقبل أخاه بما يخالف من عيبه ، الا مخافة ان يستقبله بمثله).

وقال عليه السلام : (فان الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الامة فيما عقد بينهم من حبل هذه الالفة، التي ينتقلون في ظلها ، ويأوون الى كنفها ، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة ، لانها أرجح من كل ثمن وأجل من كل خطر) .

وقال عليه السلام : (وألزموا السواد الاعظم ، فان يد الله على الجماعة ، واياكم والفرقة ، فان الشاذ من الناس للشيطان ، كما ان الشاذ من الغنم للذئب) .

وقال عليه السلام : (الزموا ماعقد عليه حبل الجماعة ، وبنيت عليه أركان الطاعة).

وقال عليه السلام : (فاياكم والتلون فى دين الله ، فان جماعة فيما تكرهون من الحق ، خير من فرقة فيما تحبون من الباطل ، وان الله سبحانه لم يعط أحداً

بفرقة خيراً ممن مضى ولاممن بقى) .

وقال عليه السلام :(فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء (جمع ملأ)مجتمعة، والاهواء مؤتلفة ، والقلوب معتدلة ، والايدى مترادفة ، والسيوف متناصرة ، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة ، ألم يكونوا أرباباً فى أقطار الارضين ، وملوكاً على رقاب العالمين، فانظروا الى ماصاروا اليه في آخر امورهم، حين وقعت الفرقة ، وتشتت الالفة ، واختلفت الكلمة والافئدة ، وتشعبوا مختلفين وتفرقوا متحازبين) .

المجتمع المتخلف بؤرة للرذائل الخلقية

ثم ان الاجتماع اذا انحرف صار مركزاً للرذائل الخلقية والعملية ، حيث ان الاجتماع هو الجهاز الضاغط على الافراد والجماعات في الاستقامة أو الانحراف ، والفرقة من مواليد الاجتماعات المنحرفة .

فان الاجتماع اذا كان مستقيماً ، اشتغلت جماعاته وأفراده بالبناء، فتوجد المؤسسات البانية ، والجمعيات الخيرة ، والمنظمات العاملة في سبيل التقدم، وهي تجذب أكثر قدر من الافراد ، فيعجّ الاجتماع بالفضيلة ويأخذ سبيل الرقي والتقدم ، والسير في مدارج الكمال .

بينما الاجتماع اذا كان منحرفاً ، اخذت الجمعيات فيه بالتحلل والتفسخ، وتفشت البطالة ، وكثر الجهل ، وشاعت الفردية ، وصار مركزاً للجمود والتأخر ، وشاع فيه الفساد والافساد .

أما اختلاف الاجتهادات ، ففي الاجتماع المتقدم يعالج بسيادة الكلمة ، والبحث الحر، والانتقاد النزيه ، وحتى في الحقول السياسية ، نجد الاحزاب الحرة ، تحاول كل واحدة منها التقدم بكثرة العمل وحسن الخدمة ،

ويقع التنافس في البناء ، والاستباق الى الفضيلة ، وقد أكّد القرآن الحكيم على ذلك ، قال سبحانه : « سارعوا الى مغفرة من ربكم » وقال : « استبقوا الخيرات » وقال : «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ».

بالعكس من الاجتماع المتخلف ، حيث تأخذ القوة مكان الكلمة ، والسيف والسجن والسوط مكان الانتقاد البنّاءوالبحث الحر،ويسلط الاشرار حيث انهم أقدرعلى الفتك والارهاب ، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى تكثر فيه العزلة والانزواء ، حيث لايجد الصالحون مجالا للتنفس ، وتفو البطالة والترهب والتزهد ، وكذلك صار المجتمع المسيحي أبان حكم البابوات ، بل والمجتمع الاسلامي في فترات منه ، وكان من تلك ما قبل خلافة الامام أمير المؤمنين ، فقد ورد ان علياً عليه السلام ، لما جاء الى الكوفة رأى في مسجده اناساً لاعمل لهم يعيشون على صدقات الناس ، ويتزهدون في الدنيا ، فاخرجهم الامام عليه السلام ، عن المسجد بنهر وأمرهم بالعمل .

الثقافة الاجتماعية

(مسألة ـ ٧ ـ) لكل انسان ثقافة دينية أو دنيوية ، ورثها أو اكتسبها من مجتمعه ، أو اخترعها ، وثقافات الافراد تتجمع حتى تعطي لوناً خاصاً للمجموع ، ثم تتجمع ثقافات الجماعات في وحدة أكبر ، وتتغير اللون الى المتوسط بين تلك الالوان ، وهكذا تتجمع الوحدات الكبرى في وحدة جامعة ، تعد تلك ثقافة المجتمع ، مثلا : اذا اجتمعت عائلة كرمها مأة في مأة وعائلة كرمها عشرون في المأة، وعائلة كرمها ثلاثون في المأة، كان المجتمع من هذه العوائل كرمهم خمسون في المأة ، فاذا جمعت وحدة كبرى بين هذه المجموعة، ومجموعة اخرى كرمهم عشرة في المأة ، كان الاجتماع كرمه ثلاثون في المأة .

وكذلك الحال في الثقافة ،والصناعة ،والاخلاق،والشجاعة وغيرها، ولذا كان في الثقافة الاجتماعية جهات اجتماع وجهات اختلاف ،وكلما كبرت الوحدة الجامعة ،كان الرقي أكثر ،حيث ان الفضائل في الافراد والجماعات تجد متنفساً أكثر و ظهوراً أقوى ، ولذا حيث جمع الاسلام بين الشعوب المختلفة من عرب وفرس وقبط وهند وغيرهم ، وصلت الامة الاسلامية الى أكبر قدر من النضج في مختلف ثقافات الحياة .

لكن انما يكون ذلك اذا توفر مناخ الحرية الكاملة للافراد،والا لم تكن حصيلة الاجتماع الكبير الا التأخر ، فان الثقافة بحاجة الى تحرك وانتشار و

هما لايتوفران الا في مناخ الحرية ، وكذلك ما يتبع الثقافة ،من فروسية ، و صناعة ،وزراعة ، وتجارة وغيرها .

ثم الثقافة مادية ومعنوية ،فالمادية ما يرتبط بالجسد ،والمعنوية ما يرتبط بالنظام والعقيدة و نحوهما ، وكلتاهما في عرض واحد أما قول جماعة من الماديين بأن [الاقتصاد] هوالبناء التحتي للدين والاخلاق والانظمة وغيرها ـ مما هي في نظرهم بناء فوقي ـ فهو قول خال عن الدليل ، بل قام الدليل على خلافه .

والفرد في الاجتماع ، وكذلك في الجماعة المترابطة ـ في وحدة منظمة واحدة ـ له : (١) مكانة : (٢) وعمل اجتماعي .

(فالاول) :عبارة عمّا له في الاجتماع من الشخصية الموجبة لاحترامه ،و لسهولة نفوذ أوامره ، وهذه المكانة الاجتماعية تابعة للمال والسلاح ،والعلم، والعشيرة ونحوها، والايمان، والاخلاق، والاعمال ، وأحياناً الجسد كالانسان الجميل أو الانسان القوي البنية .

بينما (الثاني) :عبارة عن مايزاوله الشخص من الاعمال، وكلما كان عمل الانسان أكثر وأحسن ـ كماً وكيفاً ـ زاد ذلك، في مكانته الاجتماعية .

الكفائة ميـزان التقدم

ثم في المجتمع الصالح تكون الكفائة والحرية ميزان التقدم [فكل امرء بما كسب رهين] [وان ليس للانسان الا ما سعى] [والناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم] ولذا تكون السيادة والمال وغيرهما منقسمة بين المجتمع ، والاجتماع في مثل هذا المجتمع يأخذ في التحرك .

بينما في المجتمع الطبقي المنحرف، تستولي طبقة على الناس ،فهم طبقة

والناس طبقة ، والكفاءات تسحق والحريات تسلب ،والطبقة الحاكمة هي كل شيء ، بيدها المال والسلاح و السيادة ، أو الطبقة الحاكمة تتحالف مع الاثرياء ليكون بيدهما كل شيء ، والمال دزلة ، وسائر الناس طبقة مطحونة، كما نجد في الحال الحاضر، مثال الاول في الشرق، ومثال الثاني في الغرب.

التحرك الافقي والعمودي للمجتمع

قد تقدم ان الاجتماع يأخذ في التحرك اذا كان المجتمع صالحاً،والتحرك على نحوين :

(الاول): التحرك الافقي ، بأن يغير الفرد مكانته الاجتماعية الى مكانة مماثلة كان يخرج من جمعية ليدخل في جمعية اخرى ، حيث مكانته فيهما متساوية.

(الثاني) : التحرك العمودي ، وذلك[صعوداً] حيث ان الحرية والكفائة توجبان صعود الفرد الى المكانة اللائقة به في اعلى درجات الاجتماع،او[نزولا] حيث ان توفر الكفائة في غير الصاعد ، يوجب ان يصعد ، فيخلى الصاعد مكانه للاكثر كفائة بينما هو ينزل الى المستوى اللائق به ، ولذا تكون المجتمعات الراقية في حال تحرك دائم وصعود ونزول ، بخلاف المجتمعات المتأخرة حيث انها في حال جمود وركود .

والاجتماع بالنسبة الى تحرك الافراد افقياً او عمودياً على ثلاثة اقسام :

(الاول): الاجتماع المنغلق الذي لايسمح للتحرك لوجود الاستبداد المطلق الكابت للناس عن الحركة ، والكبت يكون بالقتل والتعذيب والسجن والمصادرة وتلفيق التهم ، وفي مثل هذا المجتمع تموت المواهب ، وتقبر الحريات .

(والثاني): الاجتماع المنفتح، وهو بعكس الاول ، وعلامة هذا المجتمع

حرية الصحافة والتجارة والثقافة والاعلام والتحرك في مختلف ابعاد الحياة والحاكم فيه كسائر الافراد ينتقد علناً، ويحاسب على كل ما عمله ، وفي مثل هذا المجتمع تتفتق المواهب، ويتقدم الاجتماع بكفاءاته الى الامام .

(الثالث) : الاجتماع المتوسط بين الاجتماعين ، فلا استبداد الانصفياً ، ولاحريات الافي الجمله ، وهذا الاجتماع ، أسبابه مأخوذة من الاجتماعين السابقين ، كل في الجملة ، كما ان علائمه وآثاره ، بين الامرين .

وحيث كانت مزايا الاجتماعات الثلاثة ،على ماذكر فـ(المنطلق) يتقدم على القسمين الاخرين دائماً ، بينما (المنبثق) منهما يتقدم على (المنغلق) أبداً.. وقد كان هذا من أسباب تقدم بلاد الاسلام على بلاد العالم أبان ظهور الاسلام ، حيث كانت بلاد العالم منغلقة ، وبلاد الاسلام منطلقة.. كما ان بنفس هذا السبب تقدمت البلاد الصناعية ، على بلاد الاسلام في هذه الحقبة من التاريخ ، اذ ان تلك البلاد منبثقة ، بينما بلاد الاسلام اصبحت منغلقة .

ثم ان التغيير الاجتماعي يحدث اول ما يحدث في مؤسسة من مؤسسات الاجتماع ، ثم ينتقل الى مؤسسة ثانية وثالثة ، وهكذا حتى يشمل كل الاجتماع ، سواء كان ذلك في طرف الصعود أو النزول ، مثلا : اذا نشطت المؤسسات الدينية ايماناً واخلاقاً وعلماً ،سرى النشاط الى المؤسسات الثقافية ،ومنها يسرى الى المؤسسات الصناعية،وهكذا حتى يعم المجتمع الايمان الصحيح والاخلاق الفاضلة والعلم الوفير ، واذا جمدت المؤسسة الحكومية ـ بأن صارت ديكتاتورية ـ جمدت المؤسسات التابعة ، ثم المستقلة ، ثم يسري الجمود الى الجماعات والافراد ، وينزل الاجتماع ، فان الانطلاق والجمود مثلهما مثل الماء ، يتطلب تساوى السطوح .

ثم انه قد يقوم جماعة من الناس ضد الدولة فيسمون في المنطق الاسلامي

[بالخوارج] وفي المصطلح حالا [بالمنشقين] فان أرادوا الانفصال سموا [بالانفصاليين] فان تمكنت الجماعة التي قامت ضد الدولة من اسقاط الدولة سموا [بالثوار] وقد يطلق الثوار على مطلق الخوارج والمنشقين ، وان لم تتمكن من اسقاط الدولة سموا في منطق تلك الدولة [بالمتمردين، والعصاة] واذا كان الذين قاموا ضد الدولة هم أغلبية الناس سموا [بالثائرين] وسمى عملهم - اذا اسقطوا الدولة [ثورة] ثم اذا استقر الحكم للثوريين ، وقام جمع ضد الثورة لاعادة الحكومة السابقة، أوتشكيل حكومة جديدة سمى عملهم ذلك [بالثورة المضادة] .

وقد لاتكون [الثورة] في البعد الحكومي ، بل في البعد الاجتماعي بأن أراد الناهضون تحسين الوضع الاجتماعي، أو الصناعي، أو الزراعي، او الثقافي، أو السياسي ، فان مثل هذه النهضات تسمى باسامي اهدافها ، فيقال : [الثورة الاجتماعية] او [الصناعية] والى آخره .

نظرة على الانقلابات العسكرية

أما كيف نجد الانقلابات العسكرية في البلاد المتخلفة ، ولا نجدها في العالمين الشرقي والغربي؟ فذلك لان البلاد المتخلفة - ومنها بلاد الاسلام في الحال الحاضر - فيها تخلف في جميع ابعاد الحياة، من ناحية، ومن ناحية ثانية هي تحت نير الاستعمار المباشر ، او غير المباشر ، وكثيراً مايتغلب استعمار على استعمار في تبديل الحكام ، او يريد الاستعمار السابق تبديل وجوه عملائه ، ليكونوا أرضى للشعب ، أويريد أرباحاً اكثر مما لايسمح العملاء السابقون له بذلك ، فيقوم المستعمر بواسطة جماعة من عملائه بالانقلاب في غياب من الوعي الجماهيري ، ورشد الامة .

ولذا كان اللازم على المفكرين تنوير الامة وتوعيتها حتى لايقع فيها انقلاب ، كما ان اللازم بيان : ان كل الانقلابات التي وقعت في العالم الثالث ـ بما فيها العالم الاسلامي ـ كانت من ولائد الاستعمار ، مهما اظهر عمال الانقلاب انفسهم بمظهر النظافة والطهارة والاخلاص .

والدليل على ذلك ، انك لاتجد في اي من تلك الانقلابات تحسيناً في حالة الشعب ، بل بالعكس كانت كلها سبباً لاجراء سيل من الدماء ، وملأ السجون وتعذيب الابرياء، وانتهاك أعراض النساء والاولاد، ومصادرة الاموال، وتشريد الامنين ، وتحطيم بقايا الحريات ، والى آخره .

وقد ذكرنا في المقدمة الطريق الى نجاة المسلمين من براثن المستعمرين وعملائهم .

اما انه كيف لاتقع الانقلابات العسكرية في البلاد الشرقية والغربية ؟

اما في البلاد الشرقية فلان الديكتاتورية الحاكمة تقمع كل احتمال معارضة بأبشع انواع القمع ، فمثلا : في عهد ستالين قتل من الفلاحين زهاء خمسة ملايين في تطبيق نظام المزارع الجماعية ، ووصل عدد السجناء والمبعدين الى معسكرات الاعتقال في سيبريا الى اكثر من عشرين مليون، والامر وان خفّ بعد ستالين ، الا ان الحال كذلك الى الان : حكومة بوليسية ، وكبت وخنق والبلد سجن كبير ، والناس يقتلون ويسجنون بالشك والوهم ، ويجبرون على الاعترافات على انفسهم في اثر تعذيبات شديدة واعمال شاقة ، وقد قتلوا من المسلمين اكثر من خمسة ملايين عند استيلائهم على الجمهوريات الست الاسلامية . . وبعد ان مات [ماوتسي تونغ] ظهر ان قتلاه اكثر من عشرين مليون . . وفي كوبا نصف مليون سجين من تسعة ملايين هم مجموع افراد البلد، وهكذا، وفي مثل هذه الاجواء من غير المترقب الانقلاب او الثورة .

واما في البلاد الغربية، فان الدعاية المكذوبة وشيئاً من الحرية المخدرة وبعض الرفاه النسبي ، والضبط البوليسي الشديد لعدم بروز اعمال العنف ، اوجب عدم الانقلاب والثورة .

بين حكم السماء وحكم الارض

واذا قامت دولة اسلامية ـ حسب موازين الكتاب والسنة ، ومثل ماحكم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعلي عليه السلام ـ مما وفر للناس الحرية الكاملة بما أوجب رفاه الناس كاملا ، وانطلاقهم كما أراد الاسلام، لرأى الناس البون الشاسع بين نمط هذا الحكم ، وبين الانماط للحكومات الغربية التي تدعى الحرية والرفاه ، ولرؤا ان البوليس الاجرامي يقل ، والدعاية لاتكون الا صحيحة.

واسس مثل هذا الحكم :

(١) الايمان بالله واليوم الاخر .

(٢) الاخلاق الفاضلة .

(٣) الشورى من القمة الى القاعدة حتى ان القيادة العليا تتكون من المراجع الذين هم المقلدون للامة ،فان كان للامة عشرة مقلدون كانوا كلهم داخلين في المجلس الاستشارى الاعلى وهكذا .

(٤) اطلاق كافة الحريات الفكرية والعملية في جميع المجالات [الا مجال المحرمات حيث ان المحرم ضار بالنفس أو الغير، ولا حرية للضار) .

(٥) تعدد الاحزاب الحرة السليمة والتي هي مدارس لتربية القادة السياسيين

(٦) الاقتصاد السليم الذي لايولد الرأسمالية المنحرفة ، ولا الاشتراكية الباطلة .

(٧) الاجتماع الصحيح الذي يتخذ قوانين الاسلام منهجاً في العبادات و المعاملات والاحوال الشخصية ، والعقوبات والقضاء وغيرها .

وحيث قد ازيح حكم السماء عن الارض ابتلى الناس بالانحراف ، و كما قال سبحانه فقد صار للناس : «معيشة ضنكاً» وقد وصف مثل ذلك الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، بأن الشعار الخوف والدثار السيف، وقد صار للاجتماع البشري ـ بمجموعه ـ الخواص التالية :

أ ـ تمركز رأس المال بيد النخبة الحاكمة في البلاد الشرقية، والرأسماليين في البلاد الغربية، الى جانب فقر مدقع ومسكنة لانظير لهما في التاريخ، شملا الملايين والملايين من الناس .

ب ـ سباق التسلح والخوف المطلق، والحروب والمؤامرات والانقلابات المتتالية ، واستيلاء روح الانتقام والتوحش .

ج ـ ضعف الايمان و الاخلاق ، و التحاسد و التباغض و الفوضى و الاضطراب .

د ـ استيلاء الروح المنفعية والمصلحية والانتهازية على السياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها .

ولا علاج لشيء من ذلك الاّ برجوع قوانين السماء الى الارض « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » و «الا بذكر الله تطمئن القلوب» .

مراحل علم الاجتماع

(مسألة ـ ٨ ـ) اذا لاحظنا علم النحو، رأينا انه يمر بثلاث مراحل :

مرحلة المطالعة لكلمات العرب، ومرحلة كشف القوانين للغة العربية ، ومرحلة تنظيم تلك القوانين في الكتب تنظيماً عمودياً، بتقديم ماحقه التقديم وتأخير ماحقه التأخير، وافقياً بترتيب المسائل التي لا ترتيب بينها .. واذا لاحظنا سائر العلوم رأينا فيها المراحل الثلاث، مثلا: علم الطب يمر بمرحلة ملاحظة الطبيب الابدان و أمراضها و علاجها و علائمها، ثم مرحلة كشف القوانين العامة أو الغالبية، ثم تدوين تلك القوانين عمودياً وافقياً .

وكذلك علم الاجتماع له هذه المراحل الثلاث فالعالم الاجتماعي :

(أولا): يلاحظ الاجتماع، ويدقق في سير الامور المرتبطة به تدقيق ملاحظة واحصاء وكشف، لا تدقيق تجربة وعمل، اذ الاجتماع لاينفعل وانما يفعل بخلاف من يجرب دواءاً فانه يجربه بالفعل، اي يزرعه، ويسقيه ماءاً زائداً او ناقصاً ، ويقطعه ويعطيه لحيوان ليرى اثره فيه، الى غير ذلك ، فعلم الاجتماع داخل في سلسلة العلوم [الانفعالية] اي : [ان العالم يلاحظ] لا العلوم [الفعلية] فـ[ان العالم الاجتماعي لايفعل ولايجرب] .

و(ثانياً) :يدرك القوانين المطلقة، مثل: قانون [الحسن يحسنه الاجتماع] و[القبيح يقبحه الاجتماع] وانه [كلما ارتفعت ثقافة الناس ارتفع اقتصادهم]و [كلما تحسنت اخلاق الاجتماع تقدمت سائر شؤنهم] أو المقيدة ـ أي بزمان أو

مكان خاصين ـ مثل: [الولادة في الارياف أكثر من الولادة في المدن] و[الثقافة في المدن أكثر من الثقافة في الارياف] حيث انه لاتلازم بين الامرين ، وانما الحكم كذلك غالباً ، في جملة من المدن والارياف ، لاسباب خاصة سببت هذا الاختلاف .

(وثالثاً) : يضع عالم الاجتماع القوانين المكتشفة في مدونات خاصة ، مرتبة عمودياً وافقياً، ويخرج علم الاجتماع الى الظهور.. وقد كان علم الاجتماع قليلا أو كثيراً منذ القديم منتشراً في كتب ، ثم في القرون الاخيرة وضعت له كتب وقواعد وما أشبه، شأنه شأن سائر العلوم ، التي كانت منتشرة ثم جمعت في مدونات خاصة ، وتكاملت بكثرة البحث والمطالعة .

علم الاجتماع : الموضوع والمسائل والغرض

وحيث ان لكل علم موضوعاً ، هو جامع موضوعات مسائله ، ومحمولا هو جامع محمولات مسائله ، ومسائل موضوعاتها صغريات كلي الموضوع ، ومحمولاتها صغريات كلي المحمول، وبهذه الوحدة الاعتبارية يؤثر ذلك العلم في غرض خاص ، هو مورد توجه المدون لذلك العلم . . كان لعلم الاجتماع أيضاً تلك الامور الثلاثة :

أ ـ فموضوع علم الاجتماع هو [كيفية الحياة البشرية من حيث الاجتماع] . . وكما اذا قلنا : ان موضوع علم النحو [الكلمة من حيث نطق آخرها] كانت [الكلمة] موضوعاً للعلم جامعاً لموضوعات مسائله و[من حيث نطق آخرها] محمولا للعلم ، جامعاً لمحمولات مسائله . . كذلك موضوع علم الاجتماع [كيفية الحياة البشرية] ومحموله [من حيث الاجتماع] .

ولايخفى ان علم الاجتماع بمعناه الاعم ، يشمل الاجتماع الحيواني أيضاً

مثل حياة النملة والنحلة والارضة ، وما أشبهها ، لكن المهم عندنا الان علم الاجتماع بمعناه الخاص ، أي الاجتماع الانساني .

ب ـ ومسائل علم الاجتماع، صغريات ذلك الموضوع والمحمول العامين مثل البحث عن الاجتماع المتقدم والمتأخر ، والصناعي والزراعي وغيرهما ، والمثقف والجاهل ، والغني والفقير ، والمستعمر والمستعمر ، الى غيرها من المسائل الكثيرة .

ج ـ والغرض من هذا العلم : كشف القوانين الاجتماعية العامة أو الخاصة، لاجل معرفة الخطأ والصواب في الاجتماع ، حتى يمكن انتشال الاجتماع المتأخر بترشيده الفكري ليعرف مواقع خطائه فيتجنبها ، ولحفظ الاجتماع المتقدم عن الانحطاط بممارسة المناهج الصحيحة دائماً ، ولحث الاجتماع المتقدم للمزيد من التقدم .

وبذلك ظهر [تعريف علم الاجتماع] بأنه معرفة القوانين الحاكمة على الحياة البشرية من حيث الاجتماع[1].

مهمة علماء الاجتماع

ثم ان العالم الاجتماعي ، لدى ملاحظته الاجتماع ووضعه حيث يكلف ببيان الروابط الاجتماعية يلزم عليه :

(أولا) : بيان :

(١) الروابط الاحيائية المبعثرة .

(٢) الروابط التي يجري عليها الاجتماع عادة وتقليداً في شئونه المتنوعة

---

(١) لايخفى انا لم نلاحظ فى هذا المبحث الدقة المتعارفة فى علم الاصول ، لان المهم كان الالماع فقط .

مـن ساعة ولادته الى بعد موته ، مما يشبه المؤسسات الدائمة ، مثـلا : كل اجتماع له مراسيم خاصة للولادة ، ومراسيم خاصة للزواج ، ومراسيم خاصة للموت ، ومراسيم خاصة للتهنئة والتعزية ، مما يجرى في الاجتماع نسلا بعد نسل ، وكأن تلك المراسيم مؤسسات تحقق خير الانسان من ساعة ولادته الى ساعة اهالة التراب مثلا على قبره .

(٣) الروابط الدائره في مؤسساته المختلفة من رسمية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها .

و(ثانياً) : بيان مواضع الخطأ والصواب ، والحسن والاحسن ، والسيء والاسوء ، في تلك الامور الثلاثة الانفة الذكر ، مثلا : في مراسيم ، الموت : من عادة بعض الوحوش أكل لحم ميتهم ، ومن عادة بعض المبذرين دفنه بأشياء ثمينة ، ومن عادة بعضهم حرق ميتهم ، ومن عادة بعضهم دفنه في تابوت ، كما ان من عادة المسلمين دفنه بعد تنظيفه [بالغسل] ولفه في ثوب نظيف (كالكفن) الى غير ذلك ، فاللازم على علم الاجتماع ان يبين فلسفة الفساد في الفاسد ، والصلاح في الصالح ، وبذلك يقرب الاجتماع الى مايصلحه ويقدمه ، ويبعده عما يفسده ويؤخره .

ثم ان علم الإجتماع لما كان يأخذ سير الاجتماع وخصوصياته ومزاياه ، فهو مجموعة علوم ، الغيت فيها جانب مزايا تلك العلوم ، وادرجت في علم الاجتماع ، ولذا فاللازم ملاحظة أربعة امور :

(١) علم الاجتماع من حيث الغرض .

(٢) علم الاجتماع من حيث الموضوع .

(٣) علم الاجتماع من حيث السند .

(٤) علم الاجتماع من حيث الحدود .

علم الاجتماع النظري والعملي

أ ـ أما علم الاجتماع من حيث الغرض ، فانه ينقسم الى : (١) النظري . و(٢) العملي: فالاول: هو الذي يعتمد على الذهن أكثر مما يعتمد على الخارج بأن يأخذ من الخارج أشياء ليكشف بها القوانين العامة الحاكمة على الاجتماعات والمؤسسات الاجتماعية ، من دون نظر الى كيفية التطبيقات ، بينما الثاني يهتم بالجانب العملي ، أي كيف يمكن تطبيق تلك القوانين على الخارج ، مثل : انه كيف يمكن اصلاح الاجتماع؟ كيف يمكن التخطيط والهندسة للاجتماع؟ كيف يمكن القيام بالثورة الاجتماعية ؟ والى آخر ، مثلهما في ذلك ، مثل من يتعلم قواعد علم الطب ، ومن يتعلم كيف يطبق تلك القواعد على الخارج ؟

علم الاجتماع سعة وضيقاً

ب ـ وأما علم الاجتماع من حيث الموضوع ، فان العالم الاجتماعي قد يتكلم، حول هذا العلم بمعناه العام من دون ملاحظة كل مسألة مسألة عليحدة ، وقد يخصص علمه بمسألة خاصة من هذا العلم ، فانه قد توسعت فروع علم الاجتماع ، الى علم الاجتماع السياسي ، وعلم الاجتماع الاقتصادي ، وعلم الاجتماع الصناعي ، وعلم الاجتماع الزراعي، وعلم الاجتماع القضائي وعلم الاجتماعي الحقوقي ، وعلم الاجتماع الديني ، والى غير ذلك .

(فالاول) : وهو علم الاجتماع ـ بمعناه العام والمطلق ـ يأخذ من كل علم من هذه العلوم قدراً أساسياً ، ويتكلم حوله باقتضاب ، بينما (الثاني) يجعل أي فرع من تلك الفروع موضع هدفه ، ويتكلم فيه بأسهاب ، ويلحق بهذا القسم الثاني [فرع الفرع] كما اذا أخذ عالم الاجتماع [جانب الانتاج الاجتماعي]

أو [جانب التوزيع الاجتماعي] بالنسبة الى الاقتصاد أو [جانب الاحزاب الاجتماعية] أو [جانب القدرة الاجتماعية] بالنسبة الى السياسة .

علم الاجتماع من حيث السند

ج ـ وأما علم الاجتماع من حيث السند ، فان العالم الاجتماعي قد يسند في استخراجه القوانين الى الوثائق والمدارك التاريخية ، وذلك فيما اذا أراد التحقيق حول [الاجتماع التاريخي] وقد يسند في استخراجه القوانين الى الاجتماع الحاضر المشاهد ، وذلك فيما اذا أراد التحقيق حول [الاجتماع الحاضر] واذا أراد عالم الاجتماع التحقيق حول ماسيكون عليه الاجتماع في المستقبل كان لابد وان يسند الى كلا السندين ، لاجل التكهن بالمستقبل ، في حدود الامكان .

علم الاجتماع وسائر العلوم

د ـ وأما الامر الرابع ، وهو علم الاجتماع من حيث الحدود مع سائر العلوم، وبين علم الاجتماع المطلق، وعلم الاجتماع الخاص، فهو على ثلاثة امور :

(١) بين العلم العام والخاص، أي علم الاجتماع بصورة مطلقة، وعلم الاجتماع السياسي مثلا ، والنسبة بينهما نسبة [العموم المطلق] حيث الثاني أخص من الاول ، نعم ، هناك امور تذكر في الخاص من حيث الاستيعاب لا يذكر في العام الا" بالاجمال والايجاز .

(٢) بين علم الاجتماع العام، وعلم الزراعة مثلا، والنسبة بينهما [عموم من وجه] حيث ان علم الاجتماع يشمل الزراعة الاجتماعية والصناعة و السياسة وغيرها ، بينما علم الزراعة يشمل هذا العلم سواء من جهته الاجتماعية

أوسائر جهاته .

(٣) بين علم الاجتماع الخاص، مثل علم الاجتماع الاقتصادي ، وبين علم الاقتصاد، والنسبة بينهماعموماً من وجه، حيث ان [علم الاجتماع الاقتصادي] يلون علم الاقتصاد بلون الاجتماع، بينما ليس هذا موجوداً في علم الاقتصاد و من ناحية اخرى ، علم الاقتصاد يتعرض لما لايتعرض له علم الاجتماع الاقتصادي مثل تاريخ الاقتصاد، وكيفية تحصيل الدولة لما تحتاجها من المال وكيفية صرفه ، وامور البنك وغيرذلك .

مايجب ملاحظته فى التحقيق الاجتماعى

بقي شيء، وهوان من أهم مايلزم على العالم الاجتماعي في تحقيقاته ملاحظة امور :

أ ـ الدقة في التحقيق [فانه بالاضافة الى ان العلم أمانة ، والخيانة من أشد المحرمات الشرعية العقلية] .

قال سبحانه: «انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال * فأبين أن يحملنها وأشفقن منها* وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا» .

ان عدم استقامة القوانين والنظريات الاجتماعية ينتهي الى ظلم الناس ، وذلك محرم عقلا وشرعاً أيضاً، مثلا: لولم يحقق العالم الاجتماعي في الفوائد الاجتماعية لتعدد الاحزاب ، مما حبّذ وحدة الحزب اجتماعياً انتهى الى الديكتاتورية الموجبة لهدر الاموال والاعراض والدماء ، فان العلم يأخذ طريقه الى العمل غالباً .

قال سبحانه: «وليحملن أثقالهم وأثقالا مع اثقالهم» .

وقال سبحانه: « ومن أوزار الذين يضلونهم بغيرعلم» .

وقال سبحانه: «ولا تقف ماليس لك بـه علم*ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا» .

ب ـ عدم التعصب ، فان المحقق كثيراً مايقع تحت نير التعصب ، وذلك يحرف تحقيقه مماله آثار سيئة، ولافرق في ذلك بين التعصب لبلده ، أوقومه أو دينه ، أوجماعته ، أوغيرذلك .

ج ـ عدم تأثير القدرة عليه ، سواء في الحكومات الديكتاتورية بسبب المال والسلاح ، أوفي الحكومات الاستشارية بسبب المال والجاه، ولذا نرى سقوط كثير من المؤرخين لاجل تزلفهم للسلطات خوفاً أو طمعاً ، فلا عبرة بتواريخهم ، وهكذا حال غير المؤرخ مـن العلماء الذين يتأثرون بالقدرة ، ويصبحون فقهاء البلاط ، أووعاظ الملوك، أوشعراء وكتاب الامراء .

د ـ عدم تأثره بالدعاية والاجواء ، فان عـدم الاحتياط والحزم والدقة ، يسقط العالم في الاجواء المصطنعة ، بدعاية أوغيرها ، فان ذلك أيضاً يوجب الانحراف المسقط للعالم الاجتماعي ، وغيره عن درجة الاعتبار ديناً ودنياً .

وقد ورد في الحديث : (رحم الله امرءاً عمل عملا فأتقنه) .

وورد أيضاً : (من ابدى صفحته للحق هلك) .

وقال سبحانه : «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا * فويل لهم مما كتبت أيديهم * وويل لهم مما يكسبون» وفي الحديث : (فلا يغرنك طنطنة الرجال من نفسك) .

مستلزمات اتقان التحقيق الاجتماعي

(مسألة ـ ٩ ـ) المحقق الاجتماعي يلزم عليه ، لاتقان المسألة امور :

(الاول) : انتخاب منطلق تحقيقه ، فان المنطلقات المختلفة تؤدي الى النتائج المختلفة وذلك يؤدي كثيراً ماالى الخطأ ، حيث ان المنطلق يكون منحرفاً ، مثلا : قديرى المحقق بلداً فيه حريات النقد والكتابة والاذاعة والتلفزيون والكسب والانتخابات وماأشبه ، ومن هذا المنطلق المرئي ، يقول بوجود الحريات في البلد الفلاني ، بينما ان المنطلق ليس مايرى ، بل المنطلق هو البنية الاجتماعية للمجتمع ، فاذا لوحظت تلك البنية يجد ان تلك الحريات مزيفة ، وان الناس يعيشون تحت الكبت ، حالهم حال المخدر الذي يظن انه سالم ، لكن التخدير أورثه هذا الزعم ، وانما هوفي أشد حالات المرض فمثلا الرأسمالية المنحرفة مسلطة على ذلك البلد ، فقبضت كلشيء ، فالنقد حر ، لكن لغير رأس المال ، والانتخاب حرّ لكن لايفيد حرية الانسان بعد ان اشترت رأس المال الضمائر ، والكلام حرّ ، لكن يخاف المجتمع من الكلام حيث ان من ورائه الاخطبوط الذي يسبب الازدراء بكل كلام ضد رأس المال ، وهكذا وقد ذكرنا شيئاً من تفصيل ذلك في [كتاب الاقتصاد] .

بينما المحقق الاجتماعي اذا اختار المنطلق من الحريات الواقعية ، والتي لم يسيطر عليها الاخطبوط ذهب الى عدم الحرية الواقعية في ذلك البلد ، وانما فيه سراب حرية خادع ، وشبح لاروح له ولا حول ولا طول .

تشخيص مفردات البحث

(الثاني): تشخيص مفردات البحث، والا لوقع في الخطأ، على ماذكروا في علم المنطق، مثلا: اذا قيل هل البلدة الفلانية ديمقراطية أم لا؟ أو الحكومة الفلانية ديكتاتورية، أو الجمعية الفلانية وطنية؟ لو لم يحقق المحقق حول الكلمات الثلاث بكل دقة، ويبين حدودها، لوقع في نتائج مغلوطة، ففي [الديمقراطية] لم لو يحقق انها عبارة عن الحرية الكاملة في الانتخاب، بدون تأثير جو أو دعاية أو مال أو ماأشبه، لزعم انها ديمقراطية، بينما الواقع انها ليست كذلك.

وفي [الديكتاتورية] لو زعم انها ما يقابل البلد الذى فيه مجلس الامة وصحف حرة، وما أشبه، لقال بأنها ليست ديكتاتورية، بينما أحياناً الديكتاتورية تغلف بثوب مهلهل من الحريات يعرفها المدقق ويغفل عنها السطحي، فاللازم على المحقق الاجتماعي ان يحقق أولا عن معنى كلمة [الديكتاتورية] ثم يصدر حكمه بأن البلدة ليست ديكتاتورية.

و [في الوطنية] ان زعم انها ما تكون افرادها متجنسين بجنسية الوطن رأى ان الجمعية وطنية، أما ان حدد الكلمة، بأنها ما تخدم الوطن، تغير رأيه حيث كانت تلك الجمعية لاتخدم الوطن.. ومن هنا زعم كثير من المسلمين ان قوله عليه السلام: (حب الوطن من الايمان) يراد به الوطن الجغرافي الذي حدد حدوده الاستعمار في القرن الاخير، ولذا يطلقون كلمة [الاجنبي] على غير من كان في تلك الحدود، بينما [الوطن] في الحديث [الوطن الاسلامي] والاجنبي من لم يكن مسلماً، وان كان آبائه منذ ألف سنة في هذا البلد.

اتخاذ النماذج المختلفة

(الثالث): اتخاذ النماذج المختلفة في ارادة اصدار الاحكام الكلية [الغالبية] اذ لما كان الاحصاء التام غير ميسور غالباً، يكتفي المحقق الاجتماعي باتخاذ النماذج، فقد يتخذها من رديف واحد، زماناً أو مكاناً أو خصوصية، وحينذاك لايصح الحكم كلياً، وقد يتخذها من مختلف الاردفة فيكون الحكم الكلي قريباً من الصواب.

ففي مثال الزمان، اذا أراد المحقق ان يحكم على أهل قطر كذا بالذكاء أو الغباء، لم ينفع أن يأخذ الاحصاء عن معاصريه فقط بل اللازم ان يسبر غور التاريخ، فاذا رأى في جمله من الازمنة ذكائهم، قال بأنهم اذكياء، والا لم يحكم بذلك. . وفي مثال المكان، اذا أراد ان يحكم، بأن القطر الفلاني حسن المناخ أو سيىء لم ينفع ان يجد احدهما في عشرة من المائة من أماكنه بل ولا الخمسين في المائة، والا كان حكمه اعتباطاً. . وفي مثال سائر المشخصات اذا أراد ان يحكم ان الشباب في البلد الفلاني مائلون الى العلم لاينفع ان يأخذ أمثالا من شباب الاغنياء أو شباب الفقراء أو شباب الاحزاب بل اللازم ان يأخذ عينات من كل الفئات حتى يكون حكمه غالبياً [كلياً : اصطلاحاً].

الانتخاب الدقيق للجمل

(الرابع): الانتخاب الدقيق للكلمات والجمل، التي يريد البحث حولها حتى لاتسبب كتبه ومقالاته، ضلالا وتحريفاً، فان الكلمات الرجراجة والجمل المهلهلة ذات الاحتمالات والمحامل تؤدى الى الانحراف في السامع والقارىء

مثلا: اذا قال : بأن المجتمعات التي وصلت الى تساوي الحقوق بين أفرادها تعيش حياة أكثر سلاماً ورفاه من غيرها ، لم ينفع ذلك عن الانزلاق، اذ هناك سؤال، هل المراد بالتساوي المماثلة ،أو العدالة ؟ ـ اذ كل واحد منهما قد يستعمل في المقام الاخر، فان بينهما عموماً من وجه ـ واذا قيل العدالة : فهل العدالة بالنسبة الى رؤساء العوائل؟ أو افراد العائلة؟ وهكذا ..ثم يتسائل ماهو المراد من [الحقوق] ؟ فهل المراد الحقوق السياسية؟ أو الحقوق الاقتصادية ؟ أو الحقوق الاجتماعية؟ أو المراد كافة الحقوق ، واذا كان المراد الحقوق السياسية، فهل السياسة عموماً ؟ أو حق الانتخابات ؟ أو حق الحكم والادارة ؟

كشف الاسباب والمسببات والملازمات

(الخامس): كشف الاسباب والمسببات والملازمات ـ وعلى قول الفلاسفة والاصوليين: العلل والمعلولات والملازمات: أو اللازم والملزوم والملازم ـ فان الدنيا عالم الاسباب ، وأبى الله ان يجرى الامور الا بأسبابها ، وفي القرآن الحكيم : « ثم اتبع سبباً » واصول ذلك يرجع الى خمسة امور :

أ ـ هل الشيء الفلاني علة ؟ فان المحقق الذي يريد كشف القانون يلزم ان يلاحظ ان الظاهرة الاجتماعية مسببة عما ذا؟ فاذا لاح في ذهنه فرضية ، يدقق ويتسائل: هل الشيء الفلاني علة ؟ مثلا: رأى هياج الاجتماع، فيتسائل هل الامر الاقتصادي علة لهذا الهيجان ؟ بأن كان السبب تدنى الاجور وتضخم السلع؟

ب ـ فاذا تحقق لديه ان السبب الامر الاقتصادي يتسائل : هل هو وحده السبب ؟ لامكان أن يكون شيء آخر معه أيضاً ، مثل بعض العوامل السياسية مما يسبب الهيجان ؟

لايقال : لايمكن تأثير سببين فى مسبب واحد ؟

لانه يقال : اذا صار اثنين ، كان كل واحد جزء السبب ، كما ان الرصاصة

اذا كانت قاتلة ، فتعددت صارت كل واحدة جزء سبب القتل .

ج ـ فاذا تحققت العلة واحدة أو أكثر ، كان على المحقق أن يتسائل ، وهل للعلة علة ؟ وهكذا حتى ينتهي الى جذور الظاهرة ، مثلا : ظهر له ان الهيجان لاجل قلة المعاشات المسببة عن التضخم ، فيتسائل : وماهي التضخم ؟ فيصل الى انه من جهة صرف الدولة أموالا طائلة لاجل الحرب ، فيتسائل : ولماذا الحرب ؟ وهكذا .

د ـ وبعد الوصول الى جذور المشكلة ، يأتي دور آثارها ، وآثار آثارها ، فان المعلول قد يكون بدوره علة لشيء آخر ، ففي المثال السابق حيث الهيجان يتسائل : فما هو آثار الهيجان ؟ فاذا اجيب : مظاهرات واضرابات ، تسائل مرة اخرى : والى ماذا تنتهي المظاهرات والاضراب ، هل تقابلها الحكومة بالشدة لتملأ السجون والمستشفيات والمقابر ؟ والى غير ذلك.

هـ ـ واخيراً يأتي دور التحقيق عن الملازمات ، سواء للظاهرة ، أو لاسبابها ، أو لمسبباتها ، ففي المثال السابق ، المظاهرة تلازم فصل المديرين جماعة من العمال عن أعمالهم ، مما يوجب تفشي البطالة ، والفرق بين المعلول والملازم واضح ، فان العلة والمعلول في سلسلة واحدة ، بينما الملازم في عرض المعلول ، مثلا : نور النهار وحرارته ليس أحدهما علة للاخر ، وانما كلاهما معلولان لعلة ثالثة هي اشراق الشمس ، مثلا .

ثم ان الانسان بالتعقل والتفكر والتجربة ، يصل الى هذه الامور ، فاللازم ان يكون المحقق متأنياً ، دقيقاً ، يلاحظ الاشباه ، ويقارن الاضداد حتى يستخلص الواقع .

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : (العقل حفظ التجارب وخير ماجربت ما وعظك) .

وقال عليه السلام :[في كتاب له الى أبي موسى الاشعري] : (فان الشقي من حرم نفع ماأوتي من العقل والتجربة) ، وقال عليه السلام : (الفكر مرأة صافية) .

العوامل المؤثرة في الفرد

(مسألة ـ ١٠ ـ) اذا أردنا أن نعرف الاجتماع يلزم علينا ان نعرف كيف يتولدالاجتماع، وكيف يعيش ، وكيف يصعد ويهبط، وكيف يضعف ويقوى كماً أو كيفاً ؟ .

فنقول :الاجتماع مركب من أفراد ، وحالات الافراد تتجلى في الاجتماع ، ولذا يلزم ان نعرف أول مانعرف ، ما هي العوامل المؤثرة في الفرد ؟

ان العوامل المؤثرة في الفرد ـ على الاغلب ـ امور عشرة :

١ ـ الجسم

(الاول) : جسمه الظاهر ، فان التركيب الخاص ببدن الانسان ، مما يؤثر في سلوكه وأعماله واجتماعه فلو كان الانسان مثل الفيل ، أومثل الطير، أو مثل السمك ، أو مثل النمل ، لكان اجتماع الانسان بغير هذه الصورة الحالية ، وان كان في داخل ذلك الانسان المفروض نفس العقل والغرائز الموجودة الان في داخل هذا الانسان بهذا الشكل .. كما ان تلك الحيوانات التى مثل بها اذا كانت في غير تلك الاشكال ، لكان لها حياة بغير هذه الحياة التى تعيشها الان ، مثلا : لو كان النمل بقدر الحمام هل كان يعيش في ثقب البيوت ؟ أو هل كان يقتنع بجمع ذرات الطعام ؟ ولو كان الفيل ذا أجنحة ، هل كان يعيش كما يعيش الان ؟

ان نطفة كل حيوان أو نبات ـ بأية كيفية كانتا ـ لابد وان تشتمل على اربعة اجهزة [قوى] هي التي تسير الحيوان من بدء تكونه الى يوم وفاته ، وكذلك هذه الاربعة موجودة في داخل كل نطفة ثمرة ، وفي نطفة الانسان ايضاً:

(١) الجهاز الذي لايترك الجسم ليكبر عن قدره المقدر له ، أو يصغر عن ذلك، فمثلا العصفور لايبقى بقدرة جرادة ، ولايكبر الى ان يكون بقدر الحمام، وكذلك قل في التفاح انه لايبقى صغيراً بقدر لوزة ، ولايكبر بقدر دابوعة ، والانسان لايبقى صغيراً بقدر ارنبة ، ولايكبر بقدر الخرتيت ، أليس كل ذلك بسبب جهاز مخفي يترك الشيء الى ان يصل قدره ، ثم يمسكه ان يتجاوز عن ذلك القدر .

(٢) الجهاز الذي يحفظ الجسم عن خروجه عن التوازن المقدر بين أعضائه ، مثلا : يد الانسان لاتكبر بقدر ذراعين ، ولاتبقى بقدر نصف ذراع وعينه لاتأخذ مسافة بقدر الحاجب ، ولاتبقى صغيرة بقدر حمصة .

(٣) وجهاز يلاحظ الكيفية ، فلا يسود الجسم في الانسان الابيض ، ولايبيض في الانسان الاسود ، وان أكل الاول طول عمره الاشياء السود ، مثل التوت الاسود ، والثاني الاشياء البيض كاللبن ـ لكن بشرط توفر المواد المحتاج اليها البدن في تلك الاطعمة ـ وكذلك بالنسبة الى الجميل لاينقلب قبيحاً ، وبالعكس ، وحمرة الشفه ، وسواد العين ، وبياض أطراف الحدقة ، الى غير ذلك لاتتغير ، الا في حالات مرضية ـ ليس الكلام فيها الان ـ .

(٤) وجهاز يحفظ التوازن بين الذكر والانثى في حدود امكانه ، فلو لم تلد النساء خمسين سنة رجلا أو امرأة لانعدم النسل ، وكذلك في الحيوان، أليس ذلك وليد جهاز خاص في داخل ابدان الاباء ، أو المواليد يحفظ هذا التوازن بما يمكن للانسان ضبطه نسبياً ؟

وقد قال سبحانه : «الذي أعطى كل شيء خلقه ، ثم هدى» .

٢ ـ الغرائز

(الثاني) : الغرائز ، فان كل انسان فطر على غرائز خاصة ، هي حقائق في داخله ، تبعث على صفات خاصة ، وقد سماها القرآن الحكيم فطرة فقال : «فطرة الله التي فطر الناس عليها» أليس الكرم والشجاعة والرأفة وما أشبه صفات نابعة من داخل الانسان ؟ فكما ان الجسم يتلوّن بمختلف الالوان ـ والتي عدت الى خمسة وعشرين مليون لون ـ كذلك النفس لها ألوان ، وفي الاحاديث : (ان الله خلق العقل والجهل ، وأعطى كل واحد منهما جنوداً) أليس ذلك حقيقة ؟ والا فمن اين هذه الصفات ؟

كما انا نشاهد ان في الحيوان أيضاً غرائز مختلفة ، أما قابلية الانسان تغيير غرائزه دون الحيوان ، فلعل ذلك لان غرائز الانسان خلقت هكذا دون غرائز الحيوان ، أو لعل الحيوان قابل أيضاً لكنه بحاجة الى وسائل صعبة ، ومدد طويلة ، مما ليس الانسان كذلك ، أو غيرهما ؟

٣ ـ العقل

(الثالث) : العقل ، وهو مايحسه الانسان في باطنه حيث يجد التنازع في كثير من الامر بين نزعة الخير ونزعة الشر ، ومن الواضح ان الذات الواحدة لا اثنينه فيها حتى تكون آمرة رادعة ، وقد وردت في الاحاديث ان أول ماخلق الله العقل ، ثم قال له : (بك اثيب وبك اعاقب) فالسارق مثلا في داخله شيء يأمره بالسرقة ، وآخر ينهاه عنها ، ومن يريد بناء مسجد يقع بين ذلك الامر والزاجر .

وقدأشار الامام أمير المؤمنين عليه السلام الى ما تقدم من الامور الثلاثة في جملة من كلماته .

فقال عليه السلام : (انشأ الخلق انشاءاً ، وابتدئه ابتداءاً ، بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ، ولاحركة احدثها ، ولاهمامة نفس اضطرب فيها ، احال الاشياء لاوقاتها ، ولام بين مختلفاتها ، وغرز غرائزها ، والزمها أشباحها ، عالماً بها قبل ابتدائها) .

وقال عليه السلام : (فجعل منها صورة ذات احناء ووصول واعضاء وفصول .. فمثلت انساناً ذا أذهان يجيلها، وفكريتصرف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلبها ، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل ، والاذواق والمشام ، والالوان والاجناس،معجوناً بطينة الالوان المختلفة، والاشباه المؤتلفة والاضداد المتعادية، والاخلاط المتباينة ، من الحر والبرد والسبلة والجمود) .

٤- الوراثة

(الرابع) : الوراثة فان الانسان كسائر الحيوانات يرث من ابويه كثيراً من الصفات والمزايا والخصوصيات مما يؤثرفي حياته وطريقة أعماله ، وقد ورد في الحديث : (الولد سرّ ابيه) وفي حديث آخر : (العرق دساس) .

وفي كلام الامام أمير المؤمنين عليه السلام لولده محمد. (ادركك عرق من امك) الى غير ذلك .

وقد أكد ذلك جمع من العلماء ، بل ان بعضهم ذهب الى أبعد من ذلك من ان الانسان يرث معظم الصفات ، الا انها لاتظهر الى الفعلية ، بل تبقى كامنة لضغط العوامل الاخر على هذا العامل .

٥ـ القوم

(الخامس) : القومية الخاصة ، فانها اطار اعم من أطار الوراثة ، مثلا : الولد يشبه أبويه ، وفي نفس الوقت يشبه قومه ، وهذا شيء حفل به التاريخ الغابر والمعاصر ، فبنو هاشم كانوا كرماء حلماء شجعان ، بينما بنوامية كانوا بخلاء لئماء أصحاب حيل ومكر وخداع ، وليس المراد بالقومية الرسوم والاداب والعادات غير المرتبطة بالعرق ، بل بالتربية ، فانذلك من عامل خارجي ، وانما الكلام الان في العامل الداخلي ، حتى اذا ربى انسان اجنبي مع قوم ، كانت له تلك الاداب والرسوم ، ولكن لاتكون له تلك الصفات القومية .

ومن قبيل القومية ، ان الانسان من أي فصيل من فصائل البشر ، الفصيل الابيض، أو الاسود أو الاصفر ، فقد قسم جمع من علماء الاجتماع كل البشر الى هذه الفصائل الثلاث ، وبعضهم قال بأنه أكثر ، والمهم في البحث ان هذا الاطار العام أيضاً يؤثر في كيفية الانسان الباطنية ، كما يؤثر في كيفيته الظاهرية .. بل ذهب بعضهم الى أبعد من ذلك ، وقال بأن الذكاء يختلف في هذه الاجناس ، لكن هذا مالم يقم عليه دليل قطعي .

أما جمال الظاهر فمن الطبيعي ان ترى كل جماعة نفسها أجمل من غيرها ، فالاسود يرى الجمال في السواد ، بينما يرى الأبيض عدم الجمال في ذلك وهل هو حقيقي كالجمال أم اعتباري ـ في الجملة ـ أو واقعي ؟ وانما العادة سببت تحريف الذوق احتمالان .

أما قوله سبحانه : «وصوركم فأحسن صوركم » و« تبارك الله أحسن الخالقين » فلا يستفيد منها الاطلاق ، وانما على نحو القضية الطبيعية ، أو

بالقياس الى غير الانسان ، بل قد ذهب بعض الحكماء ، ان كل المخلوقات في غاية الجمال، وللمجموع من حيث المجموع جمال المجموع ، فحتى العقرب والرتيلاء جميلتان، وانما حيث ينظر الانسان اليهما نظر الاشمئزاز و التنفر يراهما قبيحتين «ماترى في خلق الرحمان من تفاوت» .

٦ ـ الدين

(السادس): الدين، فان له أهمية كبرى في التأثير فى الفرد، ثم التأثيرفى الاجتماع، ولذا نشاهد الفرق الشاسع بين المجتمع المتدين بدين والمتدين بدين آخر ، وبينهما وبين المجتمع اللاديني ، ومن جراء ذلك نشاهد أن الخطط التي توضع لمجتمع ما، لاتصلح لمجتمع آخر، اذا كان الثاني بلون غير لون الاول ، مثلا : وضع الدكتور شاخت خطة للتنمية الاقتصادية في آلمانيا فنجحت نجاحاً باهراً، بينما وضع نفس الدكتور خطة مشابهة للتنمية في اندونيسيا، ففشلت فشلا ذريعاً ولم يكن السبب الا أن المجتمع الاندونيسي مجتمع اسلامي دينى ، بينما المجتمع الالماني مجتمع مسيحي علماني .

ولايخفى الفرق بين الدين المرتبط بالحياة كالاسلام، حيث له مناهج في كل الشؤون، وبين الدين غير المرتبط كالمسيحية، ففي مثل الاول يلزم أحد الامرين: أما انسلاخ المجتمع عن الدين حتى يتمكن منهاج موضوع ـ على خلاف الدين ـ من النفوذ، وأما أن يفشل المنهاج، قريباً أوبعيداً، حيث أن الاصول تصادم التطبيق. والاصول ـ لكونها عقدة فى جذور الانسان وتحملها المليارات من الكتب ـ ليست قابلة للسقوط وانما يسقط المنهاج الموضوع.

وهذا هوسر مانشاهده من تصادم الشعوب الاسلامية مع حكوماتها، مما يسبب أن تعيش الحكومة في عزلة من الشعب الى أن تسقط، وعند سقوطها

تكون للشعب فرحة كبرى بزوال الطاغوت .

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: (ان الله تعالى خصكم بالاسلام واستخلصكم لـه ، وذلك لانه اسم سلامة وجماع كرامة ، اصطفى الله تعالى منهجه، وبيّن حججه، من ظاهر علم وباطن حكم، لاتفني غرائبه، ولا تنقضي عجائبه، فيه مرابيع النعم، ومصابيح الظلم، لاتفتح الخيرات الاّ بمفاتيحـه، ولاتكشف الظلمات الاّ بمصابيحـه، قد أحمى حماه ، وأرعى مرعاه ، فيـه شفاء المشتفى وكفاية المكتفى) .

وقال عليه السلام : (فمن يبتغ غير الاسلام ديناً تتحقق شقوته وتنفصم عروته، و تعظم كبوته، ويكون مآبه الى الحزن الطويل، والعذاب الوبيل).. وقال عليه السلام: (لايترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم الاّ فتح الله عليهم ماهو أضر منه) .

٧ ـ الثقافة

(السابع): الثقافة ، فانها حيث تبين للناس رسم الحيـاة، التي يمكن أن يتجنب فيها الاخطار بـل الحياة السعيدة ، الى أن يصل الى الحياة التقدمية، توجب توجيه الانسان، والمراد بالثقافة أعم عن التي تعلمها من بيته أومدرسته أومحيطه، أواكتسبها هوبفكره وتجربته.

ومايقال : من ان ولد العالم نصف العالم ، يراد بـه، انه رأى أباه كيف يعمل فتعلمه، والمراد أن العلم نظري وعملي، والعملي يستوعبـه الانسان من أبيـه العالم ، كما أن مايقال: لاأدرى نصف العلم، يراد بـه ان العلم نصفان، نصفه أن تعلم انك تعلم ونصفه أن تعلم انك لاتعلم [في قبال الجهل المركب] .

وقدورد في الحديث: (ان لقمان عليه السلام كان كثير التفكر) كماورد في أبي

ذر «رضوان الله عليه» [كان أكثر عبادته التفكر] فالفكر يعطي الانسان معرفة الاسباب والمسببات، وارتباط الاشياء بعضها ببعض، وطرق النجاح والفشل والفكر مثله مثل القائد الامر، بينما العمل الجوارحي مثله مثل التابع المأمور ولذا ورد: (فكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة)وورد: (انما الاعمال بالنيات) الى غير ذلك .

والسعداء لم يسعدوا الاّ بالفكر الصالح الذي تعقبه عمل صالح والاشقياء لم يشقوا الاّ بالفكر الفاسد الذي تعقبه عمل فاسد ، وقد تكرر في القرآن الحكيم: «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» فالايمان فكر ونية وعزم، والعمل الصالح مايتبع ذلك .

٨ ـ الاسوة

(الثامن): الاسوة، فان الانسان يأتسى في أعماله بمثال أوأمثلة ، ويجعل تلك منهجاً لعمله، ولذا نجد الصالحين يتبعهم رعيل من الصالحين وبالعكس من ذلك الفاسدين. وفي القرآن الحكيم: «قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه» .

وقال تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيراً » .

وفي كلام للامام أمير المؤمنين عليه السلام: (فليتأسّ متأس بنبيه والاّ فلا يأمنن الهلكة) .

ولعله لذا ورد: (من سنّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها، ومن سنّ سنة سيّئة كان له وزرها ووزر من عمل بها) .

٩ ـ المحيط الطبيعي

(التاسع) : المحيط الطبيعي فانـه يؤثر في الانسان تأثيراً كبيـراً ، فكل انسان كثيراً مايكيف حياته على الطبيعة اماتكييفاً طبيعياً، واما اصطناعياً فالاول مثل تأثير المناطق الاستوائيـة في لون بشرة الانسان، بينما ليس كذلك تأثير المناطق غير الاستوائية، واذا سكن انسان من الاستواء في المناطق غير الحارة لم تمر أجيال منه الا ويعتدل لونه، والعكس بالعكس .

وكذلك من التأثير الطبيعي كون الامزجة حارة في الاستوائية ، بلغميـة فى القطبية، وبينهما فى غير المناخين المذكورين وأمراض المناطق المختلفة تختـلف حسب المحيط الطبيعي، كما ان الحضارات ازدهرت في الاماكن الملائمة ، لا القطبية والاستوائية لان المناخ المناسب يعطي للانسان فرصـة تكوين الحضارة وتكميلها، بينما المناخ غير المناسب لايلائم ذلك .

وقد أرسل الانبياء بكثرة في الشرق الاوسط ، وقال سبحانـه : «باركنا حوله» حيث قال بعض المفسرين البركة بالانبياء ،وورد في الحديث أن موسى عليه السلام كان معه سبعون نبياً .

ومن الواضح ، وجود النشاط فى الربيع والخريف، بما ليس مثلـه في الشتاء والصيف، وقد ورد : (توقوا البرد في أوله وتلقوه في آخره، فان أوله يورق، وآخره يحرق، وانه يفعل بأبدانكم كما يفعل بأشجاركم) .

والذين يسكنون القطب يصنعون البيوت من الجليد، بينما سكان الغابات يصنعونها من الخشب ، وسكان البادية يصنعونـها خباءاً من الجلد تارة و من الوبـر و الصوف اخرى ، أما سكان الجبال والغابات ـ من المتوحشين ـ فيسكنون الكهوف ورؤس الاشجار ،ومن على الضفاف يصنعون بيوت الطوب و

الاجر والطين .

أما أكل سكان سيوف البحار فالسمك ، بينما سكان الواحات والمعاشب يأكلـون لحم الاغنام ، أما سكان الغابات فيأكلون مختلف أنواع الصيـد . . وكل يعمل أدواته مما عنده، فسكان الغابـة يعملونها من الاخشاب، بينما سكان الجبال ونحوها يصنعونها من الاحجار، وأهل الحضارات من المعادن .

وفي مراكبهم يستفيد كل مما لديه من أوعال وأحمرة، وجمال، وأفراس، ونحوها .. وملبس كل حسب مايجده عنده، من جلد حيوان، أوقطن أوصوف أوأوراق أشجار متينة ، وهكذا الاستفادة من الادويـة تختلف حسب اختلاف المناطق فلكل منطقة أدوية خاصة لايلائم أهل تلك المنطقة الا تلك الادوية.

١٠ ـ المحيط الاجتماعى

(العاشر): المحيط الاجتماعي، حيث يؤثـر الاجتماع في الانسان تأثيراً كبيراً، وكلما كان الاجتماع أكبر، كان تأثيره في الانسان أكثر ، ويكون من كبر الاجتماع اتصاله بالوسائل الحديثة باجتماعات اخر، بالحركة أوالاستماع أوالمشاهدة، بل وحتى بالتجارة والزراعة فانه اذا نقلت بضائع ومصنوعات و حبوب من بلد آخر الى بلد الانسان تعلم منها التقدم والتطور .

فان الانسان ، للغريزة المودعة فيه من حب البقاء وحب التطور ، يقتضي دائماً مايبقيـه ومايقدمه، فاذا رأى شيئاً يصادم أحدهما تجنبـه ، واذا رأى شيئاً يمده في أحدهما اتخذه، والاجتماع حيث يمتلأ بالمصادمات وبأسباب التقدم يسبب انسحاب الانسان عن ميادين المصادمة ، وسيره الى ميادين التقدم، فهو بين انفعال وفعل ، حاله حال من في الغابـة يهرب من الاسد ، ويتقدم لقطف الثمر، وكما انه لولم يكن أسد ولا ثمر، لم يهرب ولم يتقدم ، كذلك اذا لم

يكن اجتماع لـم يكن هرب عن مصادمات الاجتماع ، ولا تقدم الى مواضع الفائدة .

لا .. للانانية والعصبيات

بقي أمران :

أ ـ في الافراد غير الناضجين تؤثر الانانية والتعصب القومي، والتعصب الجغرافي،وكل ذلك يؤخر الانسان، فالانانية الفردية والقومية والجغرافية، ستر يحجب بين الانسان وبين مصالحه، فلنفرض ان الانسان طبيب وابتلى بمرض لايفهمه، فهل خير له أن يراجع طبيباً يفهم مرضه ولو من غير قومـه ومن غير محل سكناه ، أو يتعصب فيعمل بمداواة نفسه ، أوالى طبيب قومه ، أوطبيب محل سكناه ؟ والحال هكذا في كل الامور العلمية والصناعية وغيرها .

[أمـا مانشاهده من تقديم العقلاء بضائـع أنفسهم على بضائع غيرهم ، فليس ذلك الاّ لاجل موازنة أهم، فهم فى الحقيقة أيضاً يرجعون الى الاصلح لا الى الفاسد لاجل الانانية] .

والحال كذلك بالنسبة الى القضاء للقريب والقوم ومن محل السكن ، قبل تبيّن الحق ، أوبعد تبيّن أن الحق ليس لهم .

وكذلك بالنسبـة الى غلق أبواب البلاد ، أمام العلم ، أو أمام الغير ممن يسمونه بالاجنبي فى غير المصطلح الاسلامي، مع ان ضرر كل ذلك يعود الى الانسان نفسه .

ومن هذا القبيل صنمية الاحزاب والمنظمات والجمعيات، حيث انها تطرد الغير وان كان صالحاً، وتمدح الذات وان كانت طالحة .

وقد ذكر الاسلام نصوصاً كثيرة فى مضادة هذه الامـور ، والتي لاتنتهي

الا بضرر الفرد والجماعة، ففي القرآن الحكيم: «لاتبخسوا الناس أشياءهم» وقال سبحانه [عن لسان شعيب] : «ويـاقوم لايجرمنّكم شقاقي أن يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح أوقوم هود أوقوم صالح وماقوم لوط منكم ببعيد» .

وقال تعالى: «ولا يجرمنّكم شنآن قوم ان صدّوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان» .

وقال سبحانه : «ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنّكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا أعدلـوا هوأقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بماتعملون» .

وقال سبحانه: «ياأيها الذين آمنوا كونـوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربيـن ان يكن غنياً أوفقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا أوتعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً» .

وقال علي عليه السلام: (اما أخ لك في الدين أونظير لك فى الخلق) .

وفى الحديث: (انصاف الناس من نفسك) وفي حديث آخر: (من تعزى بعزاء الجاهليـة فاعضوه بهن أبيـه ولا تكنّوا) وفي شعر منسوب الى الامام عليه السلام (فان يكن لهم في أصل نسب) (يفاخرون به فالطين والماء) وفي الاية الكريمة: «انا خلقنـاكم من ذكر وانـثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم» .

وفى الاية الكريمة: «لاتقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا» الى غيرهـا من الايات و الروايـات الواردة بصدد ماذكرناه .

الزهد فى الدنيا

ب ـ حيث ذكرنا المؤثرات العشر فى الانسان، وذكرنا في البندالسابق مسألة الانانية، ينبغي ذكر ان اللازم على الانسان أن يتزهد في الدنيا، لا زهد التاركين الرهبان، بل زهد من يعرف عدم قيمة الدنيا في نفسها فكيف بقيمتها في قبال الاخرة، فلا يفسد آخرته لتعمير دنياه، بـل يجعل الدنيا كالقنطرة ، و يعمل بما قالـه الامام الحسن عليه السلام : (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وأعمل لاخرتك كأنك تموت غداً) .

وفى القرآن الحكيم آيات بهذا الصدد، قال سبحانه: «وابتغ في ما آتاك الله الدار الاخرة، ولاتنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله اليك» .

وقال تعالى: «ربنا آتنا في الدنيا حسنـة، وفي الاخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اولئك لهم نصيب مما كسبوا» .

وفي كلمات الرسول والائمة عليهم السلام أحاديث كثيرة بهذا الصدد :

قال علي عليه السلام : (لبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً ومما لك عند الله عوضاً) .

وقال عليه السلام: (اقبالها خديعة وادبارها فجيعة) .

وقال عليه السلام : (فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالـة القرظ [هو شيء يدبغ به] وقراظة الجلم [هوالمقص الذي يجز به الصفوف] .

وقال عليه السلام: (ان دنياكم هذه أزهد عندي من عطفة عنز)، وفي كلام آخر لـه : (من عراق خنزير فى يد مجذوم) .

التأثير المتقابل بين المحيط الاجتماعى والمحيط الطبيعى

(مسألة – ١١–) بين المحيط الاجتماعي والمحيط الطبيعي تأثير متقابل، فكل واحد منهما يؤثر على الاخر ، تأثيراً كثيراً أحياناً ، وقليلا أحياناً ، ويتراوح الامر بين الجانبين ، فربما كان تأثير احدهم على الاخر أكثر من العكس ، اذ كلما كان الاجتماع أكثر قدرة من حيث الفكر و الالة و الصنعة ، كان تأثيره على الطبيعة أكثر ، وكلما كان بالعكس كان تأثير الطبيعة على الاجتماع أكثر .

فمن ناحية قوة الاجتماع يقلع الانسان أشجار الغابة الزائدة ويجفف المستنقع ويغير مجرى الانهر ، ويقلع الجبال ، و يشق في ظاهرها الطرق ، وينقب في باطنها لمرور السيارات والقطارات ، وينقب تحت الارض ليصنع المدن و نحوها ، أو ليستخرج المعادن ويغير الهواء [– على الاقل– في داخل الغرف] من الحر الى البرد وبالعكس، وينشأ المطر ، ويقرب البعيد بالوسائل السمعية والبصرية ، وبالمواصلات ، و ينير ظلام الليل ، وظلام القطب ، ويستخدم قوى المياه والارياح لاجل ادارة المعامل ويشق في الاراضي النائية الوعرة الطرق ، و يثقب الارض حتى يصل الى المواد المذابة في داخلها لاجل الاستفادة من حرها في النور والحركة ، والحاصل : انه يهيء لنفسه وسائل الراحة والتقدم من الطبيعة .

ومن ناحية الطبيعة، تؤثر الطبيعة في الانسان في تغيير بشرته، وتجعيد شعره وانكماش جلده ، وتصغير ثقب أنفه ـ كما في الذين يعيشون في البرد القارص حيث ان الانسان يصغر ثقب أنفه حتى يصعب وصول الهواء البارد بسرعة الى رئته ، بحيث يوجب له الامراض ـ وتشحيذ ذكائه في المناطق الحارة في الجملة ، أو تكثير بلادته في المناطق الباردة في الجملة ، وتحريف مزاجه أو استقامته ، وسرعة بلوغه ، لان النضج يكون أسرع ، أو تأخيره ـ في المجال الممكن بين الامرين ـ وسرعة أو بطوء شيبه ، فالاول في المناطق الحارة ، والثاني في المناطق الباردة ، كما ان الاغذية المختلفة والمياه كذلك تسبب صحة الانسان تارة ، ومرضه اخرى .

وقد تسهل الطبيعة فيتمكن الانسان فيها من بناء الحضارة ، سواء بناها أم لا وقد تصعب فيصعب للانسان بناء الحضارة فيها .. ولا تلازم بين الاقوام المختلفة في الاستفادة وعدمها كما لا تلازم بين وحدة الطبيعة ووحدة خصوصيات الاقوام فمثلا : في النرويج قومان ، أحدهما أرفع طولا من الاخر وأحدهما أنصع لوناً من الاخر، وفي مكة المكرمة كانت تعيش قريش وامية ، واخلاق الاولى العدل والكرم والصراحة والصفاء والخدمة ،بينما أخلاق الثانية بالعكس تماماً من الاولى .

و في الجنوب الغربي من امريكا يعيش قومان من الهنود الحمر [هوبي] و[ناواهو] فمع اتحاد المناخ بالنسبة لهما ، و اتحاد المزاج فيهما ، فهوبي يمتهنون الزراعة ، ويبنون البنايات الكثيرة الطبقات ، بينما ناواهو يمتهنون الرعي، ويسكنون عمارات ذات طبقة واحدة .

نعم الغالب ان المناخ الواحد يشبه ساكنوه بعضهم لبعض في أكثر الامور ، كما ان الساكنين [في مناخ واحد يستفيدون من خيرات الطبيعة استفادة واحدة] .

قد تختلف معيشة الابناء مع معيشة الاباء

ولا تلازم بين كيفية معيشة الاباء ومعيشة الابناء ،وان كان المناخ واحداً والكيفية العامة واحدة ، اذ كثيراً ما تنقلب أحوال الامم من حالة الى حالة ، حتى في جيل واحد وذلك حسب اختلاف الثقافة والاسوة ، فقد أرى التاريخ ان عرب الجاهلية ، كانوا في شظف من العيش [يشربون الطرق ، ويقتاتون القد والورق] وكانوا اذلة خاسين ، الجهل صبغتهم العامة ، ووأد البنات من المكرمات عندهم ، والقتال ونهب الاموال وهتك الاعراض ديدنهم والعبادة للخشب والحجارة مفخرتهم،والمعاقرة والزنا والشذوذ الجنسى رائجة بينهم.

وفجئة تحولت تلك الامة ـ ببركة الاسلام ـ الى كل ما كان يخالف حالتهم السابقة حتى صاروا «خير امة اخرجت للناس » و«شهداء على الناس» «وامة وسطا» بلا افراط وتفريط وقدحملوا مشاعل العلم والهداية والفضيلة و التقوى الى مشارق الارض ومغاربها .

وقد أشار الامام أمير المؤمنين عليه السلام الى حالهم قبل الاسلام وبعده ، بقوله: (ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين ، وفي شر دار ، منيخون بين حجارة خشن ، وحياة صم ، تشربون الكدر ، وتأكلون الجشب وتسفكون دمائكم ، وتقطعون ارحامكم ، الاصنام فيكم منصوبة ، والاثام بكم معصوبة) .

وقال عليه السلام: (ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، ليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ، ولا يدعى نبوة ، فساق الناس حتى بوأهم محلتهم، وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم ، واطمأنت صفاتهم) .

وقال عليه السلام: (واشهد ان محمداً عبده ورسوله ابتعثه والناس يضربون

في غمرة، ويموجون في حيرة ، قدقادتهم ازمة الحين [الهلاك] واستغلقت على افئدتهم أقفال الرين).

و قـال عليه السلام : (فالاحوال مضطربة : والايدي مختلفة ، والكثـرة متفرقة ، في بلاء ازل [شدة] واطباق جهل ، من بنات مؤدوة ،وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة ، وغارات مشنونة) .

وقال عليه السلام : (أضائت به البلاد بعد الضلالة المظلمة ، والجهالة ، الغالبة ، والجفوة الجافية ، والناس يستحلون الحريم ، ويستذلون الحكيم ، يحيون على فترة ، ويموتون على كفرة).

وقال عليه السلام : (فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم ، حين بعث اليهم رسولا ، فعقد بملته طاعتهم ، وجمع على دعوته الفتهم ، كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها ، واسالت لهم جداول نعيمها ، والتفت الملة بهم في عوائد بركتها ، فأصبحوا في نعمتها غرقين ، وفي خضرة عيشها فكهين، قد تربعت الامور بهم في ظل سلطان قاهر ، وآؤتهم الحال الى كنف عز غالب، وتعطفت الامور عليهم في ذوى ملك ثابت ، فهم حكام على العالمين وملـوك في اطراف الارضين ، يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ، ويمضون الاحكام فيمن كان يمضيها فيهم ، لاتغمز لهم قناة ولاتقرع لهم صفاة [الحجر الصلد] .

قوة الاجتماع تبعد الانسان عن اضرار الطبيعة

ثم انه كلما قوى الاجتماع ، كان الانسان أبعد عن اضرار الطـبيعة ، كالحر والبرد ، والشمس المحرقة والظلمة المركدة ، والعوائق الطبيعية ، و الحيوانات الضارة والمؤذية، بينما كلما ضعف الاجتماع كان الامر بالعكس ،

بل الانسان يكون في ظل الحضـارة الاجتماعية أكثر عمراً وأصح جسداً ، و أكثر أولاداً ، بل وأجمل جسماً وأهنأ نفساً ، وأبعد عن المنازعات والمقاتلات، والفوضى والاضطراب ، والعكس بالعكس .

وقـد ورد في الاية الكريمة : « سلام هي حتى مطلع الفجر » ان كـل مقـدرات الانسان التي ينزلها الله سبحـانه في ليلة القدر لعامه ، سلام وانمـا تتحول عـن السلام بسوء فعل الانسان ، وحتى مثل طغيان البحر ، والقحـط الناشيء عن قلة المطر ، والمـرض والموت الباكر ، وتشوه الاطفال والتلف بالزلازل والصواعق ، انما تكون من سوء فعل الانسان .

فلماذا لايتعاون الانسان لاجل جعل السدأمام ماء البحر؟ و لماذا لايحفر الانسان الابار الارتوازية لئلا يرتبط رزقه بالمطر ؟ولماذا لايحافظ على صحته الشخصية ، وصحة البيئة عن التلوث حتى يبتلى بالمرض ؟ وكذلك المـوت أكثر مـن سوء فعل الانسان ، ولذا ورد في الحديث : (أكثر اهل المقابر من التخمة) ولماذا لايحافظ على الجنين حتى يتشوه ؟ ولماذا لايجعل انفاقـاً في لارض حتى تجر الزلزال الى خارج المدن ، أو يجعل للزلزال آلات تخبر عنها قبل تكونهـا ، ليتجنبها الناس ؟ و لماذا لا يدفع شر الصواعق بـالالات لمخمدة لها ؟

فالانسان يتمكن أن يقوي جسمه ونفسه حتى لاتؤثر فيهما العوامل الطبيعية كما يتمكن ان يزم الطبيعة بزمام العلم حتى لاتطغى عليه ، وقد جعل سبحـانه لكون مسخراً للانسان ، لانه جعل الانسان مسخراً للكون.

قال تعالى : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من لسماء والارض ، ولكن كذبوا »..هذا بالاضافة الى الاسباب الغيبية التي هي راء الماديات .

اسس رقي المجتمعات

(مسألة -١٢-) ان الله سبحانه خلق الانسان أول ما خلقه انساناً ، وقد دل على ذلك مختلف الاديان ، أما التفصيل الذي ذكره الماديون من ان اصل الانسان كان حيواناً ، فقد دلت الادلة على عدم صحة ذلك ، و قد زود الله الانسان بامور خمسة : (١) الفكر (٢) النطق (٣) الكتابة (٤) امكانية تطوير ما حوله بسبب اليد والرجل والحركة (٥) كونه اجتماعياً ، فان الانسان بهذه الامور الخمسة ، تمكن من التدرج الى مدارج الرقي .

فبالثلاثة الاولى تمكن الانسان ان يستوعب علماً كثيراً ، وثقافة واسعة بالنسبة الى ذاته وبالنسبة الى ما حوله .

(١) حيث ان الله سبحانه خلق ملايين المخلوقات ، وقد احصى في علم الحيوان مليون حيوان ، كما أحصى من الاشياء غير الحيه مليونان ، ومن الواضح ان كل شيء من هذه الامور ذات أبعاد متعددة ، وكثيراً ما تكون ذات أشياء وأجزاء ، مثلا : الوردة لها جسم ، وأوراق ، وألوان ، وعطر ، وبزر ، وغيرها وحتى الشيء الذي ليس له أجزاء ، ذو ابعاد من لون وملمس وجسم وغيرها ، هذا من ناحية .

(٢) ومن ناحية ثانية هذه المخلوقات في حركة وتطور واجتماع وانفصال مما يضيف الى حالتها الذاتية حالة اخرى ، مثلا : الوردة من ابتداء تكونها الى حين رجوعها الى التراب والماء والضوء والهواء لها حالات مختلفة ، وقد

قال الحاج السبزواري :

كون المراتب في الاشتداد انواعاً استنار للمراد

وانما قلنا :[الى حين رجوعها] لان الاربعة السابقة أهم مقومات التكون ثم الشيء يتحلل الى سابق حاله ، ولذا سمى الحكماء العالم بالكون والفساد فان بزر الزهرة ماكنة و فيها قوة تتمكن ان تجذب الى نفسها تلك العناصر الاربعة ، كلا بقدر خاص ، وتمزج بينها وتغير صورها الى ما يناسب الزهرة من اللون والحجم والعطر والكيفية وغيرها ، ثم بعد انتهاء قوة الماكنة تتحلل وترجع الاجزاء الى ماكانت عليه سابقاً من التراب والماء و غيرها .

وليس هذا بالنسبة الى الحيوان والنبات والانسان فحسب ، بل الجماد أيضاً في تحرك دائم ، كما ثبت في علم الذرة ، وأشار الى ذلك الامام الصادق عليه السلام ، حيث قال لبعض أصحابه : (ان الاجرة التي يراها الرأي جامدة ساكنة هي في حركة دائمة) .

وان شئت قلت : ان العالم قد خلق فيه مليارات الاجزاء ،وهي مبعثرة في كل العالم ، والماكنات الصغار المودعة في الذرات تجذب ما يناسبها من تلك المليارات فتكبر نفسها ، مثلا : بزر الزهرة ـ وهي ماكنة أو مآت الماكنات ـ تجذب شيئاً من العطر ، واللون والطعم ، والفائدة ، و.. المناسبة لها ، أى حسب تركيب الله تعالى لتلك الماكنة ، حتى تبلغ بلوغها النهائي ، ثم تقف الماكنة عن الحركة لتأخذ الزهرة في التحلل ، ويرجع ، كل شيء الى الفضاء لتمتص ماكنة ثانية ، في وقت مناسب آخر الاجزاء المذكورة . وتتكون زهرة جديدة ، وهكذا .

(٣) ثم من ناحية ثالثة ، جعل الله للكون مليارات من القوانين ، قانون حركة الارض واحد منها ، وقانون ان النفط يعطي الدفء والضوء اثنان منها

وقانون ان في كل جزء من البدن قوة جاذبة للغذاء ، وقوة مبقية لهـا ، وقوة غاذية ، وقوة دافعة للزائد أربعة قوانين منها ، وقانون ان في الكبد ألفي ماكنة ألفا قانون منها ، وهكذا .

(٤) ومن ناحية رابعة هناك قوانين اعتبارية وانتزاعيـة ومالـها تقرر في وعاء خاص وقوانين ذهنية، مثل اعتبار الورق ديناراً ، وان الاربعة زوج، و ان الكل أعظم من الجزء [ولوفرض انه لم يوجد كل وجزء، ولا ذهن ذاهن أبداً] والصور الذهنية [والتي هي احدى الوجودات للشيء ـ على مايقوله الحكماء ـ من لفظي وكتبي وذهني وخارجي] .

وكل هذه المجموعات الاربع ، هي امور بتصور الانسان لها وتصديقه لها يتكون العلم والثقافة .

وكثيراً لايصل الانسان الى قانون من القوانين المودعة الا بعد ملايين السنوات ، ولا يهم ذلك فى كون القانون قانـوناً ، كما ان الخسارة تكون للانسان حيث يرتطم بالواقـع ، ولا يعرف السبيل الى المخرج، حتى يصل بسبب التصاعد الزمني والفكري والعملي الى ذلك القانون الذي أودعه الله في الكـون .

مثلا : فى باب القدرة قانون : [ان التـرويض بالقدرة لا يدوم ، بينما الترويض بالادارة يدوم] قانون لم تصل اليه كافة الحكومات الديكتاتورية، ولذا أخذوا يتخبطون ويقعون في تناقض مع الشعوب ينتهي بضربهم للشعوب وأخيراً ضرب الشعوب لهم .

وفى باب التطبيق، قانون: [ان التطبيق اذا لم يكن موافقاً للايدلوجية، وقع التعارض بين الامرين، حتى ينتهي الامر الى طرد الايدلوجيـة للتطبيق] قانون عرف بعد تجارب كثيرة ، وفشل الوف القوانين التي وضعت خلافـاً

للايدلوجيات .

وفي باب الاقتصاد قانون: [عدم جدوى حل القضية الاقتصادية بالعقوبة] أوقانون : [ان الاقتصاد المتين بحاجة الى سياسة متمركزة] أوقانون: [ان برمجة الاقتصاد تعارض القانون مما ينتهي بانتصار أحدهما على الاخر] قوانين أودعت في الكون ، لم يصل اليها الناس الا بعد معاناة وتجارب و فشل وتعديلات .

فالتاجر اذا تكسّر، انما يكون حل قضيته بانسحابه عن ميدان الاقتصاد، بينما بعض الانظمة يحل قضيته بالعقوبات وذلك شيء غير لازم، لان الاخراج عن ميدان الاقتصاد هو الحل العادل فلماذا المزيد من الحل بالعقوبة ؟

والمال يحتاج الى الحماية في تحركه ونموه ، والحماية انما يوفرها السياسة المتمركزة، اذ بدونها يكون المال معرضاً للنهب، أو الصد أمامه عن التحرك، مما يسبب جموده على أقل تقدير [فان المال جبان] .

والبرمجة سلب للحرية التي منحها القانون العام، ولذا لابد وان يكون أحدهما يهزم الاخر عن الميدان .

ان ماذكرناه [من القوانين الخمس على سبيل المثال] وملايين القوانين الاخر ، باضافة ماتقدم من الحقائق وغيرها ، هي التي تشكل مجموع العلم [في محيط معرفتنا الاجمالية والا فلعل هناك فئات اخر من المعلومات لا نعرفها حتى اجمالا ، ولانتمكن أن نشير اليها ولو اشارة مقتضبة] .

والمجتمع يكون له تلك الثقافة التي حصلها من اجداده ، وانتقلت اليه بالنطق والكتابة أوحصلها بنفسه، وتلك الثقافة الكلية هي التي لها أكبر الاثر في تسيير الجامعة، بالاضافة الى المحيط الطبيعي وغيره مما تقدم بيانه في المسئلة السابقة [في الامور العشرة] .

المجتمع كلي متمايز عن افراده

والمجتمع من جهة الكم، وان كان مركباً من أفراده، فهوحاصل الجمع فاذا ولد فرد ، زاد المجتمع كماً ، واذا مات فرد نقص من المجتمع فرد ، الا ان ما المجتمع من ناحية الكيف كلي مستقل متمايز عن أفراده فهو :

(١) قبل كل فرد فرد .

(٢) وبعد كل فرد فرد .

(٣) ولا يتغير بزيادة الافراد ونقصها .

(٤) وهويضغط على الفرد، ويعدل سلوكه أويحرفه .

(٥) والفرد معه في تصارع دائم .

ولذا قال بعض الفلاسفة: بأن للمجتمع روحاً مستقلة، فقدحدد افلاطون الفرد والمجتمع في بنود سبعة :

(أ) الانسان موجود له روح وجسد ، ولابد له لاستمرار حياته من اعطائه لوازم الحياة من المأكل والمشرب والملبس والمسكن و ...

(ب)ـ الاجتماع كالانسان، له روح وجسد ، واذا اريد بقائه لابد وأن يعطي حوائجه الاساسية حتى يتمكن من استمرار الحياة .

(ج) ـ الموجودات الحية [الانسان والاجتماع] تطلب البقاء والدوام، ولكل منهما كيفية خاصة من البقاء .

(د) ـ الانسان بالصورة الاجتماعية قابل للبقاء و تقسيم العمل سبب دوام الانسان وتكامله .

(ه) ـ الانسان ذاتاً اجتماعي ، وبالتعاون مع الثقافة المشتركة يرتبط ببقية الافراد ويتعاون معهم، والثقافة عبارة اخرى عن [الفكر الاجتماعي].

(و) ـ الانسان يعيش تحت ظل نظام اجتماعي ، فلابد وأن يكون في كل اجتماع نوع من النظم والانتظام .

(ز) ـ النظم الاجتماعي ، أي الروابط التي تحكم الاجتماع ، قابلة للدرك .

وكلامه وان كان تاماً في بعض بنوده الان بعض بنوده الاخر محل نظر ، اذ للاجتماع روح خاصة ، واما متطلباته، انما في آثار ومتطلبات المجموع من حيث المجموع ، حيث ان الاجتماع يوجد علاقات جديدة ، مثلا: انسان واحد لايكذب ولايضرب ولايستغيب ولاينافق ولايتزاوج، ولايحزن لفقد صديق ومرضه ، وهكذا ، فاذا صار انسانان ، صار كل ذلك ، فهل معنى ذلك ان انسانين لهما ثلاثة أرواح ، روحان لكل واحد ، وروح للمجموع ؟

وأطولية عمر الجامعة ، وضغطها على الافراد وماأشبه ، معناه ان الافراد الاخرون موجودون قبل هذا الفرد ، كما انهم موجودون بعده بأعيانهم أو بأبدالهم ، وان جماعة اذا تطلبوا شيئاً كان الفرد ـ بحكم انه يريد ان يعيش معهم ، وانه اذا لم ينسق معهم صعب عيشه معهم لازدرائهم به، وعدم قضائهم حوائجه ـ مجبوراً على اعطائهم ماطلبوه، من باب قاعدة الاهم والمهم، الكامنة في فطرة كل انسان حيث يقدم الاهم على المهم .

ولذا الذي ذكرناه من النظر في روح الاجتماع، لم يوافق الحكماء الذين جائوا بعد افلاطون معه ، الانادراً، وان ذهبوا الى بعض بنوده السبعة المتقدمة بل اضاف بعضهم ان الاجتماع له نداء ضد الظلم ولذا ينبرى جماعة للمقاومة مع الحاكم الظالم مهما كلفهم من مال أو روح أو جاه أوغيرها .

ثم انه اذا اريد معرفة الاجتماع يلزم ان يلاحظ الاجتماع بنفسه ، لتدرك

قوانينه ، فان ملاحظة المزاج الفردى، والمحيط الطبيعي والمحيط المصطنع السياسي الجغرافي،وان كانت دخيلة في فهم الاجتماع، لكن للاجتماع بالاضافة الى ذلك قوانين خاصة ، لاتتسنى معرفتها الا بمعرفة تلك الثلاثة بالاضافة الى قوانينه الخاصة ، والمجموع من حيث المجموع يعطى معرفة قوانينه .

الثقافة

(مسألة ـ ١٣ ـ) في الاجتماع نوعان من الثقافة أحدهما في ضمن الاخر أما الثقافة العامة فهي التي تعطي الاجتماع لوناً خاصاً وتميزها عن سائر الاجتماعات سواء عمودياً أو افقياً، حتى وان كانا من دين واحد، فالاجتماع العربي المعاصر مثلا : يختلف عن الاجتماع الفارسي والهندي الحاضرين كما انه يختلف عن الاجتماع العربي قبل مأة سنة .

كما ان كل اجتماع عامّ في داخله جماعات أما طبيعية كالقبايل، أو اصطناعية كالاحزاب، والجمعيات لكل جماعة جماعة ثقافة خاصة ، لكن ليس بينهما كالبون بين ثقافات الاجتماعات ، ومن مجموع تلك الثقافات المضمونة تتولد الثقافة العامة للاجتماع ، بعد ان يضاف على تلك الثقافات لـون الاجتماع بما هو اجتماع ، ولعله الى ذلك تشير الاية الكريمة : «صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة» ولعل التعميد الذى نراه عند المسيحين ـ ان كان له أصل ـ كان اشارة الى تغيير اللون ظاهرياً اشارة الى تغيير اللون معنى .

والثقافة الاجتماعية عبارة عن الدين والعلم والاخلاق والرسوم والعادات ونحوها .

مثلا: الرسوم في الزواج والطلاق والولادة والموت والمعاملات والمواريث والعقوبات والحرب والسلم والمعاهدة وما أشبه ، كلها تدخل في تكوين اللون العام للاجتماع مما يسمى بالثقافة الاجتماعية .

والدين الاسلامي ونحوه ، وان كان يعطي برامج لكل أتباعه ، الاان كثيراً من البرامج ليست بحد الواجبات والمحرمات ، بل في كثير منها سعة للاقوام ان يأخذوا بأي جزئي منها ، ولذا نرى تختلف عادات الفرس عن العرب عن الهنود عن الترك وهكذا ، وان كان الاطار الاسلامي العام محكماً على جميعها هذا بالاضافة الى الاسباب التابعة للمناخ ونحوه ممايدخل في تلوين الاجتماع مثلا: شدة الحر في قلب الاسد توجب التعطيل في مدينة كذا ، وهكذا التبليغ في وقت كذا ، أو الزيارة في موسم كذا في الاعتاب المقدسة أوما أشبه ، بينما ليس في مكان آخر هذا اللون .

وقد ذكروا ان من فضائل الاسلام أمرين :ـ احدهما مرتبط بالمقام ـ هو ان الاسلام يصلح للانسجام مع مختلف الشعوب في مختلف الازمان والاماكن ، لانه دين يسر .

قال سبحانه : «يريد الله بكم اليسر ، ولايريد بكم العسر» .

وقال تعالى : «ماجعل عليكم في الدين من حرج» .

وقال عزمن قائل : «يضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم» .

وقال ﷺ (رفع عن امتى تسع) ـ الحديث . الى غير ذلك ـ بالاضافة الى ملائمة قوانينه للعقل ـ ولذا يتمكن كل جماعة أن يتخذه ديناً وعقيدة ونظاماً مع بقاء عاداته وتقاليده وما أشبه مما لاتتصادم مع الاسلام .

والامر الثاني: مرتبط بنبي الاسلام، وكان سبباً لسرعة تقدم الاسلام، مما يرتبط بالاخرة الى الاسلام نفسه، وهو ان كل انسان وان كان من ألد أعداء الاسلام، عرف انه يتمكن ان يعيش في كنف الاسلام في أمن وسلام، سواء أسلم أم لا، ولذا قال ﷺ لكفار مكة: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) مع انهم كانوا جناة مجرمين، ولم يسلموا ـ حتى يشملهم الاسلام يجب عما قبله ـ .

وكيف كان، فالثقافة الاجتماعية ، عبارة عن العقائد والاعمال الفردية ،

منضمّة الى الامور الاجتماعية من الروابط التي يأتي بها الفرد مع الاخر ، و الجماعات مع الجماعات .

تكامل الثقافة

وكلما تقدمت الثقافة ظهرت لها خاصيتان :

(١) التكامل ، وهي في داخل الاجتماع ، حالها حال مابالقوة في داخل مابالفعل، فان الله تعالى خلق أشياء الكون بعضها بالفعل وبعضها بالقوة ـ لا على نحو تزوآنتي تزوسنتز ـ فالد جاجة في بطن الفرخ ، والفرخ في بطن البيضة، والبيضة في بطن الدجاجة ، وكذلك الشجرة في بطن النبتة وهي في بطن الحبة، فكل مرتبة حالية تسمى بالفعل، وكل مرتبة مستقبلية تسمى بالقوة حيث انه قدأودع في داخل الشيء قوة تسير تلك القوة ذلك الشيء الى ذلك الكائن المستقبلي .

والثقافة في داخل الاجتماع هكذا تسير من القوة الى الفعل، مثلا: مسائل الفقه في [جواهر الكلام] وهي تقارب ربع مليون مسألة كانت في بطن الشرائع، وهو بدوره كان في بطن الكتب الاربعة مثلا ، وهكذا كلما تقدم الاجتماع أخذت الثقافة في التكامل ، فالعقل الذي هو حجة باطنة لله سبحانه مودع في الانسان يحذف الزائد، ويأخذ باللباب، وينمّي ذلك اللباب بقدر الحاجة الفردية والاجتماعية، وبذلك يتكامل الانسان في نفس الوقت .

تعقد الثقافة

(٢) التعقد ، فان حاجات الانسان الجسدية والنفسية كثيرة ، وكلما وجد الانسان امكانية تحصيلها أخذ في اكتسابها ، وبذلك تتشابك الروابط أكثر

فأكثر، وتتعقد الحضارة، فمثلا: اذا كان للانسان مأة صديق ، وكان لكل رسم زواج وولادة، وسفر، ومرض، وموت ، كان عليه لهم خمسمائة مرسوم ، كما ان عليهم له كذلك، فاذا فرض تعقد كل واحد من هذه المراسيم، بأن انتقلت من البساطة البدائية الى التعقد الحضاري كان التكليف عليه أكثر ثقلا فمثلا: في رسم الموت يحضر احتضاره، وتشييعه، والصلاة عليه، ودفنه، وفاتحته، وحضور قبره في الاسبوع والاربعين والسنة . . وكل مرة يحتاج الامر الى الوقوف في صف السيارة للركوب والنزول مرتباً الى غيرذلك .

والفارق بين الانسان والحيوان يظهر في هاتين الجهتين ، بالاضافة الى جهة ثالثة :

(١) فالحيوان له غرائز، كل يسير في المسير المقرر له « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » الى زمان استمراره في الحياة ، فلا تكامل له ـ حسب ماوصل اليه العلم، وان كان من المحتمل، انه يأتي يوم يتكامل فيه الحيوان بأن يربي حتى يصل الى التطوير، كما قاله بعض علماء الحيوان، وقال ابن سيناء : [فذره في بقعة الامكان] ـ وقد ذكر بعض علماء الحيوان: ان الاثار والتنقيب دلّت على ان النمل منذ خمسين مليون سنة لم يطرء على حياته أي تطوير ـ .

(٢) وحيث لاتطوير في حياة الحيوان ، لاتعقد فيها، اذ التعقد من ولائد التطوير، وان كان من الممكن مثلا أن يقال : ان نملتين حياتهما أكثر بساطة من خمس نملات، حيث ان واجب كل واحدة يكثر، حيث للجميع الولادة والموت وماأشبه مما يوزع بعض أعمالها على جميعها .

(٣) ثم الحيوان لاينتقل ارث الثقافة من جيل منه الى جيل آخر ، مما يوجب تراكم الثقافة على الجيل الثاني ، ثم ثقافتهما على الجيل الثالث و

هكذا . . (٤) و الانسان في حياته يتعثر في النزول ثم الصعود وهكذا ولذا كانت لثقافة الاجتماع تعاريج بينما ليس للحيوان كذلك .

تشابه المجتمعات

ثم ان الانسان حيث خلقه الله سبحانه بفطرة واحدة ، لابد وأن يتشابه بعضه مع بعض في الاوليات الاجتماعية والانفرادية ، وهذه الاوليات هي الجامع بين أفراد البشر وكل اجتماعاته ، سواء الاجتماعية البدائية أمثال قبائل اسكيمو أوالتي وصلت الى غاية الحضارة الحاضرة، مثل العقيدة بشيء كالاله الواحد، أوالمتعدد المرئي أوغير المرئي ، أوالطبيعة أوماأشبه ذلك، ومثل صنع الوسائل، والاخذ والعطاء والعبادة أي الخضوع أمام شيء ، ولو الاصنام البشرية أوالحجرية ، والتعاون ، والازدواج ، وتربية الاولاد ، وجعل الارتباطات وحفظها ، سواء القلبية أوالحزبية أوماأشبه، والزراعة والتجارة، والطبخ، وصنع الملبس والمسكن، وطلب الراحة، واللعب، وتربيةالحيوان والحرب والسلم، وعقوبة المجرم، وتطلب الحق، وتحسين الحسن ، وتقبيح القبيح، ومراسيم خاصة للزواج ، والولادة والموت ، وحب الاستطلاع و غير ذلك .

وثقافة كل اجتماع ، مستقاة مما تقدم في بعض المسائل السابقة ، كما انها هي التي تنعكس على العقائد والنيات ، والاعمال والسير لكل اجتماع ، فمثلا: الثقافة الفلانية توجب حرق الاموات، وثقافة اخرى توجب جعل الميت للغربان ونحوها لتأكله ، وثقافة ثالثة توجب دفنه بمراسيم خاصة .

وليست للانسان طبيعة خاصة توجب عليه سلوكاً خاصاً ، كالحيوان ، كما ان المحيط الطبيعي ليس دخيلا في كل عمل يعمله الانسان، بل الثقافة هي التي

تفرض عليه ماتقدم من العقيدة والسلوك وغيرهما ، والانسان دائماً ، ومن قديم الزمان يغير ثقافته الى الافضل ، كما انه دائماً يأخذ بالجانب الاجتماعي فيفكر ويعمل لكسب أكثر قدر من الاصدقاء ، وكذلك يسعي لترويض الطبيعة ، لا للامن من شرها فحسب ، بل للاستفادة منها أيضاً .

تاريخ الانسان

والانسان لايعلم تاريخه، وانه متى كان آدم عليه السلام، وكل مافي بعض التواريخ ليس مستنداً الى علم قطعي ، أوقول معصوم يعلم الغيب باذن الله تعالى ، أما قول الماديين بأن الانسان كان قرداً ، وانه أتم المراحل التي وجدناها في نصف مليون سنة مقسماً على عصر [الانسان القردي] ثم [انسان نئان درتال] ثم [انسان كرومان يون] ثم [الانسان الحالي] فلم يقم عليه حتى مستند استحساني ، كما لايخفى على من راجع أدلتهم .

ومثل ذلك في عدم الدليل ، جعل [انسان اسكيمو] دليلاعلى حال الانسان الاول ، وقد قرر في علم المنطق [ان الجزئي لايكون كاسباً ولا مكتسباً] .

وقال سبحانه : « ولاتقف ماليس لك به علم » و« ان الظن لايغنى من الحق شيئاً» .

بل الانسان الاول كالانسان الحالي، له نفس الغرائز والمتطلبات والمخاوف وغيرها كما تقدم .

التنقيب عن الاثار التاريخية

ثم انه يلزم معرفة ثقافة اي مجتمع دثر في التاريخ ، كعاد وثمود وفرعون

وقوم لوط وأصحاب الايكة ، وكذلك من قبلهم ، ومن بعدهم ، ومعرفة الثقافة تحصل من آثارهم، ومن هنا يهتم العلماء بحفظ الاثار ، وبالتنقيب عن الاثار وفيَ الاحاديث: [عندنا مصحف فاطمة عليها السلام] وقدحفظوا عليهم السلام عصى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكتاب علي عليه السلام ، وثوبه الذي ضرب فيه ، الى غيرذلك ، وقد وردت أحاديث بأن الامام الحجة عليه السلام اذا ظهر تكون معه مواريث الانبياء عليهم السلام والرسول وفاطمة وآبائه عليهم الصلاة والسلام .

وقداهتم علماء الاجتماع والاثار، لجعل وسائل لمعرفة الادوار بالوسائل العلمية التي وصلت اليها الانسانية في العصر الحاضر ، ويجعلون متاحف أثرية الى جنب المتاحف العلمية والامم الحاضرة تحاول أن ترفع نسبها الى قرون وقرون ، لافادة تراكم الثقافة والحضارة عندهم ، فقد تقدم ان كل جيل يرث ثقافة الاجيال المتقدمة .

والتنقيب عن الاثار لكشفها يفيد الانسان ـ بالاضافة الى العلم بالغابر ، والعلم مطلوب طبيعي للانسان ـ معلومات يستفيد منها الانسان لحياته الحاضرة، مثلا : اذا فحصنا عـن حياة موسى بن جعفر عليه السلام ، وهارون العباسي ، فرأينا ان الاول كان مطارداً للظلم والظالمين والفساد والترف ، بينما كان الثاني غارقاً في كل ذلك ، عرفنا ان بقـاء الانسان خالداً فى التاريخ ، سببه الاول ، بينما اندثار الانسان وكونه لعنة للتاريخ سببه الثاني ، وبذلك يكون الظلم منفوراً لنا ، والعدل محبوباً وتلك عبرة نستلخصها من التاريخ ، وكذلك غير ذلك .

ولافرق في الاستفادة من الاثار بين كون الثقافة التي نجدها في غابر التاريخ [مادية] مماصنعت بأيديهم ، من زراعة وصناعة ووسائل حياة آخر ، أو[معنوية] كعلمهم وعقيدتهم وفنونهم ومراسيمهم في الولادة والزواج والموت والمعاملات والمرافعات ، وما أشبه ، وحتى الكلمة المكتوبة ، والانية الحجرية لهما دلالة

على جانب من الحضارة الغابرة لتلك الامة ، مثلا : اذا وجدت [كلمة : ماء] محفورة على كوز في حفريات قبل عشرة الاف سنة في [اتل ابيب] دلت على ان العرب كانوا يسكنون هذه المنطقة ، وان اللغة العربية كانت في ذلك المكان ، وكذلك اذا وجدت قطعة رخام منقوش عليها صورة محاربين ملابس بعضهم كذا ، وملابس بعضهم كذا ، دلت على ان الحرب كانت بين السلطتين اللتين كانتا معلمتين بهذه الشارات وتلك الشارات .

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : (فسرفي ديارهم وانظر الى آثارهم) وقبل ذلك قال الله تعالى: «فسيروا في الارض» وقال : «وانها لسلسبيل مقيم» .

ولما مر علي عليه السلام على ايوان كسرى ، انشد بعض من حضره :

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

فقال له الامام عليه السلام ، بل أقرء : (كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين) .

ثم انه من تراكم الثقافة الماضية ، والثقافة الحاضرة ، يمكن أن يستكشف الخطوط العريضة للثقافة المستقبلة ، بعد ملاحظة وحدة سير الانسان ، فيما حفظ من التاريخ ، مضافاً عليها كيفية سير الحضارة ، فاذا رأينا سيارة تسير في الساعة الاولى خمسة فراسخ ، وفي الثانية ستة ، وفي الثالثة ثمانية ، حكمنا بأنها تصل الى البلد الفلاني في ساعة كذا ، بعد جمع ماضي السير ومستقبله ، ملحوظاً فيه تصاعد سير السيارة في كل ساعة ، وكتاب [صدمة المستقبل] و [التحدي العالمي] الماع الى هذا الامر .

الهيكل العظمي للثقافة

ثم ان ثقافة الاجتماع على كثرة وحداتها ، تنتظم في ثقافة موحدة ، هي

بمنزلة الهيكل العظمي للثقافة العامة للاجتماع، وكما ان الهيكل العظمي موحد وان تركب من أجزاء ثم يأتي بعد ذلك دور مايحيط الهيكل من اللحم والانسجة والعروق والاوردة وماأشبه، كذلك حال الثقافة، فثقافة العقيدة، وثقافة الاداب والرسوم، وثقافة المعاملات، وثقافة العبادات، وثقافة الاحوال الشخصية و.. أجزاء يركب منها الهيكل الثقافي العام للاجتماع، ثم تلك الوحدات [الاعضاء] تملأها الخصوصيات والمزايا لكل ثقافة ثقافة. وكما ان الهيكل العظمي للانسان غير الهيكل العظمي للغزال والسمك والطائر، كذلك لكل اجتماع هيكل عظمي خاص من الثقافة، يتمايز عن الاجتماع الاخر بذلك، وحتى الانبياء ـ حيث كانت تختلف أزمنتهم ـ كان لكل هيكل ثقافي خاص، وان كان الجميع يجتمعون في الامور الاعم من ذلك ـ حال اجتماع الانسان و الطير والسمك والغزال في أصل الهيكل العظمي مثلا ـ والى هاتين الرتبتين [رتبة الاجتماع والافتراق] اشارت الايات الكريمة :

فمن الاولى: قوله سبحانه: «قولوا آمنا بالله ومانزل الينا * وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط * وماأوتى موسى وعيسى * وما اوتى النبيون من ربهم * لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون».

ومن الثانية: قوله تعالى: «مانَنسخ من آية أوننسها نأت بخير منها أو مثلها».

وقال: «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه».

وقال: «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة و لكن ليبلوكم فيما آتاكم».

ثم ان الكوارث أمثال الزلازل، والفيضانات وما أشبه، اذا لم تبدد الاجتماع تبديداً كاملا، وكما في عذاب الله حيث يفني الامة، لاتحطم الهيكل العظمي للثقافة، وان كانت تحطم جملة من الاعضاء والاغشية وماالى ذلك.

عوامل تشكل الجماعات

(مسألة ـ ١٤ ـ) قدتقدم بعض الكلام حول الاجتماع ، وبقى بعض آخر حول الجماعات بمختلف أشكالها و أساميها فنشرحه في هذا البحث ، ان الجماعة انما تتشكل لاحد امور ثلاثة :

(١) لاجل الاحتياج الذاتي ، أما حاجة دينية أوحاجة دنيوية، مادية، أو غير مادية فالحاجة الدينية مثل الصلاة الواجبة جماعة كالفطر والاضحى و الجمعة في أيام الحضور والحاجة الدنيوية المادية، مثل ما اذا اجتمعوا لاجل بناء أوصنع طعام، أومأشبه مما لايتأتي الاّ بالجماعة، والحاجة الدنيويةغير المادية، مثل الجماعة لاجل اللعب ، أوالنظر الى تمثيلية أونحوهما .

(٢) لاجل قضاء حاجة الاجتماع ، مثل الجماعات الخيرية الاجتماعية لاجل حاجة الاجتماع، كما تتشكل جماعة لاجل فتح المدارس والمستشفيات وبناء دور للفقراء، ومأشبه ذلك ، وفي هذا يدخل مايتشكل لاجل دفع حاجة الاجتماع الدينية، كتشكل الجمعية لاجل بناء المساجد في القرى الجدد التي لامساجد لها .

(٣) لإجل الضغط الاجتماعي ، مما ليس سببه القريب الاحتياج الذاتي أوالغيري ـ وان كان ينتهي بالاخرة الى أحد الامرين السابقين ـ كالاجتماع لاجل تكليف مجلس الامة بعض أعضائه ، لاجل النظر في قانون أوحاجة اجتماعية أوما أشبه ذلك ، فان الضغط الاجتماعي المنصب على المجلس ، سبب تكليف الاعضاء من قبل المجلس بذلك .

التسالم والتنازع فى الجماعات

ثم ان الجماعات المتشكلة حسب اختلاف ثقافتـها من ناحية، واختلاف المحيطين الطبيعي والاجتماعي من ناحية ثانية، تنقسم الى :

(١) مايميل الى التسالم .

(٢) ومايميل الى التنازع .

فقد تكون الثقافة المبنى عليها الجماعة ثقافة سلام ، وقدتكون بالعكس، كما ان الاجتماع قديحبّذ السلام ، وقديحبّذ النزاع ، وطبقاً لذلك فالجماعة أيضاً تميل الى أي منهما .

أما المحيط الطبيعي فالمحيطات الحارة ذات المياه الثقيلة أقرب الى تربية الجماعة خشنة الاخلاق، بينما المحيطات الباردة بالعكس تربي الجماعة جانحة الى السلام، ولا يخفى انه بالامكان تبديل الثقافة الخشنة [في المجتمع] الى الثقافة المسالمة وكذلك المحيط الطبيعي بتغيير الماء والهواء ، بصنع الانهار الجارية، ولومن الابار الارتوازيـة ، فان الماء الجاري يكون خفيفاً من جهة كثرة مرور الهواء في داخلـه بالعكس من الماء الراكد الموجب لثقلـه، ثم يصفي الماء من المواد العالقـة ، حتى يخف ولا يؤثر في أحداث الارياح الغليظة في البدن، مما يسبب سوء الهضم والمرض، وأخيراً سوء الاخلاق .

وأما الهواء فبكثرة التشجير، والاحواض والنافورات، والساحات العامة الملطفة بالماء و الشجر ، وقد استخدمت حكومـة بعض البلاد خبراء لتخفيف حر الصيف حيث كان يصل الى خمس وخمسين درجة بالاضافة الى رطوبة الهواء والغبار، مما يزيد الامر اعضالاً؟ فقالوا بأن التخفيف ممكن بقدر عشر درجات، اذا غرست الدولة مأة وعشرة ملايين شجرة .. ثم للطعام أيضاً الاثر

البالغ في السلام والنزاع، كما ان المنهج الحيوي المقرر له تأثيره أيضاً .

فالاطعمة الباردة طبعاً، تسبب ميل الانسان الى البرودة المنتجة للسلام، وبالعكس من ذلك الاطعمة الحارة ، واذا كانت الانظمة مرعية ، والمواعيد مضبوطة، والمشاكل محلولة بمناهج سهلة و .. مالت الامزجة الى السلام، بينما العكس يكون مبعثاً لخلاف ذلك .

روي حبيب الخثعمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أفضلكم أحسنكم أخلاقاً ، المؤطئون اكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم) .

وعن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (المؤمن الف مألوف، ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف) .

وقال علي عليه السلام ـ كما في نهج البلاغة ـ : (قلوب الرجال وحشية فمن تألفها اقبلت عليه) .

وعن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (الا اخبركم بمن تحرم عليه النار غداً، قالوا: بلى يابن رسول الله، قال: الهين القريب، اللين السهل) .

وعن علي بن دعبل، عن الرضا عليه السلام، عن آبائه ، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (المؤمن هيّن ليّن سمح له خلق حسن، والكافر فظ غليظ له خلق سيء وفيه جبرية) .

وفى الرسالة الذهبية للامام الرضا عليه السلام :(ان قوى النفس تابعة لمزاجات الابدان ، ومزاجات الابدان لتصرف الهواء ، فاذا برد مرة وسخن اخرى تغيرت بسببه الابدان وتابعه الصور، فاذا استوى الهواء واعتدل صار الجسم معتدلا لان الله عزوجل بنى الاجسام على أربع طبائع : على الدم، والبلغم، والصفراء ، والسوداء فاثنان حاران ، واثنان باردان ، وخولف بينهما ، فجعل حار يابس ،

وحار لين ، وبارد يابس ، وبـارد لين ، ثم فرق ذلك على ، أربعة أجزاء من الجسد : على الرأس ، والصدر ، والتراشيف ، وأسفل البطن) الى آخره .

النضج الفكرى يقلل النزاعات

ثم ان الجماعة كلما قربت الى الفهم مالت الى المعايشة بسـلام مع كل الجماعات، سواء جمعهم الاطار العام أم لا ، وانا نرى ان البلاد الاوربية تحاربت طويلا ، ثم سالمت بعضها البعض، لكنها لم تصل بعد الى المسالمة مع العالم الثالث ـ مثلا ـ حيث ان استعمار فرنسا وبريطانيا ، وغيرهمـا لازال موجوداً بينما انا نجد ان البلاد الاسـلامية حيث ابتعدت من الكتاب والسنة تحـارب بعضها بعضاً فى سبيل الاوهام ، بمختلف أنواع المحاربة .

ولو أخذت الدنيا بالعقل والعدل ، اختفت الحروب حيث ان سبب الحروب و المنازعات أما الاوهام ، وارادة كل ان يتقدم مما ليس حقه ، وأما المال حيث يستغل بعضهم بعضاً ،فالاتحاد السوفياتي وامريكا مثلا يحاربان الشعوب، الاولى لحب السلطة والثانية لحب الثروة ،أما بريطانيا فانها تحارب لاجل ان لاترجع الى مكانها اللائق بها مما يقضيه حجمها الواقعي .

لايقال : فكيف الاسلام يحارب ؟

لانه يقال : انه يحارب :

(١) لاجل الدفاع عن نفسه أمام المهاجمين وهذا بسببهم لا بسببه .

(٢) لاجل اعلاء كلمة الله ، وانقاذ المستضعفين ، حيث يريد انقاذ النـاس من الخـرافة ، أو انقاذ المستضعفين من براثن المستغليـن والمستكبريـن ، فيحارب الذين انحرفوا لاجل ازاحتهم فقط ، وبقدر أقصى والضرورة .

(٣) لاجل اخماد البغـاة الذين بغوا ، وكل ذلك يرجع الى رد الاعتداء

لا الاعتداء وذلك لاينافي ما ذكرناه من ان العقل و العدل يوجبان اختفاء الحروب .

ولذاكان الوعي من أوليات لوازم العيش بسلام ، للجماعة مع الجماعات الاخر ، فان فهم [ان عدم الانسجام ينتهي الى سقوط عدم المنسجم بنفسه] يوجب الانسجام والوئام ، ولذا ورد في الحديث ، انه سأل عليه السلام عن الحيلة ؟ فقال :(في ترك الحيلة) .

أنواع التسالم

ثم اللازم ان لا يكون التسالم والتعاون ناشئاً عن الاحتياج ، والا لم يكن له فضيلة أولا ، ولا دوام ثانياً ، بل اللازم ان يكون عن علاقة وحب لنوع الانسان ، وقد قال الامام الحسين عليه السلام لاهل الكوفة :(ان لم يكن لكم دين ، وكنتم لاتخافون المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم) .

وعليه ، فالتسالم على ثلاثة أنواع :

(١) أن يكون لعدم التصادم في المصالح .

(٢) أن يكون للاحتياج والترابط في المصالح .

(٣) أن يكون لاجل الانسانية والفضيلة وهذا الثالث ، بالاضافة الى انه معنى سام ، أدوم وأبقى وأكمل وأجمل ، وقد سمي بعض علماء الاجتماع القسم الثاني ، بالوحدة الميكانيكية ، والقسم الثالث بالوحدة الحيوية .

وحيث ان أفراد الجماعة المتشكلة لايمكن أن يكون تسالمهم من القسم الاول كان لابد وان يكون من أحد القسمين الاخيرين ، من غير فرق بين أن يكون الاحتياج في القسم الثاني مادياً ، كما اذا تشكلوا لاجل مطعمهم ومسكنهم ،

أو معنوياً كما اذا تشكلوا لاجل العلم والثقافة والفن ونحوها .

ثم انه كلما كان الانسجام بين أفراد الجماعة أكثر ، بأن كانت الانفس مماثلة في التربية ، كان التحام الجماعة أكثر ، وكان التقدم أسرع ، وكانت النتائج أكبر، وبالعكس من كل ذلك ما كان الابتعاد بين النفسيّات أكثر ، لعدم وحدة التربية ، بله ما اذا كان بعض سيء التربية .

طرق تحقيق الانسجام

والانسجام الاكثر يتحقق بامور :

(الاول) : قلة أفراد الجماعة بالحد المحتاج اليه فقط ، اذ كون الافراد أقل من المحتاج اليه ، يوجب عدم امكان الوصول الهدف مثل سيارة تحتاج الى أربع عجلات، بينما لها ثلاث عجلات، كما انه كلما كان الافراد أكثر من الاحتياج كان الانسجام أبعد ، اذ تزداد الروابط ،الموجبة لبطوء تقدم الجماعة ، مثلا : اذا احتاج الامر الى خمسة أعضاء فصعد العدد الى سبعة ، كانت الاكثرية المطلوبة لحسم الاختلاف [أربعة] بينما في [الخمسة] الحسم يكون بثلاثة ، ومن الواضح ان الحصول على الثلاثة أسهل من الحصول على أربعة .

ويمكن أن يقال ذلك ببيان آخر ، فانه اذا كان الاحتياج الى اثنين ، فصاروا ثلاثة كانت الروابط في [ثلاثة] ثلاثاً ، بينما الروابط في [اثنين] واحد فقط،والرابط الواحد أخف ثقلا من ثلاث روابط فان ارضاء انسان واحد أسهل من ارضاء انسانين ، وهكذا اذا صار في المثال الاعضاء أكثر من ثلاثة .

(الثاني) : أن يكون الاجتماع أكثر مدة ، وأبعد عمقاً ، فان الجماعة التي تتجمع كله ليلة ثلاث ساعات مثلا ، أكثر انسجاماً من التي لاتجتمع الا في الاسبوع مرة وهكذا ، ولذا قسم بعض علماء الاجتماع الجماعة الى الابتدائية

والثانوية ، وجعل من الاولى مثل العائلة ، ومثل الاصدقاء ، وجعل من الثانية مثل الجمعيات المتداولة ، حيث ان أفراد الاولى أكثر انسجاماً ، لطول مدة الصحبة بينما الثانية ليست كذلك لقصر مدة الصحبة .

والبحث الحر النزيه غير المشتمل على الجدل، والمراء بين أفراد الجماعة يوجب متانة الرابطة وقوة العلاقة ، وذلك لان نقاط الاختلاف تقل ، بل قد تختفي نهائياً . .

وبالعكس من ذلك اذا تحكمت الديكتاتورية بين أفراد الجماعة، حيث انها تؤل الى الشتات والفرقة .

(الثالث) : ان تقل في الجماعة أسباب الفرقة ، فان الجماعة اذا كان فيهم سبب ، أو أسباب للفرقة ، يكون التجانس بينهم أقل ، وربما آل الى التشتت ، فالعائلة الواحدة ذات الاديان المختلفة ، والالوان السياسية المختلفة والتصادم المصالحي ، مثل جماعة بقالين، كل يريد كسب المشتري من الاخر والانهزام النفسي في بعض الافراد ، لاكثرية علم أو مال أو مكانة الاخر، حيث تثير تلك الامور في المتأخر حسّ الغبن والضعة . . لاتنسجم أفرادها كما تنسجم أفراد العائلة ، اذا لم تكن كذلك .

ولذا نشاهد ان الجماعات التي تهاجر عن وطنها بالطرد أو غيره، والجماعات التي تهاجم من قبل أعدائها ، أو تبتلي بالكوارث الطبيعية ، أو ما أشبه ذلك تتحطم بسرعة بينما ليست كذلك أحوال الجماعة المستقرة .

بين الجماعة والاعضاء والجماعات الاخرى

بقي شيء ، وهو ان اللازم في الجماعة ملاحظة ثلاثة امور :

(١) حالة الجماعة مع جماعة اخرى .

(٢) حالة أعضاء الجماعة مع نفس الجماعة .

(٣) حالة بعض أعضاء الجماعة مع بعض الاعضاء الاخر .

أما الاولى : فهي على ثلاثة أقسام :

أـ الحيادية بينهما ، وتلك توجب عدم التأثير والتأثر بينهما .

ب ـ النزاع : وذلك يوجب تماسك كل جماعة حول نفسها ، والتنافس بينهما لاجل السبق وكسب المغانم .

جـ الصداقة : وهي ان كانت في سبيل الهدف أوجبت التعاون والتقدم وان كانت خالية عن ذلك لم تضر ولم تنفع ، لكن الغالب كون الصداقة في سبيل الهدف المشترك .

وأما الثانية : فان الجماعة اذا خالف بعض أعضائها لها ، كانت بقدر تلك المخالفة راكدة ، وبالعكس اذا كان الانسجام التام ، ومعنى هذا القسم أن تكون الاكثرية الكاسحة الى جانب ، بينما الاقلية الى جانب آخر ، و الغالب ان يكون الخلاف الوفاق تابعين لحسن الادارة في الاجتماع و سوئها، واللازم اهتمام الجماعة لعدم حدوث مثل هذا الانشقاق .

وأما الثالثة :

أـ قد يكون الاعضاء مع الاعضاء في حالة رقابة، ومثل هذه الحالة توجب التقدم ،اذ التنافس الحر يوجب استثارة الاعضاء لئلا يتأخر بعضهم عن بعض والادارة الحازمة تجعل التنافس والرقابة بين الاعضاء ، لكن اللازم ان لايصل التنافس الى حالة العداء وما أشبه .

ب ـ العداوة : وفي هذه الحالة تهدد الجماعة بالانفصام ، وتكوين كل جماعة منها جماعة جديدة ، بالاضافة الى وقوف تقدم الجماعة ، بل تأخرها .

ج ـ الصداقة : وحالها كما تقدم في الحالة الاولى .. ثم الجماعتين المعاديتين أو المتصادقتين ، قد يكون بعض أعضائها على خلاف المجموع بأن تكون صداقة بين بعض أفرادهما [في المتعادية] وبالعكس [في المتصادقة].

بين الفرد والجماعة

(مسألة ـ١٥ـ) الجماعة ـ سواء كانت كبيرة كالاجتماع ، أو صغيرة كجمعية اقتصادية أو ثقافية ، كالنهر الجاري لها وحدة واحدة ، وان تبدلت اجزائها، فالاجزاء تتجدد :

(١) من حيث الكم ،حيث فى الاجتماع الكبير : يموت الفرد ويولد الفرد وفى الاجتماع الصغير يدخل عضو جديد ، ويخرج عضو جديد .

(٢) ومن حيث الكيف حيث يصعد الاجتماع وينزل ، من حيث الاخلاق والدين والاقتصاد والسياسة وغيرها ، وكذلك في الاجتماع الصغير من حيث النشاط والخمول ، والاعمال الموجبة لصعوده أو نزوله ، اجتماعياً .

والجماعة دائماً توجه افرادها الى :

(١) جهتها العلمية ، فان لكل جماعة ثقافة خاصة ، تهتم الجماعة بالسير فيها ، والتبني لها .

(٢) وجهتها العملية ، حيث ان كل جماعة [غير الفكرية البحتة : وهي قليل] لها هدف تسير اليه ، وذلك مالا يكون الا بالعمل .

والتوجيه :

(١) في الاوليات بأن يقبل الفرد الانضمام الى الجماعة والسير في ركابها.

(٢) وفي الثانويات ، بأن يقبل الفرد التعمق في الثقافة الخاصة بالجماعة .. والفرد السطحي يقبل الاول بينما الفرد العميق يقبل الثاني .

كما ان العضو :

(١) قد يكون عضواً حقيقياً سجل نفسه مع الجماعة ويشاركهم في كل شيء .

(٢) وقد يكون عضو شرف لايشاركهم الا في بعض الامور، سواء كان [عضو شرف] يشرفهم لرفعة مكانه ،أو يتشرف بهم لضعة مكانه .

والجماعة :

(١) قد تستفيد من الفرد أكثر مما تفيده .

(٢) وقديكون الامر بالعكس .

(٣) وثالثة بين الامرين تساو، وقديكون العضو ضاراً محضاً ، لكن اللابدية توجب ابقائه .

والجماعة تؤثر في الفرد أثرين :

(١) الاثر العمدي بتربية الاجتماع للفرد .

(٢) الاثر التلقائي بتأثر الفرد بالجماعة لاتخاذه لهم اسوة، ويرى الاثران في العائلة بالنسبة الى الاولاد ، حيث ان الاب ـ مثلا ـ يربي ولده ، بينما الولد يتعلم من أبيه السلوك تلقائياً ... وكذلك الحال في الجمعيات الاصطناعية والاجتماع الانساني .

الانغلاق والانطلاق والانفلاق

والجماعة ـ وكذلك الاجتماع ـ تنقسم الى :

(١) المنغلق ، حيث تقدس نفسها وتزيد كل خير لنفسها ، بينما لاترى محاسن الغير، ولا معايب نفسها ، وهذه الجماعة أنانية جاهلة منكمشة، لايمر زمان ـ طال أوقصر ـ الا وينفض الناس من حولها ، وأحياناً تخسر حتى

جماعتها ، بالتبدد والاضمحلال، وتسمى هذه بالجماعة [المنغلقة] .

(٢) والمنفتح، حيث انها ترى معايب نفسها كما ترى محاسنها، وترى محاسن غيرها، كما ترى معايبها ، وهذه الجماعة تأخذ في الصعود ، ويلتف الناس حولها، وهي جماعة واقعية مثقفة متواضعة خيرة، وتسمى: [المنطلقة] .

(٣) والمنبهر ، حيث انها ترى معايب نفسها ، ومحاسن غيرها، ولا ترى محاسن نفسها ، ولا معايب غيرها ـ وهي عكس الاولى تماماً ـ وهي جماعة منهزمة مهزوزة جاهلة، لايمر زمان ـ طال أوقصر ـ حتى تتشقق، ويؤل أمرها الى الفناء والاضمحلال وتسمى [المنفلقة] .

وحيث يكثر القسم الاول [المنغلق] في الافراد والجماعات والجمعيات نبه الاسلام الى اضراره وأمر باجتنابه .

قال علي عليه السلام ـ في وصيته لابنه الحسن عليه السلام ـ : (يابني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ماتحب لنفسك، واكره له ماتكره لها، ولا تظلم كما لاتحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، و استقبح من نفسك ماتستقبحه من غيرك، وأرض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل مالا تعلم وان قلّ ماتعلم، ولا تقل مالاتحب أن يقال لك) .

وقال عليه السلام: (وكفى أدباً لنفسك تجنبك ماكرهته لغيرك) .

وقال عليه السلام: (كفاك أدباً لنفسك اجتناب ماتكرهه من غيرك) .

وقال عليه السلام : (ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الاحمق بعينه) .

وقال عليه السلام: (أكبر العيب أن تعيب مافيك مثله) .

دور الثقافة فى حركة المجتمع

ثم ان الثقافة الاجتماعية لها حالة التأثير ، والانسان له حالة التأثر ، و التأثيروالتأثر قديكون عميقاً، وقديكون سطحياً، والعميق قديكون سريعاً، وقد يكون بطيئاً :

(١) فالطفل يتأثر بثقافة الاجتماع سريعاً ، لان ذهنه لم يغرس فيه ثقافة غيرها ، حتى يصعب ازالة تلك الثقافة ثم غرس غيرها مكانها ، ولذا ورد : (العلم في الصغر كالنقش في الحجر) .

(٢) أما من يقلع عن مكانه لهجرة اختياراً، أوتهجير قهراً، فانه حيث يرد المجتمع الجديد ذا الثقافة المغايرة لثقافة سابقة ، كان نفوذ الثقافة الجديدة فيه بطيئاً ، وأحياناً يتحفظ في باطنه بثقافة نفسه ، وانما يلوّن سطحه فقط بالثقافة الجديدة .

(٣) وهكذا حال من يدخل مؤسسة ونحوها ، كمن يدخل في وظيفة الدولة أوفي حزب، أوجمعية أومأشبه، حيث يرتطم بالثقافة الجديدة الخاصة بتلك المؤسسة، فانه يصعب نفوذ الثقافة الجديدة فيه، وربما لاتعدو أن يكون التلون بها سطحياً.

(٤) وأماالثقافة الغازية، فانها تجرف المجتمع المغزى سطحياً فقط، الا في النادر من عباد الاجانب ، والا فيما كانت الثقافة الواردة أصلح للحياة، و أكثر ملائمة للفطرة، حيث ان الخرافة والاغلال السابقة، كانت على خلاف الفطرة .

وهذا هوسر مانجده من عدم نفوذ الثقافة الاستعمارية في البلادالاسلامية وقد دامت في بعض البلاد أكثر من ثلاثة قرون : كالهند واندونيسيا، أوأكثر

من قرن كما في الجزائر، حيث ان تلك الثقافة [الغازية] ليست الا خرافة و أغلالا ، نعم الصناعة حيث كانت أكثر ملائمة للطبع نفذت بسرعة، وتقبلتها البلاد بكل ترحاب .

والعكس من ذلك ثقافة الاسلام عند ظهوره، حيث دخلت البلاد بكل ترحاب من الاهالي، لما وجدوا فيها من الحقيقة والحرية .

قال تعالى: «انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» وقال :«يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم» .

وهذا هو سر قوله سبحانه: «ليظهره على الدين كله» فان صانع السيارة يوم كانت وسائل النقل الدواب ، وصانع الكهرباء يوم كانت وسائل الانارة الزيت، كان يحق له أن يقول : سوف تنسخ الدابة أمام السيارة، والزيت أمام الكهرباء، لان الامر لايعدو أن يفهم الانسان طبيعة الانسان .

ثم انه اذا كانت لانسان ثقافتان فلايخلو :

(١) من كونها ثقافة مجتمعين ظاهرتين .

(٢) أوثقافة جماعته ومجتمعه، فالاول: كما اذا كان ذا وطنين مثلا ، حيث يلتقي بالثقافتين ، وهذا في الغالب يأخذ منهما ، وان كان لايتظاهر بالثقافة العميقة عنده في المجتمع غير المثقف بتلك الثقافة العميقة، والثاني : تصبح الثقافة الخفيّة فيه، عميقة، والعلنية سطحية، كما في المذاهب الاقلية والاحزاب السرية، وانما تكون العلنية سطحية، لاضطراره الى المماشاة والمداراة .

أما الثقافة الخفية، فلانها :

(١) تكون لكثرة التلقين عميقة، حيث ان الجماعة المحيطة به يضطرون الى التلقين المداوم، لئلا يذوب في وسط المجتمع الذي لايعتقدون به .

(٢) ولتكوّن العرف الخاص حوله، اذ الاكثرية لايرتبطون به ارتباط

الاقلية، فهو بحكم كونه فيهم لابد له من التعاطي أخذاً وعطاءاً وذلك يوجب تعميق الثقافة .

(٣) ولانه يريد أن لاتخيب الثقة التي وضعتها الجماعة الخاصة فيه فان الانسان فطر على جذب الناس ، وتخييب ثقة الناس يوجب انفضاضهم من حوله، وهذه الارادة توجب تعميق الثقافة فيه ، وقد ورد : (ان المرء على دين خليله) .

والجماعة المنسجمة لاجل هدف ما، لها جانبان :

(١) الوجوه المشتركة بين أعضاء الجماعة .

(٢) والوجوه الخاصة بكل فرد فرد ، أو بكل تجمع صغير في داخل الجماعة .. ومادامت الوجوه المشتركة أقوى من الوجوه المختلفة، فالجماعة بخير، وكلما كثرت وازدادت الوجوه المشتركة كان الانسجام أكثر والتقدم أسرع، واذ انعكس الامر ، آلت الجماعة الى الشتات والبعثرة، ومن ينفصل عنها ، ان كان فيه داعي الهدف قوياً كون بنفسه جماعة جديدة ، أو التحق بجماعة يشبهها هدفاً، وان كان الداعي فيه ضعيفاً عاش فردياً بلاانضمام .

الانضمام الى الجماعات

ثم ان الانضمام الى جماعة ما ، يحتاج الى أخلاقيات خاصة ، فليست الجماعة ترفاً فكرياً ، أولهواً عملياً، بل الالتحاق الذي ينبع من نفس الانسان يحتاج الى تحمل المتاعب ، والاتهامات ، والمشاكل، والقدرة على الاخذ و العطاء، والى آخره، ولذا نرى بعض الافراد يلتحقون بجماعة ما، ثم سرعان ماينفصل عنهم بأعذار، والعذر الحقيقي الذي لايبديه ـ غالباً ـ هو عدم كفائته بالنسبة الى الاخلاقيات التي تتطلبها الجماعة .

ثم الملتحق بجماعة جديدة ، اذا كانت لغة المضيف تخالف لغة الضيف ، سواء كان ذلك من جهة الهجرة، أومن جهة ان الجماعة ذات لغة خاصة لابد له وان يتعلم تلك اللغة، وليس تعلم اللغة مشكلة واحدة ، وانما هي مشاكل، اذ يلزم عليه أن يحتوى الاداب والرسوم والعلوم المرتبطة بتلك اللغة .

فليس الامر [كالماء، وآب] بل أعمق من ذلك، مثلا: (الصلاة) في دين الاسلام شعائر خاصة ، بينما ترجمتها في اللغة المسيحية تعطي ، شعائر آخر، واذا أضطر الانسان الى جماعة هكذا، يضطر [ثالثاً] الى الشطب على معلوماته الموازية لالفاظه، فالامر هو :

(١) تعلم لغة .

(٢) ومايوازيها من المعاني .

(٣) والشطب على مايوازي لغته السابقة من المعاني .

(٤) ويأتي دور أمر رابع [صعب عليه أيضاً] هو تغيير العادات والتقاليد السابقة الى العادات والتقاليد الجديدة، والا لم يتمكن من الانسجام، وكان في السجن الانفرادي الى أن ينفصل .

(٥) و يأتي بعد ذلك دور المناخ في مثل المهجّر ، حيث اللازم أن يتثقف بالثقافة الملائمة للمناخ الجديد، اذ الاطلاع على كيفية العيش في المناخ نوع ثقافة أيضاً .

ولذا ورد: ان أصحاب الرسول ﷺ لما وردوا المدينة مرض أكثرهم، حتى اعتادوها ، وعلموا كيف يعيشون فيها .

موقف الجماعة تجاه المنضمين اليها

هذا كله من ناحية الضيف ، أما من ناحية المضيف ، فلابد أن يتقبل

الضيف وذلك مايسمى: [بالتقبل الاجتماعي] بأن يستقبلـه، وينسجم معه ، و يعطيه العمل ولوازم بقائه المعنوية والمادية .

ومن المعروف ان كل بلد يرده الانسان، أوجماعة يصير عضواً فيها [لـه سم] والمراد ان عدم الانسجام الابتدائي ـ حيث ان الانسجام يحتاج الـى مدة طويلة أوقصيرة ـ لابد وان يهج ضد الضيف الجديد، بما يلفحه مادياً أو معنوياً، وأحياناً يوجب ذلك السم اخراج الضيف عن البلد أوالجماعة .

ولهذا السبب كانـت قدجرت العادة في البلاد الاسلامية على أن ينتقـل الزوج الى بيت عائلةالزوجة، أوبالعكس لان الزوجين من جهة عدم انسجامهما قبل ذلـك لابد وأن يتصادما، بما يورث الشقاق أوالطلاق، أما اذا احتفا مما يقرب ثقافتهما الى الاخر تدريجـاً يحصل الانسجام التام ممايكون أول لبـنة للحياة العائلية .

ومن أفضل الطرق لتعود حياة خارجين عن ثقافة جماعة ، ان يختلطوا بأولئك الجماعة مدة،لاليعلموا ثقافتهم [فانذلك يحصل من الكتاب] ولاليتعلموا لغتهم [فان ذلك يحصل بالعلم] بل ليروا حياتهم، ويمتزجوا بهم ، امتزاجاً ، حتى يتلونوا بلونهم ، فاذا رجعوا الى بلادهم حملوا تلك الثقافة ، علماً، ولغة وعملا الى بلادهم .

وقد نبه الاسلام الىذلك ، بقوله سبحانه : «وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولانفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون» .

وقد أراد الله في الحج، وفي زيارة الرسول صلى الله عليه وآله والائمة الطاهرين عليهم السلام ذلك ، حيث يختلط المسلمون بعضهم ببعض ، ولذا جعل تعالى حرمة « سواء العاكف فيه والباد » .

وكان من صنع المستعمرين ، ان جعلوا الحجيج لايختلط بعضهم ببعض وانما لكل جماعة مكان خاص وكيفية خاصة ، لعدم توحد المسلمين حياةً .

وكان من ماعملته الحرزات العلمية في مثل النجف وكربلاء وقم وخراسان ان لايجعل التميز في المدارس والدروس والاجتماعات ، فالفارسي الى جنب العربي ، والهندي ، والتركي ، وهكذا .

وقد أخذ المستعمرون بالخطة الاسلامية ، حيث الاختلاط في الكنائس ونحوها والمعاهد ونحوها، وحيث يستضيفون كل عام جماعات من البلاد ، ليختلطوا معهم ويتلونوا بلونهم ، فاذا رجعوا الى بلادهم بعد انتهاء الضيافة ، لونوا بلادهم ، بلون المستعمر حركة واسلوباً وتفكراً ، بل ومنطقاً ، وحيث ان البلاد المضيفة فيها اغراءات كثيرة من كل لون بما يفقدها الضيوف في بلادهم، يحاول الضيوف بعد رجوعهم الى بلادهم تلوين بلادهم بلون بلاد المستعمر.

ولذا فمن الضروري على البلاد الاسلامية :

(١) المنع عن مثل هذه الاسفار .

(٢) تهيئة الجو الاسلامي المناسب للطلاب ونحوهم الذين يذهبون الى تلك البلاد ، في فنادق خاصة بالمسلمين ، لئلا يمتزجوا بحياة أولئك و يجب ان تعطي تلك الفنادق وسائل الراحة الفكرية نزلائها بما لايكون جو تلك البلاد أكثر اغراءاً .

(٣) اعادة استضافة المسلمين الى بلاد الاسلام المتقدمة مع تهيئة الاجواء المناسبة .

(٤) ترفيع مستوى بلاد الاسلام المتقدمة صناعياً ، و زراعياً وسياسياً ، واجتماعياً ، حتى يمكن ان تتخذ اسوة ، وتكون جذابة و لو بنسبة ضعيفة ، بالمقارنة الى بلاد المستعمرين .

فلقد كان من أسباب تقدم الاسلام السريع بدأ بزوغه ، ان بلاد الاسلام كانت خيراً من البلاد الاخرى حتى اذا جائها الاضياف رأوا فيها من العدل ، والامن والحرية ، والرفاه ، والعلم، والنظافة، وحسن الخلق، والصفات الرفيعة ما لم يكونوا يجدونه في بلادهم ، ولذا كانوا يسلمون ، ويكونون دعاة الى الاسلام في بلادهم ، ويطورون بلادهم على صورة البلاد الاسلامية .

الاسلام والحرية الثقافية

كما انه كان من أسباب تقدم بلاد الاسلام ، اختلاط الثقافات المختلفه ، لما وفره الاسلام من الحرية والجذب لمختلف الناس ، فقد اختلطت ثقافة العرب بثقافة مصر وايران والهند والعراق وغيرها ، ومن الطبيعي ان يأخذ الاجتماع بأحسن الثقافات، حاله حال الفرد الذي يتسوّق حيث يشتري البضاعة الاحسن من غيرها .

ونشاهد في العصر الحاضر ، ان من أسباب قوة الاستعمار في امريكا و بريطانيا وفرنسا ، نفس هذا السبب ، فأمريكا مكونة من ثقافات مختلفة ، و بريطانيا تموج فيها ثقافات الكومنولث ذات [٤٥] دولة ، وفرنسا تلونت بألوان ثقافات المستعمرات التي تتكلم بلغتها، وهي كما فى بعض الاحصاأت [٤٥٠] ميلون من البشر : ما يقارب عشر العالم .. بينما البلاد الاسلامية ذات الالف مليون مسلم ، تقطعت قطعة قطعة بينها التدابر والتناكر والتحارب .

وكذلك تعلمت جملة من البلاد الحاضرة من الاسلام، عدم الضغط على الثقافات المختلفة، فان ذلك كان من ابداعات الاسلام، بما لم يكن له مثيل في العالم قبل الاسلام ـ حسب ماحفظ التاريخ ـ .

فقد قرر الاسلام ـ في باب العقيدة ـ «لااكراه في الدين» وانما أنذر من

لم يقبل الصحيح عن تعقل وتدبر بالحياة الضنك في الدنيا، والخسارة الفادحة في الاخرة، حيث قال سبحانه: «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه * وهو فى الاخرة من الخاسرين» . وقال تعالى: «ومن أعرض عن ذكري فانه له معيشة ضنكا * ونحشره يوم القيامة أعمى» .

كما ان الاسلام فى باب العمل قال : «لكل قوم نكاح» وقال : «الزموهم بما التزموا به» وقال : «لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم * وبين أهل الانجيل بأنجيلهم * وبين أهل الزبور بزبورهم * وبين أهل القرآن بقرآنهم» الى غير ذلك . . وقال بالنسبة الى كل من العقيدة والعمل: «لكم دينكم ولي دين» و قال: «ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره» وقد ذكرنا في الفقه: [الجهاد، والقضاء والشهادات] بعض الكلام في هذه المسألة .

فان الانسان اذا رأى الحق ولم يكن ضغط لابد وان يستجيب له ان قريباً أوبعيداً، قال سبحانه : «وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه» .

وقد استمر المسلمون بعد رسول الله ﷺ الا النادر جداً على ذلك حيث لم يحفظ التاريخ انهم أجبروا كافراً على ترك عقيدته، أوبالتخلي عن شريعته وان كان مشركاً بالله، ولذا لم يضغط الرسول على مشركي بدر بعد الاسر ، و على كفار مكة ، ويهود خيبر، وكفار الطائف فى عقيدتهم أو عملهم .

أما المستعمرون الذين أرادوا فرض ثقافتهم على غيرهم بالقوة، فكان الطريق مسدوداً أمامهم ولم يجنوا من ذلك الا الكره، والنفرة ، ورفض الشعوب لهم في أول فرصة، ولا أدل على ذلك من القرون الوسطى فى اوربا، حيث الظلم الفظيع ومحاكم التفتيش وماأشبه .

التعديل الاجتماعي

(مسألة -١٦-) الاجتماع تدريجياً يجعل لنفسه قوانين يراها ملائمة لحياته النفسية والجسمية، سواء كان الجعل اقتباسياً ، كالذين يتدينون بدين السماء، أو اختراعياً ، كالذين يخترعون القانون ، وحيث ان الاجتماع يرى ملائمة تلك القوانين، كان لابد له من مراعاتها، لكي لاتنهدم وينهدم بسببه الاجتماع الامن، اذ القانون الملائم اذا انهدم ، فأما ان ينهدم أصل الاجتماع بالتفرق و التشتت ، وأما ان ينهدم أمن الاجتماع ، بأبتلائه بالفوضى و عدم الملائمات النفسية أوالجسمية، مثل القلق والقحط والمرض مثلا .

ولاجل سلامة القوانين يركز الاجتماع على قانونين :

أ - قانون الجذب ، حيث يجذب الى قوانينه الافراد و الجماعات ، ليهضمهم في داخله، ولا يسمح ان يكون فرد أوجماعة حيادياً عن قوانينه ،لان من يتمتع بخيرات الاجتماع ، لا حق له في عدم مشاركة الاجتماع ، فان الاجتماع يسدى الى الفرد الحماية والتعاون والامن وغير ذلك ، واللازم في مقابل ذلك ان يلتزم الفرد بقوانين الاجتماع .

فاذا لم يلتزم عاقبوه بالهجر والتقبيح، والكشح عنه ، وعدم الاحترام، و عدم التعاون معه، وأحياناً يصل العقاب الى الشدة والخشونة معه .

ب - قانون الدفع ، حيث اذا رأى الاجتماع من فرد أو جماعة خرق قوانينه بما يراه ضاراً ضيّق على الخارق، بما يراه مناسباً لخرقه، ولا يتمكن

الخارق انيحتج بانه حر، اذ يرده الاجتماع بانه [لاحرته لاعداء الحرية]..و هذان البندان [أ ـ ب] هما اللذان يسميان بالتعديل الاجتماعي .

اشكال التعديل الاجتماعي

وللتعديل الاجتماعي صورتان :

(١) الاقناع حيث الاجتماع يمدح المستقيم [على قوانينه]ويذم المنحرف سواء كان مدحاً وذمـاً عملياً أولفظياً ، فمثلا : [الكاسب الحسن الاخلاق] يلتف الاجتماع حوله بالبيع والشراء ، وأمام الجماعة الزاهد يكثر مأموموه، و الخطيب البارع يكتظ مجلسه ، والفقيه الورع يكثر مقلـدوه ، فاذا انحرف هؤلاء عن تلك الصفات ذمهم الاجتماع [عملياً] بالانفضاض من حولهم .

وكذلك لاينتخب الاجتماع ، في الحكومات الاستشارية الشخص الذي لايراه مناسباً لعدم سيره وفق المقررات الاجتماعية .. واذا سبق ان انتخبه ثم ظهر انحرافه سحب البساط من تحته وأسقطه ، بله انه لاينتخبه في مرة ثانية، أما الحاكم الديكتاتور المحتمى بالسلاح حيث لايتمكن الاجتماع من تعديله ولامن سحب البساط عن تحته بالاقناع[بالسلام]فانه يعامله الاجتماع بالصورة الثانية، وهي :

ب ـ الاجبار بمثل الضرب والشتم والسجن وما أشبه، سواء تحقق ذلك بواسطة الدولة، أوبواسطة من له القدرة على ذلـك .. والاجبار قد يصل الى الاعدام، وليس ذلك لفائدة المعدم،وانما: (١) لتطهير الاجتماع عن لوثه (٢) ولتنفير غيره ممن يمكن ان تسول نفسه القيام بمثل عمل الخارق .

ومما تقدم يظهر ان الضغط الاجتماعي لاجل التعديل :

أ ـ أمابدني، كالضرب والاجاعة ونحوهما [ويدخل في هذا الباب فرض

الحصار الاقتصادي] ونحوه .

ب ـ وأما روحي ، بالشتم و الاهانـة و فرض الحصار الاجتماعي بعدم التكلم معه وعدم احترامه في المجالس، وعدم اعطائه الصلاحية لمقام سياسي أواداري، أوماأشبه ذلك .

وقد ورد في تفسير قوله سبحانه:«وعلى الثلاثة الذين خلّفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت» الاية ـ ان ثلاثة من الصحابة لم يأتمروا بأمر الرسول ﷺ في الاشتراك في الحرب، فضرب الرسول ﷺ عليهم حصاراً اجتماعياً بأن أمر المجتمع بعدم التعامل معهم، ثم لماتابوا ورجعوا الى الطاعة رفع ﷺ الحصار عنهم .

لكى يكون التعديل الاجتماعى ناجحاً

ثم ان الخارج عن قوانين الاجتماع، مما يسلط الاجتماع ضغطه عليه :

(١) ان أحب الاجتماع ، لا يقوم بعداء الاجتماع ، بـل يعدل سلوكه، أو يلائم، وان رأى صحة سلوكه وخطأ الاجتماع، كما اذا أدّب الاباء الاولاد.

(٢) وان لم يحب الاجتماع قام بعدائه، وربما أخذ في الافراط في انحرافه انتقاماً من الاجتماع الذي ضغط عليه .

ولذا فاللازم على الاجتماع ان يلاحظ الاهم والمهم في كيفية الضغط ، حتى لايوجب الضغط الاسوء، فانه يكون حينئذ كالفرار من الرمضاء الى النار.. وقد عزل الامام أمير المؤمنين عليه السلام أبا الاسود الدؤلي [قاضيه] العادل النزيه ، فقال له ياأمير المؤمنين : لـم عزلتني وماخنت ولاجنيت ؟ قال عليه السلام : (لانك يعلو صوتك صوت الخصمين) .

وقال الرسول ﷺ لمن أتى باسارى اليهود: كيف تمر بالنساء على قتلاهن

فكان الله نزع الرحمة عن قلبك ؟ ! ومنـع عن التمثيل بالكفار بعد الموت ، وقال ﷺ : (لاتمثلوا ولو بالكلب العقور) الى غير ذلك .

اذاً فاللازم :

(١) ان تكون العقوبة بقدر المخالفة بدون زيادة ، ولوباهانة ونحوها ،

(٢) الاهتمام بأن تكون رادعة ، لاتشفياً ونحوه .

(٣) ان يلاحظ الاهم والمهم ـ بكل دقـة ـ فلا تجري العقوبة ، اذا كان العفو أفضل ، ولـذا ورد : ان الرسول ﷺ عفى عن أهل مكة ، وقال لهم : (اذهبوا فانتم الطلقاء) . وعفى علي عليه السلام عن أهل البصرة وقال: (مننت على أهل البصرة ، كما منّ رسول الله ﷺ على أهل مكة) وكذلك عفى عمن بقى من الخوارج ، وعمّن ظفر به من أهل صفين . . .

وقال عليه السلام لشاب سارق : ماتحفظ من القرآن ؟ قال : سورة البقرة ، قال عليه السلام : (قدعفوت عنك لسورة البقرة) الى غيرذلك .

فالمهم فى الاجتماع ان يعمل لاجل ايصال المفرط ، وارجاع المفرط ، لان تطبق العقوبة حرفياً ، فكيف بمـا اذا زيد عليها ، وهذا هـو الذي يسمى [بروح القانون] وجعل ذلك الى يدولي الامر ، قال سبحانه : «هذا عطائنا فامنن أوامسك بغير حساب» .

وقال تعالى: «سماعون للكذب أكالون للسحت* فان جائوك فاحكم بينهم أواعرض عنهم» الى غيرهما من الايات والروايات بهذا لصدد، حيث ان ولي الامر هوالذي يشخص روح القانون عن مادته الهامدة .

المتمردون بين المحيط الطبيعى والمحيط الاجتماعى

ثم ان حال الاجتماع مع الفرد المنحرف ، حال المحيط الطبيعي معه ،

مع فارق ان الاول يعمل حسب موازين العقل، ولذا يتحمل الضغط عمن يضغط بينما الثاني يعمل حسب القانون الخاص به بدون مرونة وتحمل ضغط ، فالانسان اذا جاع مات ، وكذلك اذا عطش ، أو لفحته الحرارة ، أو عضته البرودة ، أوما أشبه ، اذا وصل الى حد عدم تمكنه من المقاومة ، أما الذي يدرب حتى يتمكن من المقاومة الاكثر ، فان عدم موته لاجل انه خرج عن قانون طبيعي ودخل فى قانون آخر ، لان الطبيعة انسحبت أمامه .

أما الاجتماع الضاغط، فانه يرجع المفرط والمفرط الى الاعتدال المطلوب له، وكثيراً مايستحق أحدهما عقوبة، لكن الاجتماع يلاحظ الاهم والمهم فيترك أصل العقوبة أوقدر الاستحقاق ، فان الانسان ليس كالشجر اليابس ، بل كالغض الرطب ، ولذا يخطأ الذين يتصورون ان الانسان يستجيب للاوامر ـ في باب التربية والاطاعة ـ .

ان الفلاح يدخل البستان ، فيقطع ماشاء ويشذب ويهذب ، ويغرس وما أشبه ، كل ذلك والاشجار تستجيب ولاتبدي مخالفة ، أما الانسان فليس كذلك، وانما التربية والطاعة انما تكونان مع السير في قانون [ان الانسان يحتوى على العواطف والافكار والحاجات والصفات] وكذلك الحال في رد المنحرف الى الصراط ، أوعقوبته ولو بالاعدام ، لاجل تطهير الاجتماع عن لوثه واخافة الاخرين ان لايخرقوا مثل هذا القانون .

ثم انا ذكرنا في كتاب : [الحدود والقصاص] وغيرهما، ان الذين يحكم الشرع بقتلهم ، قليلون جداً مثل المرتد الذي لم يرجع ، ولم يكن ارتداده بشبهة ، والزاني اكراهاً أوبمحارمه ، أوما أشبه ، أما غيرهم فالقتل له بدل ، كالمحارب لله ولرسوله ، والقاتل عمداً، وغيرهما ، وفي أولئك الاولين للحاكم الاسلامي حق العفو ، كما عفى علي عليه السلام عن اللاطي مع ان حكمه القتل ، فاذا

رأى الحاكم الاسلامي العفو ، ولومن باب الاهم والمهم حق له ذلك ـ على تفصيل مذكور في تلك الكتب ـ .

مصدر التعديل الاجتماعى

ثم ان المسلمين لايختلفون في ان مصدر التعديل الاجتماعي ، هو ما يستفاد من الادلة الشرعيه : [الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والعقل] أما غير المسلمين فحيث انهم يحكمون الاراء في القوانين ، كان لابد وان يرى كل جماعة منهم قانوناً غير ما تراه الاخرى، وحسب ذلك القانون المصوب عندهم يضغطون على المخالف ، فليس القانون الوضعي عندهم كالقانون الطبيعي ، حيث ان الثاني مستند الى الطبيعة لايتغير ولا يتبدل .

بخلاف المسلمين ، حيث ان القانون الوضعي عندهم كالقانون الطبيعي لان كليهما مستند الى الاله الدائم الابدي .. و قد صار عدم استناد القانون الوضعي الى شيء دائم ثابت ، مصدر مأساة لغير المسلمين ، اذ هم يفكرون ماذا هو الميزان ؟ فهم يرون تساقط القوانين الواحد تلو الاخر بتبدل رأى الاكثرية ، وباختلاف الاكثرية هناعن الاكثرية هناك .

فهل الزنا واللواط والعادة السرية ونكاح المحارم ، و... حلال أم حرام؟ وهل قتل الضعفاء والمبتلين بالامراض التي لايرجى شفائها والمعوقين و..جائز أوممنوع ؟ وهل المرأة تدخل في كل الامور السياسية والاجتماعية والاقتصادية و .. مطلقاً أو بقدر ، أو لاتدخل ؟ و هل الاقتصاد رأسمالي أو اشتراكي أو شيوعي أو توزيعي ؟ وهل الحكومة ديكتاتورية البروليتاريا أو ديمقراطية رأسمالية أو ديمقراطية اشتراكية ؟ وهل الاعدام صحيح أم لا ؟ وهل ؟ !

كل ذلك ، لاميزان ثابت لها عندهم ، ولذا ترى مجتمعاً يختلف رأيه

زماناً عن زمان ،يحرم شيئاً زماناً ، ثم يعود فيحلله ،كما ترى مجتمعاً يختلف عن المجتمع الاخر ، فهذا يجوز مايمنعه الاخر ـ بل ربما شدد المنع ـ مثل استعمال المواد المخدرة ، فانه مباح في بعض بلاد امريكا ، بينما هو ممنوع أشد المنع في بعض بلادها الاخر ، مع ان الجميع في اطار عام للدولة المتحدة سياسياً ، الى غير ذلك من الامثلة .

ثم ان الاجتماع الذي جعل العقوبة على المخالف ، قد يكف عن العقاب فلا ينـزل عليه العقاب المقرر ، بأن يغض النظـر عنه ، أو ينزل عليه عقاباً خفيفاً ، وذلك بملاحظة [قانون الاهم والمهم] حيث يرى ان انزال كل العقاب أو بعضه يوجب فوات شيء أهم فيصرف النظر عن قانون المهم رعاية لقانون الاهم .. وربما يسمى ذلك [بالمداراة الاجتماعية] والغالب ان تكون المداراة للامور التالية :

(١) المكـانة الشخصية لخارق القانـون ، حيث انه كلما كان ذا مكانـة أرفع كان الاغماض عنه أكثر :

أـ وهذا أحياناً يكون لصرف التملق ونحوه ، وذلك ليس بمستحسن ،بل هو موجب لزوال الامة ، حيث ان الكبراء اذا أسائوا ان عفى عنهم سرى ذلك الى سائر الطبقات ، ويكون الحاصل هدم القانون الموجب لهدم الاجتماع ، ولذا أصر الرسول ﷺ على قطع يد المرأة الشريفة ـ في قومها ـ لئلا ينهدم القانون .

ب ـ وأحياناً يكون لقاعدة الاهم والمهم، مثلا : محسن كبير أساء اسائة، وعقابه يوجـب قطع احسانه ، فيرى العقـل ترك عقابه دواماً لاحسانه ، أو ان رئيس الجيش قد خان، فاذا أخذ بخيانته، لم يهتم بالجيش مما يسبب الانكسار أمام الاعداء ، فتركـه والاغضاء عنه انمـا هو لامر أهم ، ولذا عفى رسول الله

ﷺ عن [حاطب] حيث رأى ان بقائه أهم من عقابة ، حيث خان بالكتابة الى اهل مكة .

ولا يخفى انه كما ان بين [التهور والشجاعة] خيط رفيع ، وبين [الكرم والاسراف] كذلك ، كذلك بين (أ ـ و ـ ب) فاللازم ملاحظة ان المورد من ايهما حتى لايوضع [ب] مكان [أ] ولا العكس ، أما اذا انقسم العرف الى قسمين وانه هل المورد من هذا أو ذاك ؟فاللازم اجراء أصل تنفيذ القانون،الا اذا ثبت خلافه ..وهذا يشبه ما يقال في الاصول والفقه بأن المرجع لدي الشك الاصول العملية .

ثم ان المكانة الشخصية لخارق القانون ، قد توجب العكس ،أي انه اذا كان عادياً أمكن الغض عنه ، لان القانون ليس بتلك الاهمية التي توجب تتبع جزئيات مخالفيه ، كما اذا سرق فقير اجرة سيارة الدولة ، فلم يدفعها لانه لايملكها ،ويحتاج الى السفر ، فانه أمر يغض عنه أحياناً ،بينما ان الخارق اذا كان غير عادي أخذ بالخرق من جهة لزوم مراعاة المكانة بكل نظافة لنوع الخارق بكل دقة ، كما اذا كان الخارق عالماً أو واعظاً أو ما أشبه ، وقد قالوا ان [زلة العالِم زلة العالَم].

و قد قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : (قصم ظهري اثنان : عالم متهتك وجاهل متنسك).

وفي الحديث : (ان الله يغفر سبعين ذنباً للجاهل قبل ان يغفر ذنباً للعالم).

(٢) ازمنة الاضطرابات ، فان الاضطراب يوجب تشديد المجتمع العقاب بالنسبة الى بعض اقسام الخرق ، بينما يوجب تخفيف العقاب أو تركه بالنسبة الى بعض آخر من أقسام الخرق، مثلا: في ايام القحط ،يصرف المجتمع نظره عن سارق الطعام لاجل سد جوعه . بينما ليس كذلك حال الرفاه ، ولذا ورد

في الشريعة : (عدم قطع يد السارق أيام المخمصة) .

وبالعكس من ذلك أيام الحرب ، يعاقب من يتصل بالعدو عقوبة شديدة بينما ليس كذلك أيام الهدنة، الى غير ذلك من الامثلة .

(٣) كون العضو الخارق ، منتسباً الى جماعة ، يلزم عليها التشديد أو التخفيف بحكم مكانة الجماعة ، مثلا : الخداع السياسي من فرد من الحزب يوجب تشديد العقوبة ، بينما مثل ذلك الخداع من جماعة اقتصادية لايوجب التشديد ، و لذا كان للارتداد والزنا بالمحارم والزنا الاكراهي و ما أشبه ، قوانين بالغة الاهمية في الاسلام ، بينما الظهار واللعان ليس كذلك .

وليعلم ان الاسلام، حيث انه دين الانسان والحريات، قد قلل من القانون الكابت للانسان ، ولذا لايتحقق موضوع النقض في كثير من التصرفات، بينما القوانين الوضعية، حيث كثرت لعدم جعلها الانسان المحور ـ وانما المحور المادة ـ قد كثرت من القوانين الكابتة ، وكذلك بالنسبة الى انحراف اخلاقي في مربي دين يوجب الصعوبة ، بينما ليس كذلك الامر اذا صدر ذلك من انسان عادي ، خصوصاً اذا كان بعيداً عن مراكز الدين ومواضع الفضيلة .

(٤) كون القانون الذي نقضه الناقض ذا أهمية أم لا ؟ فان كان ذا أهمية ، لايرى الاجتماع مداراة ناقضه بينما اذا لم يكن ذا أهمية راؤا فيه المداراة ، وقد أشرنا الى بعض تفصيل ذلك في كتب: [نريدها حكومة اسلامية] و[السياسة] و [الحكم في الاسلام] وغيرها .

وقد ورد في أحاديث كثيرة [المداراة] لانها ـ في غير مقام الضرورة ـ أوجب لحسن الاجتماع وتقدمه .

فقد روي عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أمرني ربي بمداراة الناس ، كما أمرني بالفرائض) .

وعن الحسين بن الحسن قال : سمعت جعفراً عليه السلام ، يقول : (جاء جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد ربك يقرئك السلام ، ويقول لك : دارخلقي).

وروي السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل : ورع يحجزه عن معاصي الله ، وخلق يدارى به الناس ، وحلم يرد به جهل الجاهل) .

وروي مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (مداراة الناس نصف الايمان ، والرفق بهم نصف العيش) .

وعن حذيفة بن منصور ، قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : (ان قوماً قلّت مداراتهم للناس فألقوا من قريش، وأيم الله ما كان باحسابهم بأس، وان قوماً من غير قريش حسنت مداراتهم فألحقوا بالبيت الرفيع) ، ثم قال عليه السلام: (من كف يده عن الناس،فانهايكف عنهم يداً واحدة، ويكفون عنه أيدي كثيرة).. الى غير ذلك من الروايات .

الجمع والجماعة

(مسألة - ١٧-) حيث ان الانسان خلقه الله محتاجاً الى بني نوعه ، لا في الجهات الجسمية فحسب، بل في جهاته الروحية أيضاً، كالعلم والعاطفة، واظهار الصفات ، وما أشبه ، يجتمع مع الاخرين في اجتماعات صغيرة ، ثم كبيرة ، والاجتماع الذي يعيش الانسان تحت ظله لا يكفيه غالباً ، في ملاء رغباته ، فيعمل لاجل ان يجتمع في وحدات ، وهذه تسمى (بالجماعة) وهي غير [الجمع] فان الاول له الانسجام والدوام النسبي ، بخلاف الثاني، فان الجمع يطلق على ماله المواصفات التالية :

الفرق بين الجمع والجماعة

(١) الجمع يجتمع تلقائياً ، وبدون سابق تخطيط له كما اذا اجتمع جمع لاجل منظر أو حادثة سارة ، أو حريق ، نعم يمكن ان يكون الجمع ، مقدمة (الجماعة) كما اذا استغل بعض الجمع ، جماعة منهم لاجل تشكيلهم ، بسبب متابعة هدف خاص ، قصير الامد أو طويله ، كما اذا حدث زلزال ، فاجتمع الناس ، ثم استغل بعضهم ، فجمع جمعاً منهم ، لاجل تكوين جماعة لاجل تعمير مكان الزلزال ، أو لاجل تكوين جماعة اقتصادية ذائمة للقيام بالشئون الاقتصادية لتلك المنطقة .

(٢) الجمع سريع الزوال ، فكما يجتمع فجئة ينفض فجئة ، وقد يسمى

بالغوغاء وهذا يفسد أيضاً ، قال عليه السلام: (اذا اجتمعوا ضروا ، واذا تفرقوا نفعوا) ثم فسر نفعهم في التفرق ، بأن كل واحد يذهب الى عمله .

(٣) الجمع ليس بين أعضائه تجانس ، بخلاف الجماعة، فالجمع يجتمع تلقائياً ، بينما الجماعة انما تكون بين أصحاب أهداف مشتركة ، فالجماعة السياسية أو التربوية ، انما تجتمع لاجل تسيير دفة السياسة ، أو لاجل تربية المجتمع، بينما الذين يجتمعون لاجل منظر أو مأساة يدخل فيهم العالم والجاهل والعامل والبطال ، والى آخره .

(٤) الجمع يمكن بدون تجمع أفراده، كالذين يأتون لانتخاب النواب، حيث يأتي كل واحد ويذهب بدون تجمع بين أفراده، وكالذين يحضرون الولائم أفراداً أفراداً ،بينما الجماعة لابد لها من التجمع، لان الجماعة تستشير، وتصمم ، وتوزع الاعمال ، وكل ذلك يحتاج الى تجمع ولو تلفزيونى .

العقل أم العاطفة ؟

(٥) الجمع ـ غالباً ـ تحدوه العاطفة الشديدة للتجمع والعمل ، بدون تفكر في العواقب ولذا يذوب الفرد في الجمع، حيث لا يرى الا الجهة التي ينساق اليها، بسبب تلك العاطفة المشبوبة، والغالب ان الديكتاتوريين يستفيدون من هذه العاطفة فى سوق الناس الى أهدافهم، ولذا نرى ان مثل ذلك يلازم تقديساً مطلقاً لديكتاتور هو وراء الاثارة .

لكن يلزم ان يعلم ان مثل هذه الحالة سواء كانت في الجمع أو في الجماعة لها رد الفعل من جهات :

أ ـ من جهة ان العقل أخيراً يغلب على العاطفة ، فينقلب العمل المعمول فترة الى ابشع صور الكره و الذم ، و يبقى الذم على القائمين بذلك ، طول

المستقبل .

ب ـ سقوط الديكتاتور الذي وراء العمل سقوطاً هائلا ، حيث تتكشف عوراته وحيله ومكايده .

ج ـ تسلط الاعداء على مثل تلك الجماعة ، حيث ان الاعداء يعملون بتعقل، والجماعة عملت بعاطفة ، والعاطفة لا تتمكن من البناء فتسقط ، بينما العقل يتمكن من البناء فيغلب .

ومن الامثلة في العصر السابق ، بنو امية حيث استغلوا عواطف السذج ضد أهل البيت عليهم السلام، فتسلط عليهم أعدائهم ونسفوهم بما بقوا لعنة التاريخ .

كما ان من الامثلة في العصر الحاضر، هتلر، وستالين، وموسيليني، وماو حيث سقط كلهم سقوطاً ذريعاً ، فانتحر الاول ، وقسمت المانيا ، واحرقوا الثاني بعد موته، وصار بلد الثالث مرتعاً للماسونية وأعمال العنف، الى الان وصار ماو فضيحة التاريخ ، وتغلب أعداء الصين عليه، ومن الامثلة في البلاد الاسلامية، اتاتورك، والبهلوي وياسين وغيرهم .

(٦) الجمع غالباً، لاتركيب ثابت له بينما الجماعة بالعكس ، فالجماعة لها أعضاء يغلب بقائهم،وتبدلهم قليل، أما الجمع ـ كالذين يجتمعون لمشاهدة زلزال أومظاهرة فجائية أوماأشبه ـ فأعضاء منه ينصرف، ويلحق الى الجمع أعضاء آخر، ففي كل مدة التجمع لايكون الاعضاء باقين .

الاسلام يدعو الى التعقل

وحيث ان اللازم على الانسان اتباع العقل ، وان كان فيه مرارة عاجلة و حرمان موقت ، وعدم الانسياق وراء العاطفة، وان كان فيه حلاوة وملأ غرور فقد حذر الاسلام أكبر قدر من التحذير عن ترك التعقل والاخذ بالعاطفة، بل

أمر بالتعقل وما تقتضيه الموازين الصحيحة .

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : (العقل حفظ التجارب وخير ماجربت ما وعظك) .

وقال عليه السلام: (ان الشقيّ من حرم نفع ما أوتي من العقل والتجربة) .

وقال عليه السلام: (أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق) .

وقال عليه السلام: (لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل) .

وقال عليه السلام: (لاترى الجاهل الا مفرطاً أومفرطاً) .

وقال عليه السلام: (اذا تم العقل نقص الكلام) .

وقال عليه السلام : (لا مال أعود من العقل، ولا وحشة أوحش من العجب ، ولا عقل كالتدبير) .

وقال عليه السلام: (التودد نصف العقل) .

وقال عليه السلام: (أول عوض الحليم من حلمه ان الناس أنصاره على الجاهل).

وقيل له عليه السلام: صف لنا العاقل؟ فقال عليه السلام: (هوالذي يضع الشيء مواضعه) فقيل له عليه السلام: فصف لنا الجاهل؟ فقال عليه السلام: (قد فعلت) .

وقال عليه السلام: (لايغش العقل من استنصحه) .

وقال عليه السلام: (ماستودع الله أمرءاً عقلا الا استنقذه بهيوماً ما) .

وقال عليه السلام: (كفاك من عقلك ماأوضح لك سبل غيك من رشدك) .

وقال عليه السلام: (الحلم غطاء ساتر ، والعقل حسام قاطع، فأستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك) .

الانسجام بين افراد الجماعة

أما الجماعة ، فقد عرفت انها تتشكل من أفراد لهم هدف خاص ، ولها

دوام، وفكرة واسلوب عمل ، والانسجام بين الجماعة يقوى بكثرة التبادل و المشورة، كما ان السير نحو الهدف يزيد من الارتباط والانسجام ، واذا كان امام الجماعة جماعة اخرى منافسة، اشتد التجانس، وكثر العمل، حيث ان التنافس من أقوى أسباب تقدم الانسان، حيث جعل الانسان على انه لايتمكن ان يرى غيره متفوقاً عليه، فاذا أحس بتفوق غيره ، أوصار ذلك محتملا، أخذ الانسان في العمل الاكثر، وضغط على نفسه في الابداع لئلا يسبقه غيره .

وهذه الحالة موجودة في الفرد ، فاذا انضم الافراد بعضهم الى بعض، صار التنافس أشد ، لان بعضهم يؤثر في البعض نشاطاً وتحفيزاً ، والمنفعل بدوره يؤثر في الفاعل والاخرين ، و هكذا . . ولذا فالجماعة بحاجة الى أمرين :

(١) الفلسفة التي تجمعهم وتكون منهجاً لحياتهم الاجتماعية .

(٢) العاطفة المشبوبة التي تسيّرهم وتحثّهم على التقدم، فهما معاً ضمان بقاء الجماعة ، فاذا فقدت الجماعة أحدهما تبددت واندثرت .

و كلما كانت فلسفة الجماعة الصق بقلوبهم ، كانوا مؤمنين بها ايماناً ، شديداً، وكلما كان الانبعاث العاطفي فيهم أكثر ، اشتدت أواصر الجماعة ، و كانت أكثر سرعة الى الامام ، والعكس بالعكس . . كما ان الجماعة لو كانت جماعة جذبية، أي بنيت على جذب الناس كالجماعة الاقتصادية السهامية، كان الامران السابقان يوجبان انجذاب الناس اليهم أكثر ، سواء الاعضاء أو المناصرون، أوالموالون .

تأثير الجماعة فى الفرد

ثم ان الجماعة تسبب تغييراً في أفرادها، والغالب ان يكون ذلك التغيير

في الابعاد الخمسة الاتية وهي :

(١) تحطم الفردية ، حيث ان الجماعة تعطي سعة لاعضائها ، مما يكون الفرد في هذا الحال مثل القطرة من الماء ، اذا وقعت في اناء ماء حيث تتحطم فرديتها ، وتأخذ في السعة ، بقدر سعة مجموع الماء .

(٢) الانصهار في الجماعة ، وهذا وجه آخر للامر الاول ، فالاول يسبب عدم عمل الفرد بمصالحه الشخصية ، وهذا يسبب عمل الفرد بمصالح الجماعة .

(٣) احساس الفرد بالامن الذي لم يكن يحس بمثله ، حال عدم انضمامه فان الانسان يحس بالغربة ، حيث يخاف وقت بؤسه ومرضه وفقره وهجوم عدوه و . . وحيث ان الجماعة تكفل قضاء الحوائج ، يحس المنضم اليهم بالامن ، وبقدر قدرة الجماعة يكون الحس بالامن أكثر وأعمق .

(٤) احساس المنضم الى الجماعة بالقيمة ، بمالايحس بمثله الفرد، اذ قيمة الفرد المنضم قيمة كل الجماعة ، وقيمة كل الجماعة ليست قيمة كل فرد فرد ، بل قيمة المجموع ، فاذا فرضت قيمة كل فرد ديناراً كان قيمة عشرة أفراد مأة دينار .

(٥) شعور الفرد المنضم الى الجماعة بالسعة في وجوده ، حاله حال القطرة المنضمة الى اناء ماء ، لكن السعة في القطرة مادية ، وهنا معنوية.

أما استفادة الفرد من الجماعة مالم يكن يستفيده لو كان فرداً، من التجارب العملية ، فذلك مالايحتاج الى الذكر ، فان الحضارة عملية ، قبل ان تكون علمية ، والاجتماع يعطي الحضارة العملية ، ولذا لايفهم الاجتماع الا من كان في الاجتماع .

وقد قال علماء الاخلاق : الانسان الذي يعيش بمفرده ، لايسمى عادلا ولا

صادقاً ولاأميناً ولاوفياً ولاماأشبه تلك، حيث انها صفات عملية، لاذهنية فحسب فاذاكان في الاجتماع سمي صادقاً أوكاذباً ، أميناً أوخائناً .

عوامل قوة الجماعة

ثم ان قوة الجماعة ، وشدة أواصرها انما تكون تبعاً للامور التالية :

أ ـ قوة الفلسفة التي بنت الجماعة نفسها عليها، فان قوة الفلسفة المذكورة تعمق جذور الجماعة في نفوس أعضائها، وكلما حملت الجماعة القلوب أكثر فأكثر ، كانت الجماعة أقوى وأبقى . . وقد ذكر علماء السياسة ان الدولة الدينية الدنيوية أقوى وأبقى من الدولة المرتبطة بالدنيا فقط، لان الاولى تحملها القلوب والابدان ، بينما الثانية تحملها الابدان فقط .

ب ـ الهدف الذي تتوخاه الجماعة ، فانه كلماكان أسمى كانت الجماعة أشد استمساكاً وابقى زماناً، وذلك لان الهدف الاسمى يجعل علاقة الناس بالجماعة أشد ، فكم فرق بين ان يكون هدف جماعة اسلامية انقاذ المسلمين ، وبين ان يكون هدفها تجميل مدينة ، والفرق بين الفلسفة والهدف ،كالفرق بين قوة [كتاب] في مطالبه ، وبين الهدف المتوخى من ذلك الكتاب .

ج ـ ثم يأتي دور القيمومة ، فكلماكانت القيمومة على الجماعة من كبارها أشد وأقوى كانت الجماعة أمتن وأدوم ، والعكس بالعكس ، وقوة القيمومة وضعفها وان كانا ـ في كثير من الاحيان ـ تابعين للافراد القائمين، الا ان الاهم هي تركيبة الجماعة فانها توجب القوة أو الضعف، فقد يكون نظام الجماعة بحيث يأتي الى القيادة بالاكفاء ، وقد لاتكون التركيبة هكذا ، حالها حال رجال الحكم، فقد ينظم القانون تنظيماً دقيقاً يأتي الى الحكم بالاقدر والافضل، وقد لايكون هكذا .

د ـ وأعضاء الجماعة كلماكانوا أكثر طاعة للقيادة ، سارت الجماعة سيراً حسناً ، ولذا كان من شرائط الاسلام [السمع والطاعة] ولايراد بذلك التقليد الاعمى ، بل كما قال علي عليه السلام : (وثقوا بالقائد فاتبعوه) حيث انه ان ظهرت صحة الطريق يلزم كمال الاطاعة .

هـ ـ ثم كلما توسعت الجماعة في اعضائها ومناصريها والمدافعين عنها ، كانت أقوى ، اذ السعة تلازم كثرة الكفاءات، والاستمرارية ، ولذا تحاول الجماعات ـ دائماً ـ توسعة عدد أفرادها وقلة أفراد الجماعة وانكان لها مزايا كما ذكرناها في بعض المسائل السابقة ، الاان مابصدده نحن الان انما يكون بالكثرة ، ولعل (يدالله مع الجماعة)يدل على هذه الجهة أيضاً، حيث ان مناط الحديث يشمل كثرة الافراد .

و ـ وكلماكان نظم الجماعة أدق وأصح ، كانت الجماعة أقوى وأدوم ، اذ النظم يضع كل شيء موضعه، ويميز الواجبات والحقوق، ممايخفف الحمل و يوجب دوامها ، والعكس بالعكس ،وا ، وعدم السوابق اللامعة يوجب الضعف ، ولذاكان اللازم على قيادة الجماعة ان تهتم بالمردود ، وان تهتم بما يجعل للجماعة سوابق مشرقة ، حتى تكون دافعة للافراد الى الامام .

ط ـ ويلزم المراقبة الدقيقة لقلة الاخطاء، فان قلتها توجب حرارة القلوب حول الجماعة ، بينما كثرتها توجب البرودة والانفضاض ، وهذا يجعل الفرد يتشوق الى عمله أكثر فأكثر ، بالعكس من الفوضى تماماً ، أو في الجملة .

ز ـ واذا كانت الجماعة سرية ،كلماكان السر أكتم، بقيت الجماعة أسلم ، وقويت أكثر .

ح ـ ثم يأتي دور مردود الجماعة وسوابقها ، فان الناتج كلماكان أكثر ،

والسوابق أشرق، كانت علاقة الافراد بالجماعة أكثر فأكثر، ممايوجب متانتها وهذا من اسرار لزوم كون النبي والامام معصوماً .

ي ـ ثم كلما قويت حالـة الاستشارية في الجماعة ،كانت الجماعة أمتن بينما حالة الديكتاتورية توجب انفضاض القلوب وتحطم الجماعة .

منطلقات الجماعة

(مسألة ـ ١٨ ـ) بعد طول تجربة الدنيا لاقسام الحكم ، وصلت أخيراً الى ما ذكره الاسلام من [الاستشارية] حيث انها أدوم الاحكام واحسنها ، وتوجب ظهور الكفاءات واستقرار الناس وتعاونهم وقلة المشكلات للحاكم والامة على حد سواء .

ومن هذه الجهة كان اللازم على الحكومات ـ وعلى جماعات الاستكشاف ممن لهم هدف في الكشف ـ ان تتعرف على منطلقات الناس ، فى أعمالهم، من العقائد والصفات وغيرها ، فانه اذا اكتشفت الحكومة ذلك، تمكنت من اعطاء الرغبات، وحل المشكلات، وتعديل القوانين، بدون تصادم بالعقائد والمآرب.

فاستكشاف ذلك من قبيل [الوقاية] قبل المشكلة و [العلاج] بعدها ، فان مشاكل الامم حالها حال مرض الفرد، فكما ان الطبيب الحاذق ، يحاول الكشف عـن صحة الانسان حتى لايبتلى بالمرض ، واذا مرض قطع جذوره بالعلاج الملائم، كذلك اذا جسّت الحكومة نبض الاجتماع اطلعت على مكامن المشكلة ففعلت ما يوجب عدم استفحالها ، فاذا برزت المشكلة ، تمكنت من علاجها بما تنحل ، فلاتبقى بله ان تستفحل .

أقسام الجماعة

ومن هذا المنطلق فقد قسم علماء الاجتماع [الجماعة] الى أقسام :

(١) الجماعة الاستعراضية ، التي تعرض عضلاتها ، بالمظاهرة ، أو باعطاء الشعار أو ما أشبه .

(٢) الجماعة التصادفية ، التي عملت الصدفة في تجمعها ، لاجل منظر مفرح أو مؤلم ، كمجيء كبير ، أو فيضان أو نحوهما .

(٣) الجماعة المنتظمة ، كالجماعة التي تحضر مجلس الدرس ، أو الخطابة أو تمثيلية ، أو ما أشبه .

(٤) الجماعة الانفعالية ، كالتي يؤثر فيها شيء يهيج أعصابها ، فتهتاج بالتصفيق والحركة وما أشبه .

(٥) الجماعة المخربة التي تريد هدفاً ـ بنفسها أو بتحريك محرك ـ فتأخذ في التخريب لاجل الوصول الى هدفها .

(٦) الجماعة المنضمة ـ اسم مفعول من باب الافعلال ، لامن باب التفعيل ـ وهي التي انضمت أعضائها لاجل هدف خاص ، أمثال الجماعة الاقتصادية ، و السياسية ونحوهما .

(٧) الجماعة المبعثرة ، وهي التي لا انضمام لها ، وانما كلها ذات طريقة واحدة أمثال : هواة السباحة ، والرياضيين ، وقراء مجلة كذا ، ونظار التلفزيون الفلاني ، ومثل هذه الجماعة هي الاكثر احتياجاً الى معرفة نواياها وأهدافها و تطلباتها ، اذ انها هي التي لايطلع على أحوالها ، ضمن مجموعة خاصة ، ولذا يلزم استطلاع الحكومة عنها بصورة عامة ، وهذه النوايا تسمى بـ [المطلب العمومي] أو [العقيدة العمومية] .

وقديكون المطلب العمومي ظاهراً وانما الاستكشاف لاجل معرفة درجة الشدة والضعف في ذلك ، مثلا : الحكومة تعلم ان نظار التلفزيون غير راضين عن برامجه ، لكن لاتعلم مقدار عدم الرضا ، هل هو خمسون في المائة أو أكثر

أو أقل؟ .

و انما تريد استطلاع ذلك لاجل الموازنة بين الاهم والمهم ، مثلا : الميزانية المخصصة للاعلام تصرف في الاذاعة والتلفزيون والصحف اثلاثاً، فاذا اريد تبديل برامج التلفزيون، كلف ذلك نصف ميزانية الاذاعة والتلفزيون فهل التبديل أهم حتى تنقص ميزانية تين ؟ أم البقاء على ميزانيتهما؟ ـ لان عدم رضى الناس بتنقيص ميزانيتهما أكثر من عدم رضاهم من برامج التلفزيون ـ .

ثم ان الشيء الذي يميل نحوه المجتمع، يصطلح عليه [بان له قيمة اجتماعية] وكلما كانت علاقة المجتمع به أكثر، كانت قيمته الاجتماعية أكثر، والعكس بالعكس ، و معرفة القيم الاجتماعية من أهم الامور لدى الساسة ، لان كيانهم مرتبط بها .

التوعية الجماهيرية

ثم ان المجتمع ليس معصوماً، يعرف قيمة ذوات القيم، أو يعرف تفاهة ما لاقيمة له، خصوصاً اذا عملت معه سياسة التجهيل والتضليل، وعليه فاللازم على المفكرين ، أن يعدلوا انحراف المجتمع الفكري ، حتى يعرف ماله قيمة من غيره ، ويعرف قدر قيمة كل ذي قيمة ، وهذا الامر محتاج اليه ، في حالتين :

(١) حالة سيطرة القوة ، حيث ان الحكومات الديكتاتورية ، تمارس سياسة التجهيل والتضليل بواسطة أبواق دعايتها واجهزة ارهابها ، فان الطبقة المستنيرة تنسحب عند ذاك عن الميدان ، ولايبقى الا الهمج الذين يسبحون بحمد الديكتاتور ، وعند ذلك لاتعرف العامة القيم من الزيف ، كما لاتعرف مرتبة كل قيمة ، ودرجة كل زيف .

وفي الحديث : (اذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه والا فعليه لعنة الله) .

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام :(ولولا.. ماأخذ الله على العلماء ان لايقاروا على كظة ظالم ولاسغب مظلوم ، لالقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها) .

فاللازم توعية المفكرين للامة ، بما يوجب انقشاع الظلمات ، ورجوع الامة الى حريتها ، وعرفانها للقيم .

(٢) حالة سيطرة المال ، فان المال وان لم يكن له القوة ،الا انه أيضاً له دور خطر في الدعاية والتعمية والاضلال ، وربما كان هذا اسؤهما ، لانه يخدر بما يوجب اتباع الضحية للجلاد، وقد ورد في الحديث: (لعن الراشي والمرتشي) وانه يسأل عن الانسان يوم القيامة عن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه ؟ وقد ذكرنا في كتاب [الفقه : الاقتصاد] ان رأس المال كيف يسيطر على المجتمع بما يخرب السياسة والقانون وغيرهما .

وهذا أيضاً يحتاج الى توعية الجماهير حتى لايقعوا ضحية التعمية والتجهيل.

كيفية استكشاف العقيدة الاجتماعية

ثم ان عقيدة العامة ونظرياتهم، ليست بذلك الظهور حتى يتمكن تحصيلها بسبب الاحصاءات الرسمية ، بل ظهورها يحتاج الى تعمق أكثر ، وتدقيق واسع ، لانه ليس كل أحد يستعد للكشف عن نظرياته في مختلف الامور بمجرد سؤال صحفي أونحوه، فان اقتنع بمجرد الاحصاء لم يستفد المحصى مايريده من الكشف حتى يرتب عليه أثره ، فاذا حصل على شيء مخالف للواقع ورتب ذلك الاثر المرتب على المكشوف بقي الواقع يؤثر أثره ، حاله حال ماذا لم يقل

المريض الواقع للطبيب ، حيث ان دواء الطبيب لايؤثر ، ويبقى المرض يؤثر أثره، ولذا اتجه علماء الاحصاء، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع الى البحث حول السبل المنجعة لكشف عقائد ونظريات العامة خارج نطاق الاحصاءات الرسمية ، مثل التوسل الى رؤساء الاحزاب والمنظمات والجمعيات ، ومراقبة اعداد قراء الجرائد ونظار المسارح ونحوها ، وملاحظة اعداد الكتب ذات الاتجاهات الخاصة التي تباع وتتداول ، الى غيرذلك .

داء التعصب الاجتماعي

ثم انه كما قد يبتلى الفرد بالمرض العضال مما يصعب علاجه ، وقديبتلى الاجتماع بذلك ـ كما في أيام الطاعون ، ونحوه ـ كذلك قد يبتلى الفرد أو الاجتماع بالمرض النفسي ، ويسمى [بالتعصب] حيث انه انحراف في العاطفة بدون المنطق ، ولذا يصرعلى مافي جانبه، وان لم يكن له دليل ، ويرفض ما في جانب طرفه ، وان كان له دليل .

وكذلك قد يبتلى الحزب والجماعة بمثل ذلك .

واذا اشتد التعصب حتى صار الفرد أو الاجتماع حساساً شديد الحساسية تجاه مايذهب اليه، سمي ذلك [بالعقدة] كأن النفس انعقدت على ذلك الجانب بدون ملاحظة التوسط والحق ، وقد أكد الاسلام في آيات وروايات ، على اجتناب مثل هذه الامور ، وتقدمت بعض النصوص في ذلك .

الجماعات الضاغطة

ثم انه لما كان للاتجاه العام، وللاتجاه الخاص ـ في الامور الخاصة، مثل اتجاه الامة ككل في الحرب أو السلم، واتجاه الاقتصاديين في ترفيع الاسعار

أوعدمه ـ وزن وقيمة في سير دفة الامور، حدثت في العصر الحاضر ـ طائفتان من (جماعات الضغط) :

(الاولى): الذين يريدون انقاذ الامة من الانحراف الفكري، الذي سببه الجهل ، أو التجهيل من أصحاب المصالح المنحرفة ، وهؤلاء يضغطون على الاتجاه العام المنحرف حتى يستقيم ، كي لا يخدع بسبب الخادعين ، فيسير في ضد مصلحة نفسه ، ومثل هذه الجماعات الضاغطة ، تتشكل من المصلحين والمفكرين ، وأصحاب العقول الحرة والاقلام النزيهة .

(الثانية): الذين يديرون استغلال الناس، لاجل أهدافهم وأغراضهم، فانهم يحاولون أحد أمرين :

(١) أما تحريف الاتجاه العام ، أو الخاص الى جانبهم .

(٢) أو فرض آرائهم على الناس .

وسائل الضغط

وضغط كلتا الطائفتين [الاولى والثانية] يكون بأسباب ، هي :

أ ـ الوسائل الدعائية، حيث تحاول الجماعة الضاغطة السيطرة على وسائل الاعلام من الكتب ، والاذاعة والتلفزيون والصحف والسينمات والمسارح ، وما أشبه ذلك .

ب ـ الوسائل الاقتصادية ، مثل الرشوة والهدية والضيافة ، وما أشبه ، حيث انها تؤثر في الفرد أو الجماعة التي يراد توجيهها ، فاذا كان الهدف من ذلك شريفاً ، اي تخليص الناس من الانحراف، كان حسناً ـ كما قرر الاسلام سهماً للمؤلفة قلوبهم ـ والا كان باطلا وسيئاً .

ج ـ الوسائل الحقوقية ، فانه تسعى الجماعة الضاغطة ، لاجل سن قوانين،

بما يخدم اتجاهها ، ولذا يحاولون النفوذ في المجالس التشريعية ، والقضاة والمحامين ، وما الى ذلك .

د ـ الوسائل التخريبية، فان الجماعة الضاغطة تحاول تخريب وهدم المقاومة سواء بالتصفية الجسدية ، أو تلويث السمعة ، أو هدم مؤسسة ، أو جماعة ، أو جمعية، أو ما أشبه ذلك حتى يبقى الطريق منفتحاً أمام مأرب الجماعة الضاغطة وبذلك تتمكن من النفوذ والتغيير .

الاعلام الصحيح والاعلام المزيف

ثم ان الاعلام لو كان لاجل الهداية الى الحق والارشاد الى الصحيح، سمي [تبليغاً] وان كان لاجل التحريف والاضلال سمي [دعاية] وان كانت هذه اللفظة تطلق على الاول أيضاً .

وحيث صار العالم الحاضر منحرفاً عن طريق الله سبحانه ، وبذلك جعل المحور [الدنيا] لا الدنيا والاخرة ـ كما جعله الاسلام ـ راجت أسواق الدعاية بالباطل ، وخرج الانسان عن محورية الكون، الى كون المادة محوراً ، ولذا نجد مآسي الانسان في هذا العصر أكثر من مآسيه في كل عصر مضى .

وقد اتخذ أصحاب الباطل الدعاية سبباً لرواج بضاعتهم، اخذاً من [الالحاد الشيوعي في الشرق] الى [التثليث الرأسمالي في الغرب] الى ما يدور في فلكهما [كالصهيونية ، والقومية ، والبعثية ، والوطنية ، والطائفية الضالة] في العالم الاسلامي .

والدعاية السيئة تلبس الحق بالباطل، وتزيف الحقائق ، وتستفيد من جهل الناس ، فتحملهم الاباطيل في صورة حقائق ، سواء في العقيدة، أو في العمل، أو في البضاعة ، أو في غيرها ، وأخشى ما يخشى منه الدعائي هو النور ،

حيث يظهر الزيف عن الواقع .

وهذا الاسلوب وان كان قديماً ، حتى ان فرعون كان يقول عن موسى عليه السلام « اني أخاف ان يبدل دينكم * أو ان يظهر في الارض الفساد » و« يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره» الا ان كثرة الادلة وتقدم الوسائل والاسباب ، سببت تقوية ذلك في العصر الحاضر .

ولذا كان اللازم على أصحاب الحق والفضيلة ، ان يفتحوا الطريق أمام البحوث الحرة، ويهتموا بمختلف الوسائل لفضح الباطل اللابس ثوب الحق، ويكشفوا عن مواضع الاعلام الباطل، ومكامن الدعاية الزائفة ، وبذلك يكون انقاذ الضحايا . وسيأتي بعض الكلام في ذلك .

طرق التزييف الاعلامى

وللدعاية المزيفة طرق كثيرة ، وقد كتبت في هذا الشأن كتب سخرت لها أقلام اجتماعية ونفسية وتربوية ، وهنا نذكر جملة من الاساليب التي يتبعها أصحاب الدعايات الباطلة ، وهي :

(١) استغلال مواضع الضعف عند الانسان ، مثل حالة المرض، والفقر ، والفوضى ، وما أشبه، حيث ان الانسان في هذه الاحوال هش النفس، سريع القبول ، ولذا يشكلون من أمثال هؤلاء طابوراً خامساً لنيل أهدافهم، ومن هذا القبيل فتح الجماعات المنحرفة مدارس للعميان ، وللصم البكم ، وما أشبه ، وتربيتهم تربية منحرفة ، ليكونوا آلة هدم في المستقبل .

(٢) استغلال ضعاف الشخصية لاجل قبول الدعاية، ثم النفوذ في المجتمع من طريقهم كبعض النساء والاطفال والمعوقين .

(٣) تسخير الالسنة المقبولة مثل ارشاء خطيب ، أو مدرس، أو مذيع أو

ما أشبه ، لينشر في المجتمع ما يريدونه .

(٤) التأثير في الاجتماع بسبب أقلام الادباء وقريحة الشعراء ، اذ الادب والشعر أنفذ الى الاجتماع من غيرهما .

(٥) التوسل بمختلف الاغراءات، أمثال صور النساء شبه العارية وغيرها، وقد هيّء المحاربون الصليبيون صورة للمسيح عليه السلام في هندام شاب حسن الصورة ، وصورة لنبي الاسلام ﷺ في هندام بدوي خشن، وقد ضرب الثاني رأس الاول بالسيف حتى جرت دمائه ، فأخذوا يطوفون بهذا في البلاد المسيحية ، وجمعوا بذلك أكبر قدر من المال والرجال ، وفي المثل : صورة واحدة انفذ من ألف كتاب .

(٦) تحرى الجماعات لاجل نشر دعايتهم ، مثل جمعية خيرية ، أو جمعية الرفق بالحيوان، خصوصاً اذا كانت الجمعية ذات عنوان براق وسوابق مشرقة.

(٧) اللّي في اللسان، كما قال سبحانه : «يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب» .

مثلا : يخترع من نفسه كلاماً ، يشبه القرآن الحكيم في الاسلوب ، أو الاحاديث الشريفة ، ليظن الجاهل انه قرآن أو سنة ، فيقبل كلامه فيقول : كما ورد: (حشر مع الناس عيد) أو يقول: (لايوضع أحد في قبر آخر) يريد بذلك الانسياق وراء الجهال وعدم التعرض لعمل الاخرين السيء .

(٨) يكرر كلامه ، حتى يؤثر في السامع ، فان التلقين والايماء بالتكرار، لهما أثرهما الكثير قال الشاعر :

اما ترى الحبل بتكراره ... في الصخرة الصماء قد أثرا

وقال أحد زعماء الالحاد : (اكذب ثم اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس) .

(٩) تحرى الحق النصفي ، اي ذكر بعض الحق ، والسكوت عن بعضه الاخر ، مما يوجب بتر الكلام ، وتحريف الحق ، مثلا : يحفظ في الشريط (لا اله) ويسقط فيه (الا الله) فيظن السامع ان المتكلم كافر .

(١٠) تأويل الحق باطلا ، أو الباطل حقاً ، كما قال سبحانه : « يحرفون الكلم عن مواضعه » . مثلا : أول بعضهم (انا مدينة العلم وعلي بابها) الى ان المراد من (علي) عال: أي رفيع ، أو أول(لااشبع الله بطنه) أي حتى لايأكل الى حد الشبع .

(١١) ارائة ما يريده في ثوب قشيب ، بينما ليس الامر بذلك الجمال، مثل تدليس القبيحة بالمساحيق ، لتظهر في مظهر الجميلة .

(١٢) الاستناد الى أقوال العظماء ، ليوهم ان ما يقوله مأخوذ عنهم.

(١٣) استعمال الاساليب المنفره عن الشيء الصحيح، مثل الاستهزاء بكلام صحيح، وبالعكس كالاستماع بكل جد الى كلام باطل ، ليوهم الاخر ان الاول باطل ، والثاني صحيح .

(١٤) خلط الباطل بالصحيح ، حتى ينخدع السامع والقارى والناظر بالصحيح الموجود في البين ، فيظن ان كل ما يرى ويسمع صحيح .. الى غير ذلك من الاساليب .

كيفية مجابهة قوى الضغط المنحرفة

واللازم ان يعمل أمام الجماعات الضاغطة المنحرفة ، امور :

أ ـ كشف تلك الجماعات للملأ ، حتى يفضحوا أمام الناس فلا يجدوا مجالا للتستر والافساد باسم الاصلاح ، قال سبحانه : « واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض * قالوا انما نحن مصلحون * الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون»

ويلزم ان تتم عملية الكشف كماً وكيفاً في اطار الاسلام والانسانية لاغير .

ب ـ تثقيف الناس بالثقافة الصحيحة حتى يعرفوا الزيف من الحق ، فان الجماعات الضاغطة انما يتسترون وراء الحق ليروجوا بضاعتهم الزائفة ، فاذا انكشف الحقائق للناس ، لم يبق مجال للظلام الذي يتلفع به الضاغطون.

ج ـ ايجاد حس الفحص والنقد في الناس ، لئلا يقبلوا الشيء بدون التدقيق حوله ، وقد بنى الاسلام على العقل والبحث ، وعدم الانسياق وراء التقليد ، والعاطفة ، بل وحتى الظن .

قال سبحانه : « ان الظن لايغني من الحق شيئاً » .

وقال : « ولا تقف ما ليس لك به علم * ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا » الى غير ذلك ...

وحتى ان المشهور لزوم الدليل في اصول الدين ، فلا يصح للمسلم ان يقبل ان الله واحد ، أو عادل ، أو ان محمداً ﷺ نبي الا بالدليل، ولذلك دون علم الكلام .

فاذا قيل ان فلاناً رئيس مدى العمر، أو انه أفضل من غيره، أوان الاقتصاد الاسلامي كذا ، أو ان اللازم للدولة جعل الدستور ، أو . . . ! ! يلزم ان يسأل الانسان لماذا ؟

ولاينفع ان تقول : للمتنسم اريكة الحكم لماذا تفعل كذا ؟ والحال ان الشعب غير مثقف ، فان الشعب غير المثقف هم الذين يمكنون له ، بل اللازم ان يتثقف الشعب ، حتى لايتمكن المتنسم ان يعمل حسب هواه . . ولذا قال علي عليه السلام : (لاتكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً) .

فلم يخاطب القمة ، وانما خاطب القاعدة ، اذ القمة حصلت على امتيازات فلايهمها بعد ذلك أي شيء .

وبهـذه المناسبة لابأس ان نقول : ان المشكلة في البلاد الاسلامية ذات الالف مليون مسلم ، ليس فى حكامها ـ وان كانوا هم الديكتاتوريين العملاء ـ وانما المشكلة في الامة الاسلامية نفسها ، فهي انها ربيت على بعض الاسلام ، وهي الصلاة و الصيام ، والمسجد والحسينية ، والاحتفالات والمأتم ، وما الى ذلك،وتركت بعض الاسلام الاخر، وهو(١)الثقافة الحية(الاجتماعية) وغيرها .

قال عليه السلام : (العالم بزمانه لاتهجم عليه اللوابس) .

وفي حديث آخر : (عالماً بأهل زمانه) .

وفى وصف علي عليه السلام : (كان والله بعيد المدى شديد القوى) .

(٢) والسياسة ، فلايعرفون منها ما ينجيهم ومايضع الحكام وأسياد الحكام عند حدهم ، فكل بلاد الاسلام بين حكم وراثي ، أوحكم عسكري ، ولاثالث أما الامة فهي بمعزل عن الحكام ، لاتملك من أمرهم شيئاً .

(٣) والاقتصاد ، الذي هوعصب الحياة ، ولذا كان اقتصاد كل بلد بلد ، أما رأسمالياً ، أو شيوعياً ، أومزيجاً منهما ، والغرب والشرق ينهب خيراتهم نهباً لامثيل له في سابق التاريخ ، واذا علمنا (ان الفقرسواد الوجه في الدارين) عرفنا لماذا المسلمون لاكيان لهم في العالم الحاضر ؟ ! .

(٤) وفهم خطط المستعمرين ، وكيفية تغلغلهم في البلاد ، وكيف يمكن التخلص منهم واقعاً، لاصورة . . ومادام هذا الجزء من الاسلام مشلولا ، عاش المسلمون في ضياع .

د ـ الجماعات المضادة للجماعات الضاغطة، حتى يتحرى هؤلاء مواضع حركة أولئك ويبطلوا كيدهم ، ويردوا مكرهم الى نحورهم ، وفي المثل : (لايفل الحديد الاالحديد) .

وتدخل[الجماعات المضادة للجماعات الضاغطة] في ميزان الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر، فانهما وان كانا واجبين على كل مسلم ومسلمة ـ كما يدخل البنود (أ ـ ب ـ ج) أيضاً في موازين اسلامية اخر ـ الا ان عدم تأتي الامر والنهي كاملا ، أمام الجماعات الضاغطة الابهذه الصورة يجعل الوجوب لها آكد .

وقدحرض الاسلام على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بابلغ تحريض .

قال الله تعالى : «ولتكن منكم امة يدعون الى الخير* ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر * وأولئك هم المفلحون» .

وقال علي عليه السلام : (أيها المؤمنون انه من رأى عدواناً يعمل به ، ومنكراً يدعى اليه، فانكره بقلبه فقدسلم وبريء ، ومن انكره بلسانه فقد اجر ، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الظالمين هي السفلى ، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ، وقام على الطريق ، ونور في قلبه) .

وفي كلام آخر له عليه السلام قال : (فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه ، فذلك المستكمل لخصال الخير ، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير، ومضيّع خصلة ،ومنهم المنكر بقلبه ، التارك بيده ولسانه ، فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة، ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده ، فذلك ميت الاحياء ، وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا كنفثة في بحر لجّي ، وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، لايقربان من أجل ، ولاينقصان من رزق ، وأفضل من ذلك كله كلمة عدل عند أمام جائر) .

وقال عليه السلام : (أول ماتغلبون عليه من الجهاد ، الجهاد بأيديكم ، ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم ، فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً ، قلب فجعل أعلاه أسفله ، وأسفله أعلاه) الى غيرها من الايات والروايات الكثيرة جداً .

الادوار الاجتماعية

(مسألة ـ ١٩ ـ) :

(١) الاجتماع يتجزء الى رتب اجتماعية ، كل فرد في درجة خاصة منها.

(٢) والانسان في درجته الاجتماعية ، له مكانة خاصة به ، وتسمى بالمكانة الاجتماعية ، والفرق بينهما بالعموم المطلق فكل مكانة اجتماعية لابد وان تكون تحت درجة اجتماعية خاصة وليس ، كل درجة تلازم المكانة .

(٣) ثم الفرد يقوم بدور اجتماعي ، حسب مكانته ـ غالباً ـ وذلك الدور ينقسم الى : أ ـ دور محوّل اليه . ب ـ ودور هو يقوم به خارج ما حول اليه .

(٤) ثم للانسان تحرك اجتماعي في رتبته ومكانته : أ ـ احياناً افقياً . ب ـ واحياناً عمودياً .

(٥) وأخيراً يأتي دور تأثير الامور السابقة في حياة الانسان الفردية ، والاجتماعية : أ ـ الاجتماع الخاص به ، كما اذا كان عضواً في جماعة . ب ـ والاجتماع العام ، أي المجتمع ، وقبل ذكر تفاصيل هذه الامور نذكر قطعه من كلام الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، حول الرتب الاجتماعية :

قال عليه السلام : (وأعلم ان الرعية طبقات ، لايصلح بعضها الا ببعض ، ولاغنى ببعضها عن بعض ، فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة

ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة .

وكل قد سمى الله له سهمه ، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه ﷺ عهداً منه عندنا محفوظاً) .

أقول: لعل المراد بالسهم نصيبه وحقه، وبالفريضة واجبه الذي يجب عليه ان يأتي به ، فان الحق في قبال الواجب .

أما تفاصيل البنود والتي ذكرناها في البدء فهي كالتالي:

مقياس الرتب الاجتماعية

(الاول) الرتبة الاجتماعية ، عبارة عن مثل رتبة العلماء ،ورتبة المعلمين، ورتبة الخطباء،ورتبة التجار ، ورتبة الجنود، ورتبة العمال ، ورتبة الفلاحين ، وما أشبه ذلك فكل جماعة لهم تمايز عن جماعة اخرى ، تسمى رتبة ، وهناك أقوال اخر لعلماء الاجتماع في وجه تمايز رتبة من رتبة :

أ ـ فالشيوعيون ذهبوا الى ان تمايز معيار الرتب مالكية وسائل الانتاج والقدرة الناشئة من ذلك ، وعليه فالاجتماع رتبتان أساسيتان الملاك وغيرهم والاولون ينقسمون الى كبار الملاك وصغارهم .

وفيه : انهم ان أرادوا صرف الاصطلاح فلا مشاحة فيه ، فهو مثل ان نقسم الناس الى رتبة الرجال ، ورتبة النساء ، ورتبة الخناثى ، وان أرادوا الواقع فقد ثبت في العلم بطلان النظرية القائلة بأن الاقتصاد هو البناء التحتي للمجتمع.. ثم على فرض تسليم انه البناء التحتي ، فاي ربط بين ذلك وبين انقسام رتب الاجتماع بالنسبة الى ذلك .

ب ـ وذهب آخرون الى ان التمايز ينشأ من تصور كل جماعة لانفسهم

ميزة خاصة ، مثل ان من تصور انه من الاشراف حشر معهم ، ومن تصورنفسه من العلماء حشر معهم، وهكذا، وان لم يكن في الواقع من أولئك .

وفيه: ان الامرواقعي لاتصوري، فحشر غير العالم نفسه مع العالملايجعله من رتبة العلماء،كما ان حشر العالم نفسه مع الجنود ـ مثلاـ لايجعله من رتبة الجنود .

ج ـ وذهب ثالث الى ان المعيار في الرتبة الشغل ، وفيه : انه في الجملة وان كان صحيحاً ، الا ان الشغل يعطي التصنيف لاالرتب ، فالتجار رتبة واحدة وان كان شغل جماعة منهم التجارة في الاراضي ، وآخرين التجارة في الاسهم والسندات، وثالث التجارة في مواد الانشاء ، وهكذا بالنسبة الى أصناف سائر الرتب .

د ـ ومن ذلك ظهر بطلان قول القائل ان منشأ الرتب، مقدار الدخل ومصدره أو محل السكونة ونحو ذلك ، فانه وان كان صحيحاً ان جماعة يسكنون محلا خاصاً ، ينضم بعضهم الى بعض في كثير من الشئون ،كما انه وان كان صحيحاً ان المتساوين في الدخل لهم أحكام جامعه ، مثل كون عيشهم شبه متساو، ونحو ذلـك .

الا ان أمثال هذه الامور لاتوجب تسمية الافراد الذين هم تحت أمثال هذه الكليات رتبة ، الا اذا اريد الاصطلاح المجرد ، فان الرتبة الاجتماعية حقيقة اجتماعية ، وهي كما ذكرناه في أول البحث ، ولذا لايقال : الرتبة الساكنة في محلة كذا ، ولا الرتبة الذين يملك كل أحد منهم مأة ألف ، الى غير ذلك .

مظاهر اختلاف الرتب

ثم ان اختلاف الرتب الاجتماعية يتجلى في أمرين :

(١) الثقافة ، فانه وان كان لكل اجتماع لون خاص من الثقافة، يميز ذلك الاجتماع عن الاجتماعات الاخر ، مثلا : لون الثقافة الاسلامية غير لون الثقافة المسيحية، وكلاهما يمتازان عن الثقافة اليهودية، الا ان في المجتمع الاسلامي [ثقافة رتبة المعلم تختلف عن ثقافة رتبة العالم الديني] و [كلاهما يختلفان في الثقافة عن ثقافة التاجر] وهكذا .

ومصدر هذه الثقافة الخاصة، ان كل رتبة بحكم مصدرها وموردها، تمتص عن الاجتماع لوناً خاصاً من الثقافة يلائم مسيرها ومصيرها .

وان شئت قلت : انما تأخذ من فنون الثقافة المبعثرة في الاجتماع مايلائم دورها في الاداء ، فالجنود يأخذون من الثقافة ما يساعدهم في حفظ المدن ، والغلبة على الاعداء عند الحرب ، بينما التجار يأخذون من الثقافة ما يساعدهم على جلب البضائع وانتاجها وحفظها وتسويقها وتوزيعها ، الى غير ذلك من ثقافات الرتب المختلفة .

مناقشة في نظرية « المساواة »

(٢) وتبعاً لهذه الثقافة ، والمسير والمصير الخاص ، فان كل فرد رتبة يأوي الى أفراد رتبته في لون الحياة، من لباس خاص ، كألبسة العلماء، والجنود وغيرهم ، وكيفية خاصة في المأكل والمشرب ، ولحن خاص في الكلام ، وكيفية خاصة في المسكن ، وغير ذلك ، ولا يراد بهذا الامتياز الكامل ، بل الخصوصيات المتفرقة والمزايا المبعثرة .

وقد يزعم ذلك بعض الناس، ان اللازم [التسوية الاجتماعية] في كل شيء، وقد عمل [بهلوى واتاتورك ، وياسين ، وماو] وأضرابهم على توحيد الملابس، بل والمأكل وما أشبه ـ وجاء آخر فزعم ان المجتمع الاسلامي [مجتمع غير

متفاوت] ونسبوه الى انه مقتضى[التوحيد] فمادام الرب واحداً، والناس سواسية كاسنان المشط ، كان اللازم ذلك .

و فيـه (أولا) : الحياة خلقت ملونه بملايين الالوان ، فلماذا يشذ الانسان عن ذلك ؟

و(ثانياً) : الانسان خلق مختلف الاجسام والصفات ، فمن الافضل ان يعمل كل حسب ما يشتهي في [اطار الاسلام] عند المسلم ، وفي [اطار الانسان] عند غير المسلم .

فكما ان من يرى لزوم تساوي الذكي والغبي، أو تساوي كل مافي الكون بأن يكون كل الاشياء ماءاً، أو فاكهة رمان ، أوجميلا ، أو تساوي أفراد الانسان في الذكورة والانوثة ، أو . . . لايدعم زعمه دليـل ، بل الدليل على خلافه [أولا] لماذا التساوي ؟ و [ثانياً] أليس المتفاوت أجمـل ؟ وفي نفس الوقت اعطاء لكل مهية متطلبة طلبها .

كذلك من يرى تساوي الملابس، أو سائر شؤن الحياة ، وحتى التساوي في المال خلاف العدل ، وقد ذكرنا في [الفقه ـ الاقتصاد] ان المال بأزاء : (١) العمـل الجسدي . (٢) والفكري . (٣) والمواد الاوليـة . (٤) وشرائط الزمان والمكان . (٥) والعلائق الاجتماعية .

ولايخفى انه ليس معنى ذلـك الابتعاد في الـرتب بعضهم عن بعض ، بل معناه :

أ ـ حرية كل انسان ان يعمل مايشاء ، في اطار الاسلام ـ و عند غير المسلم في اطار الانسان ـ.

ب ـ ان من الطبيعي ان كل رتبة بحكم عملها وثقافتها الخاصة بطبقتها لها، مزايا ، فلاداعي الى تحطيم تلك المزايا ، بل ربما أوجب التحطيم خللا .

مثلا : شرطة المرور لابدلهم من شارة خاصة ، والالم يقعوا في موضع انقياد الجماهير لهم مما يسبب عطباً في السير .. والرياضي لابد له وان يلبس ملابس خاصة تمكنه من أعمال الرياضية ، كما ان مأكل الزراع والعمال بحاجة الى خشونة أكثر من مأكل من لايحرك عضلاته، كالطبيب والمهندس، الى غير ذلك من الامثلة .

ج ـ أما ما عدا ذلك ، كان تسكن كل رتبة محلا خاصاً بها ، أولايزاوج بعضهم بعضاً ، أويكون امتياز في المدرسة، والفندق ، والمطعم؛ والسيارة، و ما أشبه، فذلك غير صحيح .

وعليه، فاللازم ان توطّر الحياة في[اطار الحرية والكفائة] وهذا هوالذي قرره الاسلام تبعاً لفطرة الانسان ـ فان التشريع صدر ، من الذي صنع الكون.

قال سبحانه : «يضع عنهم اصرهم*والاغلال التي كانت عليهم».

وقال تعالى : «ان أكرمكم عندالله اتقاكم» ومن المعلوم ان التقوى عبارة اخرى عن [الكفائة] .

مزايا الرتبة الاجتماعية

ثم ان الرتبة لها مزايا هي : أ ـ السعة . ب ـ الدوام . ج ـ التعارض.

أ ـ أما السعة فهي عبارة عن ان الرتبة لاتحد بالحدود القومية ، واللغوية والجغرافية ، والمذهبية ـ الا في اطر اخرى ، اي ان علماء أي مذهب يختلفون في اللون المذهبي عن علماء المذهب الاخر، وكذلك حال الجنود وغيرهم، وكذلك بالنسبة الى الجغرافيات والقوميات المختلفة، والى آخره ـ فالعلماء مثلا، أوالجنود، أوالزراع، متساوو المزايا ، وان اختلفت قومياتهم ولغاتهم ومناطقهم ومذاهبهم

ب ـ وأما الدوام ، فلان الرتبة انما تتولد تحت موازين خاصة، نفسية واجتماعية ونحوهما، وحيث ان تلك الموازين ليست سريعة النمو ، كما ليست سريعة الزوال ، فالرتبة تبقى مستمرة، نعم احياناً تتطور حسب تطور الالة مثلا : رتبة [المكارين] تطورت الى رتبة السواق والطيارين ، بينما رتبة الملاحين بقيت على حالتها السابقة ، و ان تطورت السفن من الشراعية الى البخارية .

وكذلك رتبة العمال تطورت من العمل اليدوي الى العمل في المعامل، أما أصل الرتبة فقد بقيت ... وفي الاتحاد السوفياتي ـ مثلا ـ تطورت رتبة علماء الدين والدنيا ، الى رتبة علماء الدنيا، فان أفراد الحزب هم المبشرون بمبادي ماركس الدنيوية ، بينما علماء المسلمين ـ مثلا في الجمهوريات الست المحتلة ـ كانوا علماء دين ودنيا، والى غير ذلك .

ج ـ وأما التعارض فلان الرتبة حيث تحتوى على أفراد تتزاحم مصالحهم لابد وان يقع بينهم التعارض، اذ النفسيات مختلفة ، والمصالح قليلة، لاتكفى الكل ، ولذا يريد كل دفع الاضرار عن نفسه ، واكتساب أكبر قدر من المزايا وهذه الحالة النابعة من [ذات الانسان، وقلة المصالح] وان كانت تأخذ في كثير من الاحيان صورة حادة ، الاان الاسلام خففها .

أولا ـ بتنظيف الضمائر .

وثانياً ـ بجعل التنافر ايجابياً ، بدل ان يكون في السلب .

ولايخفى ان حالة التعارض ، وان كانت بين أفراد الرتبة أجلى لاحتكاك المصالح فيها أكثر من الافراد المبعثرين الذين لامصالح مشتركة لهم ، الاان تلك الحالة توجد أيضاً بين الرتب المختلفة اذا احتكت مصالحهم .

ثم انه كلما كانت الرتبة أقرب الى الايمان [أوالى التعقل] كان التعارض فيها أقل ، الى ان يصل الى شيء لايكاد يذكر .

المكانة الاجتماعية

(الثاني) المكانة الاجتماعية ، فـان الانسان في رتبته الاجتماعية لـه مكانة خاصة ، اذلايتساوى أفراد الرتبة الواحدة ، مثلا: في رتبة رجال العلم ، قديكون الانسان، ذا مكانة اجتماعية لكونه خطيباً، أومدرساً، أومرجعاً، أومبتدءاً ، وهذه المكانةانما هي بالنسبة الى سائر أفراد الرتبة، وان كانت النسبة، مع سائر الرتب انه رجل دين، في قبال انه تاجر أوجندي .

وذلك لان أفراد الرتبة ذو درجات ، فان القيمة انما تظهر بالمقارنة ، وان كان الاطار العام شاملا للكل ، مثلا : كون هذا تاجراً من الدرجة الاولى أو الثانية، أو الثالثة، انمايعرف بالمقايسة الى التجارة أما بالمقايسة الى المعلمين أو الفلاحين ، فلادرجة ، وانما يلاحظ الاطار العام في قبال الاطار العام .

القيمة الاجتماعية

ومن المكانة الاجتماعية تظهر القيمة الاجتماعية ، وكما ان في المـواد تكون القيمة حسب الامور الخمسة [العمل الفكري ، والجسـدي و . . .] كذلك القيمة الاجتماعية تكون حسب الفائدة ، سواء كانت الفائدة مـادية كالانتاج المادي ، أو معنوية ، كما اذا كان الشخص ينتج انتاجاً معنوياً ، مثل مدرس الاخلاق ، ومعلم الفضيلة .

وحيث ان القيمة كانت بذلك جرت القيمة بين الرتب ، وبين أفراد رتبة ورتبة ، مثلا : القيمة الاجتماعية للفلاحين أكثر من القيمة الاجتماعية للفحامين وبهذه المناسبة القيمة الاجتماعية لفلاح أكثر من القيمة الاجتماعية لفحام .

ثم انه من الممكـن ان يكون شخص داخـلا في رتبتين اجتماعيتين ،

أو أكثر ، كأن يكون مهندساً وطبيباً ، وحينئذ يمكن ان تكون مكانته الاجتماعية في احداهما أرفع من مكانته الاجتماعية في الاخرى ، مثلا : كان في الرعيل الاول من الاطباء ، بينما كانت مكانته الاجتماعية الهندسية في آخر سلم المهندسين.

ثم ان المكانة الاجتماعية تصاحب دائماً :

(١) الوجاهة الاجتماعية .

(٢) والنفوذ الاجتماعي .

فالوجاهة انما تحصل من الاحترام الذي يتلقاه الفرد من المجتمع ، بسبب ما يحيط بمكانته من الملابسات التي توجب الاحترام ، أولا توجبه ، اذ ربما يكون لانسان مكانة رفيعة ، لكن حيث لايحفظ بنفسه شروط تلك المكانة ، لاتكون له تلك الوجاهة اللائقة بتلك المكانة ، وربما كان بالعكس بأن تكون الوجاهة أكثر من المكانة .

وهذان اللفظان يطلقان باعتبارين ، كالشجرة لها [جذور] ولها [غصون] فالمكانة بمنزلة الاولى ، والوجاهة بمنزلة الثانية . .

أما النفوذ الاجتماعي ، فهو قدر امتداد قدرة الانسان في المجتمع ، ويأتي دور النفوذ الاجتماعي ، بعد دور الوجاهة ، والتي هي تأتي بعد دور المكانة ، والنفوذ يحتاج الى شرائط ، فقد تكون الوجاهة بحيث تقتضي النفوذ الكذائي لكن صاحبها حيث لايقوم بشروط النفوذ ، ليس له ذلك النفوذ المطلوب ، وقد يكون الامر بالعكس .

المكانة الطبيعية والمكانة المكتسبة

ثم ان المكانة الاجتماعية ، والتي تجعل الانسان ـ من قبل الاجتماع ـ في مكانة خاصة ، قد يقتنع بها الانسان ، فلا يبرحها ، وانما يلازم تلك المكانة

بدون زيادة أونقيصة، وقد يتعداهاالانسان الىمكانة اخرى بالاضافة الىالاولى، كما اذا كان خطيب ، يستعـد لقضاء حوائج الناس ، أو طبيب يساعد الفقراء ويفحصهم مجاناً، فانهما قد يرفعان مكانة الخطيب والطبيب، الى مكانة اخرى.

وعلماء الاجتماع يسمون الاولى [بالمكانة الطبيعية] والثانية [بالمكانـة المكتسبة] .

ثم ان المكانة الاجتماعية لفرد في رتبة ليست شيئاً ثابتاً في كل الامم، فقد تكونالمكانة في امة دون امة ، مثلا: للسحرة مكانة في الجهال ليست لهم مثلها فيالمثقفين ، نعم أصل القيم شيء حقيقي، كالحسن والقبحالعقليين، فليستا من الامور الاعتباريـة ، تختلف باختلاف الاعتبار ، وهي تتكـون باعتبار الفائدة الحقيقية ، لاباعتبار الوهم والزيف .

الدور الاجتماعى

(الثالث) والدور الاجتماعي ، هو ما يقوم به الفرد في مجتمعه الكبير،أو في جماعته التي هوعضو فيها، والغالب ان يقوم الفرد بجملة أدوار، سواءكان عضواً في جماعة ، أو في جماعات ، أو ليس عضواً في جماعة ، وانما يكون فرداً من الاجتماع .

وذلك لان الانسان مربوط بعدة اشكال اجتماعية ، يقوم في كل شكل منهـا بدور، فالانسان مربوط ببلد ، وبمنطقة ، وبحزب ، وبعائلة ، وبصنف،وهكذا، وكل واحد من تلك يتطلب منه القيام بدور ، وربما صار وكيلا أو وصياًعن آخر فيقوم بدوره أيضاً، وهذه الادوار، ان جمعت جميعاً ، سميت [بالدور].

وحيث ان الانسانغالباً تقدمي ، ويريد مزيد المنفعة المادية ، أوالمعنوية، لايقتنع بالقيام بالدور المحول اليه ، بل يقوم بما يزيد على واجبه ، ولذا كان

للانسان : (١) دور محول اليه. (٢) ودور اكتسبه بنفسه .

ثم ان المجتمعات البدائيـة ، تكون الادوار فيها قليلة ، بينما كلمـا تقدم المجتمع تعقد وكانت الادوار فيه كثيرة، وكلما كثرت أدوار المجتمع،يكون للفرد أدوار متعددة ، فالمجتمع الذي لاجمعيات فيه ، أولا احزاب ، لايكون للفرد مثل هذين الدور ، وكلمـا كثرت الجمعيات ، أمكن كثرة أدوار الفرد ، مثلا : يكون عضواً في جمعية خيريـة ، وفي جمعية الاطباء ـ اذا كان طبيباً ـ وفي الجمعية الثقافية المرتبطة بالحزب الفلاني ، وفي جمعية تجارية، وهكذا.

وربما تعارض دورا الانسان،فيقدم أهمهما ،كما اذا كثرت اشغاله الحزبية قل دوره في ادارة عائلته ، وكذلك اذا كانت هوايته ادارة جمعية خيرية يقلل من دوره في الجمعية الثقافية التي هو عضو فيها .

انتخاب الدور الافضل

ثم ان الدور الافضل الذي يمكن ان يقوم به الانسان، وعرفانه اي الادوار الموكولة اليه، اجتماعياً أو امكانياً، أفضل من غيره، بحاجة الى حسن الانتخاب وحسن الانتخاب ليس بالشيء الهيّن، فانه بعد الاحتياج الى الكفاءات الذاتية والكفاءات المنمية ، يحتاج الى دقة تامل ، وكثرة تفكر ، ليميز الارجح من غيره .

كما ان انماء الكفاءات بيد الانسان غالباً ، اذا لم تكن الامكانات الطبيعية أو الاجتماعية عائقـة دون الانماء ، مثلا : الفرد الهندي له ربع امكانيـة الفرد الامريكي في تحصيل العلم والمعرفة ، فمن كل أربعة أولاد يوجد ولد واحد له امكانية التحصيل في الهند ، بينما كل الاربعة لهم امكانية التعليم في امريكا .

فاذا فرض وجود الكفائة الذاتية ـ كان لم يكن بليداً، ولا مريضاً ـ ووجود

الكفائة الاجتماعية ، يأتي دور حسن الانتخاب ، والغالب ان سوء الانتخاب هو الذي يؤخر المتأخر ، فنفران كلاهما طلبا العلم الديني يصل أحدهما الى المرجعية ، بينما الاخر يبقى في المراتب النازلة ، وهكذا كاسبان يصل احدهما الى الدرجات الرفيعة من التجارة حتى يكون في الرعيل الاول من التجار ، بينما يبقى الاخر بقالا في دكان صغير ، وهكذا سائر من له دور اجتماعي .

ملاك الادوار الاجتماعية

ثم ان الادوار الاجتماعية ، ليس ملاكها القابليات والكفاءات الفردية ، بل اللازم مدخلية الموازين الاجتماعية في قبول اعطاء الدور للذي يريد أن يقوم به، مثلا : في غالب المجتمعات لايعطي صلاحية الانتخابات لمن لم يكن بالغاً ـ والبلوغ يختلف ميزانه عند الاديان والامم ـ وتبعاً لمثل ذلك يختلف دور الشيبة عن دور الكهول ، ودورهم عن دور الشباب ، ودورهم عن دور الاطفال، كما يختلف دور الرجل عن دور المرأة ، ودور العالم عن دور الجاهل، ودور رؤساء القبائل ، أو الاحزاب عن دور سائر الافراد ، وهكذا .

وفي الحديث : (اعتمدا في دينكما على كل مسن في حبنا ، كثير القدم في أمرنا) .

وعدم اعطاء الاجتماع الدور الى قسم خاص من الناس، قد يكون لموازين عقلية، وقد يكون لموازين عرفية، مثلا: اعطاء دور الاصلاح الى الشيبة وذوي الخبرة والتجربة أمر عقلي، أما اعطاء الدور لمن له مال أكثر ـ لمجرد ذلك ـ كما في بعض المجتمعات انما يتبع العادة ، والا فالمال لاربط له بمثل ذلك الدور .

الجماعات والادوار

والجماعة ، حالها حال الفرد ، في انها قد تؤهل نفسها للقيام بدور كثير الاهمية ، وقد تبقى عادية ، بحيث لايراها الاجتماع مؤهلة للقيام بذلك الدور الذي ، ازمعت القيام به ، مثلا : الحزب الذي يريد الحكم فقديوجد فى نفسه مؤهلات الحكم ، ومثل هذا الحزب يصل الى الحكم ، أما اذا لم يوجد في نفسه تلك المؤهلات ، وصل الاخرون وبقى هو في ذيل القافلة .

فقديجد الانسان في بلد كذا حزباً كبيراً له سوابق مشرقة ، وأعضاء بارزين وثقافة عالية، ومع ذلك لايصل الى الحكم ، بل ولاأمل له بذلك ، بينما حزب آخر تمكن من الوصول ـ ولاأقصد وصول القفز بانقلاب عسكري ، فان ذلك الوصول أيضاً لمؤهلات الاجانب الذين كانوا وراء الانقلاب ، بالاضافة الى ان مثل ذلك الوصول لم يكن شرعياً ، وكلامنا نحن في الشرعية ـ .

واذ يحقق في شأن عدم وصول ذلك الحزب اللامع يرى ان عدم وصوله نابع من ذاته ، حيث ان مداراته الناس قليلة فلايستعد الناس لانتخابه سيداً عليهم ، فالاجتماع لايعطيه الدور الذي يطلبه ، لانه ليس بمؤهل فى نفسه لذلك الدور.. فان للاجتماع بالنسبة الى اعطاء الادوار الرفيعة شروطاً صعبة ، لايحظى بتلك الادوار الاولئك الذين يستعدون للعمل بتلك الشروط .

واذا فرض ان قفز انسان الى ذلك الدور بدون مؤهلاته، أنزله الاجتماع عنه بمختلف الوسائل والسبل ، ان قريباً أو بعيداً .

تحرك الانسان فى رتبته

(الرابع) تحرك الانسان في رتبته ، أوفي مجتمعه، عمودياً أوأفقياً ، فالاول

هو ان ينتقل من درجة أعلى الى درجة أسفل أو بالعكس كأن يكون مرئوساً فيصبح رئيساً ،أوينتقل من الرئاسة الى المرئوسية ، والثاني أن ينتقل من عمل في الحزب الى عمل آخر فيه مساو للاول ـ مثلا ـ أوان ينتقل من جمعية الى جمعية اخرى وهكذا ، وقد حرض الاسلام على تحرك الانسان الى أعلى دائماً ، فقال عليه السلام : (من تساوى يوماه فهو مغبون) .

ضرورة الرتب

ثم ان المجتمع مهما كان، لابد له من الرتب، وذلك لان الرتبة من مقتضيات

(١) الطبيعة ، حيث ان بعض الافراد أشجع من بعض ، وأكرم من بعض، وأزكى من بعض ، وهكذا مما يوجب تقدمهم على الرتبة التى ليست لها هذه المزايا النفسية والجسمية .

(٢) والزمان حيث ان كبر السن ، الذي يسببه مرور الزمان يعطي للكبار رتبة فى قبال الصغار ، والسبب لذلك ان الكبار أكثر تجربة ، وانهم هم الذين ربوا الصغار ولذا كان لهم احترام أكثر ، وهيبة وعزة في النفوس

(٣) بالاضافة الى انقسام المجتمع تلقائياً الى الرجال والنساء ، حيث ان النساء يصلحن لشيء لايصلح له الرجال ـ لمكان كثرة العاطفة والنعومة فيهن ـ والرجال يصلحون لشيء لاتصلح النساء له ، لمكان كثرة التعقل والخشونة فيهم .

(٤) ثم بحكم احتياج الاجتماع الى الادارة يجعل بعض أفراده رئيساً لمكان ادارته، واولئك الافراد يشكلون رتبة خاصة هي رتبة الحكام في قبال رتبة المحكومين .

وهذه الرتب موجودة في كل اجتماع سواء كان ابتدائياً ، أومتقدماً صناعة،

نعم الفارق ان الاجتماع الابتدائي ليس فيه بعض الرتب من باب السالبة بانتفاء الموضوع ، مثل المخترعين أو الاحزاب ، أو ما أشبه ذلك ، أما الزعم بأنه لاتفاوت في الرتب في الاجتماعات الابتدائية ، لان التفاوت يأتي من الملكية الفردية، ولاملكية فردية في تلك المجتمعات ، فالدليل على خلافه ، لافي الرتب فحسب ، بل في الملكية الفردية أيضاً ، وقد دلت التجارب التي اجريت على امم معاصرة تعيش عيشة البداوة ، فظهرت النتائج انهم توجد فيهم الملكية الفردية ، والرتب .

والمجتمع الماركسي الذى بنى دولته وامته على آراء ماركس ، ظهر له عدم استقامة تلك الاراء ، ولذا رجعت اليه كل الحقائق الانسانية ، كالرتب والملكية الفردية ، وعدم اشاعة النساء ، وغير ذلك ، وانما كل ما فعله ذلك المجتمع ان سلب الانسان دينه واخلاقه وحريته بالقوة ـ بقدر ما تمكن من سلبها ـ والا فنفس تلك المجتمعات أيضاً فيها كثرة كبيرة من المتدينين ، ولكن تعيش تلك الكثرة تحت الكبت والارهاب .

عوامل تكون الرتب

ثم ان الغالب في سببية تكوين الرتب هو :

(١) الثقافة : فالمثقفون يشكلون رتبة في قبال غيرهم ، والارفع ثقافة كالطبيب والمهندس والمرجع والخطيب البارع ونحوهم يشكلون رتبة في قبال الاقل ثقافة .

(٢) والملكية : تكون رتبة الملاك في قبال غيرهم ، والاكثر ملكاً يكون رتبة في قبال الاقل ملكاً ، ولايخفى ان الملك الحاصل من الاسباب الخمسة السابقة [العمل الجسدي، والفكري، والمواد ، والشرائط ، والعلائق] مشروع

وماعداه ليس بمشروع .

(٣) والحكام يشكلون رتبة في قبل سائر الناس ، ولا يخفى ان الحاكمية المشروعة في الاسلام هي التي يتوفر فيها شرطان :

أ ـ مواصفات الاسلام .

ب ـ انتخاب الناس [وهذا وان كان راجعاً الى بعض المواصفات أيضاً ، الا انه افرد بالذكر لاهميته] .

وهذه الثلاثة هي اصول أسباب تكون الرتب ، وان كانت هناك فروع اخر من نفس هذه الاصول أوغيرها .

التفاوت الصحيح والتفاوت الباطل

ثم ان الرتب اذا رجعت الى أسباب عقلائيه صحيحة كانت صحيحة، كالثقافة والملك عن استحقاق والحكم عن استحقاق ، أما اذا رجعت الى أسباب غير صحيحة كانت باطلة ، ويلزم ازالتها ، مثل الحكومة الديكتاتورية الموجودة في الشيوعية، حيث ان الحكام يصلون الى الحكم بالارهاب والكبت، ومثل المالكية الرأسمالية الغربية ، حيث ان المالكية لاتكون الا بأكل أتعاب النـاس ، واذا كانت الاختلافات فاسدة ،افسدت أيضاً ، كما افسدت الحكومة الشيوعية مسألة المال فأخذته من أيدي المستحقين الى يد الحكومة ، وكما افسدت الرأسمالية الغربية مسألة الحكم ، حيث تحكم رأس المال في الانتخابات ـ على ماذكرنا تفصيله في [فقه الاقتصاد] .

ولايخفى ، ان الانحراف ينتهى الى سقوط المنحرف ، ولذا يتنبأ الخبراء بسقوط الشرق الديكتاتور والغرب الرأسمالي ، كما سقطت قبل ذلك الرومان حيث قسمت الناس الى الاشراف والعوام والعبيد ، وسقطت حكومات القرون

الوسطى ، حيث قسمت الناس الى ملاك الارض ، والعبيد ، وسائر الناس ، وكذلك سقطت الدولة الفارسية لمثل ذلك .

ثم ان منشأ العبيد في الاسلام ، غير منشأه في تلك الدولة ، وقد ذكرنا في [الفقه الاقتصاد] تفصيل ذلك . . أماوجه سقوط المنحرفة ، فهو ان الانسان حيث خلق نقي الفطرة ، لابد وان يميز الانحراف عن الاستقامة ، مهما تزود الانحراف بالمال والقوة والدعاية، واذا ميز الناس ذلك اخذوا في هدم الانحراف الى اسقاطه . . وانما يطول أو يقصر زمان الانحراف تبعاً لعاملين :

(١) عامل قوة كيد المنحرف .

(٢) عامل ذكاء الذين يريدون اسقاطه ، وعلى اي فالباطل ساقط .

قال سبحانه : «لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل» .

وقال ﷺ : (تضايقي تنفرجي) وورد : (للحق دولة وللباطل جولة) الى غيرذلك من الايات، والروايات ، واقوال الحكماء ، بالاضافة الى التجارب ، ولذا فمن الاجدر بالانسان انيمشي في الطريق المستقيم ، وقدسأل الامام عليه السلام ما الحيلة ؟ فقال عليه السلام : في ترك الحيلة .

ثم ان أول مايوجب اسقاط المنحرف ، هـو وعي الناس ، ولذا يمارس المنحرفون سياسة التجهيل ؛ ويجعلون العقوبات الصارمة للوعاة والمرشدين ، فمثلا : حكومة البلاد الشيوعية تحضر العلم التوعوى ، كما تحضر الحريات التي تنتهي الى العلم ، فيزعم كثيرمن أهل تلك البلاد انه لاشيء وراء الشيوعية.

كما ان الرأسماليين في البلاد الغربية يوهمون الناس انهم في نعيم ، وانه ليس وراء ماهم فيه تقدم ورفاه وحرية ، فالطبقية المنحرفة اخذة بالاكظام في كلا النظامين وان كانت الكيفية فيهما مختلفة ولذا نرى ان أكثر الاولاد في كلا النظامين لايتمكنون من التخلي عن حرفة آبائهم ، حيث ليس المجتمع منفتحاً يتمكن كل

انسان فيه من تقرير مصيره بنفسه، كما نرى في كلا البلدين ان الزواج بين الرتب السفلى والعليا شبه معدوم ، وذلك لانحراف الثقافة ، حيث جعلت الحواجز النفسية ، ولامخلص للشعوب من هذين النظامين الابالوعي والحرية .

تأثير الرتبة في الانسان

(الخامس) دور تأثير الامور السابقة في حياة الانسان ، فان الرتبة على قسمين :

أ ـ الرتبة عن استحقاق النابعة عن المؤهلات الحقيقية كالعلم والمال المستحق والحاكمية الانتخابية وما أشبه، وهذه الرتبة لاتوجب فساداً وتخريباً، بل بالعكس عدمها يوجب حرمان ذي الحق عن حقه .

ب ـ الرتبة لاعن استحقاق ، كالموجودة في النظام الرأسمالي ، أو الشيوعي ، وهذه الرتبة توجب اسراف رتبة وحرمان رتبة .

وقد روي عن علي عليه السلام انه قال : (ما رأيت نعمة موفورة الا والى جانبها حق مضيع) .

وهذا التفاوت المنحرف يوجب حرمان الرتبة النازلة عن كثير من الامور الحيوية ، بينما لو كان الاختلاف مستقيماً ، كان أفراد البشر سواء امام كل مؤهلات الحياة .

الطبقية المنحرفة تؤثر في الحياة

(مسألة ـ ٢٠) الامور الحيوية التي يحتاج اليها كل انسان ، يلزم على الدول والافراد ـ على حد سواء ـ توفيرها حتى لاتبقى حاجة ومحتاج ، وقد ذم الاسلام الفقر، وأوصى بترفيع مستوى الفقراء حتى يصبحوا أغنياء ونظم برامجه ، حيث لايبقى فقر ولا فقير ـ كما فصلناه في كتاب [الفقه الاقتصاد] ـ .

قال علي عليه السلام : (الفقر يخرس الفطن عن حجته ، والمقل غريب في بلدته).

وقال عليه السلام : (الغنى في الغربة وطن ، والفقر في الوطن غربة) .

وقال عليه السلام : (الفقر الموت الاكبر) .

وقال عليه السلام : (ينام الرجل على الثكل ، ولا ينام على الحرب [سلب المال]) .

وقال عليه السلام : (ان الله فرض في أموال الاغنياء أقوات الفقراء ، فما جاع فقير الا بما متع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك) الى غيرها من الروايات.

أما في بلاد الطبقات المنحرفة [كروسيا وامريكا] فالدولة ورأس المال يتعاونان لجعل الامتيازات لطبقة الى حد الاتخام وحرمان طبقة الى حد الاحتياج الى أوليات الحياة .

الفقر . . والحياة

وبصورة عامة فالطبقية المنحرفة ، تعطي امكانيات كثيرة لطبقة ، مما تحرم طبقة اخرى عن مثلها ، وهي :

أ ـ امكان ان يحيى ، فان الفقير لايتمكن كثيراً ما من الزواج ، أما لاجل تكاليفه ، أو لاجل ادامة المعيشة العائلية ، مما يوجب حرمان الاولاد الممكن حياتهم لو تزوج، عن رؤية نور الحياة . . واذا تزوج منع عن الولد أما بالاجهاض ، أوبالحيلولة دون تولده خوفاً من الفقر ، مثل ماكان في الجاهلية.

قال سبحانه : « ولا تقتلوا أولادكم من املاق » . وفي آية اخرى : « خشية املاق » .

وقال تعالى : « واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت » .

بينما ليس كذلك غير مثل هذه الطبقة ، حيث ان المتمكن والمرفه ـ اي الطبقة الوسطى والعليا ـ لايشكون من مثل ذلك ..

أما قوله سبحانه : «نحن نرزقكم واياهم » . وقوله : « ان يكونوا فقراء يغنهم الله» فذلك بصدد الرزق في المنهاج المستقيم ،فانه لوكان المنهج مستقيماً لايبقى فقير .

أما اذا نهبت الدولة والرأسماليون الثروة ، فالفقير لايعاني من عدم ارزاق الله تعالى ، بل من نهب الظالمين حقه ، ولذا تقدم في كلام علي عليه السلام : (فما جاع فقير الا بما متع به غني) .

ب ـ امكان ادامة الحياة ، فان الطبقة الفقيرة :

(١) يموت أولادهم أكثر من غيرهم ، لعدم تمكنهم من الغذاء والدواء للاولاد ، وقددلت التجارب ان في بعض البلاد يبقى من أولاد الفقراء ما يقارب النصف فقط ، بينما بقاء أولاد غيرهم اكثر من تسعين في المائة .

(٢) يموت الفقير لعدم توفر وسائل الغذاء والدواء والراحة، بنسبة كبيرة بينما ليس كذلك موت غيره ، والاحصاءات في آسيا وافريقيا ، بالنسبة اليها في البلاد الاوربية واليابان وامريكا ، دلت على ذلك .

(٣)الفقراء تلتهمهم الحروب أكثر من الاغنياء بنسبة كبيرة ،لان الفقراء غالباً لايثقفون ، ولا نفوذ لهم حتى يمنع نفوذهم عن الذهاب الى الحرب ، ولا مال لهم لاعطاء البدل ـ مستقيماً فيما كان للجندية بـدل أو ملتوياً بالتخلص بالرشوة ونحوها ـ .

(٤) الموت الناشيء من جهة الاجرام، فان المجرم الفقير ينطبق عليه القانون فيقتل ، أو يسجن مما يوجب مرضه وموته ، أو يعذب ممـا يوجب موته ، أما غير الفقير فيخلص نفسه من الموت المذكور ، بسبب ماله ونفوذه .

الفقر . . والاخلاق الفاضلة

ج ـ امكان الاخلاق الفاضلة ، فان سوء الاخلاق ناشيء من المرض والفقر ـ في كثير من الاحيان ـ والمرض ناشيء من الفقر أيضـاً ، والغنى وان كان يبتلى بالكبر ونحوه ، الا ان توتـر الاعصاب وضيق الصدر ونحوهما يعطي الاخلاق السيئة غالباً ، ولذا نرى النزاعات وسوء الاخلاق في العوائل الفقيرة وانتهاء الامر الى الطلاق أكثر من غيرهم ، والامر بحاجة الى احصاءات دقيقة حتى تظهر النسبة الواقعية بين الفقراء وغيرهم من الطبقتين المرفهة والمتوسطة.

الفقر . . والصحة

د ـ امكان حفظ الصحة ، فان الفقير [حيث لايقدر على الدواء من ناحية ولا من حفظ صحته من جهة عدم الوسائل من ناحية اخرى ، وبالجملة لاعلى الوقـاية ولا على العلاج] أكثر مـرضاً وأدوم مرضاً من الغنـي ، وقد دلّت الاحصاءات على ذلك . . ثم من ناحية ثانية ، الفقير يبتلى بالامراض العصبية والنفسية أكثر من غيره ، حيث ان الفقر والبطالة والمنازعات وما أشبه تنتهي

الى أمثال هذه الامراض ، مما الغني يامن منها، وقد دلت احصاءات مستشفيات الاعصاب ودور المجانين على هذه الحقيقة .

والاغنياء وان كانت لهم أمراض خاصة بهم ، أمثال ضغط الدم ، وتصلب الشرائين ، والتخمة ، والسكر ونحوها ، الا ان أمراض الفقراء أكثر وأدوم وأخطر .

الفقر . . والسلام

هـ ـ امكان السلام ، حيث ان الاغنياء يحفظون أنفسهم عن الحرب، ببذل المال ، أما الفقراء فحيث لامال لهم، لابد لهم ان يلتجئوا الى الحرب لحل مشكلاتهم ، فان الحل للمشكلة ، أما يكون من الطرق الدبلوماسية ، وأما من طرق الحرب ، وحيث يفقد الاول ، لابد من الالتجاء الى الثاني . . هذا بالاضافة الى ان المستكبرين دائماً يحاربون المستضعفين لاجل السيطرة عليهم لاتخاذهم خولا ، وما بقي من ثرواتهم ـ بالقوة ـ دولا ، وحرب المستكبرين للمستضعفين انما هو بواسطة مستضعفين آخرين، مما ينتج ان امكانات السلام في الفقراء أقل من امكانات السلام في غيرهم .

الفقر . . والعلم

و ـ امكان تحصيل العلم ، وذلك لان تحصيل العلم بحاجة الى المال من جهة :

(١) وسائل العلم من الكتب واجرة المدرسة ونحوها .

(٢) امكان النفقة على النفس ليتفرغ الانسان ، اذ لولم تكن له نفقة، اضطر الى الكسب ، وكلا الامرين موفران للغني دون الفقير .

ومنه يعلم ، ان الدول مهما وفرت المجانية للمدارس لم ينفع ذلك في تساوي مجال الفقير والغني لطلب العلم ، فانه بعد التوفير يبقى :

(١) أمر النفقة .

(٢) بالاضافة الى امكان الغني من التحقيق الاكثر بسبب ما يملك ، بينما يحرم منه الفقير ، ولذا نجد في كل المجتمعات ان الطبقة المثقفة أغلبهم من الاغنياء، بينماأقلهم من الفقراء، وكلما كانت الثقافة أرفع ،كانت نسبةالاغنياء فيها أكثر .

الفقر . . والعمران

ز ـ امكان العمران ، فان العمران يستند الى الاغنياء دو الفقراء ، فان الفقيرمهما تعبلا يتمكن الا بناء دارلنفسه ، أما الاغنياء فهم وحدهم القادرون على تكثير العمران ، سواء بالبناء للدور ، وايجاد البساتين، أو غيرذلك .

الفقر . . والحياة النظيفة

ح ـ امكان العيش النظيف ، فان الفقر والحرمان ، والضغط الاجتماعي الوارد على الفقير، يوجب انحرافه وسقوطه في الرذيلة ولذا يكون أكثرية السجناء ونزلاء دور البغاء والمعطين للشذوذ الجنسي ، وما أشبه من الفقراء .

ولذا نجد التلازم في الاذهان العرفية بين اللص والغبي والولد الساقط ومن أشبههم ، وبين انهم فقراء لا يملكون المال لانتشال أنفسهم من حضيض الرذيلة . . وقد تقدم ان الفاسد من الاغنياء ينفلت عن العقاب ، فلا يبتلى بالسجن ونحوه .

الفقر . . والقدرة

طـ وامكان تحصيل القدرة والوصول الى المناصب الرفيعة في المجتمع يتوفر للاغنياء ومن اليهم من الطبقة المتوسطة أكثر مما يتوفر للفقراء ،وذلك لان المال يعطي للانسان امكانات لايجدها غير ذي المال ، وتبعاً لهذا الامكان يصل الاغنياء الى مناصب شامخة ، أكثر من وصول غيرهم .

لايقال : انا نجد ان جملة كبيرة من فقهاء الشيعة وصلوا الى المراتب السامية ، بينما كانوا فقراء ؟ لانه يقال : ان مبدء [اعطاء الحقوق] جعلهم أغنياء وان عاشوا مدة من الزمن فقراء في أوائل تحصيلهم للعلم فبقائهم ايضاً تابع للمال الذي يتوفر لهم فيتسنى لهم الاستمرار في تحصيل المراتب العالية والسير الى الدرجات الرفيعة .

أما امكانية انقاذ ذي المال الفقراء والمرضى والملوثين ومن أشبه بماله دون غير المال ، فلم نجعله فى عداد ما تقدم لاجل انه يرتبط بشأن غيرهم ، والكلام في المقام في شأن الطبقة الغنية بالنسبة الى الطبقة الفقيرة .

الاختلاف الفكرى بين الفقراء والاغنياء

وأخيراً فان نظرة كل من الفقير والغني تختلف الى امور في الحياة ، وكذا سبك تعاملهما مع الحياة ، مثلا :

(١) نظرة الفقراء الى المصلحين نظرة انقاذ وهداية ، ولذا يلتفون حولهم بينما نظرة الاثرياء والمترفين الطاغين نظرة هدم وتخريب ، حيث انهم يرون المصلحين يسببون لهم المشاكل وانزالهم عن مقامهم وامتيازاتهم .

(٢) وحيث ان المال قليل عند الفقير كان من الطبيعي أن يكون دقيقاً

في الصرف بخلاف الغني .

(٣) ويربي الغني أولاده وما يتعلق به بالنظافة والادب ، بينما الفقير ليس له وقت ولا مال يفيان بمثل ذلك .

(٤) والفقير يرى لزوم تقوية طبقة العامل والفلاح ومن اليهما ، بينمايرى الغني المنحرف عكس ذلك ، وذلك لتضارب مصلحة الطرفين في طرفي الامر .

(٥) والحرية التجارية ينظر اليها الغني كأنها حقه الطبيعي ، بينما لاشأن للفقير بذلك ـ من باب السالبة بانتفاء الموضوع ـ .

(٦) والغني المنحرف ينظر الى كل شيء نظرة اكتساب وتجارة ، فالمعنويات تضعف لديه ،لان عقليته طبعت على المال والتجارة ، بينما ليس الفقير كذلك ، الى غير ذلك من انظارهم المختلفة الى جملة من شئون الحياة حيث ان كل واحد منهما ينظر اليها من زاويته الخاصة .

موقف الاسلام تجاه الفقراء

ولا يخفى ان الاسلام قرر منهجين لاجل الفقراء ومن اليهم :

أ ـ منهج اغنائهم ، لان الاسلام كما يحرم الشيوعية يحرم الرأسمالية ، فكلا النظامين يستغل أموال الناس ، في النظام الرأسمالي يستغله الرأسماليون ، وفي النظام الشيوعي تستغله الدولة ـ التي تجمع بين المال والقوة ـ بل اللازم في المال أن يكون لكل أحد حقه النابع من الامور الخمسة السابقة الذكر .

ب ـ منهج ان من لايتمكن من الغنى ليتم أو مرض أو ما أشبه ، يلزم على الدولة القيام بكل حوائجه ، حقاً له عليها لااستعطاءاً وصدقة وتبرعاً .

قال علي عليه السلام في كتابه الى مالك الاشتر « ره » : (ثم الله الله في الطبقة

السفلى، من الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمني، فان في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً [من يسأل ومن يرى نفسه من غير سؤال] .

واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت المال، وقسماً من غلات صوافي الاسلام في كل بلد، فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى، وكل قد استرعيت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر ، فانك لاتعذر بتضييعك التافه لاحكامك الكثير المهم .

وتفقد امور من لايصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم، ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه، فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم، وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه اليه .

وتعهد أهل اليتيم، وذوي الرقة في السن ممن لاحيلة له ، ولاينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاة ثقيل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم) .

ثم حيث ان المال يتراكم من التجارة [الاعم من الزراعة و الصناعة والاكتساب] وان هذه هي التي ان عدلت اعتدلت الامور ، والا حدثت الطبقية المنحرفة ، فاللازم ان يجمع فيها بين [الحرية] الصحيحة و[التقيد] المعقول، وقد جمعهما الامام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده الى الاشتر ، فقال عليه السلام : (ثم استوصي بالتجار وذوي الصناعات واوصي بهم خيراً ، المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه، فانهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلا بها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك وسهلك وجبلك ، وحيث لايلتم الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها ، فانهم سلم لاتخاف بائقته ، وصلح لاتخشى غائلته، وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك .

وأعلم مع ذلك : ان في كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشحاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات ، وذلك باب مضرة للعامة ، وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار ، فان رسول الله ﷺ منع منه ، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل ، واسعار لاتجحف بالفريقين ، من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه ، فنكل به وعاقبه في غير اسراف .

عوامل تكوين الشخصية

(مسألة ـ٢١ـ) معرفة شخصية الانسان ـ الشخصية بالاصطلاح الاجتماعي ـ توجب تهيئة الظروف التي تسبب استقامة الشخصية ، اولا أقل من التقليل عن الشخصيات المنحرفة ، وعن انحرافات الشخصية المنحرفة ، ثم ان الشخصية تتكون من :

(١) الفطرة ، حيث انها الارضية المفطورة بحيث لايمكن تغييرها كلياً ، وانما الممكن أن يزرع فيها الزرع المختلف .

(٢) الوراثة .

(٣) المحيط الطبيعي .

(٤) المحيط الاجتماعي .

(٥) الثقافة .

الفطرة . . والشخصية

(١) أما الفطرة ، فقد قال سبحانه : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » فان الانسان يخلق وله فطرة خاصة ، قابلة للتغيير في حدود مخصوصة ، بينما اخويه الاخرين [الحيوان والنبات] ليس لهما الا تغير قليل جداً ، فالحيوان ليس له ذلك المجال الواسع للتقلب ، وانما له غرائز يسير الحيوان من أول عمره الى آخره على تلك الغرائز ، ولا اختلاف بين أفراده طيلة ملايين السنوات

وان احتمل بعض العلماء امكان التطوير في الحيوان أيضاً .

والنبات أقل تطوراً ، وان كان فيه بعض التطور أيضاً ، حيث ان شجرة التفاح مثلا تختلف عن امهـا ، في بعض الكيفية والخصوصيات ، وفي بعض خصوصيات الثمر ، بل قابلة للتحسين ، أو الترك حتى تكون أسوء .

والانسان وحده دائرة تطوره كبيرة جداً، يبتدء بالمشي على قدمه، وينتهي الى ارتياد الفضاء ، وهذا لابد وان يكون له أرضية قابلة لمثل هذا التجول عليها بهذه الدائرة الوسعية، وحدود هذه الارضية، وان لم يكن معلومة لنا ، الا انها وسيعة في الدنيا والاخرة جداً .

قال سبحانه : « لتركبن طبقاً عن طبق » .

وقد قال بعض الحكماء : (ثم اصعد عن الملائكة وأصل الى مالا يناله الوهم) .

وفي الحديث عن الاخرة انه : (ينال الانسان فيها مالا عين رأت ، ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) .

والانسان يخلق فطرة مختلفاً (فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة) .

الوراثة . . والشخصية

(٢) وبعد ذلك يأتي دور الوراثة ، ففي الحديث : (الولد سر أبيه) وقد ثبت في علم الوراثة ذلك ، وان الابن يحمل معه بعض ملامح الاب ، وبعض ملامح الام ، وهذا جار في ملامحه الجسدية ، وملامحه النفسية ، فكان نفسياته الفطرية تؤطر بنفسياته الوراثية .

وهاتان [الفطرة والوراثة] لاتوجبان الالجاء ، بل الاقتضاء ، حالهما حال الادوية حيث انها اقتضائيات لانها توجب الاثار قطعاً . . والفطرة والوراثة تبقيان مع الانسان من أول عمره الى يوم مماته .

دور المحيط الطبيعى فى تكوين الشخصية

(٣) وبعدهما يأتـي دور المحيط الطبيعي ، فان للـمناخ المحتوى على كيفية خاصة من الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة تأثيراً على الانسان لا يمكن انكاره ، ولـذا كان أهالي البلاد المعتدلـة أكثر اعتدالا من اهالي البلاد الحارة ، حيث تغلب عليهم اليبوسة ، ومن اهالي البلاد الباردة ، حيث تغلب عليهم الرطوبـة ، وكل من الرطوبة واليبوسة لها آثارها فى النفس ، كما لها آثارها في الجسد .

بل للبلاد الجبلية، والسفحية، وسواحل البحر ، وبلاد الاشجار والانهار تأثـيرات كبيرة فى الصفات و المزايا ، ولذا اعتادوا من القديم وصف أهالي البلدان بالصفات المختلفة مما يرى علماء النفس والاجتماع والوراثة ما لتلك البلاد من التأثير في تكوين شخصية أهاليها .

وكان تقسيم آرسطو الامزجـة الى الدموية و البلغميـة و الصفراوية و السوداوية، مستقى من ذلك، هذا فى الجملة، لا ان كل التأثير للبلد والمناخ، واذا كان لانـواع الاطعمة التأثير فى الاخلاق ـ لا اقل العابرة منها ـ كان للمناخ التأثير أيضاً ان قل أو كثر .

تأثير المحيط الاجتماعى

(٤) أما المحيط الاجتماعي ومايتلقاه الانسان من مجتمعه فلايخفى تأثيره فى تكوين شخصيته، فان الانسان يولد في كمال العجز، ويبقى عاجزاً الى حين مماتـه ، و يكمل عجزه من محيطه الاجتماعي ـ كما يكمل بعض عجزه من محيطه الطبيعي ـ وكما يأخذ حاجاتـه عن الاجتـماع ، كذلك يأخذ صفاته و

اخلاقه عن الاجتماع، ويؤطّر نفسه باطار الاجتماع، فيلاحظ كيف انه يتمكن ان يعيش في وسط ذلك الاجتماع ويأخذ منه حاجاته الجسدية و النفسية فيلاحظ الفعل ورد الفعل ويؤطر نفسه بتلك الشبكة المنسوجة حوله .

والفطرة ، والوراثة ، والمحيط الطبيعي، تنسحب أمام المحيط الاجتماعي بقدر ممكن من الانسحاب ، ولذا نجد حتى المرضى ونحوهم اذا وقعوا في الضغط الاجتماعي ، ساروا كما يريده الاجتماع حسب الممكن .

الثقافة . . صانعة الانسان

(٥) وأخيراً يأتي دور الثقافة فالانسان يتمكن أن يخزن ثقافته التي استفادها بأي طريق كان ، في الكتب ونحوها ، وكل جيل متأخر يتعلم من الجيل المتقدم لا تجاربه فحسب ، بل ما اختزنه في الكتب ، حتى يأتي دور جيل ـ كجيلنا المعاصر ـ تجمعت لديه مليارات العلوم والتجارب المتراكمة منذ الاجيال السابقة .

وهذه الثقافة التي تلون الاجتماع تحتوش الانسان من كل مكان ، وتؤثر فيه وتؤطره باطارها، وحتى الذين يفرون من الاجتماع الى الكهوف والصوامع قد لونوا بلون اجتماع ما ويحملون معهم ذلك اللون الى هناك، كما يحملون معهم لغة اجتماعهم وذكرياته، نعم اذا ربى الطفل بين الحيوانات لا يتلون بلون الاجتماع.

وهذا الاجتماع الذي يحتوش الانسان يعطي للانسان هيئة اجتماعية ، فيعيش الانسان في شبكته ، ويتغير حسب تغيره ، ويبتدء احتواء الاجتماع للانسان من أول أيام حياته ، ولذا نجد الطفل من أوائل أيامه يأخذ في ملاحظة الاجتماع والتعلم منه ، والانس به وطلب الحوائج اليه .

ولذا قال رسول الله ﷺ : (اطلب العلم من المهد الى اللحد) . وقد ثبت

في العلم ان مخ الطفل كالشريط يأخذ مايلاقيه ، ثم يختزن ذلك فى لاوعيه ، ويرشح بعدئذ ذلك المخزون من أفكاره وأعماله ، والميت يفهم وهو في لحده ولذا يلقن في القبر ـ كما ورد في الشرع ـ .

ثم الانسان لايتعلم حاجاته الاولية واصول معاشرته من الاجتماع فقط ، بل يتعلم الحاجات الثانوية ، ممايحتاج اليه في معاشرته الاجتماعية ايضاً ، كالاداب والرسوم والتقاليدوالعادات الاجتماعية وهى حاجات اجتماعية لااولية فان الحاجات الاولية هي المأكل والمشرب والمسكن ونحوها .

ويبدء الاحتواء الاجتماعي من العائلة ثم المدرسة ، والى الاجتماع الكبير بل والى الاجتماع الاكبر ، بسبب الاذاعات والاسفار ونحوها ، ولذا قالوا : (من لم يؤدبه الابوان أدبه الزمان) حيث ان الانسان اذا لم يتطور حسب التطور الاجتماعي ولم ينفعه نصح العائلة ، اصطدم بموازين الاجتماع ، مما يصفع بسببه .

والثقافة بضميمة الامور الاربعة السابقة تعطي الانسان فرداً أو جماعة ـ الشخصية ـ فيقال شخصية فلان ، أوشخصية البلد الفلاني ، وهكذا .

الثقافة . . والحرية

ودور الثقافة من أهم الادوار في حياة الانسان حتى ان بعض علماء الاجتماع نسب تكون شخصية الانسان الى الثقافة فقط ، دون الاربعة المتقدمة ، فبالثقافة الصحيحة تتوفر أجواء الحرية، والتي بدورها تؤثر في المزيد من الثقافة وتوسيع كل أبعاد الانسان .

ولاأدل على ذلك من المسلمين، فان الدنيا كانت مغلقة قبلهم طوال الالوف من السنوات حتى اذا جاء الاسلام وهيىء أجواء الثقافة ـ باعطائه الحريات

وتشويقه الى العلم ـ وحصل عند المسلمين :

(١) حس البحث والتنقيب .

(٢) وشجاعةابداءالاراء والنقد، ملئوا الدنيا علماًونوراً، وأعطوا للانسان دفعة تقدمية ليست الصناعة الحاضرة الابعض ثمارها .

قال عليه السلام : (في التجارب علم مستأنف) .

وقال عليه السلام : (العقل عقلان : عقل الطبع ، وعقل التجربة) .

وقال عليه السلام : (رأي الرجل على قدر تجربته) .

وقال عليه السلام : (الظفر بالحزم ، والحزم بالتجارب) .

وقال عليه السلام : (العقل حفظ التجارب) .

وقال عليه السلام : (فان الشقي من حرم نفع ماأوتى من العقل والتجربة) .

المسلمون والنبوغ العلمى

وقد نبغ فى المسلمين علماء كثيرون احصائهم يحتاج الى مجلدات، بل قدرعدد بعض العلماء المعاصرين علماء وفضلاء خراسان منذ اول ظهور الاسلام الى اليوم، فكانوا أربعة وعشرين الف، ونحن الماعاً الى المطلب، نعد اسامي جملة من العلماء الكبار في مختلف العلوم ـ من غير نظر الى اتجاهات بعضهم المذهبية ـ .

١ ـ ففي الاعتقادات والفقه والاصول والاخلاق والتفسير والحديث منذ الف سنة نبغ : المفيد ، والمرتضى والرضى ، والشيخ ، وابن البراج، وابن ادريس، والعماني، والاسكافي ، والكليني، والصدوق، وعلي بن ابراهيم ، و المحقق، والعلامة، وولده والشهيدان، والمحقق الثاني، والطبرسي ، والفيض والبهائي، والمجلسيان،والمقدس الاردبيلي،وصاحبا المعالم والمدارك، ونصير

الدين الطوسي، والوحيد، وبحر العلوم، وصاحبا الحدائق والجواهر وكاشف الغطاء، والنراقيان، والمحقق القمي، والشيخ، والشيرازيان، والاخوند، و الطباطبائي، وشرف الدين، والعاملي، وغيرهم كثيرون.

٢ ـ وفي الاقتصاد: أبويوسف يعقوب بن ابراهيم، وأبوعبيدة القاسم بن سلام، وابن يحيى الدمشقي، وعبد الرحمان بن خلدون.

٣ ـ وفي الادب والشعر والبلاغة: الدئلي، والفرزدق، والكسائي، وسيبويه وابن مالك، ودعبل، وأبونؤاس، والمتنبي، والرضي، ومهيار، والكميت، وأبو فراس، والحلي، والفردوسي، والنظامي، والجامي، وناصرخسرو، والازري، والسعدي، والحافظ، والقزويني والتفتازاني.

٤ ـ وفي الفلسفة والكلام والمنطق والحكمة: الفارابي، وابن سينا، و بهمينار، وابن طفيل، وابن مسكويه، وابن رشد، والكندي، والرازي، والميبدي والطوسي، والغزالي، والمولوي، وصدر المتألهين، والداماد، والسهروردي، و الفيض، والفياض، والمولى عبد الله.

٥ ـ وفي علم الفلك: أبوالحسن الاهوازي، وأبوالوفاء البوزجاني، و الفرغاني، والبيروني، وخالد، والمروزي، وعلي الطبري، ويحيى بن أبي منصور، وسند بن علي، وعلي الاسطرلابي، و الحاسب، والشيخ البهائي والماهاني، وأبوعثمان الحاني، والدينوري.

٦ ـ وفي علم البيئة: الجاحظ، وعمادالدين الكاتب.

٧ ـ وفي علم البحر: سهل بن أبان، وأحمد بن ماجد، ومحمد بن شاذان، وابن كحلان.

٨ ـ وفي علم النبات: أحمد الدينوري، وابن بيطار الحالقي، وابن سيدة، و منصور بن فضل السوري، وابوالعباس النباتي، وعبد الله بن صالح، ومحمدبن

علي بن سفر، وابن الاوان الاشبيلي، والادريسى، وابن العوام .

٩ ـ وفي علم التاريخ: سليم بن قيس ، والثقفى ، والواقدي، ونصر بن مزاحم، وابن العماد، وابن الاثير، والطبري، والمسعودي، واليعقوبى، والبيرونى والخزرجى، والقفطى، والشهرستانى، والسمعانى، وابن خلكان، وابن واصل، والدينوري ،والمقريزي، وابو الفداء، وابن عساكر، والجوينى، وابي مخنف، والازدي، والذهبى، والاصفهانى ، والبلاذري ، والمحدث القمى .

١٠ ـ وفى علم الرياضيات : أبو الحسن بن المنجم ، والنسوي ، وموسى الخوارزمى، ومحمد بن جابر، والخيامى، والمحقق الطوسى ، وثابت بن قرة، وابن هيثم ، وأبو كامل ، وابن مطر ، وابن الطاهر البغدادي ، وابن يعقوب الدمشقي ، ومحمود الاصفهاني ، وابن ليث، والحاسب الكرخي ، وابن عبد الباقي البغدادي، وغيرهم كثيرون .

١١ ـ وفى علم الميكانيك والفيزياء : منصور الخازني ، وحسن بن هيثم البصري، واحمد بن مسكويه، ومحمود بن المصلح، وحسن السمناتى، وكمال الدين الفارسى، وعميد الدولة، والدمشقي الجويري، ومحمد بن السماوي .

١٢ ـ وفي علم الكيمياء: جابر بن حيان، والرازي، والتميمى، والخوارزمي وأحمد الكلداني، والبونى، والمالقى .

١٣ ـ وفى علوم الطب والتشريح ومعرفة الاجنة والصيدلة: ابن سيناء، و ابن نفيس ، وابن زهر ، والرازي ، وعلي الطبري ، وأبو الحسن الطبري ، و الاهوازي ، والخزاز ، وحسن بن نوح ، والهروي، والمقدسي ، وأبو القاسم الموصلى، والمصري، والعراقى، وغيرهم كثيرون.

١٤ـ وفى علم الجغرافيا: الخوارزمى، وسليمان، وخرداد به، والسيرافى

والسرخسي، والكلبي، والهمداني ، والشيزري، والبلخي ، والمسعودي، وابن فضلان، والبغدادي، وابن الحائك، والخزرجي، وابن حوقل ، والمقدسي ، و القبادياني ، والبكري ، والاصطخري، والغرديزي ، والوزان ، والحموي، و الكبرى ، والصقلي ، والمازني ، والكناني .

١٥ ـ وفي علم المعدن: عطارد الحاسب ، والبيروني، والذهبي الكاملي، ونصير الدين الطوسي، والقاساني، والقبچقي، وعربشاه، وابن منصور .

١٦ ـ وفي العلوم العسكرية: حسن الرماح، والاوسى .

١٧ ـ ومن المترجمين: الفزاري، والاهوازي، وثابت بن قرة، والمقدسي والحمصي، والرهاوي، وأولاد موسى بن شاكر [الثلاثة] وحبش بن الحسن، وأبو الفرج، والهاروني ، وابن نوبخت .

١٨ ـ ومن الذين ألفوا دائرة المعارف: الابرشي، والخوارزمي الكاتب، وجمال الدين القزويني، وابو يحيى القزويني ، والجرجاني ، والقلقشندي ، و السكالي .

الى غير ذلك، مما تزخر به التراجم والفهارس والكتب المعدة لذلك، و قد جمع مكتبة بعض قضاة صاحب بن العباد مليونا وخمسين ألف كتاب، وجمع مكتبة العزيز الفاطمي فى القاهرة مليونا وستمائة ألف كتاب ، كان ستة آلاف وخمسمائة منها فى الرياضيات، وثمانية عشر ألف منها فى الفلسفة، الى غير ذلك من الارقام الكبيرة لمكتبات الافراد وأعضاء الدولة .

العلم فى خدمة الانسان

.. وفي القرآن الحكيم ،وأقوال النبي والائمة عليهم السلام يجد الانسان منطلق الحركة الاسلامية ، في أبعاد العلم والثقافة ، ولذا نجد علماء المسلمين في

أوائل وأواخر كتبهم يذكرون لطف الله بهم في ان وفقهم لارتياد العلم وجوب آفاق المعرفة ، وكان هذا التوجه الى الله هو السبب في ان المسلمين لم يسخروا علمهم لضرر الناس، بل لنفعهم، فلم يستعمروا البلاد ، ولم يكبتوا الحريات، ولم يصنعوا الاشياء الضارة، وكانوا دائماً بين طرفي نقيض مع السلطات الجائرة وكان كثير منهم يضطهدون من أجل ذلك، لامن الفقهاء وأهل الحديث فحسب، بل وحتى أمثال جابر حيان الذي اختفى من جور السلطان حتى مات في مخبأه ونصير الدين الذي سجن سنوات كثيرة .

بينما نجد الحضارة الحديثة ، حيث خلت عن الايمان بالله ، صار العلم في خدمة الظلم والاستعمار ، فمن مآت الملايين من الناس الذين يجوعون ، الى عشرات الملايين من الاطفال الذين يموتون جوعاً ومرضاً ، الى البلاد المستعمرة بكاملها ، الى الشعوب ذات مآت الملايين الذين يخنقون، الى أدوات الفتك الهائلة ، الى أدوات التعذيب القاسية ، الى غيرها ، وبالجملة العلم حيث تخلى عن الله ، صار في خدمة الظلم و الظالمين ، وآلة الفناء والدمار .

أما كيف يمكن نجاة العلم من الانحراف ، فذلك بمزجه بالخوف من الله وبذلك ينجو الانسان عن سيطرة رأس المال والديكتاتورية، واذا نجى الانسان من ذين، صار العلم آخذاً بالزمام، لا أن يكون مقوداً للاهواء والشهوات، ولذا قال رسول الله ﷺ : (أول العلم معرفة الجبار ، وآخر العلم تفويض الامر اليه) .

وفي حديث آخر: (ليس العلم بكثرة التعلم ، وانما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء) .

بل وقبل ذلك قال سبحانه : « انما يخشى الله من عباده العلماء » .

فالعالِم ذو الخشية يستحيل ان يسخر علمه لضرر الناس، كما ان العلم بدون معرفة الجبار ، والذي لا ينتهي الى التفويض اليه [بأن يعرف ان كل الامور صائرة اليه تعالى ، كما قال سبحانه : « الا الى الله تصير الامور »] ليس بعلم ، كما انه ليس بنور ، اذ النور ينير لا انه يظلم ، وينجي لا انه يدمر .

كيف تتكون الشخصية؟

(مسألة ـ ٢٢ـ) الشخصية هي [انا]وهل هي تتكون؟ كما قال بذلك جمع من علماء الاجتماع ، أم هي شيء يولد مع الانسان وانما ينمو ، كما قال بـه آخرون ؟ وهل هو شيء واحد، أواثنان ، أو ثلاثة ، كما قال بكل ذلك جمع؟ احتمالات .

وفى الحديث: (من عرف نفسه فقد عرف ربـه) قال جماعة فيه، انه كناية عن ان الانسان يستحيل أن يعرف نفسه، كما يستحيل أن يعرف ربـه ، وقال آخرون ان المراد بـه ان الانسان اذا التفت الى نفسه و انها مخلوقـة جاهلة عاجزة و . . عرف ان لها خالقاً عالماً قادراً و. . القائلون بأن [انا] لايولد، بل يتكون قالوا : بأن [أنا] عبارة عن جملـة من أعمال الفعل وردود الفعل التي يكتسبها الانسان فى مسيره الطويل من الاسابيع الاولى من الولادة، الى آخر عمره، حيث ان [انا] : أي [الشخصية] لايولد، وانما بالتدريج يعرف الطفل انه غير انسان آخر، ثم تتبلور هذه الشخصية بملاحظة :

(١) عمل الناس تجاه الانسان .

(٢) وعمل الانسان تجاه نفسه أوتجاه الاخرين ، وتصورات الانسان عن نفسه وعن الاخرين أول مايشعر، مبهمة غاية الابهام ، ثم تأخذ فى الوضوح، و الوضوح الاكثر، حتى تصل الى درجة الكمال ، حيث ليس فوقه كمال لكن الكنه يبقى مجهولا على كل حال .

ولذا قال أحد العلماء: ان معرفة كنه الاشياء من أشكل المشكلات، وقال آخر: انه مستحيل، ثم أردف ، انا قدعلمنا بعد دركنا لكل فنون العلوم : انه لم نعلم شيئاً .

لكن هذا القول لم يتم عليه دليل ، اذ الظهور تابع للواقع ـ كما قالوا بذلك في الحركة الجوهرية ، وان ظهور الحركة دليل على واقع الحركة في الجوهر ـ .. أما من قال بأن في الانسان [انا] و [انا] ،استدل بمايجده الشخص ، من نازع ينزع فيه الى الخير وينهى عن الشر، ونازع بالعكس ـ اذ الواحد لايصدر منه الا الواحد ـ و من قال بـ [انا] ثالث ،استدل بما يشاهد من حكم ثالث بين النفرين [انا ، وانا] لكن دليل كلا الرأيين ليس مقنعاً، وفى القرآن الحكيم: «ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها» .

وفي الحديث : (ان فى قلب الانسان لمتين لمة من الملك واخرى من الشيطان) .

وفي حديث آخر، تفصيل وجود جنود العقل وجنود الجهل، وكيف كان فالمهم التكلم عن [الشخصية] مما يجدها كل انسان وهو مهم علم الاجتماع .

تكون شخصية الطفل

ان الطفل يلاحظ الاشياء حوله، بحواسه الخمسة ، سواء ماتفعل الطبيعة أوالحيوان او الانسان ، سواء بالنسبة الى الطفل ، أوالى بعضهم البعض ، كما يلاحظ ردود الفعل لاعماله بالنسبة الى الطبيعة أوالحيوان والانسان :

(١) فمثلا : يرى الشمس والماء والشجر والمروحة والمصباح ، وينصدم بالهواء والحرارة، ويسمع الاصوات الطبيعية والحيوانية والانسانية .

(٢) ويرى معاملة بعض أفراد الحيوان للبعض الاخر، كالحيوانات الداجنة

وبعض أفراد الانسان لبعض في التكلم والتعارف والمصارعة ونحوها .

(٣) كما يرى انـه اذا فعل فعلا صار رد الفعل كذا ، مثلا : اذا ذهب الى النار احترق، أوالى السلم سقط، أواذا بكى حملوه ، أوأطعموه، وهكذا، ثم انه يأخذ كل شيء ليراه جيداً ، ويدخله في فمه ليعرف مذاقه وهكذا .

فاذا عرف الاشياء ، يدخل تدريجاً فى عالـم الافكار ، أي يعرف ماوراء الاشياء، مثلا أولا: يرى الكبريت ، ثم بعد ذلك يشعر بأنـه اذا قدح شبت منه النار ، ويرى الدينار ثم يعرف انـه ذو قيمة ، وهكذا . . وبكل ذلـك تنمو شخصيته ، ولذا كانت الشخصية رهينة الافعال وردود الافعال المحيطة بـه فاذا حقّروا الطفل نشاء محـقّراً ذا عقدة، واذا عظموه نشاء كبيراً سمحاً، وقدرأى رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن عليه السلام فقال: هذا سيد ابن سيد .

وهكذا بالنسبة الى الكرم والبخل، والشجاعة والجبن، واللطف والخشونة والنظافـة والوساخة ، والادب وسوء الادب، وغيرها ، فان الملكات كالبذور تبذر في النفس ويعتني بها فتنموا من جنس ذلك البذر الذي بذر فيها . . و بالجملة فالشبكات الاجتماعية الهائلـة تأخذ شيئاً فشيئاً تحيط بالطفل فعلا ورد فعل، وفى وسط تلك الشبكات تنمو ملكاته .

بين الضمير والمجتمع

وحيث ان في الانسان حالة حكمية داخلية مما يسمى [برؤية الحسن و القبح] وحيث ان الاجتماع وليـد ضغوط ونتائج حاصلة من تلك الضغوط ، بالاهم والمهم، والماضى والحال والمستقبل .

فميراث الماضي حيث يأخذالقدسيـة والعادة ، ومصالـح الحاضر ، و الاستعداد للمستقبل .. وفي كل هذه الثلاثة [الاهم والمهم] يخلي المهم مكانه

للاهم، كما ان الاهم من الماضي يزاحم المهم في الحاضر، والاهم المستقبلي يزاحم المهم في الماضي والحاضر] .

أقول : حيث كل ذلك، تتكون عند الشخص [شخصيتان] : (١) شخصية ضميره . (٢) شخصية اجتماعه ، فاذا خلى ونفسه أو بأفراد عرفه الخاص ، الذين أطرت شخصياتهم شبيهة بالاخر، أظهر ضميره وتكلم وعمل بكل حرية أما اذا كان مع الاجتماع اضطر الى أن يتنازل الى شبكة الاجتماع حذراً من أن يفقد مصالحه ، وهذا ليس نفاقاً ، بل من باب ترجيح الاهم على المهم ، وهي قاعدة عقلية .

وهذا هو الفارق بين [النفاق] و [المداراة] فالاول انتهازية ووصولية ونفعية ، والثاني أهم ومهم ، ومصلحة واحترام الاخرين ، وقد ذم الله سبحانه الاول، قال : « ودوا لو تدهن فيدهنون » وغيرها من الايات ، ومدح الثاني قال: « لتعارفوا » وغيرها من الايات .

وبالسبب السابق ضمير الشخص، واجتماعه بالاضافة الى الميول والشهوات الداخلية والضغوط الخارجية الاحيانية ، يتراوح الشخص في أفكاره وأعماله فربما صار مؤمناً ، وربما منافقاً ، وربما كافراً ، وكذلك ربما صحيح الفكر أو العمل ، وربما فاسدهما ، ولذا كانت الشخصية كثيراً ما متأرجحة بين عوامل أربع :

(١) ضميره المنعقد على حسن الحسن، وقبح القبيح .

(٢) شهواته وميوله الطاغية .

(٣) عرفه الخاص كحزبه وجمعيته .

(٤) عرف الاجتماع العام ، حيث تختلف موازينه عن موازين العرف الخاص ، غالباً .

ومما تقدم ظهر ان الشخصية ليست محض انعكاس للمحيط الاجتماعي ، بل أمر مزيج من الذاتية والانعكاسات الاجتماعية وامور اخر ، فان كل هذه الامور دخيلة في تكوين الشخصية ، أما من يراهـا صرف الانعكاس للمحيط الاجتماعي ، ولذا يرى انه لو تغيّر المحيط الاجتماعي تغيّرت الشخصية ، فالدليل على خلافه ، فانه لو كان الامر كذلك ، لماذا كانت الازدواجيـة بين الضمير والخارج ، ولماذا يتغير الاجتماع تدريجاً ؟ الى غير ذلك .

مراحل تدرج الطفل

ثم ان الطفل في تقدم شخصيته يتدرج في مراحل ابتدائية أربع :

(١) مرحلة التقليد للناس، حيث يعمل كما يعملون ، كأن يصلي مع أبيه و امه وغيرهما، أو يأخذ اللقمة كما يأخذون ، أو يتنحنح مثلهم الى غير ذلك.

(٢) مرحلة جعل نفسه مكانهم ، والنظر الى نفسه كما هم ينظرون اليه، مثلا يمثل نفسه بالام ، ويلاطف مع نفسه ، أو مع آلـة لعب صورت في صورة الطفل ، وبالاب ويأتي الى نفسه بالفواكه ، أو يهز نفسه كأن الاب أخذ يهزه، وشبه ذلك .

(٣) مرحلة اللعب الجماعي ، حيث تنتهي مرحلة اللعب الفردي ، وانمـا يلعب في شبكة من الارتباطات ، حيث يراقب دوره في اللعب ،ويلاحظ فشل و نجاح زملائه، ويكون حكماً في ان أي منهم خالف الدور ، أو زور في اللعب أو ما أشبه ذلك .

(٤) وأخيراً يصل الى مرتبة يأخذ تدريجاً في الخروج عن مرحلة الطفولة ويتكون في نفسه هدف في الحياة ،ويرفع بنفسه عن الالعاب الطفولية ، ويكون الزمان بنظره ابطؤ ، فان الزمان ـ كما قرر في محله ـ يختلف مروره بالنسبة

الى الاشخاص، فمن في لذة يرى تقضي الزمان بالنسبة اليه سريعاً ، بينما من في الالم يرى الساعة عشر ساعات مثلا ، والمنتظر للصديق الحميم يرى بطوء الزمان، بينما من ينتظر مكروهاً يرى سرعته ،وهكذا ،حتى قال بعض العلماء ان الزمان محله في ذهن الانسان لافي الخارج ، وكلما قرب الانسان الى الطفولة يرى بطوء الزمان ، فالساعة عند الطفل كنصف ساعة عند المراهق ، بينما هو ربع ساعة عند الشاب وهكذا .

تصورات الانسان عن نفسه

وحيث يتكون في نفس الطفل الذي أخذ في الكبر هدف ما، يقارن ذلك انه يأخذ في تقييم نفسه ، وفي هذه المرحلة ـ والتي تبقى الى آخر العمر ـ يلاحظ أموراً :

(١) تصوره عن نفسه ، وانه كيف هو ؟ فان الانسان يزن نفسه عند نفسه، هل له وزن أم لا ؟ وكم وزنه ؟ وكيف وزنه ؟ وما هي مرتبته في الاجتماع ؟ الى غيرذلك .

(٢) تصوره انه كيف يكون عند الناس ؟ هل له وزن أم لا ؟ وكم وزنه ؟ وكيف وهكذا؟ فيجعل نفسه مكان الاخرين وينظر الى نفسه من منظارهم واذا كان يحيط به عرفان عرف عام ،وعرف خاص ،كما اذا كان في منظمة أوحزب أو جمعية أوما أشبه ، يلاحظ انه كيف عند هؤلاء ؟ وكيف عندهؤلاء؟وهكذا.

وغالباً يعدل الانسان طريقته الى ما يراه يوجب ارتفاعه عند العرفين ، واذا كان تعارض بين العرفين ، فغالباً يقدم عرفه الخاص ، لانه أقوى صلة و رابطة به ، ولذا يشاهد انه يتحمل مشاكل هذا العرف ضد العرف العام ، و قليل هم الذين يخرقون عرفهم الخاص ليلحقوا بركب العرف العام .

ولاجل التناقض بين العرفين ، وان العرف الخاص لابد وان يكون في

المجتمع علناً أو سراً ، تحاول الحكومات الحازمة :

أ ـ اعطاء المجال لاعضاء العرف الخاص بالظهور، والاختلاط بالمجتمع لئلا يقعوا في قوقعة السرية ، حيث يتبع السر الانغلاق ثم العنف ، واضرار العنف بالاجتماع وبسمعة الحكومة اكثر من اعطاء المجال لاعضاء العرف الخاص بالظهور .

ب ـ ثم اذا كان العرف الخاص فيه طبيعة الهدم ، تحاول الحكومة سحب البساط [بالمغريات] من تحت أرجل ذلك العرف وان لم يكن فيه طبيعة الهدم تحاول الحكومات ترقيق مشاعر العرف الخاص باعطائه طلباته ـ حسب الامكان ـ وحل المشاكل بالتي هي أحسن .

وحيث ان الحكومات الديكتاتورية ، لاتتحلى بالحزم ، توقع نفسها والمجتمع في مشاكل جمة ، وأخيراً يأتي دور المحاربة بينها وبين أعضاء الاعراف الخاصة ، فالمظاهرات والاضرابات وأخيراً القلاقل والفوضى ، و الثورة .

(٣) وأخيراً يأتي دور المحاكمة ، فيتصور الطفل ـ المتقدم ـ في انه هل ان تصور الاخرين عنه ، صحيح أو باطل ؟ وينقسم الحال الى ثلاثة أقسام :

أ ـ أن يرى تصورهم صحيحاً .

ب ـ أن يرى انهم قد بخسوا حقه وانه فوق ما يتصورون عنه ، وهذا هو الغالب ، لان الانسان حيث يحب نفسه ، لا يرى أخطائه ونواقصه بينما يراها الناس ، فهو عند نفسه رفيع ، بينما يكون عند الناس وضيعاً ، أو لا أقل من انه دون تصور نفسه ، ولذا ورد في الحديث : (خير الاخوان من أهدى الي عيوبي) و (صديقك من صدقك لا من صدّقك) و (صديقك من يبكيك لا من يضحكك) و (المؤمن مرآت المؤمن) .

ج ـ أن يرى انهم قدوضعوه فوق مستواه ، وهذا نادر ، وكثيراً مايكون ذلك وليد الديكتاتورية ، أو المال ، أو التزوير ، حيث يعلم الانسان بحال نفسه الا ان قوته أو ماله أو ريائه ، يجعل الناس يتصورونه ـ ولا أقل من اظهارهم ذلك ـ فوق ما يرى هو لنفسه .

ولذا نرى ان العظماء ـ حقيقة ـ يأبون من مدح أنفسهم ومن مدح الناس لهم وقد مدح الامام أمير المؤمنين عليه السلام بعض في وجهه، فقال عليه السلام: (اللهم انك أعلم بي من نفسي، وانا أعلم بنفسي منهم . اللهم اجعلنا خيراً ممايظنون واغفرلنا مالا يعلمون) ..وقدلقيه عندمسيره الى الشام دهاقين الانبار، فترجلوا له واشتدوا بين يديه ،فقال عليه السلام ماهذا الذي صنعتموه ؟ فقالوا : خلق منانعظم به امرأنا ، فقال: (واللهماينتفع بهذاامرائكم، وانكم لتشقون على أنفسكم في دنياكم، وتشقون به في آخرتكم، وما أخسر المشقة ورائها العقاب ، وأربح الدعة معها الامان من النار) .

وقال عليه السلام: (كرهت أن يكون جال في ظنكم اني أحب الاطراء واستماع الثناء ، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً له سبحانه عن تناول ماهو أحق به من العظمة والكبرياء ، وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء ، فلاتثنوا علي بجميل ثناء لاخراج نفسي الى الله سبحانه واليكم من التقية ، في حقوق لم أفرغ من ادائها ، وفرائض لابد من امضائها ، فلاتكلموني بما تكلم به الجبابرة ولاتتحفظوا منى بمايتحفظ به عند أهل البادرة ولاتخالطوني بالمصانعة) .

الشخصية الفردية والشخصية الاجتماعية

ثم ان الشخصية تطلق :

(١) أما على الفرد ، ويراد بها ماللفرد من الخصوصيات والصفات الظاهرة او الباطنة .

(٢) وأما على الاجتماع ، ويراد بها ما يغلب على الاجتماع من الصفات الظاهرة والباطنة ، في قبال الاجتماع الاخر ، مثلايقال : ان الاجتماع الفلاني له الشخصيةالرفيعة ، لكونه كريماً نظيفاً محباً للخير، بخلاف الاجتماع الفلاني الاخر فله شخصية منحطة ، لعدم تحليه بالصفات الجميلة ، وفي التاريخ ان سبارطة كانت لها الشخصية الحربية ، بينما اثيناكانت لها الشخصية العلمية .

الشخصية : مادية ومعنوية

والشخصية فردية كانت أواجتماعية : أ ـ مادية . ب ـ معنوية . والثانية تنقسم الى: (١) اعتبارية . (٢) وانتزاعية . (٣) وحقيقية .

أ ـ فالمادية هي المرتبطة بالاوليات المدركة بالحواس ، مثل مايحفظ الانسان في خاطره، ومايظهره من الفعل ورد الفعل عند المسموعات والمنظورات والمشمومات ، والمذوقات والملموسات [مع العلم ان قوة اللامسة : تشمل (١) الخشن واللين . (٢) والرطوبة واليبوسة . (٣) والحرارة والبرودة . (٤)والاحجام(٥) والعلووالهبوط (٦)والمرغوب وغيره مثل الملامسة الزوجية]

فالشخص يكون قبال هذه الامور في شبكة من الارتباطات ، وكذلك الاجتماع ، وكل ذلك يكون للفرد أوالاجتماع الشخصية المادية .

تغير الشخصية المادية

والشخصية المادية تتغير حسب تغير الامكانات أو المعارف ، فمثلا : من يرى النظافة أوالكرم أوتعليم الاولاد ، أوتزويج أولاده مبكراً اذا فقد الماءأو

المال، تحول الى شخصية غير نظيفة ، ولامضيافة ، ولايعلم أولاده ، ولايزوجهم مبكراً .

كل ذلك لعدم توفر الاسباب ، وان توفرت المعرفة لديه ، وهذه الحالة تعطي للشخص شخصية خاصة ، بينما اذا توفر الماء والمال تبدلت شخصيته الى خلاف تلك الشخصية، وهكذا حال المجتمع الفاقد والواجد . . ومثل ذلك الحال اذا تغيرت المعنويات، مثلاكان له المال ، لكن لم يكن له رأي في تزويج اولاده ، أوحفظ نسائه ، أواكرام ضيوفه فان له حينئذ شخصية خاصة ، ولم تكن تلك الشخصية مستندة الى المادة ، وانما تستند الى معرفة خاصة ، فاذا تبدلت تلك المعرفة الى معرفة مضادة تبدلت الشخصية .

ولذا نرى ان الجاهليين عرباً وفرساً ورومأ ، كانت لهم شخصيات خاصة، مثل السجدة للملوك ، واطاعة العلماء في الباطل ، وحظر التعليم ، وزواج المحارم، وفي الجزيرة قتل البنين والبنات خوف العار والاملاق ، والمقاتلة وشاع في الكل المعاقرة وقطع الرحم ، والانحراف الجنسي نساءاً ورجالا ، والى غيرذلك .

فلماغيرت معارفهم تحت لواء الاسلام، صارت لهم شخصية مخالفة لتلك الشخصية السابقة، وكذلك لماوفر عليهم الماء ووجب التطهر ، صاروا نظافاً، بعد ان كانوا من أوسخ الناس، وبقى الغرب في الوساخة، حتى ان بعضهم لما بلّطوا الشوارع وفتحوا الحمامات ـ في فرنسا ـ قال علمائهم : انهم تشبهوا بالكفار ـ أي المسلمين ـ وأغلقوا الحمامات وأرجعوا الشوارع كماكانت و كان مما اشتكى المسلمون ـ في حروب الصليبيين لهم ـ كثرة تعفن أبدان جيوش الصليب ، فلما دخلت الحضارة المادية الى تلك البلاد ، تغيّرت شخصيتهم .

وكذلك نرى الحال في التفرقة اللونية والعنصرية، وماأشبه ، فما دامت التفرقة لاتكون مزاوجة ، ولامعاشرة، بل طائفة المنبوذين في الهند ، اذا أراد رئيس المعمل أوالاقطاعي اعطائهم اجرتهم وقف بحيث لايقع ظل المنبوذعليه والا لتنجس، واعطى المال بواسطة، حتى لاتلمس يده يد المنبوذ، وفي امريكا البيض لايعاشرون السود، وكذلك القوميون لايتزاوجون مع آخرين، بل ولا يرثونهم ـ كما رأينا ذلك في بعض البلادالعربية المعاصرة أبان المدالقومي ـ .

وكان شيء كثير من ذلك أبان الجاهلية ، فلما جاء الاسلام صار بلال الحبشي، وأبوذر العربي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، في صف واحد في كل الشئون، من غير فرق بين اللون، واللغة والقومية، والقطرية، فى العبادة والمعاملة والزواج والعقوبات والعلم، وغيرذلك، بل قد صار ميزان المفاضلة [الايمان والعمل الصالح] فقط. ولم يكن ذلك الميزان سبباً للفصل في زواج أوعقوبة أومعاملة بل مجرد الاحترام والاجر في الاخرة ونحوهما .

اقسام الشخصية المعنوية

ب ـ الشخصية المعنوية :

(١) هي التي تحيط الشخص بالاعتباريات ، فيكون الفرد أوالجماعة في شبكة من امور غير عينية، وأما هي تكون باعتبار المعتبر، فاذا اعتبرها المعتبر كانت ، واذا ازالها أزالت، مثل ان [النقد الورقي] يقابل كذا من السعر أو المادة، بالاعتبار، فاذا اعتبره المعتبر (بأية درجة كالدينار ونصفه وربعه والدرهم) صار له اعتبار، واذا أزال اعتباره زال اعتباره .

والامور الاعتبارية جارية في المعاملات والحقوق، والحدود، والاحوال الشخصية وغيرها ، ولذا يتطور كل ذلك حسب تطور الاعتبار .

(٢) والتي تحيط الشخص بالانتزاعيات، والفرق بينها وبين الاعتباريات ان الانتزاعيات ليست بيد المعتبر، وانما هي حقائـق لها واقع منتزع من أمر حقيقي ، مثل زوجية الاربعة ، والمناقضة بين الوجود والعدم ، والمضادة بين الاسود والابيض، والتضايف بأقسامه: «أ ـ المعاند، ب ـ وغير المعاند، ج ـ المتشابه، د ـ وغير المتشابه: كالفوق والتحت والعالم والمعلوم، والاخ والاخ والاب والابن» .

فان هذه الامور [الاعتبارية] أيضاً تحيط حول الشخص فرداً واجتماعاً، و تعطيه شخصية، مثلا : القطر ذو خمسين مليون فرد لـه شخصية [زوجية] بينما القطر ذو تسعة ملايين لـه شخصية فردية ، و القوم الذين يسكنون الجبال لهم شخصية فوقية [حسّية] على القوم الذين يسكنون السفوح، الى غير ذلك من الامثلة .

ولايخفى ان كلا من [الاعتبار] و [الانتزاع] له آثار، فليس مجرد [الفاظ] فاعتبار جواز الازدواج بأربع: يجعل كل النساء ذات زوج، بينما اعتبار عدم الجواز الا بواحدة ، يجعل كثيراً من النساء عوانس وأرامل . . والذين هم يسكنون الجبال أمنع عند المحاربة من الذين يسكنون السفوح وهكذا .

ومما تقدم ظهر، ان [الاعتبار] لابد له من [التواضع] وذلك يكون حسب المصالح ـ في نظر الواضعين ـ أما [الانتزاع] فانه حقيقة خفيفة ، ليس أمره بيد أحد ، والفرق بين الانتزاع والحقائـق الاصيلة ، ان الانتزاع يستند الى الحقائق، وليس العكس، حالهما ـ ولامناقشة في المثال ـ حال الجوهر والعرض فالشكل مستند الى الذات، وليس العكس، ولاينافي ذلك ان الذات لاتخلوعن شكل ما قطعاً .

(٣) والتي تحيط الشخص بالحقائق، مثل واقع المبدء والمعاد، والرسالة والامامة، وغيرها فانها حقائق ـ ليست اعتبارية ولاانتزاعية ـ وانما هي تحيط بالشخص والاجتماع، فيعطهما [شخصية خاصة] من الاعتقاد، والامتثال وتلون [الافكار والاقوال والاعمال والسيرة] بها.

وانا لانريد بذلك ان كل شخصية لفرد أوامة ـ في اطار الحقائق ـ تطابق الواقع، بل نريد بيان: ان [الحقائق] أيضاً تعطي شبكة [الشخصية] سواء وصل الاجتماع اليها فرتب الاثار على الحقائق، أولم يصل، بل اتخذ بدل [الواقع] [زيفاً] فرتب آثار الزيف مكان مايلزم عليه من ترتيب آثار الحقائق.

وليست الشخصية في الواقع والزيف متشابهة، الا من حيث الاسم، والا فالحقائق تعطي آثاراً، لايعطيها الزيف، مثلها مثل الماديات، فكما ان السراب لايروى، والحائط لايمكن النفوذ فيه، وان ظن المخدوع انه ماء وباب، كذلك تختلف آثار الحقائق المعنوية عن آثار الزيف ـ الذي ظنه الظان حقيقة ـ.

بل هكذا الحال في الانتزاعيات، والاعتباريات، فزيفها لايؤثر أثر الواقع منها، وان ظن الظان انه واقع، فمن ظن ان السيارة زوجية العجلات، بينما كانت فردية العجلات لم يحصل السير لان الزوج يمكنها المشي لا الفرد، ومن ظن ان هذا الورق دينار، لم ينفعه ذلك، في اعطاء كمية من المواد في قباله ـ اذا كان زيفاً لااعتبار له حقيقة ـ نعم قديخدع الزيف، كما يخدع السراب الظمآن فيعطيه الاطمينان.

ومما تقدم ظهر، ان كلا من [الثقافة المادية] أي المرتبطة بالمادة، و [الثقافة المعنوية] أي المرتبطة بالحقائق غير المادة، من حقائق واقعية وحقائق انتزاعية وحقائق اعتبارية ـ والفارق بين الثقافتين، ان المادية تدرك بالحواس الخمس، والمعنوية لاتدرك بها بل بالفكر ـ تؤطر الانسان في اطار خاص من

الشخصية، سواء كان ذلك الانسان فرداً أوجماعة .

أما انه هل الاثر الاكثر للمادية أوللمعنوية فقداختلف فيه علماءالاجتماع بين مرجح للاول ، ومرجح للثاني، وقائل بالتساوي، وقائل بالتفصيل، فبعض الافراد أوالاجتماعات يتأثرون بالمادية، وبعضهم بالمعنوية أكثر وهكذا .

اجواء نموالشخصية

(مسألة ـ ٢٣ ـ) كيف يمكن انماءالشخصية الاجتماعيةحتى يصل الاجتماع الى شخصيته المطلوبة، أي القابلة؟ ان ذلك انما يكون في ظل انماء الشخصية الفردية، اذ الشخصية الاجتماعية عبارة اخرى عن تجمع الشخصيات الفردية ،انه لاشك في ان الاجتماع له شخصية غير شخصية كل فرد فرد، كما ان البحر له قوة غير قوة كل قطرة قطرة ، لكن بصورة عامة يتوقف الكيان الاجتماعي على الكيان الفردي ، سواء في الشخصية أوفي البحر والقطرة، أوفي الجيش والجندي، أوفي البناء والاجرة، أوفي الواحد والالف ـ من الاعداد ـ .

وعليه فاللازم ملاحظة انه كيف تنمو شخصية الفرد ـ ثم اذا كان للاجتماع بما هو اجتماع شرائط وآداب لنموه ، يلزم ملاحظة ذلك في مرتبة ثانية ـ و لدى الاستقراء والسبر يرى ان الشخصية الفردية انما تنمو في ظل كون [الحكم] و [العلم] و [المال] للجميع بأن يكون الناس يحكمون أنفسهم بانفسهم، وكل يتمكن من العلم تمكنه من الماء والهواء، وكل له نتيجةسعيه الفكري والجسدي، بالاضافة الى [قيمة المواد، وماله من الشرائط والعلاقات الاجتماعية] .

وفي مثل هذا الجو [لكل قدر استحقاقه من الحكم والعلم والمال] تنمو الشخصيات نمواً ممكناً ، وقد كان قبل الاسلام كل من الثلاثة محتكرة على طائفة الحكام ، وحتى ان العلم كان محظوراً الا للموبذ ـ في ايران ـ و

للكنيسة ـ في الرومان ـ وجاء الاسلام ليعطي لكل حقه، ولكن الى الان لم تقدر الدنيا على ذلك، حيث ان العلم محروم منه الطبقات الفقيرة ـ كما تقدم في مسألة سابقة ـ .

و الحكم في الغرب تحت سيطرة المال ، وفي الشرق تحت سيطرة الديكتاتور .. والمال يستغل في الغرب لمصلحة الرأسماليين، وفي الشرق لمصلحة الحكام .. وليس المراد بكون الحكم للجميع الا [الاستشارية] الصحيحة ـ مع لزوم أن يكون بالشرائط الاسلامية، كما هو عقيدة المسلم ـ .

ولايمكن اخراج الحكم والمال والعلم عن السيطرة الفردية ، والاحتكار الى التوزيع العادل بين الجميع ، الا بتوزيع القدرة ، فقد قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : (من ملك استأثر) وتوزيع القدرة لايمكن الا بالوعي الجماهيري بأن يعرف الكل كم حق كل أحد من العلم والمال والحكم .

فاذا وعى الجميع لايتمكن المستثمرون من استثمار علم أو مال أو حكم غيرهم ، كما هو الحال في عالم اليوم وان اختلفت البلاد في شدة الاستثمار وضعفه ، نتيجة لكثرة الوعي ـ في الجملة ـ في بعض البلاد وقلته في بعض البلاد الاخر .

فاذا وعى الجميع، تبع ذلك تشكل المنظمات الحافظة للمكاسب ، والمنمية لها ، أما المنظمة الواحدة فهي عبارة اخرى عن الديكتاتورية ، كما نشاهد ذلك في البلاد التي يحكم فيها حزب واحد ، فان الانسان أقرب شيء الى الديكتاتورية والفردية .

طبيعة الحكم الدكتاتورى

ومن طبيعة الديكتاتورية :

(١) السرية في العمل ، حيث ان الديكتاتور دائماً متآمر يريد بذلك أن يحفظ قدسه أمام الناس ، فيعمل في السر مايظهر في العلن خلافه .

(٢) اظهار انه العامل الوحيد في الساحة وان كل الفضل يرجع اليه .

(٣) تنفيذ آرائه فقط ، أما غيره فرأيه غير صحيح ، فهو فرد الله المختار الذي يفهم مالايفهمه غيره .

(٤) استئثاره بكل الغنائم ، اي ان كل السمعة، وكل الدعاية ، وكل الخير له فقط ، أما من عداه فله بقدر ماتفضل عليه الدكتاتور تفضلا محضاً واحساناً صرفاً ، فقد يجعل خيرة الاموال لنفسه وجماعته ملكاً صرفاً ، وقد لايجرء على ذلك ، بل يحوط الاموال لصرفها في هواه ـ وانسمى ذلك بألف اسم آخر ـ ولافرق في الديكتاتورية بين الصريحة ، أوالملتوية تحت صورة [مجلس الامة أو مجلس القيادة ، أو مجلس الشعب] أو غير ذلك ، وقد شاهد العالم أمثلة واضحة لذلك في ستالين وهتلر وموسيليني وماو ، واضرابهم من الديكتاتوريين الاصغر منهم حجماً ، وان كانوا مثلهم في كل الخصوصيات .

ومماتقدم ظهر انه لو نظم المجتمع تنظيماً صحيحاً ، بحيث يكون العلم والمال والحكم في متناول الجميع بمايستحقون، نمت الشخصية الاجتماعية نمواً صحيحاً، بالعكس من المجتمع المبني على الفوضى ، حيث كل أحد يحاول ان يحفظ نفسه بالقدر المستطاع فلا مجال له للنمو ، ومن المجتمع المبني على الديكتاتورية ، حيث ان البناء الديكتاتورى يمنع عن النمو .

اختلاف النفسيات

وكما ان البذور مختلفة ـ فاذا وجدت المناخ المناسب نمت كل بذرة بما فطر لها، من الاشكال والالوان والطعوم وغيرذلك ، كذلك أفراد الاجتماع

بصفاتهم المختلفة ، وقد قسم بعض علماء الاجتماع أفراد الاجتماع الى أربعة اقسام هي :

(١) الهادىء ، حيث يرجح التعقل والتفكر والتأني والتروي .

(٢) المتحمس حيث يرجح الاقدام والاقتحام والاستهانة بالمخاطر .

(٣) المنسجم الذي يميل الى الانسجام والمداراة .

(٤) المتنفر الذي يميل الى الانفصام والابتعاد .

ولا يخفى ان الصفات المذكورة تكمل بعضها البعض الاخر ، ولذا يشاهد ان الجمعية المركبة من القسمين الاولين ، يمنع هادئها متحمسها من الافراط كما يمنع متحمسها هادئها عن الركود ، وتكون النتيجة الاقدام العقلائي ، وكذلك في جمعية تجمع بين المنسجم والمتنفر ، وهكذا بالنسبة الى بقية أقسام ضرب الاربعة بعضها في بعض .

ومع انا نرى في عائلة واحدة قسمين أو أقساماً من الاولاد ، الا ان التربية لها أثر فعال في تلوين المجتمع ، بأحد الالوان المذكورة ، أو المزيج المتوسط منها ، فبعض الامم يربون على التعقل والتأني ، بينما بعض آخر يربون على الاقدام والاندفاع ، وهكذا . ولذا اشتهر ان شعب العراق له صفة كذا ، وشعب ايران له صفة كذا ، والاسويين ليسوا في صفاتهم كالافريقيين وتختلف سمات الامريكيين عن الاوربيين ، وهكذا .

ثم انه ليست حدود خاصة بين الاقسام المذكورة ، حتى تكون التمايز كلياً ، ولذا يشاهد في امة لها شخصية خاصة ، افراد لهم شخصية متوسطة أو مخالفة وانماهم عالم الاجتماع ، ملاحظة الاعم الاغلب .

الاهتمام بالتربية والتثقيف

وحيث ان كثيراً من الشخصية الفردية والاجتماعية ،يتوقف على اسلوب التربية والتثقيف ، فاللازم على الذين يريدون اصلاح المجتمعات الاهتمام بهذا الجانب ، فان ظهور الشخصية ـ حسب التأديب ـ وان كان بطيئاً ، الا انه نواة لابد وان يظهر ثمرها ، ولو بعد حين، ولافرق في ذلك بين تأديب الانسان نفسه ، أو أولاده ، أو أقربائه ، أو من يتمكن عليه من أفراد مجتمعه .

قال علي عليه السلام : (سوء الادب سبب كل شر) .

وقال عليه السلام : (أفضل الاعمال ما اكرهت نفسك عليه) .

وقال عليه السلام : (لاميراث كالادب) .

وقال عليه السلام : (أيها الناس تولوا من أنفسكم تأديبها ، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها) .

وقال عليه السلام : (غاية الادب ان يستحي الانسان عن نفسه) .

وقال عليه السلام : (لاتقروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) .

أقول : فان ذلك من بعد المدى ، حيث يجب ان يؤدب الانسان ولده اجتماعياً ، بحيث يقدر على ان يساير الاجتماع، في نطاق الاحكام الاسلامية.

وقال عليه السلام : (المرآة التي ينظر الانسان فيها الى اخلاقه هي الناس ، لانه يرى محاسنه من أوليائه منهم ، ومساوئه من اعدائه فيهم) . . الى غيرها .

ولا يخفى،ان المجتمع كلما كان أكبر، كان أقرب الى القوام والاعتدال لان العناصر المختلفة التي تصب فيه بثقافاتها المختلفة توجب تلون الاجتماع باللون الانصع ، فان من طبيعة الانسان ان ينظر الى الاعلى فيتخذه اسوة ،

وان يسعي بمثل سعي الاكثر سعياً لئلا يفوته الركب .

ولذا كان من صفات المجتمعات الكبيرة :

(١) وجود المحاسن فيها .

(٢) اقترابها بمجموعها الى الاعتدال .

(٣) سرعتها في السير والتقدم الى الامام .

فانه وان كانت المشاكل في مثل هذه المجتمعات أكثر ، الا ان محاسنها أكثر من مساوئها ، ولذا أمر علي عليه السلام : بسكنى المدن الكبار ، وكان المجتمع الكبير من أحسن أسباب اعطاء [الشخصية] المعتدلة للانسان ، فرداً أو جماعة أو مجتمعاً .

عوامل صياغة الشخصية الفردية

ثم ان الشخصيةالفردية ـ والتي تؤثر بالاخرة في شخصية الاجتماع ـ انما تصاغ بسبب العوامل التالية :

١ ـ الصفات النفسية

(١) الصفات النفسية الفطرية المودعة في نفس الفرد منذ الولادة ، ولذا نشاهد طفلين شرائطهما متحدة من جميع الحيثيات ، ومع ذلك احدهما اجرء من الاخر ، أو اكرم ، أو اذكى ، أو ما اشبه ذلك .

وقدثبت علمياً ، ان صفات الابوين ، بل الاقرباء كالعم والخال ، وحالتهما عند انعقاد النطفة ، وخصوصيات غذاء الام حال الحمل ، بـل وبعض جهاتها الاخر ، لها مدخلية في نفسية الطفل ، وفي الفقه : [باب النكاح] فصل الاولاد ، روايات بهذا الشأن .

٢ ـ الخصوصيات الجسدية

(٢) خصوصياته الجسمية ، من طول وقصر ، وجمال وقبح ، وكمال ونقص، وصحة ومرض ، وماأشبه فانها سهيم في تكون الشخصية ، مثلا القصر غير المتعارف أوالطول غير المتعارف ، يسببان تحقير الناس له [وان كان التحقير غير صحيح] والتحقير يسبب عقدة نفسية في الانسان ، ممايسبب له شخصية معقدة يظهر اثرها في أعماله .

بالعكس الجميل يحظى باحترام الناس ، مما يسبب له عدم الانطوائية ، وحفظ احترام نفسه ، لئلايخيب ظن الناس فيه، وقد ورد : (ان الله جميل يحب الجمال) ، وورد : اتخاذ الظئر الجميل للرضاع لان اللبن يعدى وورد : (خير نساء امتي اقلهن مهراً وأصبحهن وجهاً) .

وحال القبيح ، والناقص ، والمريض، حال القصير والطويل . . بالاضافة الى ان المريض أوالناقص لايقدران على مايقدر عليه الصحيح والكامل ، وكل ذلك يعطي للانسان شخصية مناسبة لتلك الظواهر .

٣ ـ المحيط الطبيعي

(٢) كون الفرد ريفياً أومدنياً، يعيش في ساحل البحر، أوالغابة ، أوالجبل أوغيرها ، وذلك لان المناخ يعطي للانسان شخصية خاصة ـ كماتقدم في بعض المسائل السابقة الالماع الى مثل ذلك ، مثلا : الريفي أصرح من المدني ، والذي يعيش في الغابة اشجع من غيره .. ومن هذا المنطق كانت عادة قريش ـ قبل الاسلام ـ ايداع أولادهم الرضع الى المراضع البدوية لينشائوا شجعاناً فصحاء صرحاء اصحاء الجسم، وكما قال علي عليه السلام : (فان الشجرة البرية أصلب عوداً ، وأكثر وقوداً وابطؤ خموداً) .

٤ ـ الوضع المعيشي

(٤) انه عاش في طبقة فقيرة أو غنية أومتوسطة :

أ ـ فالفقيرة ، ترضع الامهات أولادها طويلا ، ويتعلم الولد على حياة الخشونة ،وحيث انللفقير روابطقليلة ، يخرج الولدبشخصية جسورة صريحة بسيطة . . . بينما العكس من كل ذلك أولاد الطبقة الغنية . . . أما المتوسطة فالاولاد يكونون بين الامرين .

ب ـ حيث ان الطبقة الفقيرة تعمل دائماً لاجل المعاش ، لايتسرب الى أولادها مسائل المعاشقة والامور غير المشروعة ، مما يكون سببها [الفراغ و الجدة]بالعكس من أولاد الاغنياء المنحرفين ، حيث يتوفر لهم [ذان الامران] بتوابعهما .

ج ـ سهولة الحياة عند الطبقة الفقيرة ، بخلاف الطبقة الغنية ، حيث ان قلة المادة والاشتغال بالمعاش يمنع الفقير ، من اين يركم على نفسه اغلال الحياة ، من رسوم الزواج والولادة والموت ، وغير ذلك مما تلازم حياة الغنى والدعة في الغالب ، وكذلك الحال في المسكن والملبس والمركب والسفر والمرض ، وغير ذلك .

د ـ يغلب في الطبقة الفقيرة الاقدام والافراط ، فيما الغالب في الطبقة الغنية العكس ، وذلك لان الروابط التي تحيط الفقير أقل ، ولامال ولاجاه له حتى يلاحظهما في سلوكه ، بينما كل ذلك بالعكس في الطبقة الغنية .

وعليه فالطبقة الغنية لهم شخصية خاصة ، ليست كشخصية الطبقة الفقيرة ، والطبقة المتوسطة تعيش بين الطبقتين في الشخصية .

٥ ـ العمل الاجتماعي

(٥) بعد ذلك يأتي دور الشغل ، فان الاشغال المختلفة تعطي للانسان شخصيات متفاوتة ، فالمرجع الديني ، والخطيب ، والقاضي ، والمعلم ، لهم شخصية خاصة ، لاتماثل شخصية الجندي ، والتاجر ، والموظف ، وما الى ذلك والسبب ان العمل في نفسه ، والمرتبطين بأي عامل عامل ، يتطلبان نوعية خاصة ، فاللازم ان يصب العامل ـ من أي لون عمل ـ نفسه في قالب ذلك الكيفية من الطلب ، والالم يتمكن من انجاح عمله .

ومنه يعلم ، اختلاف الشخصيات، ولوكانوا في اطارعام واحد ،كالمرجع والخطيب ، بل ومدرس الابتدائية والثانوية والجامعة .

٦ ـ التعليم

(٦) وأخيراً يأتي دور التعليم بشعبه :

أ ـ البيتي .

ب ـ والمدرسي .

ج ـ والاجتماعي الصغير .

د ـ والاجتماعي الكبير ، حيث ان العائلة مدرسة للاطفال ، يتعلمون فيها كثيراً من الاداب والرسوم ، ثم المدرسة تعطي التوجيهات ، واذاكان الانسان منضماً الى جماعة : كقومية ، أودين، أومنظمة، أوحزب ، أوماشبه ، تعلم منهم اموراً ، ليست كسائر التعاليم السابقة ، وأخيراً يأتي دور مايتعلمه الانسان من الاجتماع العام .

وهذه الامور كلها تعطي الشخص كيفية خاصة من [الشخصية] .

ولايخفى، ان بعض الامور المذكورة التي لها مدخلية في اضفاء الشخصية

على الفرد، أكثر نفوذاً في الشخص من البعض الاخر، مما تكون [شخصية] الشخص مستندة اليه بنسبة أعلى من استنادها الى أمر آخر، مثلا: النفوذ البيتي والمدرسي، أثرهما أكثر من النفوذ الاجتماعي والحزبي .

والسران الطفل صفحة بيضاء، فكلما نقش فيها تلونت تلك الصفحة بذلك اللون ، فاذا جاء لون آخر يريد ازالة ذلك اللون السابق ، لم ينفذ كنفوذ اللون السابق ، فيبقى اللون الجديد باهتاً ، بينما اللون القديم يبقى قاتماً ، هذا بالاضافة الى أن تقبل الطفل أكثر وأسرع من تقبل غيره ، وان لم يكن اللون الجديد مضاداً للون القديم ، ولذا يبقى لون العائلة والمدرسة في نفس الانسان وفي اسلوب حياته الى زمان موته ، بينما ليس كذلك لون حزبه واجتماعه الكبير.

اختلاف الاستجابة للمؤثرات

ثم لا يخفى ان استجابة الناس ـ أطفالا ، أو كباراً ـ للالوان التي يراد أضفائها على النفس والسلوك ، مما بالاخرة تعطي [الشخصية] مختلفة، وذلك لان الانفس فطرت متفاوتة ، كما ان الشخصيات تتفاوت في قدر تقبل اللون الجديد والمدة التي يحتاج اليها الشخص حتى يتهيأ للتقبل .

مثله ، مثل الماء الواحد، الذي يلمسه ثلاثة أفراد ، فيحس كل واحد منهم بحس مخالف للحس الاخر ، فاذا كان [ماء فاتر] و [كان ثلاثة أشخاص] أحدهم خرج من الماء البارد ، والاخر من الماء الحار ، والثالث من الماء الفاتر، فاذا دخل الثلاثة في هذا [الماء الفاتر] وجده الاول حاراً ، والثاني بارداً ، والثالث فاتراً، وليس ذلك لاختلاف الماء ، وانما لاختلاف الاستجابة.

وقد فحص جماعة من علماء الاجتماع كيفية تكون [الشخصية] فوجدوا ان في مأة عائلة يتقولب الاطفال بأخلاق أبويهم [٥٥] وبأخلاق أصدقائهم

[٣٣] وبأخلاق المرشدين [٩] وبأخلاق المعلمين [٣] وهذه النسب وان كانت مشكوكة ، الا ان المسلم أكثرية تأثير العائلة ، ثم الاصدقاء، وقد ورد(المرء على دين خليله).

كما ان مثل هذا الاحصاء لايصدق الا في الظروف العادية ، فاذا كانت العائلة في فوضى واضطراب ، وكان الاصدقاء في تضامن وبناء ، صار العكس بأن تقولبت شخصية الاولاد بقوالب الاصدقاء لابقوالب العائلة .

التخطيط لانماء الشخصية

والاجتماع بشلاله الهادر قادر على الاستفادة من[مادة الشخصية] أكبر قدر من الاستفادة ، كما انه بالعكس قادر على الزام [الشخصية القابلة] زاوية العزلة والانزواء ، ولذا كان على المخططين الاجتماعيين تنظيم الاجتماع ، بحيث تكون الشخصيات الرفيعة ، وبحيث يستفيد من [المواد] ومن الشخصيات الى آخر قطرة من الاستفادة الممكنة . . ولايمكن ذلك الا بحرية [العلم والمال والحكم] كما ذكرناه في أول المسألة ، والله المستعان .

ومما تقدم ظهر ان الاجتماع يربى الافراد تربية عامة ، حسب اتجاه الاجتماع ، محارباً أو مسالماً ، عاملا أو عاطلا ، كريماً أو بخيلا ، جباناً أو شجاعاً .

التوجيه السليم لصفات الامة

وحيث ان بعض الصفات يمكن استخدامها في الصحيح ، أو في الباطل فالمصلح القدير هو الذي يتمكن من توجيه الصفة التي تستخدم في الباطل في الامر الصحيح ، مثلا : اذا كانت الامة مسرفة في الصرف على الولادة ،

والزواج والاموات ، أمكن صرف صفتها الانفاقية ـ والتي تصرف باسراف في الامور المذكورة ـ في المشاريع الخيرية ، كالمدارس ، والمساجد و المستوصفات وما أشبه .

والنبي ﷺ استفاد من هذه القاعدة الالهية ، فقد كانت القبائل العربية تصرف طاقة شجاعية هائلة في محاربة بعضها لبعض ، فصرفها الرسول ﷺ في محاربة الخارج ، لاجل اعلاء كلمة الله وانقاذ المستضعفين ، كما صرف ﷺ اسرافهم في انفاقات كانوا يسمونها كرماً في اعطاء الحقوق الشرعية ، والصرف في سبيل الجهاد ، وصرف قريحتهم البليغة وفصاحتهم الشعرية و النثرية في الارشاد والبلاغة .

فبينما كانت تصرف القريحة الشعرية في :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

صرفها الرسول ﷺ في :

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم واسمع بالرسول ﷺ منادياً

الى غير ذلك ، وبينما كان العربي يقتل العربي في سبيل ناقة ، في حرب البسوس ، أخذ المسلم يجالد الفرس والروم في سبيل [الحقيقة] عوض الخرافة ، وفي سبيل نشر العلم بعد ان كان محتكراً عند الاشراف ، وهكذا .

واذا كانت بعض الامم تفقد الصفة الخيرة ، فاللازم على المصلح ، ارشادهم الى فطرتهم المطوية على تلك الصفة . . كما ان اللازم على المصلح صرف الصفة المنحرفة ، من أوليات رغبات الانسان في الجهة المستقيمة ، مثل امة تصرف شهواتها في الشذوذ والانحراف الجنسي ، حيث ان اللازم توجيههم نحو صرفها « في ما خلق لكم ربكم » ـ كما قاله لوط عليه السلام لقومه .

فان الفرد كالمجتمع أرض قابلة لمختلف الزرع ، فاللازم زرع الطيب

فيها ان كانت قفراء، وان كانت مزروعة بالزرع السيء ،لزم اقتلاع ذاك الزرع وزرع الطيب مكانه ، ولذا قدم القرآن الحكيم التزكية .

قال سبحانه : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » .

فالانسان هو الانسان ، وانما الاختلاف بظهور الصفات والكوامن، مثلا المرأة في كل عصر ومصر هي المرأة ، وان كانت عاراً في امة ، وسيدة في امة ، ومربية في امة ، واداة شهوة في امة ، وهكذا .

انحراف الشخصية

(مسألة ـ ٢٤ ـ) لكل شيء واقع ، وقد يكون ذلك الواقع ذا مصاديق فالكلي واقع ، والجزئيات مصاديق متساوية بالنسبة الى ذلك الواقع الكلي ، مثلا : الواقع بالنسبة الى الامة ان تصرف مالها في تقدمها ، لكن هذا التقدم يمكن أن يكون في سبيل تكثير الزراعة ، ويمكن أن يكون في سبيل تكثير الصناعة ـ اذا لم يكن أحدهما أهم ـ والواقع لايختلف في امة عن امة ، و انما الاختلاف في أمرين :

(١) أخذ احداهما مصداقاً ، والاخرى مصداقاً آخر .

(٢) استقامة احداهما وانحراف الاخرى، وقد تكون كلتاهما في انحراف اذ الواقع واحد والانحراف كثير .

ثم اذا خالف الفرد الاجتماع في مسيره :

(١) فان كانت المخالفة عابرة لم يعتن الاجتماع بخلافه .

(٢) أما اذا كانت المخالفة مستمرة سمي المخالف [منحرفاً] .

الانحراف ليس قدراً

وقد كان في القرون الوسطى ، وجماعة من المسلمين في حاشية الخلفاء ينظرون الى الانحراف ، كأنه قدر محتوم و قضاء لازم ، ويضمون الى ذلك ان القضاء والقدر لا تبديل له، وكانوا يؤيدون ذلك بآيات وروايات خصوصاً اذا كان المخالف المنحرف من طبقة الحكام فكان من اسباب ذلك طبع أذهان

جماعة من العامة على ان المستقبل بيد الله فلا يمكن تغييره عما كتب ، حتى قال شاعرهم :

جرى قلم القضاء بما يكون فسيّان التحرك والسكون

بل أبعد النزع بعضهم، حيث قال في أشعار له :

[اني اشرب الخمر و كل من كان مثلي في التأهل العلمي]

[رأى في شربي الخمر أمراً سهلا]

[و ذلك لان الله كان يعلم شربي للخمر]

[فاذا لم اشرب تبدل علم الله جهلا] .

فالمستقبل، بل و كل عمل الانسان تقدير لابد منه، والى مثل هذا التفكر يعزى كثير من تأخر المسلمين، حيث منع ذلك عن التخطيط للمستقبل .

بينما كان الاسلام أمر بالعكس من اعداد العدة، وبعد المدى، قال سبحانه: «واعدوا لهم ماأستطعتم من قوة» .

ووصف علياً عليه السلام بعض أصحابه فقال: (كان بعيد المدى) .

وقد أجاب بعض العلماء ذلك الشاعر قائلا :

[ان هذا الكلام لايقوله من كان من أهل العلم]

[اذ جواب كلامه سهل]

[فان جعل علم الله تعالى علة للعصيان]

[في غاية الجهل عند العقلاء]

بل كان عند بعض الاقوام بعض الانحرافات الناشئة عن المرض [كالصرع] علامة السيادة والكبر، حتى كان بعض الانتهازيين يتصنع الصرع ليحوز هذا المقام .

انحراف الحكام

أما انحراف الحكام فقد كان مما لا مرّد له ، اذ الشرعية كانت تستمد من مصادر ثلاثة :

(١) الوراثة كما كان خلفاء بني امية والعباس وعثمان يصلون الى الحكم من هذا الطريق [في غير رئيس السلسلة] ومثل هذه الشرعية باقية الى الان في بعض بلاد الاسلام .

(٢) الثورة حيث ان الذي قدر ان يجمع السلاح والرجال كان يثور، فاذا استولى كانت له الشرعية ، كما في أول كل سلسلة من غالب الحكام الوراثيين .

ومن الواضح، ان السند لو كان الارث، أوالسلاح كانت النتيجة تسلم المنحرفين اريكة الحكم، وبعد ذلك يفعلون مايشاؤون ، حتى ان بعضهم كان يخاطب :

[ما شئت لاماشائت الاقدار] [فأحكم فانت الواحد القهار]

ويقال في آخر: (والان صرت الى امية والامور لها مصاير) .

(٣) أما الامر المشروع الذي قاله الاسلام، وألمع اليه العقل، فهوالحكم الانتخابي، لمن له المؤهلات، ثم يعزل بمجرد ان فقد ولومؤهلا وآخذاً من تلك المؤهلات قال سبحانه : «امرهم شورى» وقال عليه السلام: (ان يختاروا) كما ذكرنا تفصيله في كتابي: [السياسة، والحكم] .

لا ... لفردية الحكام

ثم اذا توفرت المؤهلات، وانتخب الحاكم، فالقرار لايمكن ان يصدره

الحاكم بمفرده، ولا مع جماعة من الافراد، بل بتعديل من مراكز القوى التي هي عبارة عن خيرة الشعب الذين اختاروا الحاكم ، فان الدولة ليست لعبة صماء، تتحرك في الفراغ وتعمل حسب أهوائها وشهواتها، ومنافعها، وانما هي كائن حي مرتبط بجميع أفراد الامة بوجه أوبآخر، تتفق تلك المراكز بعضها مع بعض في المصلحة، وتتعارض بعضها مع بعض مما يتقدم في الرأي أكثرهم في المؤهلات .

ولذا قالوا لايوجد في السياسة صداقة دائمة ولا عداوة دائمة، بل ملاحظة الاصلح الدائم ، وهذا مايسمى في الفقه بقاعدة الاهم والمهم، والسلطة قمة عالية جداً ضيقة ، مليئة اطرافها بالاشواك والحبائل والفخاخ ، فلاينالها الا الاقوى الاصلح الاكثر حزماً ، و بمجرد أن نالها تتحرك القوى المناوئة و الصديقة ضدها، الاولى لاسقاطها، والثانية لتحريفها حتى تستفيد منها أكبر قدر من الاستفادة، فأي خطأ في محاربة الاولى، ومحاباة الثانية ، توجب الاسقاط المفضوح، ولذا كانت السلطة ، قبل الوصول اليها ثم البقاء فيها بحاجة الى القوة والصلاح والحزم .

و لهذا السبب [البقاء لايكون الا بالتوازن بين مراكز القوى] يكون الانحراف في السلطة ـ بعد الوصول ـ مساوقاً للسقوط ، كما كان الوصول اليها من المنحرف يساوق الاستحالة :

(١) فالاحساس الشخصي بأن القرار ضرورة .

(٢) والانفعال الشخصي والايحاء الذاتي .

(٣) وصداقة الحاكم مع شخص أوجهة في اصداره القرار وعدم اصداره أوعداوته كذلك في اصدار القرار أوعدم اصداره .

(٤) و اعلان الحرب و السلام و المعاهدة و شروط ايهما بمجرد رأى

الحاكم .

(٥) والاعتباطية في الصداقة والعداوة لانها تابعة لمزاج الحاكم وكذلك الاعتباطية في ابقاء الصديق صديقاً والعدو عدواً .

(٦) وتبدل الاتجاهات السياسية و الاقتصادية والاجتماعية وما الى ذلك بتبدل الحاكم ـ بل وحتى بتبدل أنظمة الحكم ـ الى غيرذلك .

لايمكن أن يكون المبرر للقرار والعمل للقمة .. ان هذه الاموروان كان يعملها الوارث السلطة ، اذا كان منحرفاً ، أو الحاكم الذي أتى بالانقلاب العسكري ، الا ان ذلك يوجب تزلزل حكمه والانزجار العام حتى السقوط المشين ، بالعكس من الحكم الانتخابي حيث لايجد الانحراف اليه سبيلا، وانما ينزل عن كرسي الحكم اذا انتهت مدته ويكون حاله بعد السلطة كحاله قبلها ـ بتفاوت ـ الا اذا انحرف حيث يكون حاله حال الانقلابي والوراثي يسقط بفضيحة .

موقف المجتمع من الانحراف

وكيف كان (فانحراف الشخصية) :

(١) قد يكون انحرافاً ملائماً للاجتماع ، حيث يراه الاجتماع انحرافاً لكنه يرى انه لابد من مثله، بل قد يوضع القانون لاجله، من جهة ان الاجتماع يرى جعل المنحرف فى دائرة خاصة أفضل من تسييبه ، مثل عادة شرب المسكر أو استعمال المخدر، أو اجازة الشذوذ الجنسي في كلا الجنسين، وما أشبه [هذا وان كان في الاسلام خطاءاً كبيراً، ويرى الاسلام منعه أهم من النفع المتوهم له ، وقد قال سبحانه : « قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما» ..] الا ان جملة من الامم لم تدرك أهمية الترك ، أوادركت

ولكن لاعلاج لها، حيث ليس لديها دين يدخل القلب فيكون الامتناع تلقائياً، ولذا أجازت مثل هذه الانحرافات .

ب ـ وقد يكون انحرافاً غير ملائم، وهذا هو الانحراف الذي يقف الاجتماع دون ظهوره ، واذا ظهر حاول تقويمه، سواء كان المنحرف يراه انحرافاً، لكنه لايقدر على ازالته ، أو لايراه انحرافاً، مثل الذي له عقدة الحقارة، حيث ان بعضهم لايرونها سيئة ، وبعضهم يرونها سيئة، لكنهم يرون عدم قدرتهم على ازالتها.

مثلهما في ذلك مثل من يرى ان أربعة في أربعة يعادل عشرين ، ومن يرى انه يعادل ستة عشر لكنه يتأذى من ذلك ،وفي المثال الاسلامي ـ ولامناقشة في انه عكس الممثل له ـ قد يرى غير المسلم ان محمداً ﷺ ليس بنبي وقد يراه نبياً لكنه يتأذى من ذلك ، وقد قال سبحانه : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم» .

عوامل الانحراف

ثم ان الانحراف :

(١) قد يكون بالوراثة ،فان الانحراف في الاباء ، يرثه الابناء ، فالولد سر أبيه ، كما ان الولد يشبه العم والخال، الى غير ذلك مما حقق في علم الوراثة ـ لكن الارث لايكون علة تامة ، بل أمر اقتضائي ، ولذا لاينافي التكليف كما قرر في علم الكلام .

وهذا الانحراف الوراثي ، ان أمده الاجتماع قوى الانحراف ، والابقى على حاله، الا اذا كان الاجتماع صالحاً ، حيث يتمكن من تقليله، وأحياناً من ازالته ... فمثلا : الرجل السيء الخلق ، ان كانت له زوجة حسنة الخلق، نزل

الرجل عن غلوائه بنسبة في المائة، أما اذا كانت له امرأة سيئة الخلق، بقي على سوء خلقه، ان لم تزده سوءاً على سوء، وكذلك حال المعلم والمدير، والموظف ورئيسه ، والاولاد والوالدين .

(٢) وقد يكون بالعرض ، وهو على ضربين :

(١) فقد يكون بسبب المعاناة في الصغر مثل تحقير الاولاد في البيت، أو المدرسة، أو في محل لعبه أو ما أشبه ذلك، أو تدليل الاولاد أكثر من القدر المعتاد أو ابعاده عن الاجتماع ، أو جعله في اجتماع سيء ، أو ما أشبه ذلك ؛ فان أمثال هذه الامور تجعل الاولاد عرضة للانحراف بعقدة الحقارة ، أو بالخمول أو بالنشاط المحرم، او بما أشبه ذلك .

فان حال النفس حال الجسم : كما انه اذا ربّي الولد بعيداً عن مختلف الاغذية ، والمناخاة الطبيعية أوجب انحراف صحته الجسدية ، كذلك اذا ربى في جو غير ملائم للنفس أوجب انحراف صحته النفسية .

ب ـ وقد يكون بسبب عدم ملائمة ظروف الحياة ، مثل الفقر ، او الحرمان وحالة الفوضى والحرب، والخصومات، والمنازعات مع المنافسين، والفشل في الحياة ، والسجن ـ خصوصاً الانفرادي منه ـ والكبت ، والمصيبة، وبالاخص اذا منع من التنفيس عن كبته ببكاء أو سفر أو سياحة أو رياضة أو ما أشبه ذلك ، مما يوجب تنظيف النفس من المشاعر السوداء، و الدين الذي يتراكم عليها من الامور السابقة الذكر .

ولعل من أسباب جعل الاسلام اطلاق السجناء في أيام الجمع و الاعياد لاجل الصلوة ، وعدم منع عائلة السجين عن ملاقاته، بل وبقائهم معه ـ حيث لادليل على منع ذلك ـ هو انلاتتوفر الظروف السيئة حوله ، حتى يوجب انحراف شخصيته.. كما ان من ذلك أيضاً اباحته البكاء على الميت وغير ذلك

مماتزخر به الاحاديث الواردة من المعصومين عليهم السلام في أمثال هذه الشئون وقاية وعلاجاً .

واذا كان للانسان أرضية وراثية ، أو أرضية من زمان صغره للاختلال النفسي اسرع اليه الاختلال بمجرّد حصول الظروف الملائمة لذلك الاختلال.

تأثير المجتمع فى الانحراف والاستقامة

ثم الاجتماع كلما كان أكثر انغلاقاً، كان أخصب لرشد الانحراف كما انه كلما كان أكثر حرية صحيحة كان أخصب لرشد الاستقامة... هذا من جهة، و من جهة ثانية ـ كلما بني الاجتماع على اعطاء الحاجات، وتوفرت فيه وسائل الحياة كان أبعد عن تكوين الانحراف، والعكس بالعكس، ولذا أكد الاسلام على اعطاء حاجات الجسد، ومنع عن الكبت .

ففي الحديث: (ان لبدنك عليك حقاً) .

وقال النبي ﷺ لمن رآه قد انهكته العبادة: (ان هذا الدين رفيق فأوغل فيه برفق، فان المنبت لا أرضاً قطع ولاظهراً أبقى) الى غيرها من الاحاديث .

والاجتماع بكلتا حالتيه العادية وغير العادية، يوجب الانحرافات المختلفة مثلا: في الحالة العادية، الريف لسكّانه يوجب قسماً من الامراض الروحية، أما المدينة المزدحمة فتوجد مرض توتر الاعصاب والقلق والحالة السبعية و الاندفاع في بعض، وبالعكس يوجب الانعزال والانقطاع عن الاجتماع لبعض آخر .

أما الحالات غير العادية للاجتماع ، مثل الحرب ، بل والذين يتصدون الحرب كالجنود، فهي سبب انحرافات من قسم آخر :

(١) فالتغيير الفجائي في الحرب يوجب صدمة الاعصاب ، بما لايتحمله

بعض ، فيوجب فيه أمراضاً نفسانية ، وانحرافاً في الروح مما يؤثر أثره على العمل .

(٢) والجندى حيث يضطر الى الانضباط والاعمال الصعبة التدريبية و نحوها، تتحول حالته العادية، الى حالة غير طبيعية، ممايوجب صدمةروحية له توجب انحرافه .

الكبت والامراض النفسية

(٣) ثم ان الكبت النفسي الذى يضطر اليه الجنود، بعدم البكاء، وعدم اظهار الخوف، وعدم الشكاية وماأشبه ـ حيث ان مثل ذلك مما يعاب به في كثير من الاعراف ـ يوجب أمراضاً نفسية وانحرافاً، هي من ولائد الكبت والانغلاق ولذاجعل بعض الحكومات من نظام الجيش التنفس عن الكبت بالامور السابقة واظهاره عواطفه حتى لاتقوى نفس الجنود، ولايسبب ذلك أمراضه النفسية وانحرافه.

ومن هذا المنطلق يتعارف عند الناس، انه اذا اصيب شخص بعزيز له أوبمال أو بآفة كقطع يد ، أوقلع عين ـ في عملية جراحية ـ أو ماأشبه ، ان يأمروه بالبكاء، أوبالشكاية ببث الاشجان، وبالانصراف عن القيود والانضباط كما ان العرف يصرون عليه بالسفر أو تغيير المنزل ـ في من مات عزيزه ـ حتى يصبح فؤاده فارغاً، ولايكون له مايذكره بما فجع به، بالاضافة الى أمره بالصبر ، فقدورد في الحديث : (من عزّى مصاباً كان له مثل اجره) و (من عزى ثكلي كسى برداً في الجنة) .

وقدلخص جملة من علماء الاجتماع، أسباب الانحراف في :

(١) عدم استقامة العائلة .

(٢) الحرمان .

(٣) تناقضات الاجتماع .

العائلة . . وانحراف الشخصية

(١) فعدم استقامة العائلة عبارة عن عدم سلامة وأمن البيت الذي يربي فيه الاولاد، أما بالكبت، أو بالتنازع، أو بالمزيد من العطف، فان كل ذلك يوجب عدم استقامة النفس مما يتهي بالاخرة الى الانحرافات الروحية، قالوا: ولذا نجد كثرة الانحرافات النفسية عند الايرلنديين لتشديد الامهات في تربية أولادهم، وعند اليهود لتكثير الامهات من العطف، واللطف بأولادهم، وعند الايطاليين لتشديد الاباء على الاولاد، وعند جماعة من الامريكيين لكثرة المنازعات بين الاخوة والاخوات .

وفي كثير من البلاد الغربية يقع الاولاد أوائل بلوغهم بين تناقض متطلبات العائلة منهم، مثلا : من ناحية يريد الابوان من البالغين الاستقلال في ادارة امورهم الاقتصادية وغيرها، بل وحتى الجنسية ، ومن ناحية اخرى يربطون الاولاد بالبيت وبالطاعة للابوين والكبراء ، ومن الطبيعي ان يقع التناقض بين الاستقلال واللا استقلال .

و كذلك الحال يكون مع الاولاد الذين يريد الاباء منهم الطاعة ، ولا يقومون بكل حوائجهم ولوعدم تزويجهم ، وبذلك يحدث الانفصام والعقد النفسية، فاللازم أما اعطاء الحاجة ـ ولو النواقص منها ـ في قبال الطاعة وأما ترك الاولاد ليقوموا بحوائج أنفسهم باستقلال من غير تطلب الطاعة منهم .

فالطاعة لاتكون الا في قبال اعطاء الحاجة ، فاذا اختل الميزان اختلت الصحة النفسية بما أوجب الانحراف ، وهذه هي حالة الحكومات في قبال

الشعوب، فاللازم أما اعطاء حاجاتهم في قبال تطلب الطاعة منهم، وأماتركهم و شأنهم لتحصيل حاجاتهم بأنفسهم بدون تطلب الطاعة ، وانما يكون شأن الحكومة حينئذ شأن المراقب لئلا يطغى بعضهم على بعض .

وفي بعض الامم يتجلى التضاد في العائلة بمظاهر اخر ، مثلا: الاب يريد المجازات للمسيء من الاولاد ، لكن الام تمنع ذلك ، فيقع الطفل بين هذين النقيضين ، أويريد الاب انهاء الدراسة للاولاد ليساعدوه في عمله ومزرعته ، وتريد الام عكس ذلك ، أوتريد الام زواج البنت ، ويريد الاب عدم زواجها لاجل خدمة البيت ، أوغير ذلك .

ولون آخرمن ألوان التضاد ، تسييب الاولاد في الدار، وارادة الانضباط منهم لدى الذهاب الى السفر ، أوالى الضيافة ، أوعندحلول الضيف لديهم .

والحاصل: انه كلما يوجب الازدواجية يوجب انفصام الشخصية مما ينجر بالاخرة الى الامراض والعقد النفسية . . وحيث ان النفس والجسم يتبادلان المرض ، ولذا قيل : (العقل الصحيح في الجسم الصحيح) فاذا مرضت النفس وتعقدت أوجبت بالاضافة الى انحراف خط سير الحياة للمريض ولمن يرتبط به ، تأثير المرض النفسي الى جسمه .

ولذا اعتاد علماء الطب [النفسي الجسمي] فحص صور المرض الجسمي في النفس ، فان لم يوجد هناك مرض ، استوجده في الاعضاء ، والاجهزة البدنية .

دور الحرمان في الانحراف

(٢) أما دور الحرمان فهو كبير في خلق الانحراف ، فأنه يؤثر في الانحراف من جهتين :

(الاولى) ان الحرمان يؤثرعلى الجسم نقصاً في جهاز من الاجهزة ، سواء كان بسبب سوء التغذية ، أوبسبب عدم الوقاية من الحر والبرد، أوبسبب عدم وسائل الصحة في الماء والهواء ، أوبسبب عـدم الدواء . . فيؤثر الاختلال الجسمي في الاختلال النفسي ـ كما تقدم وجهه .

ولذا نرى في البلاد ذات الاختلاف الطبقي تبتلي الطبقة الفقيرة بأمراض النفس مما لايوجد مثل ذلك في الطبقة الغنية ، ويعرف ذلك جلياً فى الاحياء السكنية الفقيرة والغنية .

فالاحياء السكنية الفقيرة، كماتكثر فيها الامراض والاسقام الجسمية، كذلك تكثر فيها الامراض النفسية والانحرافات الروحية ، بخلاف الاحياء السكنية الغنية، واذا ارتاد الانسان المستشفيات ، والمصحات العقلية ، ودور المجانين يجد ان نسبة من فيها من الفقراء أكثر بكثير من نسبة من فيهامن الاغنياء .

ومن أجل ذلك يكون المبتلى بالانحراف النفسي أكثر بكثير، فى العوانس والارامل ، والايتام والنساء اللاتي طلقن، والرجال الذين طلقوا زوجاتهم، من غيرهؤلاء ،كالنساء والرجال ذي الازواج ، والذين لـم يصلوا مبلغ الزواج من الصنفين ، والاولاد الذين لم يصابوا بفقد أحد الابوين .

تناقضات المجتمع تزرع الانحراف

(٣) أماتناقضات الاجتماع، فهي الاخرى توجب الانحراف ، حيث يقع الفرد بين جهتين متضادتين، ويسبب ذلك انفصام شخصيته ، واختلالا في داخله يجره الى الانحراف ، مثل ماإذا وقع الاجتماع بين كماشتي الثقافة القديمة ، والثقافة الجديدة، أووقع الفرد بين التضاد الثقافي، لان ثقافته الاجتماعية توجب شيئاً ، وثقافته الحزبية أوما أشبه توجب شيئاً آخر ، وكما اذا أمره دينه بشيء

واجتماعه بشيء آخر .

ولذا نجد الانحراف في البلاد الاسلامية بكثرة بعد ان غزتها الثقافات الدخلية ونرى من يفرط في شرب الخمر بما لايفعل مثله زميله في بـلاد المستعمر ، الى جانب من يفرط في التطهير الى حد الوسوسة ، بما لم يأمر به الاسلام ، الى غير ذلك من الامثلة .

وقد نعى جماعة من علماء الاخلاق في الغرب ، تحطم الاجتماع الغربي من جهة التناقضات السائدة في تلك البلاد، لان الاجتماع يدعوا الفرد من ناحية الى حب الانسان وخدمته ومراعاة حقوقه ، ومن ناحية الى حب الشهرة وجمع المال وتطلب المزيد من الربح، وكذلك يدعوه تارة الى الرؤية المستقبلية والوعي والرشد الفكري، وتارة الى حقائق مقبولة بواسطة الدعايات الملتوية في الاذاعات والصحف وغيرها ، وهكذا يزيد تارة من حاجاته الاقتصادية بسبب المنتجات الاقتصادية الجديدة ذات الجمال والبريق ، ثم لايهيء له الوسائل الكافية ، والامكانات لاحتواء تلك الحاجات، وكذلك في أمر السلام والحرب والاستعمار والتحرر، بينما السلام هو ظاهر دعاياتهم والتحرر هو مدعاهم ، يعملون ليل نهار للحرب ، وللاستعمار الاكثر فالاكثر .

حربة الاستعمار تصيب حامليها

وينبغي هنا ان ننوه الى حقيقة هي ان الانسان لايمكن ان يكون على شاكلتين ـ الا اذا كان مريضاً منفصم الشخصية ـ قال سبحانه : « ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه » والشاكلة الواحدة لاتأتي الا بالعمل الواحد المشابه لتلك الشاكلة . « قل كل يعمل على شاكلته» ولذا عادت اضرار استعمار البلاد ونيران حروبها الـى أنفسها بمثل ما رجعت الى البلاد المستعمرة والمحاربة ، ولكن بصورة

مختلفة ـ وان كان المغزى واحداً ـ .

فالحالة الاستعمارية في تلك البلاد سببت :

(١) استعمار دولها لشعوبها ، كما استعمرت تلك الدول البلاد المستعمرة وقد صدقت الحكمة القائلة : (من أعان ظالماً سلطه الله عليه) . وما ورد من انه :

(كما تدين تدان) فان حالة الظلم اذا وجدت في انسان لم يهتم ان يظلم عدوه أوصديقة ، وفي المثل الاسلامي ، أن هارون كما قتل موسى بن جعفر عليه السلام قتل البرامكة الذين ساعدوه على ظلمه .

(٢) المؤامرة الدائمة من بعضهم ضد بعض ، بمالاتدع لهم راحة فهم في ضيق البلاد المستعمرة، وان لم يكن من جهة الاستعمار الظاهر، وقد قال سبحانه «ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا» .

كما ان حروبهم لاجل الاستعمار أورثت لهم بالاضافة الى كره الامم المحاربة لهم ، والحروب الباردة بينهم ، حربين عالميتين كانت كل حرب منهما تساوي القدر الذي حاربوه مع الامم الضعيفة ، قبل تلك الحرب ان لم تكن أكثر ، وقد يجتمع هذه الحروب التي اشعلوها ضد الامم ـ بعد الحرب العالمية الثانية ـ لتنفجر ضدهم في حرب عالمية ثالثة .

شروط عقاب المنحرف

(مسألة ـ ٢٥ ـ) المنحرف يجب ان يعاقب بعد ملاحظة أربعة امور :

(١) الجريمة .

(٢) والمجرم .

(٣) والاجتماع .

(٤) والصلاح .

فمثلا : هل حجم الجريمة زنا محصن ،أو زنا غير محصن ؟وهل المجرم غير بالغ ليؤدب ، أو بالغ ليحد ؟وهل الاجتماع صالح حتى يكون المنحرف خارقاً للصلاح العام ؟

قال سبحانه : « ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ».

أو الاجتماع غير الصالح حتى يكون المنحرف خارقاً للقانون لاللصلاح العام، وقد قال ﷺ : (ساحر المسلمين يقتل ، وساحر الكفار لايقتل ، لانه في اسوء من السحر)ولم يكن جزاء السارق في المخصمة قطع اليد ، وبعد تلك الامور يأتي دور الاهم والمهم ، وهل ان الصلاح العقوبه أو تركها أو قدر منها ؟

قال الله تعالى : « وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث » .

وجعل الاسلام الصلح سيد الاحكام ، وقال تعالى : « والصلح خير » حتى لايستفز الحق أحد الطرفين ويهيىء الارضية للانحراف، وقد عزل علي عليه السلام أبا الاسود الدئلي [قاضيه] فقال له : لم عزلتني يا أمير المؤمنين، وما خنت ولاجنيت ؟ قال عليه السلام (نعم ولكن يعلو صوتك صوت الخصمين ...) فلماذا الصياح من القاضي ؟ فان اللازم عليه ان يحكم حسب ما يراه من الحق وذلك ممكن بصوت خافت ، أما ماعداه فانه يزرع الحقد ،ويهيىء الارضية للانحراف .

وقد عفى علي عليه السلام عن شاب سارق ، قال له : ماذا تحفظ من القرآن ؟ قال سورة البقرة ، قال عليه السلام : (عفوت عنك لسورة البقرة ...) وعفى عن لائط بعد ان تاب واستعد لتقبل العقاب ... وانّب رسول الله ﷺ الذين ارجعوا ماعزاً الى الحفرة حتى رجم فمات ، وأوداه من بيت المال ، الى غيرها من

القصص التي تعير مسألة كون [العقوبة حسب الجريمة ، أو حسب المجرم] وكون [الاجتماع ، والصلاح] يتدخلان فى الامر .

كيف يعالج الانحراف ؟

وعلى أي حال ، فالمهم فى باب الانحراف :

(١) العلاج .

(٢) واصلاح المجتمع الصغير .

(٣) واصلاح المجتمع الكبير .

فان المنحرف غالباً ليس الاضحية الاجتماع ، فيجب ان ينظر اليه بنظر العطف والشفقة لابنظر الغضب والازدراء ، ولذا لم يرد فى التاريخ ازدراء الرسول صلى الله عليه وآله ، وعلي عليه السلام بالمجرمين، وان طبقوا عليهم ـ احياناً ـ الحدود الشرعية .

وحتى المنافقين الذين ورد فيهم : «انهم فى الدرك الاسفل » وانهم «هم العدو » لم يواجههم الرسول صلى الله عليه وآله ، وعلي عليه السلام الا بأقل القدر الممكن من التأنيب ، وكذلك الذين فروا من الزحف أو خانوا الرسول صلى الله عليه وآله فى أو امره الحربية مما سببوا قتل خيرة أصحابه كحمزة عليه السلام مع انه قال الله تعالى : «ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء غضب من الله»

وقال سبحانه : « ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين » .

بل عامل الرسول صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام الذين حاربوهمئا بأقل القدر الممكن من العنف مما لابد منه ـ فى قصص معروفة ـ اذ العقاب اضطرار ، لم يجعل تشفياً ، وانما جعل علاجاً فهو كالعملية الجراحية لايقدم عليها الا اضطراراً ، ثم يكون كمها وكيفها بقدر الاضطرار ايضاً ، فان الله سبحانه خلق البشر

ليرحمهم .

قال تعالى : « ولذلك خلقهم » .

اما العذاب فى الاخرة ، فهو أيضاً بقدر الاضطرار ، ولذا تكون الشفاعة والعفو ، ثم بعد ذلك اذا حدث الاضطرار يأتى « جزاءاً وفاقاً » « وانما تجزون ماكنتم تعملون » .

ولذاكان شعار الاسلام : «قولوا للناس حسناً» و «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » و « ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، ولا يلقاها الا الذين صبروا ولايلقاها الا ذو حظ عظيم » . « وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه » .

وقال علي عليه السلام:(واكظم الغيظ وتجاوز عند المقدرة ،واحلم عند الغضب واصفح مع الدولة [السلطة] تكن لك العاقبة) .

وقال عليه السلام :(اذا قدرتك على عدوك فأجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه)

وقال عليه السلام : (أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة) .

وقال عليه السلام:(العفو زكاة الظفر) ...الى غيرذلك من كلماتهم عليهم السلام وأعمالهم سواء بالنسبة الى المجرمين السياسيين ، أو المجرمين الجنائيين .

وقد اكتشف علماء السياسة والاجتماع ، أخيراً لذلك قاعدة [عجز القوة وقوة العجز] حيث ان القوة يختفي في طياتها العجز ، فهل يمكن ان يضرب لص بمدفع ميدان؟ وهل يمكن ان يقابل سلم العدو [العجز] بالقمع؟ وللمثال.. فقد انتزع حزب المؤتمر استقلال الهند من بريطانيا بالسلم ، كما ان عالم اليوم عجز عن دفع عدوه مع انه يملك السلاح النووي .

ومن كلام لعلي عليه السلام ـ كما في نهج البلاغة ـ :(وانما ينبغي لاهل العصمة

والمصنوع اليهم في السلامة، ان يرحموا أهل الذنوب والمعصية. يكون الشكر هو الغالب عليهم ،والحاجز لهم عنهم ،فكيف بالعائب الذي عاب اخاه وعيّره ببلواه .

أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذي عابه به ؟ وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله ؟ فان لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه ، مما هو أعظم منه ، وأيم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير ، لجرأته على عيب الناس أكبر ، يا عبد الله لاتعجل في عيب أحد بذنبه ، فلعله مغفور له ، ولا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلك معذب عليه ، فيكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، وليكن الشكر شاغلا له على معافاته ، مما ابتلى به غيره ».

وعلى أى حال ، فعلاج الانحراف :

أ ـ استدراج المنحرف الى الاستقامة من أقرب الطرق واسهلها ، فاذا كان اجرامه لاجل فقر أو عدم زوج أو زوجة أو مرض أو منافسة ، أو ما أشبه عالج فقره ، وزوجه [وقد زوج علي عليه السلام مومسة]وهيء وسائل صحته، وأصلح بينه وبين منافسه ، أو أبعد أحد المنافسين عن الاخر ـ ان أمكن الابعاد ـ وقد أمر الامام الصادق عليه السلام بعض أصحابه ان يعطي من مال الامام عليه السلام لطرف النزاع حتى يصطلحا اذا كان النزاع على مال .

ب ـ تهيئة مصحات تمزج العلاج ، بتشغيل المنحرف ، اذ المنحرف اذا ارتبط بالعمل لم يبق له فراغ للانحراف الفكري أو العملي، فان فكره يشتغل بعمله ، وتعبه العملي يورث انضباط أكله ونومه مما يسببان له راحة وبهجة ، وبالاخص اذا كان شغله مغرياً وموجباً لتقدمه ، حيث ان ذلك يسبب ان ينظر الى نفسه بالرفعة فيتجنب تعاطي الامور الوضيعة ، والتفكر في الامور السخيفة .

ج ـ اذا كان مستحقاً للعقوبة عاقبه بقدر الضرورة ، كماً و كيفاً [كما تقدم] .

اصلاح المجتمع الصغير

(د) اصلاح المجتمع الصغير، اي العائلة والمدرسة ونحوهما ، فقدسبق ان للمشاكل العائلية وسوء تربيتهم للاولاد ، وانحراف الثقافة في المدرسة ، وسوء معاشرة المعلم ونحوه للتلاميذ، يسببان لهم انحرافاً .. . فاللازم على الابوين اعطاء الاولاد العقل والعاطفة معاً، بدون اهمال أو تشديد حتى يحس الطفل بالامن ويشعر بحدود عمله ، فيعطيانه حاجاته، وفي نفس الوقت يعلمانه الانضباط والنظافة والادب والعمل ، وحب الاخرين و المشاركة معهم و عدم الاستبداد .

يقول الشاعر :

والام مدرسة اذا اعددتها اعددت جيلا طيب الاعراق

أما المدرسة فهي محل التربية الفكرية والعملية، وتقويم الطفل فيها أصعب من تقويمه في البيت، حيث انه في المدرسة تختلط الاجواء ، فان لكل طالب جواً، والنفس تسرع في اكتساب السيئات أكثر من كسبها للحسنات ...ولذا يكون اللازم استقامة الثقافة، واستقامة التربية ، والمواظبة الكاملة على عدم سراية الاخلاق السيئة من بعض الطلاب الى بعض .

ولايخفى، ان المجتمع الصغير حيث انه مندمج في المجتمع الكبير ، يلزم ان يصلح المجتمع الكبير أيضاً، اذا اريد اصلاح المجتمع الصغير .

اصلاح المجتمع الكبير

(٣) أما اصلاح المجتمع الكبير، فهو من أشكل الامـور. اذ يتدخل فيه الاقتصاد والسياسة والشئون الاجتماعية، والعمران، والتربية، وغيرها، وهو بحاجة الى جيش من المصلحين، ومن المثقفين، والمحنكين حتى يمكن اصلاحه فان مثل محاربة تعاطي الخمور والمواد المخدرة، والانحراف والشذوذ الجنسي وفتح مدرسة، أو اخراج مجلة، أو ما أشبه، امور جزئية، لايمكن اصلاح المجتمع الكبير بها، وانما اصلاحه بحاجة الى تخطيط عام يشمل كل جوانبه وأول الاصلاح هو ان يكون القائمون به صالحين، والا (فاقد الشيء لايعطيه).

دعائم اصلاح المجتمع

والتخطيط العام لاصلاح المجتمع يبنى على دعائم : أ ـ الايمان . ب ـ واقتسام العلم والحكم والمال .

١ ـ الايمان بالله

اما الايمان فلانه الوحيد الذي يمكن به تعديل الصفات والملكات والعواطف والاعمال، والا فمهما كان السطح منظماً ومنضبطاً، امكن الخروج منه، وحيث ليس كلامنا الان في [الايمان] ندع الامر لموضعه .

٢ ـ أقتسام القدرات

ب ـ وأما الاقتسام فلان من طبيعة الاستغناء [علماً أو مالا أو حكماً] الطغيان ولايأخذ أمام الطغيان، الا الاقتسام [فان في ذلك وقاية للاجتماع عن الانحراف

والوقاية خير من العلاج].

فان أحد الامور الثلاثة ، اذا لم يكن في متناول الجميع على حد سواء ـ باستثناء عدم قدرة بعض للاستيعاب من جهة عدم الكفاية فكرياً او جسمياً ـ أوجب ذلك الحرمان، والحرمان ينتهي الى الانحراف، ولذا يجب تحرير الثلاثة عن نير الرأسمالية والشيوعية ونحوهما، حتى يكون الميزان الكفاية والعمل فكل يقدر على ان يحصل المال بقدر الاخر ـ في صورة استوائهما كفائة ـ وكل يقدر على ان يحصل على أعلى مراتب العلم [الجامعة وفوقها] وكل يقدر على ان يحصل على الحكم بعد وجود المؤهلات له، من الشرائط الشخصية [كالعلم والعدالة].

والشرائط الاجتماعية [كاختيار أكثرية الناس له] ـ هذا فيما فيه اختيار الناس ـ أما اذا كان الحكم من قبيل الوظائف ، كان لابد وان ينظر الى الافراد المتأهلين بنظرة واحدة ، واذا كثروا وتساووا، ولا احتياج الى جميعهم كان الحكم [القرعة] فـ [القرعة لكل أمر مشكل].

وبذلك يأمن الاجتماع عن الطبقية المنحرفة ، والمحسوبية والمنسوبية، وعن تدخل غير الكفاية في الوصول الى المال والعلم والحكم، وحينذاك تكون الارضية الاجتماعية خصبة للنبات الصالح ، فلا يوجد الانحراف [الا ما كان خارجاً عن تحت قدرة البشر].

فاذا حصلت الموازنة الصحيحة بين المعنويات [الايمان والعلم والحكم] والماديات [المال] لم يترد المجتمع في مساقط الانحراف ، بخلاف ما اذا لم تحصل الموازنة كما اذا كان الايمان عند من لا علم له، أو العلم عند من لا مال له، أو المال عند من لا ايمان له ، أو ما أشبه ذلك ، فان المجتمع حينئذ يصبح محلا خصباً للانحراف :

فلماذا الشاب الفلاني يقدر على دخول الجامعة،وانا لااقدرمع ان مستواه الفكري مثلي؟ فهل لان والده يملك المال ولايملك والدي؟ واذا كان الامر كذلك فلماذا ملك والده المال ولم يملكه والدي ، مع ان الكفائة فيهمامتساوية أليس ذلك من ذنب الاجتماع الذي نظم القانون الاقتصادي بحيث يسحق الكفاءات ، ويوجب الاختلاف في الطبقات بدون مبرر ؟

ولماذا تمكن فلان من الوصول الى مجلس الامة، ولم اتمكن انا ؟ فهل لان ذاك من حاشية الحاكم، ولست ان من حاشيته؟وهل ميزان الحكم الحاشية؟ أو ان الميزان الكفائةوانتخاب الناس ؟ واذا كان الميزان الاول ، فاي اجتماع هذا الذي ينظم القانون بحيث يحرم الكفوء بدون أي سبب؟

ولماذا لااتمكن انا من كسب المال الكافي لشئوني ، مع ان عندي كفائة وانا مستعد للعمل؟ أليس ذلك لاجل ان الرأسمالي الفلاني ، يتمكن من التلاعب بالاسواق فينزل البضاعة ليكسر باعة المفرد ، حتى يوسع لنفسه المحلات لبيع المفرد التابعة له؟ واذا كان الامر كذلك، فأي اجتماع هذا الذي يسن مثل هذه القوانين حتى يحرم الانسان عن لقمة العيش ، بله التقدم ؟

الى غيرذلك من أسباب الطبقية المنحرفة في كل من العلم والمال والحكم مما يسبب ان يكون الاجتماع محلا لولادة الانحراف .

القوانين الوضعية تصنع الانحراف

وقد أوغلت القوانين الوضعية في تهيئة مناخ الانحراف:

(١) فالقانون يطبق على العالم وغير العالم، والمضطر وغير المضطر ، مع ان الانسان يرى الظلم في القانون اذا رأى نفسه بريئاً ـ بعدم العلم وبالاضطرار ـ وذلك مناخ خصب لوجود الانحراف فان المظلوم يهيء نفسه للانتقام، ويختمر

في نفسه العداء، وذلك ما يسبب الانفجار أحياناً في غير المحل المناسب .

وأما الاسلام فقد رفع تسعة أشياء : (مالا يعلمون ، وما لايطيقون ، و ما اضطروا اليه ، وما استكرهوا عليه ، والنسيان، والسهو، والطيرة، والحسد ما لم يظهر بيد أو لسان، والوسوسة في التفكر في الخلق) لان كل ذلك لايدخل تحت الاختيار، فكيف يؤخذ الانسان به .

كما ان من خطأ القوانين الوضعية الموجبة لتهيئة مناخ الانحراف جعل ، المال بدل العقاب، وبدل الوظيفة، فالقاتل وكثير من المجرمين اذا أعطوا المال خلصوا من السجن أو الاعدام، أو ما أشبه، كما ان المكلف بالجندية الاجبارية اذا دفع المال سقط عنه التكليف بالخدمة، وهكذا في كثير من القوانين، ومثل ذلك من اخصب المناخ للانحراف .

ان الفقير ـ الذي لم يرجع فقره الى تقصيره ـ اذا اجرم هو والغنى، سجن الاول، واطلق الثاني ، أوقتل الاول وخفف عن الثاني، ولماذا ؟ لان الاول عثر به حظه فلم تتهيء الظروف، لان يكون له مال وكذلك اذا أخذ الفقير جندياً مكلفاً واطلق الغني بسبب عطائه المال : الى غير ذلك من الامثلة .

وكذلك الحال في اجرام ذي نفوذ وغيره، حيث ان شخصية الاول تحول دون عقابه أو عقابه الكثير ، بينما غيره يتلوى لامر لم يكن باختياره ، حيث انه لا شخصية له ، لعدم كونه من عشيرة أو ما أشبه . . .فان أمثال هذه الامور [والامر انما في اطار القانون] توسع رقعة الانحراف ، وربما جرفت الثورة بواضعي أمثال هذه القوانين .

بين المدينة والقرية

(مسألة ـ ٢٦ ـ)الاجتماع عبارة عن حياة أفراد كثيرين يسكنون في محل واحد ، والمراد بالمحل الواحد المعنى الاضافي منه ، مثل اجتماع القرية ، واجتماع المدينة ،واجتماع الدولة ، ولافرق في صدق الاجتماع بين الاجتماع البدائي كالذين يعيشون على الصيد ويسكنون الكهوف والخيام ،وبين المتوسط كالذين يعيشون على الرعي والزراعة ، وبين الصاعد كالذين يعيشون في المدن على الصناعة ، فالاولون يصطادون الاكل ، والثانيون ينتجونه، والاخيرون يعيشون حياة الحضارة المعقدة .

ثم المدينة [محل سكنى الاجتماع] قد تكون مدينة متمركزة، وقد تكون مدينة قطاعاتية، وقد تكون مدينة مراكزية ، تتناسب كل مدينة مع الاجتماع الذي يختار ذلك النوع من السكنى .

وسكان البلاد في العصر الحاضر ـ وبالاخص المتقدمون أكثر صناعياً ـ لهم حياة خاصة ، من ناحية هي متقدمة ، ومن ناحية هي متأخرة ، ومن ناحية هي أكثر تعقداً وضوضاءاً وضغطاً ،ولذا تكون المشاكل فيها أكثر، وقد حصل البون الشاسع بين حياة القرية وحياة المدينة .

وحيث يريد الانسان السلامة ، فاللازم ان يضع البرامج التي تضيق شقة الابتعاد بين القرية والمدينة من ناحية ، وتقلل من المشاكل الناجمة من كثرة الناس ، ومن لوازم الصناعة في المدينة .

وحيث ان الاحكام الشرعية تابعة للموضوعات ، ولا يعلم الحكم ما لم يعرف الموضوع ، كان اللازم بيان الموضوعات ، حتى يعرف أحكامها من منابعها التي تستقى منها الاحكام ، وكثيراً ما لايعرف الموضوع فلا يمكن حل المشكلة ، مما يوجب اضطرار الفقيه الى بيان الحكم الثانوي له ، مثلا : اذا عرف ان الاجتماع الحاضر مبني على البنك ولم يعرف كيف يمكن التخلص من الربا فيه ، كان لابد من اجازة تعامل الناس مع البنوك الربوية اضطراراً بينما اذا عرف الاقتصاد الحاضر ، وكيف انه دخل فيه الربا ، امكن علاج الامر بتقويم الاقتصاد بما يظهر منه انه لااضطرار الى تقبل الربا .

الاجتماع العام والاجتماع المحلى

وكيف كان، فـ[الجماعة الانسانية مع ملاحظة محل السكنى والروابط بين الافراد ، فيما دام الاجتماع ، هي محل هذا البحث] ولذا يخرج عن ذلك الكلام حول طلاب مدرسة أو أعضاء مؤسسة يجتمعون أحياناً لامر ما أو ما أشبه ذلك، هذا من ناحية الطرد ، أما من ناحية العكس فاجتماع قبيلة ، أو قرية ، أو مدينة ، أو قطر ، أو بين امم، أو بين كل الامم، كلها داخلة في محل البحث.

ولذا كان بين [الاجتماع المحلي] و [الاجتماع] عموم مطلقاً ، فالاول يرتبط بـ [بيئة خاصة] لوحظ فيها الماء والهواء والمناخ والمأكل وما أشبه، بينما الثاني يلاحظ الامم لامن بيئة خاصة، وحيث ان الكلام في هذا المبحث أعم من بيئة خاصة، يكون البحث عن [المطلق] لاعن [الخاص] والفرق بين [علم البيئة] وبين [علم الاجتماع] ان الاول يلاحظ الانسان من حيث ارتباطه بالمحيط الطبيعي ، والثانى يلاحظ من حيث ارتباطه بالمحيط الاجتماعي، فعالم البيئة يلاحظ خصوصيات البيئة وتأثير الطبيعة في الانسان ، بينما عالم

الاجتماع يلاحظ خصوصيات الاجتماع، ونفوذ الاجتماع في الافراد .

ويتكلم القسمان من العلماء حول كيفية مجيء الجماعات والاقوام الى الاماكن، لهجرة طبيعية، أومطاردة، أوحرب،أوغيرها؟ وكيف انهم تمركزوا؟ وكيف توسطوا؟ وكيف عاشوا؟ ثم كيف هجروا وجاء مكانهم اناس آخرون؟.

بدء الحياة الانسانية

والانسان أول ماوجد كان كاملا علماً «وعلم آدم الاسماء كلها» الا ان الحياة تدرج فلابد وان يكون بدء مجيئه الى الارض يعيش على الصيد والفاكهة، ثم ورد ان هابيل عليه السلام، وقابيل، أخذا في الزرع والرعي وذلك تطور من الحياة التي لااستقرار لها ، الى حياة الاستقرار في الجملة بسبب التقيّد بمحل الزرع، وبالقطيع المحتاج الى مكان خصب، ثم يأتي دور تطور جديد (١) بالسكنى مجتمعاً في خيام أوقرية أوماأشبه ..

أما مسألة الانسان الاول والتطور الداروينى فمما لم يقم عليه دليل، بل الدليل قام على خلافه (٢) وباجتماعات تعيش عيشة البداوة ، واخرى تعيش عيشة التوسط(٣) كما ان في القسم الثالث اناس يعيشون قمة الحضارة الحديثة بصنائعها ورفاهها ومشاكلها، وآخرون يعيشون قبل ذلك فلهم بعض محسنات ومشاكل المرحلة السابقة والمرحلة اللاحقة .

وقدأصبح الاجتماع بواسطة الوسائل الحديثة، وحدة واحدة، مركبة من المدينة الكبيرة، والمدينة العادية، والمدينة الصغيرة ،والقرية وماقبل القرية.

القرية . . ام المدينة

وهناك خلاف بين علماء الاجتماع في أفضلية سكنى المدينة أوالقرية ،

الاولى لانها مركز الحضارة و المدنية ، ولحصول الانسان فيها على وسائل الرفاه، وتمكنه من التقدم الى مدارج الكمال، والثانية لقلة المشاكل والضوضاء فيها، ولسلامة البيئة عن التلوث، ولقلة الامراض، بل ولطول الاعمار .

ولكل وان كان وجهة نظره، الا ان القول الاول أقرب الى الصواب لمن له قدرة المقاومة، فان التقدمية التي جبل الانسان عليها ـ لاتحصل في القرية .

وحسب الاختلاف المتقدم، فقد اختلفت الاراء الى :

(١) هدم القرية وتكبير المدينة ، وذلك بتشويق أهل القرية للهجرة الى المدينة :

(أ) ايجابياً بالدعاية ونحوها .

(ب) باهمال القرية حتى ينسحب أهلها تلقائياً مع توفير الامكانيات للمدينة لاستيعاب أهل القرية .

(٢) تقليل أهالي المدينة، وتكثير القرية ، وتكبير الموجودة من القرى بما لايخرج عن كونها قرية بمحسناتها، والعمل على العكس من الاول حيث تشجّع الدولة الهجرة الى القرى ، وتوفر بعض الحوائج، وتسّهل امور الاستيطان فيها .

(٣) تمدن القرى بايصال بعضها ببعض، وتحصيل الوسائل الكافية لها ، حتى تكون مرحلة وسطى بين المدينة المعقدة وبين القرية البسيطة .

وعلى أي، اللازم الدقة الكاملة، لما هو الاصلح بحال الانسان ـ حيث انه المحور ـ في رفاهه وتقدمه ، وبعد ذلك الشروع في التطبيق بما لايوجب تزلزل أركان الاجتماع .

المدن المغلقة ام المفتوحة ؟

ثم هناك خلاف آخر في انه هل من الافضل صنع المدن الجديدة حول المدن الكبار ـ كما يتعارف الان ـ مدناً منغلقة على طائفة ، كالمعلمين ، و عمال المصارف، والفلاحين وما أشبه ، أومدناً منفتحة ، أمثال القرى والمدن العادية، يسكنها من يشاء من غير فرق بين المهن وماأشبه .

الاولون: يستدلون بانه أقرب الى الراحة، للانسجام بين أصحاب الدور حيث لهم مهنة واحدة، والانسجام يوجب الرفاه النفسي والجسدي ...

والاخرون يقول: ان وحدة المهنة بين الجيران تسبب الانغلاق الفكري، حيث انعدم رقابة الحياة توجب جمودها، وصعوبة الاختلاط غير المتجانس أهون من مشكلة عدم الرقابة المجمّد، ولعل الثاني أقرب، وفيها فوائد آخر، مثل الزواج من مختلف الاقسام، وتنوع الحياة المستقبلية للاولاد، وغيرذلك .

نعم، بعض المدن الصناعية الحديثة، لابد لها من وحدة المهنة ، أمثال عمال مصنع كبير وماأشبه ... كما هو الحال في القرى الزراعية ونحوها، و مع ذلك يجب ان تنظم حياة أمثال هؤلاء بما لايوجب جمود الفكر الناشيء من عدم رقابة الحياة .

الفوارق .. بين المدينة والقرية

وكيف كان، فالفروق الاساسية بين المدينة والقرية هي :

(١) المدينة أكثر ناساً بخلاف القرية .

(٢) روابط الافراد في المدينة عادية، بينما الروابط في القرية شديدة ، و هكذا معاداة أفراد المدن بعضهم لبعض ضعيفة بينما معاداة أفراد القرية شديدة

والسر ان كثرة أعمال روابط فرد المدينة لاتدع له مجالا لشدة الولاء، أوشدة العداء بخلاف القرية .

(٣) سعة مجال العمل والزواج والانضمام الى الجمعيات والمؤسسات في المدينة دون القرية .

(٤) قوة العلم والدين والاخلاق والاداب في المدينة، لكثرة المدارس والمعلمين والوعاظ والمربين في المدينة دون القرية .

(٥) كثرة الامراض ويسر العلاج في المدينة ، وبالعكس من الامرين القرية، حيث تلوث البيئة في المدينة أكثر والطب والوسائل الطبية فيهاأكثر بخلافهما في القرية .

(٦) تعقد النفس في المدينة دون القرية ، و ذلك لان كثرة الروابط و تناقضها، وشدةالطبقية وكثرة الحرمان في المدينة توجب ذلك، والقريةليست كذلك .

(٧) سهولة المعاملات، وعدم التدقيق في أمرها في المدينة ، وذلك لان كثرة الشأن فيها لايسمح بالدقة ، بخلاف القرية حيث قلة الشأن فيها فتكون مسرحاً للدقة .

(٨) ضعف مراقبة الاهل والاولاد في المدينة، وشدتها في القرية، اذ سعة المدينة من ناحية، وكثرة شغل الانسان فيها من ناحية ثانية، تجعل الاولاد و نحوهم بمنأى عن عين الاب والام، ثم ان اشغالهما يمنعان من المراقبةالدقيقة وبالعكس من كلا الامرين القرية .

(٩) في المدينة الدخل أكثر والارباح أوفر، بخلاف القرية ، وذلك من جهة ارتفاع مستوى المعيشة في المدينة دونالقرية من ناحية، ومن جهةوجود النقد اكثر في المدينة مما يجعله أكثر ابتذالا، وبالعكس من ذلك القرية .

(١٠) التحرك الاجتماعي في المدينة عمودياً و افقياً ، حيث مختلف المؤسسات ، و متفاوت الدرجات، فيتمكن الانسان ان ينتقل من وظيفة الى وظيفة، كما يتمكن ان يصعد من مرتبة نازلة الى مرتبة رفيعة، وأحياناً بالعكس وليس كذلك القرية، ولذا يكون هناك الجمود .

(١١) اخطار المدينة أكثر من حيث السرقة، والسطو ، والاختطاف، و الدهس وغيرها، حيث كثرة السيارات، وتنوع الناس ، وامكانية المفسد من الاختفاء، في بحر الناس بخلاف القرية في كل ذلك .

(١٢) كثرة الفساد في المدينة من زنا ولواط واستعمال المخدرات ونحوها بخلاف القرية ، وذلك للاسباب التي تقدمت في بند (١١) .

(١٣) زيادة الحر والبرد في القرية لقلة العائق لهما من الابنية والعمارات بخلاف المدينة لكثرة العائق ، ولذا يمكن الاستفادة من الطبيعة أكثر في القرية من المدينة .

(١٤) تشتد النزاعات القومية والطائفية والعرقية وغيرها في القرية دون المدينة ، وذلك لان المدينة بحضارتها الكثيرة ترقق من المشاعر وتعطي رؤية أوسع ، بخلاف القرية في ذلك .

(١٥) تجعل القرية أفرادها أبعد عن عين الحكومة ومتناولها ، حيث تضعف أجهزة الحكومة في القرية ، وحيث القرابة والصداقة الشديدة في القرية ، مما يستر بعضهم على بعض ، وليس كذلك المدينة ، ولذا تشد القرية من ازر التنظيمات المناوئة للحكومة . .

ولايخفى انه تختلف المدن والقرى الساحلية، والجبلية، والغابية، والسطحية في بعض تلك الجهات ، كما ان حركة التهريب في الساحلية ، والحرب في الجبلية والغابية ، وغيرهما تختلف اختلافاً كبيراً ، كما ان المدن الصناعية

تختلف عن غيرها من بعض الحيثيات المتقدمة، وكذلك بالنسبة الى القرية .

الدين . . والمسكن

ثم لايخفى ، ان الدين [الاعم من الاخلاق] الذي هو الاطار الصحيح للدنيا السليمة ، وللاخرة السعيدة، تختلف امكانية تمسك الانسان به ، في القرية من المدينة ، وفي مدينة عن مدينة ، وقرية عن قرية ، وعدم التمسك به كاملا يوجب خبالا في الحياة ، بله الاخرة، كما قال سبحانه : « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً » .

ولذا كان اللازم :

(١) ان يسكن الانسان في محل هو أقرب الى امكانية تطبيق الدين، سواء سكناه الدائم ، أو سكناه لاجل علم أوغيره .

(٢) أن يهتم القائمون بالدين ، في تنظيم وسائله بما يجعل الناس أقرب الى الاخذ به ، مثل أن تبني في كل مدينة وقرية مدرسة دينية ، وان تنشر الكتب والنشرات في الاحياء الصناعية، وأن يبني المسجد في المراكز العمالية ، وان يهتم لاستعمال وسائل الاعلام كالصحف والراديو والتلفزيون ، لاجل بث الدين ، وتذكير الغارقين في أعمالهم بالموازين الدينية مما يوجب السعادة الدنيوية، والاخروية .

بناء المدن

(مسألة – ٢٧ –) من الطبيعي أن ينظم الانسان حياته ، حسب :

(١) يقربها الى حاجاته .

(٢) ويبعدها عن الاخطار ، فان غريزة البقاء تعطى للانسان هذه النظرة ، ولذا يبني الانسان داره حيث توفر له الامرين السابقين، وكيفية تراكم الاجتماع تتبع ذلك ، ولذا تبني المدن حوالي أمثال :

(١) المساجد وسائر محلات العبادة لكل امة .

(٢) المؤسسات الاقتصادية بفروعها سواء .

أ – النقدية كالمصارف .

ب – أو الانتاجية كالمعامل .

ج – أو الاستهلاكية، كمحلات الاكل واللباس وما أشبه .

(٣) المؤسسات العلمية كالمدارس والمعاهد والمكتبات .

(٤) مراكز القوة ، مثل محل وجود العشيرة ، ومنطلقات القوة الحكومية ومحل تجمع الحزب ونحوه ، مما يعطي للانسان قوة الدفاع .

والغالب في المدن أن تتشكل من أقسام مثل :

(١) قسم السكنى .

(٢) وقسم الاخذ والعطاء كالاسواق .

(٣) وقسم الانتاج كالمعامل والمصانع ، وفي بعض البلاد :

(٤) قسم دوائر الدولة ، وانما يجعلون المدن كذلك، للراحة في المسكن

وتجمع الحوائج في قسم التعامل ، واخراج الضوضاء الى ناحية في قسم الانتاج ، وتجمع الاحتياجات الادارية في مكان آخر . . وهكذا .

أقسام المدن

ثم ان الغالب في المدن أن تبني على أقسام :

(١) المدينة المركزية الشعاعية، بأن يكون للمدينة مركز واحد ، ثم تبني من عند ذلك المركز، فتتسع حسب الشعاع المنبثق من المركز .

(٢) المدينة المتعددة المراكز ، وهي أن تكون للمدينة مراكز ، حتى لا توجب الصعوبات الناجمة من المركز الواحد ، وفي كثير من الاحيان ، حيث تلتصق القرى بعضها ببعض توجد المدينة المتعددة المراكز ، والاتساع يكون حينئذ من شعاع المراكز لا من شعاع المركز الواحد .

(٣) المدينة القطاعية ذات المركز الواحد ، فالمركز وان كان واحداً ، الا انها تبني قطاعات ، لا دائرية شعاعية ، كالقسم الاول ، فشعاع من المركز للسكنى ، ويبتعد هذا الشعاع بكثرة المساكن وشعاع من المركز للدوائر الحكومية ، وشعاع للمدارس ، وشعاع للاسواق وهكذا ، وبذلك لا تكون الشعاعات في بعد واحد، كالدائرة بل يكون شعاع كل جهة حسب امتداد حاجة ذلك الشعاع . . . وهذا القسم من المدينة يريد الاحتفاظ بفائدة كل من القسمين السابقين بدون اضرارهما ، حيث ان تعدد المراكز يوجب التبعثر ، ووحدة امتداد الشعاع توجب الصعوبة .

ثم ان كل مدينة حسب بنائها تحتاج الى مؤهلات خاصة ، مثلا : المدينة ذات المركز الواحد تتكدس البضائع ومرافق الاجتماع في محلات واسعة في المركز ، وتتطاول أبنية ناطحات السحاب بسراديبها العميقة في أطراف

المركز وهكذا ، بينماليس كذلك المدينة ذات المراكز ، اذ تقسم الحاجات حسب انقسام المراكز .

كما ان التحولات الاجتماعية تؤثر تأثيراً مناسباً ، في وضع المدن وتغير من ملامحها ، مثلا : قبل صنع السيارات كانت الازقة والشوارع الضيقة ، أما بعد اختراعها فقد تغيرت معالم المدن .. وقبل صنع الطائرة كانت تصنع حول المدن الاسوار ، حفظاً لها من المهاجمين بالسهام والسيوف ، أما بعد صنع الطائرة لم يبق للسور فائدة فأخذت المدن تتكشف وتخرج من قوقعتها ، وهكذا بالنسبة الى جملة من الصنائع الاخر .

المدن الكبيرة : المشاكل . . . والحلول

ثم ان المدن الكبار اخذت تعاني من مشاكل جمة سبب كبرها لتلك المشاكل أمثال :

(١) عدم سعة المدينة بقدر سعة الافراد ، فمثلا : كانت أرض المدينة لكل فرد بمقدار خمسين ذراعاً ، ثم صارت بمقدار عشرة أذرع لكثرة النفوس ، وعدم توسعها التوسع المطلوب .

(٢) تزايد الضوضاء .

(٣) عسر التنقل سواء للانسان أو لحاجياته .

(٤) تلوث البيئة لكثرة الملوثات التابعة لكثرة النفوس .

(٥) تكثر الجنايات ، حيث ان الجاني يتمكن ان يختفي بسرعة ، وغير ذلك ـ كما تقدم ـ .

أما كيف يمكن حل مشكلات المدن الكبار ؟ فهو بامور :

(١) المواظبة الكاملة بسعة أرض البلد بقدر كثرة السكان بعد ملاحظة الوجه

الصحيح في احتياج كل فرد الى الكمية اللازمة من الارض .

(٢) جعل المرافق بقدر الحاجة مع توزيع المرافق توزيعاً عادلا ، فاذا احتاج كل ألف انسان الى خباز وطبيب وحمام عمومي مثلا : جعل ذلك مع ان يكون كل ذلك في وسط الجماعات ، لاان يكون عشرة من محلات الخبازة في ناحية وتسع نواحي بحاجة الى الذهاب الى تلك الناحية ، الى غيرذلك .

(٣) اخراج المعامل ، والمحطات ، والكراجات ، والدوائر الحكومية ، وما أشبه عن البلد ، ببعد ملائم لايسبب الازعاج بعداً ، ولاالصعوبة قرباً .

(٤) منع السيارات الشخصية ، وسيارات الاحمال وماأشبه عن العبورفي الاماكن المزدحمة .

(٥) تصغير وسائل الحمل والنقل بقدر الامكان ، سواء للانسان أوللحمل حتى لاتحتاج الى أكثر من القدر المحتاج اليه واقعاً .

(٦) الدقة الكاملة في سلامة البيئة بالحدائق العامة والنافورات، والساحات العامة، وكثرة الاشجار ، والمياه النظيفة في داخل المدينة وخارجها ، والمنع عن استعمال السيارات للادهان الملوثة وما أشبه ذلك .

(٧) الحيلولة دون توسيخ المعامل وما أشبه ، والدقة في تنظيف المدينة والحوانيت ونحوها .

(٨) تنظيم المرور تنظيماً دقيقاً ، وصنع الجسور والانفاق ، والطائرات العمودية لاجل عدم صعوبة الانتقال .

(٩) شدة الرقابة على الفساد ، وقاية وعلاجاً ، أمثال السطو والسرقة والدهس وبيوت الدعارة وغير ذلك .

(١٠) المنع عن الضوضاء أمثال أصوات السيارات والمعامل والقطارات والمكبرات والاجراس ، وغيرذلك .

(١١) اعطاء حاجات القرية ، حتى لاينساب أهلها الى المدية ـ وقد تقدم الخلاف في ان توسيع ايهما على حساب الاخر أفضل ؟ ـ .

(١٢) تكثير التثقيف الموجب لقلة المشاكل بمختلف الوسائل ، والتي منهاجعل اسابيع [للصحة] و[للنظافة]و[للمرور] و[للتجميل] و[للزراعة] و[للوقاية] وغير ذلك .

بحث في الجمعية

(مسألة ـ ٢٨ـ) الجمعيةعبارة عن جماعة يرتبط بعضهم ببعض، أما بسبب وحدة المحل ،أوالوحدة السياسية ، أوالوحدة القومية ، أوالوحدة الدينية ،أو الوحدةالعرقية ، أوغير ذلك ، والكلام فيها في نواحي متعددة :

أ ـ توزيع الجمعية .

ب ـ تركيب الجمعية .

ج ـ حركة الجمعية .

توزيع الجمعية

(١) أما التوزيع فهو عبارة عن تقسيم الجمعية باعتبار المكان ، أو العمر ، أو الجنس أوما أشبه ذلك ، وفائدة هذا التوزيع جعل خصائص لكل جماعة جماعة ، مثل بيان خصائص الاطفال ، أو الشباب ، أو الكهول فان ذلك يساعد لكشف الاسباب والمسببات لحل المشاكل ، فان حلول مشاكل الاطفال غير حلول مشاكل الشباب ، وهكذا .

ولذا اذا قسمت الجمعية باعتبار المكان ، لوحظ المكان ، ولم يلحظ العمر والمكان يشمل مختلف الاعمار ، بينما العمر يشمل العمر الخاص في مختلف الامكنة ، وربما يلاحظ الامران ، مثل نشاط الشباب منضماً الى حرارة الطقس في منطقة كذا ، حيث ان حل المشكلة حينئذ غير حل المشكلة للشباب في الطقس البارد ، أو للشيوخ في الطقس الحار وهكذا .

تركيب الجمعية

ب ـ وأما التركيب فهو الهيئة الناشئة من جميع الاقسام، كالمجتمع الفلاني ـ مثلا ـ مركب من القوميات المختلفة ، والاديان المختلفة ، فالحلول يجب ان تكون حلا وحدوياً ، أواشكالياً ، مثلا : قد يراد نجاة ايران المسلمة من استعمار بريطانيا ، وقد يراد نجاة الهند التي يعيش فيها ثلثمائة دين ، فان نجاة كل بلد منهما بشكل غيرنجاة البلد الاخر . . وهكذا في سائر التراكيب .

حركة الجمعية

ج ـ أما حركة الجمعية ، فهي على قسمين :

(١) الحركة الكمية ، أي زيادة ونقص الافراد .

(٢) الحركة الكيفية ، أى تبدل كيف الجمعية بدون زيادة أو نقص الافراد ، وكلتا هاتين الحركتين ، وان كانت ملازمة للاخرى ، مثل حركة الثمرة ، حيث انها كمية كيفية ، الاان الملاحظ قد يلحظ الكم ، وقد يلحظ الكيف ، ثم بعد ذلك يأتى دور اللحاظ الثانى ، مثلا : زيادة أو نقص عدد الجمعية تلازم تغير الكيفية أيضاً ، وكذلك العكس .

الحركة الكيفية

فالحركة الكيفية عبارة عن :

(١) كثرة أو قلة الولادة ،سواءكان السبب الثقافة ، مثل ثقافة تكثير النسل أو تقليله ، وثقافة تعدد الزوجات أو وحدتها ، أو كان السبب المناخ أو الاقتصاد ، أو غير ذلك .

(٢) وكثرة أو قلة الاموات ، بنحو من الاسباب المتقدمة .

(٣) وطول العمر أو قصره ،وهذا غير الثانى فان بينهما عموماً من وجه اذ قد يكثر الاموات مع طول العمر ، وقد يكون مع قصر العمر ، وقد يكثر العمر مع قلة الاموات .

الحركة الكمية

أما الحركة الكمية ، فهى :

(١) بالتبعثر ، وهو مالم يكن تحت ضابط وهدف منظم .

(٢) بالهجرة ، وهى ما كان تحت ضابط وهدف منظم ، وكل منهما أما بالمطاردة ، أو بالاختيار ، كما ان كلا من الاختيارين ، اما لاجل دفع محل السكنى ، أو لاجل جذب المحل الجديد ، ومن الواضح ، ان الهجرة توجب تقليل الحركة فى المحل الاول ، وتكثيره فى المهجر ، كما انمن الواضح تلازم قلة الكم لقلة الكيف فى الاول ، وكثرته فى الثانى .

والهجرة الاختيارية غالباً تكون :

(١) للعلم ، حيث يوجد أو يكثر فى المهجر .

(٢) أو للدين ، كما هاجر المسلمون الى المدينة المنورة .

(٣) أو للرزق ، حيث تشح الارزاق فى البلد الاول ، وتكثر فى الثانى .

(٤) أو للكيان ، كما فعلته اسرائيل الغاصبة .

(٥) أو للعدو ، حيث يدهم ـ أو يخاف دهمه ـ البلد الاول .

(٦) أو للمرض ، حيث يكون المحل الاول موبوءاً .

والغالب انيهاجر المهاجرون [اذا كانت الهجرة اختيارية ،وكان المهجر الممكن الوفود اليه متعدداً] الى المهجر المناسب لهم فى المناخ ، ولافرق

فى ماذكرناه من الهجرة ،ان تكون داخل خريطة سياسية،أو خارجها ،فالاول: كما اذا ذهب الى بلد آخر فى داخل القطر ، والثانى: كما اذا ذهب الى بلد أجنبي .

ثم الهجرة الاختيارية أحياناً تجب، كما اذا كانت في طلب الايمان، أو التخلص من بلد لايتمكن الانسان فيه من اقامة شعائر الاسلام ، أو في طلب العلم الواجب، أوالرزق الواجب، أوالصحة الواجبة ، أوماأشبه ذلك ، كما انها أحياناً تحرم، كما اذا كانت عكس الصورةالاولى، وأحياناً تكون حسب الاحكام الثلاثة الاخر .

والهجرة قدتطلق أيضاً على الهجرة عن الصفات السيئة والمعاصى، كما ورد في الحديث: (والمهاجر لمن هاجر السيئات) .

وقال علي عليه السلام: (والهجرة قائمة على حدها الاول،ماكان لله في أهل الارض حاجة، من مستسر الامة ومعلنها، لايقع اسم الهجرة على أحد بمعرفة الحجة في الارض، فمن عرفها وأقر بها فهومهاجر، ولايقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها اذنه ووعاها قلبه) .

الهجرة من الريف الى المدينة

ثم ان الهجرة قد كثرت في العصر الحاضر، من القرية الى المدينة، و ذلك لسهولة التنقل من ناحية، ولتأخر القرية، ولكثرة المال والعلم والصناعة في المدينة من ناحية ثانية، ولذا أخذت المدن في التوسع والقرى فى الانكماش بل والاختفاء أحياناً، وقدتقدم الكلام في حسن تخريب القرى، وتوسيع المدن وعكسه، لكن مما لاكلام فيه انه مادامت القرى متأخرة ، يكون الاقبال على المدن كثيراً .

وحيث ان بعض المدن الصناعية، لاطاقة لها في استيعاب أكثر، وسهل المراودة اليها، أخذ أهل القرى يسعون اليها بمختلف وسائل النقل نهاراً، و يرجعون الى قراهم ليلا، حتى ان بعض تلك المدن يعد الوافدون اليها كل يوم بالملايين، وهذا الامر وانسبب تبعثر العائلة، وحرمان الانسان عن التمتع بالتجمع العائلي المتين الا ان السعي وراء المال ونحوه حال دون ذلك التمتع .

الارض .. والسكان

(مسألة ـ ٢٩ ـ) أغلب سكان الارض تمركزوا في النصف الشمالي من الكرة الارضية ، أما في النصف الجنوبي من الكرة الارضيـة [هوزهاء ثلث اليابسة من الكرة الارضيـة] فقدتمركز فيـه عشر مجموع البشر ، أما قارات الارض فآسيا من أكثرها سكاناً، حيث يقطنها زهاء نصف البشر، كما ان في اروبا يقطن زهاء ربع البشر .

أما من حيث الالوان زهاء نصف البشر ذو لون أبيض، وهؤلاءيسكنون في بعض نواحي آسيا، وافريقيا الشماليـة ، واروبا، وأمريكا، والهند، وزهاء ربع البشر ذو لون أصفر، ويسكنون في بعض آسيا، وجزر البحر الهادي، و يعد من الصفر الاسكيمو، والهنـود الحمر في امريكا، أما ذو اللون الاسود و هم مايقارب عشر البشر فيسكنون في افريقيا وامريكا واستراليـا وبعض جزر البحر الهاديء .

تراكم السكان .. وأسبابه

أما تراكم السكان فهو في ثلاث مناطق من الارض وهي :

(١) الهند والسيلان والبرما .

(٢) اليابان والصين الشرقية .

(٣) اوربا. بينما أكثر بقاع الارض، وبالاخص شمال آسيا، وامريكا، و

قلب امريكا الجنوبية، وافريقيا، واستراليا، يسكنها قلة من البشر، وبين الكثرة والقلة يسكن شمال الولايات المتحدة الامريكية، وبعض جزر آسيا، وامريكا اللاتينية .

ومع ان المناخ ليس السبب الوحيد في تراكم الجمعية وعدمه، الا ان له تأثيراً كبيراً في ذلك سواءكان المناخ :

(١) باعتبار الماء والهواء .

(٢) أوباعتبار الارتفاع عن سطح البحر وانخفاضه .

(٣) أوباعتبار سهولة الارض وصعوبتها .. فالارض ذات الماء القليل و الهواء الشديدة البرودة أوالحرارة لاتصلح للسكنى، حيث يصعب العيش فيها من جهة الانسان ذاته ، أو من جهة عدم النبات و الحيوان الملازمين لحياة الانسان .

والارتفاع والانخفاض مؤثر في حياة الانسان أيضاً، حيث تختلف اليابسة ارتفاعاً وانخفاضاً، فمايقارب نصف اليابسة يرتفع عن سطح البحر ، بمقدار ألف قدم، بينما يصل الارتفاع في بعض النواحي كالنواحي الاستوائية وتبت الى خمسة عشرة ألف قدم، وفى عكسه يصل أحياناً الى أقل من الالف .

ثم ان اموراً متعددة لها مدخلية في تكوّن المدن وكثرة التجمع :

(١) الماء والهواء والارض: حيث ان حسن هذه الامور تجلب الناس، لان الانسان يقيم حيثما يرى الرفاه، و حسن الثلاثة المذكورة تعطي الرفاه، حيث يستفيد الانسان من الهواء والماء ، ويتمكن من الزرع ورعي الحيوان في الارض الجيدة ذات المناخ الحسن، وتعطي الطبيعة جمالها، في أمثال هذه المناخات .

(٢) الدين: فان من طبيعة الانسان تطلّب الدين، فاذا كان محلا مرتبطاً

بالديـن التف الناس حوله و كثروا و لذا حدثت مدينة كـربلاء والنجف والكاظمية وسامراء ، وكثر الناس حول هذه البقاع ، وكذلك المشهد وقم و غيرها .

(٣) مقابلة الاعداء، حيث ان الثـغور ونحوها توجد ويكثر أفرادها من أجل ذلك ، كما حدثت الكوفة في أول الفتـح الاسلامي، وكذلك حدثت واسط في العراق ، حيث ان أهالي الكوفة بعد علي عليه السلام تشيعوا، وبذلك لـم يتمكن بنوا اميـة من اقرار أمنهم في العراق فاضطروا الى جعل بعض جيش الشام قرب الكوفة التي كانت عاصمة المنطقة الشرقية للبلاد الاسلامية آنذاك .

(٤) تقدم الاقتصاد ، حيث انه اذا تحسن الاقتـصاد في بلد جلب الناس حوله، كما نشاهده في العصر الحاضر في بعض بلاد الخليج ، حيث تفجرت ينابيع النفط، فجذبت الناس حول نفسها ، مع عدم مساعدة الماء والهواء و الارض ... حيث ان الانسان ليس مقهوراً للطبيعة، بل يقهرها بحيث يتمكن من سكناها برفاه .

دور الثقافة في ازدياد الافراد

ثم ان تقدم ثقافة الاجتماع، يوجب تكثر أفراد المجتمع، وذلك لان العلم يوجب :

(١) تقدم الاقتصاد، فان الاقتصاد يبنى على :

أ ـ الزراعة ب ـ والصناعة ج ـ والتجارة د ـ والحيازة، وكلها تتحسن و تتقدم بواسطة تقدم العلم ، و قد تقـدم ان الاقتصاد الحسن يوجب تجمـع الافراد .

الثقافة .. وكثرة الولادة

(٢) وكثرة الولادة، حيث ان عدم الولادة مبني على :

(أ) عدم الزواج .

(ب) قلة الزواج .

(ج) عدم الاستيلاد، وكل ذلك ينتفي بسبب التقدم الثقافي، حيث التقدم الاقتصادي الموجب لامكانية الزواج ، والتقدم الثقافي الموجب لفهم الحياة، وان الزواج من أسباب الرفاه، ولذا قال سبحانه: «ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله» فان الزوج اذا عرف ان ورائه مسئولية العائلة يكدح أكثر كما ان الزوجة حيث لها علاقة بالزوج والاولاد تكدح لرفاه حياتهم ، ومن المعلوم ان التعاون يوجب التقدم الاقتصادي، فالزواج يسبب الغنى من جهة الاندفاع النفسي، ومن جهة التعاون العملي .

ثم الاولاد بدورهم أيضاً يتعاونون في الرفاه الاقتصادي للعائلة .

هذا بالاضافة الى ان الزواج يقف سداً دون الامراض النفسية في كلا الطرفين ، والامراض الجسدية ، فقد ثبت في علم النفس ان عدم الزواج يوجب العقد النفسية.. والامراض الجسدية حيث ان عدم الزواج يوجبها كما ثبت في علم الطب .

هذا بالاضافة الى ان عدم الزواج يوجب الانحراف والشذوذ الجنسي، وكلاهما مبعث الامراض الكثيرة ، والتي بدورها تحطم الاقتصاد من جهة ان المريض لايتمكن من العمل، ومن جهة ان المريض يحتاج الى صرف المال لشفائه أولعدم ترديه أكثر .

وقدحرض الاسلام على كثرة الاولاد، فقال النبي صلى الله عليه وآله: (تناكحوا تناسلوا

تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة ولوبالسقط) .

وربما يتوهم ان الكرة الارضية لاتتحمل كثرة البشر من حيث المساحة ومن حيث المواد ، وفي كلا الامرين نظر ، حيث ان أغلب مساحة الارض فارغة الان بالاضافة الى امكان سكنى البحار، وسكنى الجو ، بسبب البيوت الاقمارية، وأما المواد فهي كافية لعشرات أضعاف البشر الحالي [وهم زهاء أربعة مليارات ونصف] كما يمكن زراعة البحر وغيرذلك .

ان الذي حال دون كفاية البشر هي الانظمة الرأسمالية والشيوعية، حيث الاستغلال الفاحش، وصرف كثير من خيرات البشر في وسائل التدمير، و الحيلولة دون نموالكفاءات بسبب كبت الحريات، لابالنسبة الى العالم الثالث فحسب ، بل بالنسبة الى نفس العالمين الشرقي والغربي أيضاً، أماالعالم الشرقي فنظامه مبني على [ديكتاتورية البروليتاريا] وأما العالم الغربي فرأس المال يكبت الحريات وقد ذكرنا بعض تفصيل ذلك في الفقه [الاقتصاد والسياسة] .

الثقافة ... وقلة الموت

(٣) قلة الموت [غير الطبيعي] فان الموت غير الطبيعي يقلل من أفراد المجتمع، فان نسبة الموت الى الولادة على ثلاثة أقسام :

أ ـ التساوي، وفي هذه الصورة يبقى المجتمع ثابتاً لايزيد ولاينقص .

ب ـ أكثرية الموت، وفي هذه الصورة يأخذ المجتمع في النقص .

ج ـ أكثرية الولادة ، وفي هذه الصورة يأخذ المجتمع في الزيادة .

واذا تقدمت الثقافة دفع المجتمع الموت غيرالطبيعي، بوسائل الوقاية، وبوسائل العلاج، وحينذاك لايكون الموت غيرالطبيعي ، وحيث ان الولادة ـ بطبعها، كما دلت الاحصاءات بل هوملموس لكل ملاحظ ـ أكثر من الموت

يأخذ المجتمع في الكثرة، أي التقدم الكمي، وقدقرر الاسلام، لزوم الوقاية، حتى ان خوف الضرر يمنع من الوضوء والغسل، ومن الصلاة قائماً ونحوها ومن الصوم و من الحج، الى غيرها ، كما قرر لزوم العلاج ، حتى بأشد المحرمات كالخمر ولحم الخنزير، كما ذكروه في كتاب: [الاطعمةوالاشربة] وغيره .

الثقافة .. وطول العمر

(٤) طول العمر، فان الثقافة توجب طول عمر الانسان حيث :

أ ـ توفر وسائل الوقاية .

ب ـ ووسائل العلاج .

ج ـ وما يسبب تنمية الحياة ، فان الانسان قابل لان يطول عمره مئات السنوات، وقدورد في الاحاديث، ان العمر في زمان الامام المهدي عجل الله فرجه، يطول كثيراً، ولعل ذلك لتقدم الثقافة والاقتصاد حينذاك، حيث ترتفع وصايةالديكتاتوريين عن البشر، كما في الحال، فالثقافة تعم وتتقدم ، والرفاه يكون شاملا، ولعل ما قيل من ان السماء تمطر جراداً ذهباً كناية عن التقدم الاقتصادي الكبير .

وقددلت جملة من التواريخ، وأيدته الايات والروايات، ان اعمار البشر في فترة كانت طويلة، بل أحياناً طويلة جداً، قال تعالى: «فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاماً» .

وقال علي عليه السلام: (الذين كانوا أطول منكم أعماراً) .

نعم في بعض فترات التاريخ قلّ العمر حتى ان بعض العلماء ذكر ان في العصر الفلاني وصل العمر الى [١٨] سنة، ووصل في القرون الوسطى في

البلاد الاروبية الى [٣٣] وفي العصر الحاضر تختلف البلاد طولا وقصراً، ففي البلاد التي يكون فيها رفاه أكثر ووقاية وعلاج أحسن يمتد العمر أكثر من امتداده فى بلاد ليست كذلك، ولذا ذكرت احصاءات ان طول العمر في امريكا واروبا أكثر من طوله في آسيا وافريقيا .

وقدحرض الاسلام على طول العمر حتى ورد في الادعية: (وطول عمري في خير وعافية) والظاهر ان الادعية [بالاضافة الى كونها طلباً من الله سبحانه، بان يفعل تعالى الاسباب الغيبية لذلك] الماع الى تهيئة وسائل المطلوب مثل: (اللهم اغن كل فقير، اللهم اشبع كل جائع ، اللهم اكس كل عريان، اللهم اقض دين كل مدين ، اللهم فرج عن كل مكروب) الى غير ذلك بأن يساهم الانسان في تلك الامور، لاان يدعو بلقلقة اللسان فقط ثم يأخذ طريقه ولايهتم بشيء .

الانفجار السكانى والتخطيط الدقيق

بقى شيء، وهو تصاعد نفوس البشر كماً، اذا لم يصادف التخطيط الدقيق لتصاعد تلبية الحاجيات ، سبب مشاكل جمة ، والمعارض الوحيد للتخطيط الصحيح الدقيق، هم الحكومات الغربية والشرقية، بما فى فلكهما، لابالنسبة الى البلاد المستعمرة فحسب، بل بالنسبة الى شعوب بلاد الشرق والغرب أيضاً أما روسيا، فأغلبية الناس لاينالون حتى حوائجهم الاولية، وأسوء منها البلاد التي استعمرتها روسيا ، وأما امريكا فما لايقل من (٢٥) مليون فيها فقراء على ما صرح به مستشار الامن القومي لها، فاذاكان ذلك حال أغنى البلاد ، فما هي حال بلاد اروبا ؟ وبالاسوء حال مستعمرات تلك البلاد، فان الاستعمار من الخارج والاستغلال في الداخل يذران البلاد بلاقع .

ومادام العلم والحكم والثروة لم تحرر، ترتطم البشرية فى مشاكل جمة، لابالنسبة الى الضيوف الجدد [من المواليد]بل بالنسبة الى الجيل المعاصر أيضاً ..

وكيف كان، فاللازم ان تتصاعد تلبيـة الحاجيات تصاعداً هندسياً، كما يتصاعد المواليد تصاعداً هندسياً ، أما ان تتصاعد تلبيـة الحاجيات تصاعداً عددياً فتلك هي الكارثة .

واللازم في الخطة التي توضع لتصعيد تلبيـة الحاجيات ان تكون خطة سباعية :

(١) اعطاء الامور بيد الناس، بدل أن تكون بيد الحكومات فان الناس أعرف بسدّ حاجاتهم مثلا: الدولة تعلن احتياج البلاد، الى مطارات وقطارات ومعامل ومواصلات وتلفونات وماأشبه ، وتحدد الارباح ومدة استيفائها ، ثم تدع كل تلك الى الناس ليؤسسوها وتشرف حتى لايجحف النباة لها، في مثل هذه الخطة :

(١) خفة حمل الدولة حتى تتمكن من القيام بمهامها خير قيام .

(٢) اطلاق الحريات .

(٣) ظهور الكفاءات .

(٤) اعطاء الحاجيات .

(٥) ابقاء الوئام بين الدولة و الامـة ، اذ الكبت والديكتاتوريـة ، وعدم وصول الناس الى حاجاتهم من أقوى أسباب الانفجار والثورة .

(ب) توسيع المدن، بمايكفي لمدة خمسين سنة مثلا .

(ج) تهيئة وسائل التعليم والتربية .

(د) تهيئة وسائل الصحة .

(هـ) المواصلات الكافية .

(و) توسعة أجهزة الدولة، كالامن والقضاة، والنجدة، وماأشبه .

(ز) تهيئة لوازم الحياة الاولية ،كالمأكل ، والمشرب، والملبس، والثانوية كالكماليات والحدائق ، وغيرذلك .

هل الارض تكفي ؟

والارض قابلة للسكنى والزراعة وغيرها ، فمجموع مساحة اليابسة زهاء خمسة عشر مليون هتكاراً ، والقدر المزروع في الحال الحاضر ، زهاء سبعة فـى المائة ، والمعلوم ان الاستفادة الكيفية من تلك السبعة ـ أيضاً ـ ليست بالمستوى المطلوب . . . فاذا فرض زراعة الكل وبالمستوى المطلوب ، لكفى مقدار عشرين ضعف البشر الحالي ، هذا مع الغض عن امكان زراعة البحر .

والوسائل الصناعية موجودة ، وبالامكان تكثيرهـا ، مما يسبب سهولـة الزراعة ، ومن الواضح ، ان الزراعة لاتعطي حاجيات الاكل ، بل وكثيراً من الحاجيات ، امثال الاخشاب للبناء والقطن ونحوه للباس،الى غير ذلك [انظر كتاب آفاق لاتحد، ونحوه] أما المسكن ؟ فالشركات الاهلية [غير الاستعمارية ولا الاستغلالية] بامكانها ان تهييء للكل في مدة قصيرة .

قال سبحانه : « ألم نجعل الارض كفاتاً احياءاً وامواتاً » .

نعم ، المعادن غير الدورية أخذت في النفاد ، الا ان من الممكن وضع برنامج صحيح لها لتكفي لما لايقل من ألف سنة ، ثم نواة الارض كلها معادن بالاضافة الى امكان الاستفادة بعد ذلك من سائرالكواكب .

وأما سعة سطح الارض لاستيعاب الضيوف القادمين ، ولو كانوا عشرات المرات أكثرمن الجيل المعاصر، فتعلم من ان كثيراً من الاراضي القابلة للسكنى

بائرة ـ في الحال الحاضر ـ بالاضافة الى امكانية التجمع ، فمثلا : يسكن في كل كيلومتر مربع في :

(١) بريطانيا كل (١٩٥) شخصاً .

(٢) وفي الهند (٩٠) .

(٣) وفي الصين (٤١) .

(٤) وفي الولايات المتحدة (١٧) .

(٥) وفي الاتحاد السوفيتي(٨) ، الى غيرذلك، فلا يمكن ان يكون الجميع كبريطانيا ؟ بل هي أيضاً قابلة للتجمع الاكثر مع عدم الضغط ، هذا بالاضافة الى ماتقدم من سكنى البحر والفضاء .

عوامل ارتفاع مستوى المعيشة

وكيف كان ، فارتفاع وانخفاض سطح المعيشة وليد عوامل خمس :

أ ـ القانون الصحيح ، فانه هو الذي يوجب تصفية داخل الانسان، وتنظيم خارجه ، وذلك لايوجد الافي الاسلام ، كما دل عليه الدليل .

قال سبحانه : «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه * وهوفي الاخرة من الخاسرين» .

وقال عزوجل : « فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين* ويجعل لكم جنات* ويجعل لكم انهاراً» الى غيرهما من الايات والروايات .

ب ـ المنابع الطبيعية، ومن الواضح ان المنابع الطبيعية المخلوقة في الارض كافية لكل البشر[الاان التقسيمات الجغرافية الناشئة من الجهل والاستعلاء سببت غنى منطقة ، وفقر منطقة] . . بل من الممكن الاستفادة من نور الشمس و

شلال الماء ، ومجرى الهواء لتشغيل مختلف المعامل بدل الوقود ، بل صنع الطعام أيضاً .

ج ـ الاختراعات ، فان المكتشفات الحديثة تساعد على ترفيع مستوى المعيشة واعطاء الرفاه الكافي للمجتمع ، فان وسائل الزراعة الحديثة، ووسائل صنع الطعام من مختلف الاشياء، والاستفادة من الشلالات ، وغير ذلك توجب ترفيع مستوى المعيشة ، والعالم يلهث ـ في الحال الحاضر ـ لارجاع الوقود الذي يتبدد في الهواء ، ويقال : انه اذا وصل العلم الى ذلك ، تقدمت الحضارة بما يساوى مائة ألف سنة [انظر صدمة المستقبل] .

د ـ النظام الاجتماعي، فانه اذا كان صحيحاً بما سبب تنسيق المجتمع ، كان سبباً لترفيع مستوى المعيشة .

هـ ـ كثرة وقلة الجمعية فانهما مع الاساليب الصحيحة يعينان على ترفيع المستوى أيضاً ، فهذه العوامل الخمس ـ معاً ـ تعين مستوى المعيشة ، ارتفاعاً أو انخفاضاً .

المؤسسات الاجتماعية

(مسألة ـ ٣٠ـ) الاجتماع البشري مع تبعثر أفراده له تنسيق، وكل يعمل في ذلك التنسيق .

(١) لاجل ان البشر خلق هكذا ، فهو يحب العمل في ضمن المجموعة .

(٢) ولاجل ان التقدم وقضاء الحوائج ، انما يكون بالعمل التنسيقي ، وهذا التنسيق يتحقق حتى مع تعارض أفراده بعضهم مع بعض ، وكذلك في داخل الاجتماع، تعمل المؤسسات بتنسيق ، أي ان كل مؤسسة تكون مع المؤسسة الاخرى في تنسيق .

فمثلا : المؤسسة الاقتصادية تقوم بتوفير الجهات الاقتصادية لمؤسسة تربوية، والثانية تقوم بتوفير الجهات التربوية للاولى ، وهكذا . .

وهذا التنسيق ، سواء كان بين أفراد الاجتماع ، أوبين المؤسسات أوبين الافراد والمؤسسات ، يسمى بـ[النظم] و بـ[النظام] وهذا النظم هو روح الاجتماع ، بلى يمكن ان يقال بالتساوي بين الامرين، فالنظام يساوي الاجتماع وبالعكس .

والفرق بين النظم والنظام ، ان الثاني وليد الاول ، وان كان ربما يطلق كل واحد منهما مكان الاخر. . وكما ان الانسان له [فكرة] و[قول] و[سيرة] و[عمل] وان الثالث عبارة عن كيفية امتداد حياته والرابع عبارة عن فعله

وانتاجه ، كذلك المؤسسة لها تلك الامور الاربعة ، اذ المؤسسة تنطوي على فكرة خاصة ، كالفكرة التثقيفية ، ثم الدعاية والاعلان ، ثـم منهجها في حياة نفسها ، ثم انتاجها وعملها .

ومـن الواضح ان تغيير فكرة المؤسسة يؤثر في الثلاثة الاخر فاذا كانت مؤسسة اقتصادية نقدية، ثم نظمت نفسها لتكون مؤسسة اقتصادية تجارية، تغيرت كل اساليبها الثلاثة الاخر .

المؤسسة والاعراف الاجتماعية

والمؤسسة تبقى حية مادامت تعمل ، فاذا تركت العمل ماتت وتلاشت.

والمؤسسة حالها حال الفرد في انه قد يكون يعمل طبق الموازين العرفية وفي هذا الحال تدوم المؤسسة ، أما اذا عملت المؤسسة على خلاف العرف السائد ـ كان تعمل مؤسسة اقتصادية في البلاد الرأسمالية على طبق الموازين الاشتراكية ـ فانها تعد منحرفة ، فـان دامت في الانحراف ، فاما ان يغلقهـا الاجتماع بمختلف الوسائل والسبل ـ والتى اخيرها القوة ـ وأما ان تتمكن من اثبات نفسها بسبب مالها من مقومات اجتماعية . . واذا بقيت غيرت من الاجتماع بعض الشيء على لون نفسها .

وذلك لان الاجتماع لايتحمل وجود المخالف، فرداً أومؤسسة أوجماعة ، فهو يغير المنحرف [أولا] بالنصح والارشاد [وثانياً] بالاستهزاء والهمز وما اشبه [وثالثاً] بالتفرق من حوله حتى يذوى تلقائياً ، [وأخيراً] بالقوة، مثل سجن المنحرف أوقتله، وغلق المؤسسة المنحرفة وهكذا ، نعم اذا تمكن المنحرف عن الاجتماع ، أوالمؤسسة كذلك اثبات صحة طريقته مما اقنع الاجتماع بذلك جلب الاجتماع الى نفسه ، وكذا نرى تقلب الاجتماع بسبب المصلحين ، كما

نرى تقلبهم بسبب من يلبس ثوب الاصلاح، وان كان كلاهما رميا ـ أول عملهما ـ بالانحراف .

بين المؤسسة والمؤسسات الاخرى

و كما تعمل المؤسسات في المجتمع معاً ، كذلك تعمل أجزاء المؤسسة الواحدة معاً ، حالهما حال أجزاء بدن الانسان ، وعملهما على ثلاثة أقسام:

(١) العمل فى زمان واحد بدون رتبة مثل ان تعمل مؤسسة اقتصادية الى جنب عمل مؤسسة سياسية .

(٢) العمل في زمان واحد مع الرتبة كان تعمل مؤسسة الحلج في رتبة متقدمة على عمل مؤسسة النسج ، وان كانتا تعملان في زمان واحد .

(٣) العمل في زمانين كعمل مؤسسة حصد القصب قبل عمل مؤسسة صنع السكر .

ومثالها في البدن عمل العين والاذن معاً، وعمل القلب قبل عمل الشرايين ـ رتبة ـ وعمل الجفن قبل عمل العين بالنظر ، واذا كان العمل رتبياً يلزم ملاحظة التنسيق ، لاان يعمل أحدهما أكثر، فان ذلك يوجب فوضى في عملهما فاذا عمل المتقدم أكثر ، لم يطق المتأخر الاستيعاب ، واذا عمل المؤخر أكثر لزم توقفه عند عدم وصول الوقود اللازم اليه .

والمؤسسات على قسمين : قسم يحتوى على عدة أفراد لهم عمل واحد وقسم يحتوى على عدة مؤسسات صغيرة ، أما تعمل كل في اتجاه واحد عام أو في عدة اتجاهات مثلا: مؤسسة الخياطة تعمل فروعها في امور شتى ، مثل القص ، والخياطة والكي وما أشبه، والاطار العام للكل واحد ، بينما مؤسسة تربوية كبيرة ، يعمل فرع منها في المدارس ، وفرع في التمثيليات ، وفرع في الطباعة ، وهكذا .

مهمات المؤسسة

واللازم في المؤسسة ملاحظة أمرين :

(١) التنسيق في العمل والنمو والضمور .

(٢) ملاء الفراغ بالقدر الممكن ، فاذا كانت مؤسسة سياسية لهـا فروع التربية السياسية، والدعاية، وتكثير الافراد، وجمع المال، كان اللازم ان يحصل فرع المال على مقدار من المال يكفي للفروع المذكورة ، كما ان على فرع التربية ان يربي بقدر الافراد المنخرطين في فروع المؤسسة، وهكذا . . فاذا ضمر المال مثلا: قللوا من الكل، واذا نمى المال انموا من الكل، وكذلك الحال فى سائر الفروع .

أما بالنسبة الى ملاء الفراغ : فان المؤسسات لها امكانيات تختلف سعة وضيقاً حسب قوة وضعف المؤسسة، والغالب ان المؤسسة لاتملأ فراغاتها ، ولاتستغل قدراتها، وبذلك تهدر الطاقات ، بما لواستغلت أتت بثمار طيبة ... مثلا : اذا كانت المؤسسة تربوية ولها عشرة أعضاء كان لاولئك مقدار عشرة في المائة من الوجاهة لجمع المال، ولجذب الشباب ، لكنهم يصرفون خمسة في المائة من تلك الوجاهة ، فتبقى الخمسة الباقية معطلة وهكذا.

والقدرة على ملاء الفراغ غير اعمال تلك القدرة ، فاللازم على المؤسسة وضع المنهاج الكامل لاستنفاد تلك القدرات: وملاء فراغ تلك الطاقات وبذلك تكون المؤسسة آخذة في التقدم والصعود.

ومن المعلوم ان قدرة المؤسسة ليست بقدر قدرة أفرادها ـ فرداً فرداً ـ بل تتضاعف القدرة، أضعاف قدرة كل فرد فرد، فاذا كانت قدرة عشرة أفراد مبعثرين بقدر تربية مائة فرد ـ كل فرد يربي عشرة ـ كانت قدرة العشرة المجتمعة

بقدر تربية خمسمائة فرد ـ مثلا ـ ينظرون في عشرة صفوف ، و يتبادل أفراد المؤسسة في الصفوف المذكورة، حسب المنهاج المدرسي المنظم، وبذلك تكون النتيجة خمسة أضعاف نتيجة الافراد المبعثرين .

ثم اللازم على القائمين بالمؤسسة، أن يلاحظوا ان لايتجاوزهم الزمان، فاذا تجاوزهم الزمان يلزم عليهم، ان يلائموا مؤسستهم مع الزمان، والا كان صرفاً للطاقات البشرية والمادية في غيرمورد ... حتى اذا كان الزمان مربمقدار واحد في المائة ، يلزم اللحوق بالزمان والا كان هدراً بمقدار ذلك الواحد مثلا : مؤسسة للمواصلات بين بلدين تستعمل سيارات كبيرة، ثم تغير الزمان وأخذت السيارات الصغيرة تستعمل هناك،فان بقاء المؤسسة على حالتها السابقة لاينتج الا هدر طاقات المؤسسة .

انواع المؤسسات

وكل مؤسسة تصنف في الصنف الذي تعمل لاجله، فالمؤسسة التي تعمل لاجل ترفيع المستوى الثقافي، تصنف في ضمن المؤسسات الثقافية، وما تعمل لاجل الوقاية والعلاج . تصنف في ضمن المؤسسات الصحيحة ، وهكذا ، و الصعب في الامر ان تصنف المؤسسة في نطاق عمل ، بينما هي تعمل لاجل شيء آخر ، كما هو الحال في الاعمال الامنية والاحزاب السرية ، حيث ان الحزب مثلا يعمل لاجل تبديل السلطة الى سلطة ملائمة في نظر المؤسسة، بينما يضطر أعضائها الى تغطية أعمالهم بغطاء تجاري أو ثقافي أو ما أشبه ... وعلى مثل هذه المؤسسة العمل المضاعف سراً واقعاً ، وعلناً تغطية.

والمؤسسة :

(١) قد تؤسس لاجل التوجه الى داخلها ، مثل العائلة ، ومؤسسة الرياضة

البدنية، حيث انهما تتوجهان الى داخل المؤسسة، ولاهم لهما خارج أفراد العائلة ، وخارج الافراد في المؤسسة الرياضية .

(٢) وقد تؤسس لاجل الخارج ، كالمؤسسة الصحية للاطباء ، والمؤسسة الدفاعية للمحامين، حيث ان همهما علاج الفقراء من المرضى ، والدفاع عن المعوزين من المظلومين .

وتقسم المؤسسات الى ثلاثة أقسام :

(١) المؤسسة الرسمية وهي المؤسسات الحكومية المرتبطة بادارة البلاد والعباد.

(٢) المؤسسة شبه الرسمية، وهي التي تشترك فيها الحكومة والاهالي.

(٣) المؤسسة غير الرسمية ، وهي التي اسسها الاهالي ، وهذه الاسماء على هذه المؤسسات اصطلاح ، كما هو واضح .

والغالب ان المؤسسات الحكومية تخلو من العطف والنشاط والحركة الحارة ، وذلك لان الموظفين في أكثر الاوقات يريدون بالوظيفة المعاش أو المكانة الاجتماعية التي تحصل لهم بسبب انتسابهم الى الدولة، وبذلك يتمكنون من نيل مكانة مرموقة ـ بقدر رفعة الوظيفة ـ ومن تمشية امورهم، ولذا لا يهتمون بعد ذلك بالعمل .

وهذا الجمود يكثر في الحكومات الديكتاتورية، ويقل في الحكومات الاستشارية، حيث تنافس الاحزاب المتصارعة على الحكم... بينما المؤسسات غير الرسمية على العكس من المؤسسات الرسمية، والمؤسسات شبه الرسمية متوسطة بينهما .

وعلاج ان يكون أفراد المؤسسة بالمستوى المطلوب من العمل.

(١) وجود الايمان في باطن الانسان، فان الايمان من أشد المحفزات للخدمة والعمل والتقدم، ولايعادله شيء ، ولذا كان للمؤمنين بالله واليوم الاخر ـ على طول التاريخ ـ نشاط وحركة غريبان.

(٢) رقابة الدولة رقابة حكيمة .

(٣) رقابة الطرف الاخر من حزب أو مؤسسة أو ماأشبه، فان وقوع الانسان فى التنافس يعطيه دفعاً كبيراً .

(٤) ان يكون سعى الانسان لنفسه، سواء من جهة العلم ،أو من جهة القدرة أو من جهة المال، أو من جهة الشهرة ، أما ان يعمل الانسان ليكون سعيه فى كيس الدولة، كما فى الحكومات الشيوعية ، أو فى كيس الرأسمالى ، كما فى الحكومات الرأسمالية، فذلك مما يثبط الانسان عن العمل .

ثم المؤسسة أما ان تنشأ للعلاقات الاولية، مثل العائلة فانها مؤسسة انشئت من جهة العلاقة الاولية بين الزوجين والاباء والاولاد، وأما ان تنشأ للعلاقات الثانوية مثل ادارة الدولة، حيث انها تنشأ لا بذاتها، بل باعتبار تنظيم الاجتماع وحفظ العدالة، والغالب ان المؤسسة الاولية يكون بين اعضائها الحرارة و النشاط والحب، بينما المؤسسة الثانوية يكون بين أعضائها الجمود الا بقدر مايفرضه العمل من التبادل والتآلف .

وربما تنشأ في داخل مؤسسة ثانوية مؤسسة أولية، حيث يكون بين جملة من اعضاء تلك المؤسسة الثانوية، صداقة وتآلف وحب ، وفي هذه الصورة تنشط المؤسسة الثانوية، حيث ان نشاط المؤسسة الاولية التي في داخلها يبعث على التحرك والاندفاع ، ولذا تحاول المؤسسات الثانوية ايجاد هذا النوع من النشاط في داخلها، بسبب منظمة رياضية، أو كشافة موسمية ، أو

تدريب على الكارتيـة والسلاح، أوجعل جوائز في مجالات تنافسيـة ، أونحو ذلك .

ثم المؤسسة :

(١)قدتنشأ لاعطاء الحاجات الاوليـة للانسان، مثل المؤسسات الدينية، حيث ان الدين فطري للانسان، وحتى الذين ينكرون الدين كالطبيعيين، فانما يغيرون الاسم والافهم يعترفون بدين مبعثه الطبيعة، بينما المتدينون ـ اصطلاحاً ـ كالمسلمين يعترفون بدين ينبعث عن الله سبحانه، ومثل المؤسسات الاقتصادية ونحوها حيث انها تعطي الحاجات الاساسية للانسان، ولذا فهذه المؤسسات موجودة حتى في سكان الكهوف والغابات .

(٢) وقدتنشأ لاعطاء الحاجات الثانوية .

أ ـ سواءكانت سهيمة في تقديم الحضارة، كالمؤسسات الثقافية والصناعية والاخلاقية والتربوية .

ب ـ أولم تكن كالمؤسسات التي تنشأ لاجل السياحة، والسفر، والسباحة والفن، وماأشبه .

الانشطار والاندماج فى المؤسسة

وحيث ان الانسان ذو ابعاد، فالمؤسسـة التي تعني ببعد واحد من أبعاد الانسان لابد لها من :

أـ الانشطار حيث ترى الحاجة الى الاختصاص ، مثلا: المؤسسة الطبية لعلاج بدن الانسان ، لايمر عليها زمان الا وتنشطر الى مؤسستيـن احداهما للروح [العلاجات النفسية]والاخرى للجسد،وهكذا المؤسسة الجسدية تنشطر

الى مؤسسة للاطفال واخرى للكبار وهكذا .

ب ـ والاندماج حيث يدخل الارتباط ببعد في الارتباط ببعد آخر، ففي مثال المؤسسة الطبية تندمج في مؤسسة الصيدلة، لان الطبيب بحاجة الى التيقن من الدواء لغرض سلامة المريض ... أو تندمج في مؤسسة السياسة، حيث تحتاج المؤسسة الى من يدافع عن آرائها، وذلك شأن السياسي، مثلا: ترى المؤسسة الاحتياج الى التعقيمات الصحية لظهور بوادر الوباء ، فاذا لم يكن للمؤسسة جناح سياسي، لم تصل المؤسسة الى هدفها ، فلابد لها من جعل ذلك الجناح وهكذا.

نفوذ الطبقية في المؤسسات

وحيث ان المؤسسات غالباً بحاجة الى الحماية السياسية، والى المال، لابقائها فقط ، بل لنموها وتقدمها، تسرع الطبقية المنحرفة الى الدخول في المؤسسات [و قلنا : المنحرفة ، لان التفاوت السليم ـ وهو ما كان بقدر حق الانسان ـ لاخوف منه، بل اللازم وجوده، والا كان خلاف اعطاء كل ذي حق حقه] .

وأحياناً تتحول المؤسسة التي وضعت لخدمة الناس الى مؤسسة تكون وبالا على الناس، مثلا: جماعة يؤسسون محلات تعاونية لغرض ايصال البضاعة الى الناس بالقيمة العادلة ، واذا بالرأسمالية المنحرفة تدخل أنفها في المؤسسة وتتوسع حتى تأخذ المؤسسة بيدها، وتكون المؤسسة حينئذ آلة لامتصاص المزيد من أموال الفقراء، لتكون دولة بين الاغنياء .

وكذلك أحياناً تؤسس مؤسسة لتثقيف أولاد الناس ، واذا بالدكتاتورية تدس أنفها في المؤسسة، لتحتكرها لاجل دعايتها، ولاجل أن تمتص منها الدم

الجديد، ليكون وقوداً للمزيد من كبت الناس وارهابهم وتقوية سلطانها .

ولذا يجب على أصحاب المؤسسات الخيرية، ان يهتموا بجعل الشروط والمواثيق لئلا تنقلب المؤسسة الى ضد اغراضهم الشريفة .

الفقراء .. والمؤسسات

ومع ذلك يبقى شيء وهو ان الطبقة الفقيرة ـ الذين ظلموا بتحالف الدولة مع الرأسمالية، أو باستيلاء الدولة على رأس المال، وفي كلا الحالين اكملت أتعابهم ـ هي بنفسها تنسحب عن ميدان تأسيس المؤسسات أولا، وعن ميدان البقاء في المؤسسات بعد أن أسسوها، وذلك لان اشتغال هذه الطبقة بامور معاشها لايدع لها وقتاً للاشتراك ، فلا تؤسس واذا اسست تنسحب بسرعة لتملاء مكانها الطبقة الغنية التي يسير أمر معاشها بيسر .

لكن هذا أيضاً تابع لاخذ الفرص من الطبقة الفقيرة قبل ذلك ، فالمهم علاج المشكلة جذرياً حتى يكون لكل أتعابه في جوصالح، فان العلم والقدرة والمال اذا فقدت في طبقة، ووجدت في اخرى، كانت الخيرات للثانية وحرمت منها الاخرى، فان المؤسسة تحتاج الى العلم والى القدرة والى المال وحيث لم تكن الثلاثة متاحة لكل من يسعى استغلها جماعة، وحرم منها جماعة، وبذلك يحرمون أيضاً، عن سائر آثار هذه الثلاثة .

هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى، الطبقة الفقيرة لاتقدر على المؤسسات الرفيعة، مثل المؤسسات الحربية ، حيث تحتاج الى السلاح، والمؤسسات الثقافية ، حيث تحتاج الى العلم ، والمؤسسات المالية ، حيث تحتاج الى المال، وهذه الطبقة محرومة عن كل ذلك، فان المؤسسة لاتوضع الا في الجو المناسب لها، فمؤسسة البنوك من نصيب الاغنياء ،ومؤسسة صنع الجامعات ،

من نصيب كبار المثقفين ، ومؤسسة استخراج السلاح وتنظيمه من نصيب كبار العسكريين .

كبر المجتمع يتطلب كثرة المؤسسات

والمجتمع كلماصار أكبر،وصارت حرياته أكثر، صارأكثر تعقيداً،وكلما كثر تعقيد المجتمع احتاج الى مؤسسات أكثر، فان المجتمع الحر ينتج ويصنع أكثر، لان حرية الظهور تفسح أمام الكفاءات، وكلما كان الانتاج والصناعة أكثر،كان التعقيد أكثر .

مثلا: البلد الذي لاحرية فيه للثقافة لا مجلة له ولا صحيفة ولا راديو ولا تلفزيون ولا نوادي ثقافية، ولامطابع ومايتبعها [مثل محلات بيع الكتب، و المكتبات،ومعامل التجليد، وهكذا] ..

أما البلد الذي له هذه الحرية فتخرج فيها عشرة صحف، كل صحيفة تحاول تحسين مطالبها، وتكثير قرائها، فاذا دخلت الصحافة في حياة البلد كثرت أعمال أهل البلد قرائة وكتابةو .... وبذلك يتعقد الاجتماع، ويحتاج الى مؤسسات صحافية، ومؤسسات لحماية المستهلك عن الافكار المنحرفة، وعن غلاء الصحف، وهكذا بالنسبة الى سائر فروع الثقافة، وكذلك في سائر أقسام الصناعة والانتاج .

ولهذا السبب لايكون تعقيد في الامم البدائية ولا مؤسسات كثيرة ، بل المؤسسة الواحدة كانت تكفي لنجاح عدة امور ، مثلا: كانت العائلة تؤدي التربية والتعليم، وصنع الغذاء والكساء والمسكن، بل وحتى صنع المركب حيث كانت لها دواب تتوالد بما يكفي الاولاد في المستقبل .

التعقيد النافع والتعقيد الضار

وربما يتوهم ان معنى ماذكرناه مطلق تعقيد الحياة حتى بالنسبة الى اشغال الناس فى الدوائر المعينة ، فاذا رأوا ان ثبت ملكية دار يحتاج الى صرف ساعات من الوقت فى الدوائر، قالوا : انه من تقدم الحياة الموجب للتعقيد؟

لا ، ليس الامر كذلك ،فهناك تعقيد ناشىء من جهة الحرية والتقدم ، و تعقيد ناشىء من جهة سوء التربية ، والغرور ، والاستغلال ، فالتعقيد الملازم للتقدم هو القسم الاول ، كما مثلناه فى أمر الثقافة ، حيث ان الحاجة الجديدة المولودة من التقدم تعقد الحياة بقدرها .

أما القسم الاخر من التعقيد فهو ناشىء عن الامور الثلاثة :

(١) سوء التربية ، فمثلا : فى السابق كان يقتنع عند بيع الدار بورقة يكتب عليها اعتراف البائع والمشتري ، وشهادة نفرين من أهل المنطقة ، أما حيث سائت النيات وكثر الاحتيال، احتاج الامر الى ضبط أكثر ، مما أورث تعقيداً جديداً ، وعلاج ذلك تحسين التربية الاجتماعية ،لرد ثقة الناس بعضهم ببعض .

(٢) الغرور ، فان الحكومات الديكتاتورية ، تحتاج الى المصفقين فيعطون كراسى لمن يصفق لهم ، وكل كرسى يزيد الامر تعقيداً ، ولذا أخذت الدوائر تنتفخ بصورة مدهشة ، وقد حدد الخبراء احتياج دولة فى العالم الثالث الى مأتي ألف موظف ، بينما كان لها مليون وألف موظف ، و قال الخبراء : انه ما دام ان الرئيس يريد المصفقين ، فلا علاج لمرض تضخم الوظائف والموظفين .

(٣) والاستغلال ثالث اثافي التعقيد الفارغ ، حيث ان الديكتاتوريين

يحتاجون الى مال أكثر لادارة امورهم من ناحية ، والى المصفقين الذين هم بحاجة الى المال أيضاً ، ولايمكن استغلال الناس الا بالتعقيد وكثرة الدوائر لتتمكن من امتصاص الاموال فى اللف والدوران الذي يطوف الدوائر .

وبهذا النوع من التعقيد [القسم الاخر] تهدر الاموال والاعمار و الكرامات ، وهذا النوع من التعقيد يسبب :

أـ تضخم الدوائر المحتاج اليها ، أمثال دائرة القضاء، ودائرة الجباية، و نحوهما .

ب ـ احداث دوائر جديدة لاحاجة اليها، أمثال دوائر الكمارك وغيرها .

ج ـ ثم في الدول الديكتاتورية، يأتي دور دوائر اخر تزيد الامور تعقيداً هي الدوائر المشرفة على اعمال اخذتها الدولة من أيدي الناس ـ بألف حجة مكذوبة ـ وانما أخذتها لتزيد من غرورها، واستغلالها أمثال دوائر القطارات والمطارات والمعامل ونحوها.

فان الدولة الصحيحة هي التي تدع الناس يعملون بقدر طاقاتهم، وانما شأن الدولة الاشراف لعدم الاجحاف، وتكميل النواقص، مثلا: تحتاج البلاد الى عشرين مطاراً، وألف مدرسة، فتعلن الدولة، ان للناس ان يبنوا تلك و يديروها، بشرط ان لايجحفوا في أخذ الاجور ونحوها، فاذا لم يقم الناس الا بضع عشرة مطارات قامت الدولة بصنع الباقي وهكذا .

وبذلك يخف كاهل الدولة ، وتشتغل كل الطاقات الممكنة ، وتعطى كل حاجات الشعب، بينما الدول الديكتاتورية تستأثر بكل شيء لنفسها، لملاء غرورها ، ولاستغلال الناس أكثر فأكثر ، وبذلك تهدر طاقات الناس الخلاقة وتبقى الحوائج معطلة ، ويكثر التعقيد، ويزيد الصلف .

ثم حيث ان الطبقة الفقيرة تشتغل بامور معاشها، ولافائض من الوقت و

المال لها، ليس لها مجال في بعض المؤسسات أمثال المخيمات الكشافة ، و الفرق الرياضية وأمثالها، الانادراً،وبالعكس من ذلك، فالطبقة الغنية كثيراً مايكون فرد منها عضواً في أكثر من مؤسسة، حيث له فائض المال والوقت ممايؤهله لمثل ذلك .

ولايخفى، ان المؤسسات العاملة في خدمة الانسان ـ مهماكانت معايبها في الاجواء العالمية المعاصرة ـ فهي امور حسنة، يلزم الاكثار منها، لانها تعطي مالاتعد ولاتحصى من الحاجات، مما لواغلقت بقيت تلك الحاجات معطّلة.. نعم يلزم تهذيبها حسب القدرة .

بحوث في الاقتصاد الاجتماعي

(مسألة ـ ٣١ ـ) نلمع في هذه المسألة الى انه كيف بدء الاقتصاد في المجتمع ؟ وكيف تطور ؟ ولماذا وجدت المؤسسات الاقتصادية ؟ وماهي الكيفية الاقتصادية في العصر الحاضر [عصر المعامل والمصانع] ؟ ومن اين المشكلة ؟ وماهو الحل ؟ .

حاجات الانسان

طبيعة الانسان التي خلقها الله سبحانه، فيه الاحتياج الى الاكل، واللباس والمسكن، والزواج، والعقيدة، لان الانسان بدون الاكل يموت، واللباس يقيه الحر والبرد، والمسكن يقيه الحيوانات ، بالاضافة الى انه يقيه الحر و البرد والاعداء.. والزواج حالة اندفاعية في الانسان لايتمكن ان يصبر عليها، والعقيدة فطرية، فانه حيث يرى الكون ينقدح في ذهنه، كيف وجد ؟ ومن أوجده؟ والى مايكون آخره؟ .

فمن احتياج الانسان الى الاكل نشأ صيده الحيوانات، واقتطافه فواكه الاشجار، والاعشاب، ورعيه للحيوانات كالاغنام، وزرعه، ولافرق بين انيكون ألهم ذلك، كما يعتقده أهل الاديان، أوتدرج الى الزرع والرعي ـ فانه في كلا الحالين احتاج في مأكله الى كل ذلك ـ .

ومن احتياجه الى اللباس ، صنع الجلد والورق والصوف ، وما أشبه

لباساً. ومن احتياجه الى المسكن، اتخذ الكهف، والكوخ ، وصنع بيوتاً في الغابة، ودوراً من الجلد ، والثلج ـ كما في الاسكيمو ـ كما صنع دوراً من الطين ونحوه .

ونشأ من احتياجه الى الزواج، أحكام بهذا الشأن .... كما نشأ من العقيدة العبادة والخضوع لمن رآه الهاً .

وقدأحدث الانسان لرفع حاجاته آلة الصيد، وآلة قطع الاشجار، وآلة الطبخ، ووجد السبيل الى النار، كما ان نزاعه [وهوطبيعي للانسان] هداه الى آلة المحاربة، ومن كل ذلك حدثت أحكام السلم والحرب ، وأحكام القضاء وأحكام التبادل وأحكام الزواج والطلاق، وأحكام الولادة والموت، وأحكام تقسيم المال لدى الموت .

ومن الاحتياج الى مسائل الحفظ والدفاع والهجوم، وقطع المنازعات وما أشبه ، حدثت الحكومة.. كما ان من فطرة الانسان الملكية الخاصة، ولذا حدثت الاحكام الخاصة بذلك .

كما ان سفره وحضره في البر والبحر، هداه الى تذليل الحيوانات لحمله كالفرس ،وصنع السفن.. ومن هنا تولدت الموازين الاقتصادية .

تكامل جوانب الحياة

وحيث قام الدليل على الاله وأنبيائه، فالمتدينون يصدقون بأن الله الهم أنبيائه كيفية الحياة وأحكامها، نعم لاشك في حصول التكامل في كل جوانب الحياة حتى وصلت النوبة الى خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله، حيث قال: [بعثت لاتمم مكارم الاخلاق] وحيث لم يكن هم الانبياء صنع مواد الحياة اهتموا بالجانب الذي بعثوا له أي تعليم الانسان الحياة السعيدة في الدنيا والاخرة .

وانما تكاملت الحياة الاجتماعية والاقتصادية و... تدريجاً الى ان وصلت الى هذه الحالة التى نشاهدها من الوسائل والاسباب والالات ، أما توهم [الانسان المتسلسل من نسل القرد] و [تدرج الحياة] على ماذكره دارون وماركس ، فقد قامت الادلة العلمية على انهما عاريان عن الدليل، بل الادلة الاكيدة متوفرة على خلافهما .

عصر الالة

ومنذ قرون قريبة اخذت المعامل والمصانع، ووسائل التجارة تملأ مكان الوسائل السابقة اليدوية وغيرها ، وقد هدى الانسان الى صنع الوسائل المذكورة من أجزاء لاشيئاً واحداً لمافي جعلها أجزاء من فوائد، مثل :

(١) سهولة صنع الاجزاء وتركيبها، بخلاف صنعها بدناً واحداً .

(٢) واحتياج البدن الواحد الى ازمنة متطاولة في صنع كل بدن بدن، بينما يمكن صنع ملايين الاجزاء لالوف الابدان في زمان واحد ، أوأزمنة قصيرة ، وذلك بصنع قوالب كثيرة للاجزاء ، وافراغ تلك القوالب للاجزاء مرة واحدة أوماأشبه ذلك .

(٣) الحمل والنقل للاجزاء سهل، بينما حمل الابدان ـ في الالات الكبيرة ـ صعب جداً .

(٤) يمكن تكميل الالة، بتكامل اجهزتها، بينما اذاكان لها بدن واحدكان التكميل صعباً وموجباً لتبديل الجهاز .

(٥) اذا عطب الجهاز يمكن تبديل ماعطب من أجزائه، أما اذاكان بدناً واحداًكان الاصلاح صعباً، أولم يمكن اصلاحه مما يسبب ضرر المستهلك .

(٦) يمكن لمن رأس ماله قليل ان يوجد الاجزاء، بينما اذا كان بدناً

واحـداً، لم يتمكن من ذلك الا أصحاب الرأسمال الكبير ، أوبالاشتراك في الاجهزة الكبيرة .

(٧) لايتمكن من يصنع الاجزاء مـن الضغط الاستعماري أو الاستغلالي على المستهلك، حيث تتوفر الاجزاء، بينما اذاكان بدناً واحداًكان بأيدي قلـة مما يمكنهم من الضغط والاستعمار والاستغلال .

(٨) اذا عطـب الجهاز الكبير بمالايمكن اصلاحـه ، يمكن الاستفادة من أجزائه غير المعطوبة بينما لم يكن الامر كذلك اذاكان بدناً واحداً... الى غيرها من الفوائد .

المعامل تقضى على محورية العائلة والعشيرة

وقبل صنع المعامل، كان الاقتصاد [غير التجاري والزراعي] يدور حول العائلة، حيث ان العائلة كانت هي وحدة العمل، فهي تغزل، وهي تنسج، وهي تربي الدواجن، وهي تطحن في المطاحن الحجرية وهكذا ، لكن حيث جاء دور المعمل، تبدل وضع الاقتصاد ووضع العائلة، فالاقتصاد تحول من الاقتصاد العائلي الى الاقتصاد المعملي، والعائلة تبدلت من العائلة المجتمعة الى العائلة المتفرقة، حيث ان أفرادها أصبحوا مشتتين في معامل متعددة ، وكثيراً لايرى بعضهم بعضاً الا بالليل، أوفي كل اسبوع مرة، وهكذا .

وكذلك تبدل الوضع في العشائر للسبب السابـق، وبسبب آخر هو ان الولاء في العشائـر كان لشيخ العشيرة، حيث انـه المبعث الطبيعي للاولاد و الاحفاد ومن اليهم ، فلما كثرت الثقافـة من ناحية، وتفرق أفراد العشيـرة في المصانع من ناحية ثانية تحول الولاء من العشيرة الى ولاء النقابة بالنسبة الى العمال، والى ولاء الحزب بالنسبة الى المثقفين [حيث ان الثقافة لم تدع مجالا

للولاء العشائـري المبني على اللحم والدم ـ فان الثقافـة مرتبطة بالروح ، و الروح مقدم على الجسد ـ] .

لكن يجب ان يعرف ان التحول المذكور من العائلـة والعشيرة ، كان بسبب عدم تمكن الانسان من استيعاب العلم في العصر الحاضر، والسبب ان الانسان خرج عن كونه محوراً، وجعلت المادة ـ بدل الانسان ـ المحور، و بذلك حرم الانسان عن دفء العائلة ودفء العشيرة .

واللازم ان يرجع الانسان الى المحورية ، بان تنظم الحياة على كيفية ارجاع الانسان الى مكانته ، وجعل المادة خادمة له ، لاالعكس ، وهو ممكن بأن تجعل الوحدة العائلية مرتبطة بالمعمل ، مع اعطاء العائلة أكبر مهلة للاجتماع بتقليص ساعات العمل . . . وكذلك تجعل الوحدة العشائرية مرتبطة بالحزب وكذلك الامر بالنسبة الى النقابة ، وبذلك يتنعم الانسان بالدفء الروحي بالاضافة الى تنعمه بالمادة وخيراتها .

والظاهر ان مثل ذلك غير ممكن ما دامت الرأسماليـة تلتهم الطاقات ، وتستثمر المساعي، حيث الساعات الطويلة للعمل، والاجور الزهيدة ـ ونقصد بالرأسمـالية كلا قسميها الشيوعية الشرقية والرأسمالية الغربية ـ فان كلتيهمـا تستهلك سعي العاملين ، وتستثمر الانسان تحت اغطية مختلفة ـ .

الصناعة في خدمة التجارة والزراعة

ثم ان الصناعة لم تقدم حياة الانسان في قسم الصناعات فقط ، بل قدمتها في قسمي التجارة والزراعة أيضاً ، حيث الالات الحاسبة والتلفونات ووسائل الحمل والنقل ، وغير ذلك ، كما ان وسائل الحـرث والزرع ، والحصاد ، وما أشبه قدمت الزراعة تقديماً كبيراً ، ولذا تهتم الدول بالصناعة قبل اهتمامها بالزراعة ، حيث ان الاولى تحسن الثانية دون العكس .

تحولات عصر الصناعة

وفي عصر الصناعة حدث تحول كبير :

(١) باندثار الوسائل السابقة ، واخلائها مكانها الى المعامل الحديثة .

(٢)ظهورمؤسساتجديدية أمثال الشركات والنقابات والبنوك ونحوها.

(٣) ظهور الرأسماليات الكبيرة الموجبة للاستغلال والاستعمار .

فانالرأسمالية المنحرفة سببت استغلال الانسان ، مماسبب ظهور طبقتين حادتين، طبقة الرأسماليينوطبقة الفقراء ،وبذلكحدث رد فعلعنيف وخاطئي ضد رأس المال ، هو ظهور الشيوعية ، حيث اعطت رأس المال بيد الدولة أي جمعت في يد فئة خاصة المال والقوة ، بعد ان كانت بيد فئتين ، وبذلك بلغت مأساة الانسان الى أبعد درجة متصورة .

الاستعمار وليد الرأسمالية

أما كيف سببت الرأسمالية الاستغلال والاستعمار ؟ فذلك من جهة انها نفذت في السياسة والقانون والاحزاب والصحف وما أشبه ، فجعلت توجه الحياة ، حسب ما تشتهي [من بقاء رأس المال المنحرف وزيادته] فلم تجد الطبقة العاملة ـ في الزراعة والصناعة ، بل وحتى مثل الموظف والمعلم ونحوهما ـ من ينتصر لها ضد انحراف رأس المال .

كما ان قوة رأس المال سببت قوة السلاح والدعاية وما أشبه ، مما وجدت السبيل الى بلاد الاجانب واستعمارها ـ من غير فرق في ذلك بين الرأسماليةالمنحرفة الغربية ،والرأسمالية الاكثرانحرافاً :الشرقية ـ وانما نقول

الاكثر انحرافاً ، لان الاولى تغلفت ببعض الحرية ، بينما الثانية رفضت ذلك وتظاهرت بالديكتاتورية ـ .

الاسلام هو الخلاص

والطبقة الفقيرة ـ وهم الاكثرية الكاسحة من البشر ـ وكذلك الطبقة المستعمرة ، لاعلاج لهم في التخلص من شرور الرأسمالية ـ بقسميها ـ ومن شرور الاستعمار الشرقي والغربي الا بالمنهج الذي وضعه الاسلام ، لا للمال فحسب ، بل ولسائر الشئون ، ومرادنا الان التكلم في المال ، والمنهج هو :

(١) ان يكون المال بازاء خمسة اشياء : العمل الفكري ، والجسدي ، والمواد ، والعلاقات ، وشروط الزمان والمكان ، وبذلك يكون المال بقدر السعي ونحوه فلا تحدث الرأسمالية الكبيرة .

(٢) ان يكون الرأي محترماً ، فالحكم وسائر الشئون بأكثرية الاراء الحرة . . وبهذين تختفي الرأسمالية الوالدة ، والشيوعية الوليدة ، وتنتهي مأساة البشر من هذه الجهة .

ضرورة التوازن بين المستوى الصناعى والزراعى

ثم ان تقدم الصناعة أوجب تأخر الزراعة ، اذ المعامل جلبت الى نفسها كثيراً من أهل القرى والارياف ، حيث الاجور المرتفعة والاتعاب الاقل من أتعاب الزراعة ،وحيث ان المدينةتتوفر فيها مالا يتوفر في القرية من مختلف أسباب الحضارة ، وهذالتأخر في الزراعة سبب جوع الانسان ، وقدذكرت بعض الاحصاءات ان ربع أهل العالميعيشون جائعين .

ولا علاج لهذا الامر الا بجعل مستوى الزراعة مساوياً لمستوى الصناعة من جهة الاجور ، ومن جهة الجهـد ، بالاضافة الى توفير وسائل الحضـارة الممكنةفي القرية حتى لاتكونالمدينة أرجح من القرية بحد الاغراء ، وذلك ممكن بالدعاية لمحاسن القرية التي تفقدها المدينة ، و . . . مما يسبب حفظ التوازن ـ ولو بقدر ـ بين المدينة والقرية .

وان لم يعالج هذا الامر علاجاً جذرياً لزاد عدد الجائعين في العالم عاماً بعد عام ، فقد دلت الاحصاءات على الانتقال الكبير من القرى والارياف الى المدن حتى ان الصين في عام [١٩٤٠] م كان[٩٠] بالمئة من جمعيتها يسكنون القرى ، بينما تبدل ذلك في الحـال الحاضر ، وفى امريكا في عام [١٧٩٠] م كان سكان القرى والارياف ما يقارب من [٩٧]في المائة ، بينما انعكس الامر بعد ذلك ، وهكذا .

الدين وعصر الالة

ثم انه لمااخذت الصناعة مكان الزراعة والاعمال اليدوية ، حدث تحول كبير في العالم المسيحي والبوذي ونحوهما ، فان الناس لماهجروا الارياف الى المدن ، وكثرت الثقافة ، نشأ جيل مثقف عرفوا خواء دينهم ، وانه لايلائم العلم ولا يصلح للحياة ، وقدزاد الامر عرفانهم قضايا محاكم التفتيش وتحالف الحكام مع علمائهم ضـد الناس ونحوها ، مما سبب ابتعادهم عـن الدين ، وحسبانهم انه خرافة وارتجاع واضطهادللشعب، وجائت نظريات دارون وفرويد وماركس ومن أشبههم لتحاول قلع الدين عن جذوره .

وبذلك وقع الانسان في مشكلة لامثيل لها في التاريخ منذ ان حفظ . . وقد حاولت الكنيسة رد الاعتبار ، لكن عدم انسجامها مـع العقل ، وعدم وجود

برامج عملية لها لتأمين حياة الناس، وجنوحها الى الفخفخة والابّهة ، حالت دون ذلك ، اللهم الا صورة اعتبار زائف هو الى الشكليات أقرب منه الى الحقائق وزاد الامر اعضالا: ان الكنيسة أصبحت طليعة الاستعمار [انظر: التبشير والاستعمار] ممانفر الناس أكثر .

وقد اجتاحت هذه الموجة [موجة الالحاد والانحلال] العالم الاسلامي في حين غفلة من الحكام والقادة ، فظن المسلمون ان دينهم مثل دين الكنيسة ، بينما الاسلام :

(١) دين العلم .

(٢) وله برامج تقدمية للحياة أبداً .

(٣) ولم يكن يصافق الظالمين ، بل كان ضدهم على طول تاريخه .

(٤) ولم يكن في يوم ما استعمارياً .

وعلى هذا ، فاللازم على المفكرين والقادة فرز الحسابات ، حتى يعرف المتمردون خطائهم الكبير في اتباع المستعمرين، ويفهموا ان المغرب انما تحرر ـ نسبياً ـ يوم ان رفض الدين ، وأما المسلمون فقد استعبدوا ـ كلياً ـ يوم ان رفضوا الدين، سواء كان الرفض كلياً، أو في الجملة .. واذا عرفوا ذلك رجعوا الى دينهم الذي فيه سيادتهم وسعادتهم .

الاخطبوط الرأسمالي يمتد الى الريف

ثم ان نظام رأس المال يؤثر في القرية لاجل مايلي :

(١) تبديل الزراعة الحيوية ، بالزراعة الاستغلالية ، مثلا القرية تزرع القمح لاجل الاكل ، لكن رأس المال يريد زراعة القطن ، لانه اربح له ، و بذلك يجوع الناس ، ليمتلأ كيس رأس المال .

(٢) بيع الصنائع لهم ، وجعلهم اسواقاً استهلاكية، لتدر على رأس المال الارباح .

(٣) تدويل النقد بينهم ليستفيد من التلاعب بالنقد، ومن أرباح النقد الذي يوضع في البنوك ، ومن الضرائب التي توضع عليهم، حيث انه لولم يتداول بينهم النقد لم يعرف قدر أموالهم ، كما لم يستفد رأس المال من الضريبة على بضائعهم لصعوبة تحويل البضائع الى النقد .

(٤) تخلية القرية واستزاف أهلها ، لاجل استخدامهم في الصناعات ، واستثمارهم باجور هي أقل من حقهم الحقيقي ، ولايهمهم بعد ذلك ان يفسد الزرع ، ويختل التوازن بين القرية والمدينة .

مضاعفات النظام الرأسمالي

ثم ان نظام رأس المال :

(١) أفسد جو العائلة والعشيرة .

(٢) وجعل العمل خواءاً لامعنى له ، ولااشتياق اليه .

(٣) وسلب العامل حقه .

(٤) وأفسد العلاقة بين العامل والامر .

(٥) كما أفسد العلاقة بين بائع المواد الخام ومشتري البضاعة وبين الرأسمالي.

(١) أما افساده جو العائلة والعشيرة فلما تقدم .

(٢) أما جعل العمل خواءاً ، فلان العامل في داره أوفي معمله الصغير اليدوي ونحوه ، كأن يرى كل العمل مبدءاً وختاماً لانه كان يكمل العمل من أوله الى آخره وكان في ذلك لذة الاتمام ، ولذة السيادة والتسلط على العمل ، أما في المعمل الكبير، فقد أصبح العامل لاعلاقة له بالعمل ، من جهة انه لايرى مبدئه ولامنتهاه

وقدصاربعمله الروتين كآلة صغيرة في المعمل ، يلهث ساعات طويلة ، بلاشوق ولاعلاقة .

(٣) وأما سلب العامل حقه ، فلان المالك له حقه بقدر الامور الخمسة السابقة ، وباقي الربح حق العمال ، بينما العمال لايتقاضون الا بقدر لايكفيهم حتى لاولياتهم ،وانما اتعابهم للرأسمالي ، والا فمن أين له هذا الثراء الطويل؟ أمانقابات العمال فلاأثر لها في جو المجلس والحزب والقانون والقضاء ، اذ كلها في خدمة الرأسمالي .

(٤) وحيث علم العامل بانه مسلوب الحق فسدت علاقته بالامر الذي يسلبه حقه .

(٥) وأما فساد العلاقة بين الثلاثة ، فلان كل واحد من بائعي المواد ، و مشتري البضاعة يعلم بغبن الرأسمالي لهما ، ولاعلاج لهما من جهة تحالف الرأسماليين ، في ان لايشتروا الخام الابما يشائون ، ولايبيعوا الابما يريدون.

واذا اشتروا الخام من البلد وباعوا البضاعة عليه، كان ضرراً مزدوجاً على البلد ، واستغلالا مزدوجاً للبلد .

والعلاج لكل ذلك، ان يكون للعامل حقه، ولصاحب العمل حقه ، ولصاحب المواد ، والمشتري للبضائع حقهما ، وينظم الامر بحيث يرجع الى المعمل الحالة الانسانية التي كانت للعائلة وللمعمل الصغير أبان انتاجهما ، فيما كانا وحدة العمل، وبكلمة واحدة [ان يمنع الاجحاف] و[ان يكون الانسان المحور بدل ان يكون المحور المال] .

والافنظام الرأسمالي [الاعم من الشيوعي ، لانه من أبشع أقسام الرأسمالية] أوجب المآسي العديدة ، والتي منها :

(١) فقر أكثر سكان المعمورة .

(٢) والجوع الى حدالموت لملايين الناس .

(٣) والبطالة في قطاعات كبيرة من البشر .

(٤) وهدم العائلة .

(٥) والفساد ، حيث تضطر الفقيرات والاولاد الفقراء الى بيع أبدانهم للذة من ناحية، ويفتح الرأسماليون المواخير ومراكز الشذوذ للمزيد من المال من ناحية اخرى .

(٦) والطبقية الحادة في كل من النظامين الغربي والشرقي .

(٧) واشعال الحروب .

(٨) والثورات .

(٩) والانقلابات .

(١٠) والاستعمار بمختلف اشكاله .

وليست النجاة بمازعمه الغرب من ايجاد [النظام الاشتراكي الديمقراطي] كما فعلوا في اليابان وفرنسا ، ولابمازعمه الشرق من المشي خطوات الى الرأسمالية والحرية ، فان كلا الامرين لايقطع جذور المشكلة والتي تقدم من انها[الاجحاف ، وكون المال المحور] . . وقد ذكرنا تفصيل جذور المشكلة وعلاجها في كتاب : [فقه الاقتصاد] بمالاداعي الى تكراره .

المنطق الرأسمالى والمنطق الشيوعى

أما استدلال الرأسماليين- بكلاقسميه الغربي والشرقي-لصحة رأس المال فلايعدو ان يكون عدم تقييم للواقع ، فقداستدل الغربيون :

أ- بأن اختلاف الطبقات من طبيعة الانسان .

ب - وان كثرة أمول الرأسماليين هي مقتضى ذكائهم ، بينما الطبقة الفقيرة

لا ذكا لها مثل أولئك، ولذا تأخروا .

ج ـ وان رأس المـال مخزن للاعمال الكبيـرة ، فلو قضي عليه توقف التقدم .

د ـ وانه لولم يؤذن للرأسمالي ان يسير قدماً ـ بأن حدد ـ لم يكن له شوق فيخسر الانسان طاقاته الخلاقة، ولايربح بازاء ذلك شيئاً .

كما استدل الشرقيون، بانه لولم يكن المال: [الانتاج] و [التوزيع] بيد الدولة، تحت ظل حكومة ديكتاتورية ـ يكون كل الناس عمالا لها ـ لاستغل المال الاثرياء، ويكون ذلك بضرر أكثرية الشعب .

مناقشة فى المنطقين

وفي كلا الدليلين نظر، اذ :

أ ـ ليس اختلاف الطبقات من طبيعـة الانسان ، ومن اين يمكن اثبات ذلك؟ بل الاختلاف فوق الحق ظلم وأكل لاموال الناس بالباطل، والظلم خلاف طبيعة الانسان .

ب ـ وهل كثرة أموال الرأسمالي بقدر ذكائـه؟ ان هذا شيء دل الاحصاء على خلافه، بل الوجدان أيضاً يدل على عدم صحته .

ج ـ والاعمال الكبيرة انما تقام بالمال لا برأس المال المنحرف، ويمكن تجميع المال بالشركات التي يساهم فيها أصحاب الحقوق، لاالذين استغلوا أموال الناس تحت راية رأس المال .

د ـ وهل يشوق الملايين باعطائهم حقهم ؟ اويشوق قلة باستغلال سائر الناس؟ وأيهما أكثر انتاجاً، وأحمد عاقبة ... ثم اذا أعطينا المال بيد الدولة ألم نجمع الـى مآسي الرأسماليـة [الاستغلال] مأساة الديكتاتورية ؟ وأليس هذا الحال كالفرار من الرمضاء الى النار؟ .

مآخذ على النظامين: الغربى والشرقى

ومن المآخذ على نظام رأس المال الغربي، ونظام رأس المال الشرقي ان الاول يوجب الازمة الاقتصادية المنتهية الى بطالة وجوع كثير من العمال، و الثاني يجيـع العامل والفلاح دائـماً ، بدون ان يقدروا على الاعتـراض و الشكاية .

أ ـ اما الازمة، فهي تنشأ من زيادة العرض على الطلب حيث انه :

(١) ليس للاثرياء تخطيط منسق في الانتاج .

(٢) ولا نظام صحيح للاقتـصاد [بأن يعطي العمال قدر حقهم]فيقوم كل ثري بانتاج البضائع، مما يوجب زيادةالبضائع على الحاجة، وحينذاك ينزل السوق، ويرى الثري انه لافائدة من الانتاج، فيوقف العمل ويطرد العمال، و بذلك تنتشر البطالة، ولايجد العامل مايقوت به نفسه وعائلته .

وقد عالج الغرب هذه المشكلة علاجاً جانبيـاً ، باعطاء العمال ـ بسبب النقابات ـ عند الازمة، شيئاً قليلا يقيت به نفسه وعائلته ، لكن ذلك لايعالج البطالة ، كما لايعالج هدر الطاقات الانتاجيـة ، وربما يعالج ذلك بالتخطيط المنسق للانتاج، لكن ذلك لايعالج هدر الطاقات الانتاجية أيضاً ، اذ الطاقـة كبيرة، والاحتياج أقل ، فأما ان يوزع هدر الطاقـات الى أمد بعيد، وأما ان يجمع هدر الطاقة لايام الازمة .

مثلا: اذاكان الاحتياج بقدر ستة أشهر من العمل، فالستـة الاخرى زائدة عن الحاجة، ولافرق في ذلك بين ان توزع الستـة الزائدة على طول السنة، كأن يعمل في يوم، ويترك في يوم، أويعمل ستة أشهر، ويترك ستةأشهر .

ب ـ وأما الاجاعـة، فان الشرق جمع بين رأس المال والدولة ، وبذلك

يستغل العامل والفلاح ، باعطائهم شيئاً قليـلا من انتاجهم ، واستئثاره بنفسه لبقية الانتاج ، والشيء القليل لايكفي لحاجات العمال والفلاحيـن ، وبذلك يجوع العامل والفلاح ، طول عمره، ولايقدر حتى على الاعتـراض، حيث ان الخصم هو الحكم .

و النتيجة في النظامين واحد ، وان كان بينهما فرق صـوري ، فالنظام الرأسمالي الغربي فيه شيء من الحرية الصورية، وشيء من الشبع في قـبال الاجاعة والبطالة في ايام الازمة، والنظام الرأسمالي الشرقي فيه اجاعة دائمة ودكتاتورية مطلقة في قبال عدم البطالة وعدم الازمة .

جوهر المشكلة

وجوهر المشكلة في النظامين :

(١) عدم اعطاء العامل والفلاح حقهما .

(٢)وعدم توزيع المال توزيعاً عادلا، فالثروة جعلت لكل البشر ـ المعاصر والاتي ـ بينما النظام الشرقي والغربي يأخذ كل حق الجيل الحاضر ، وشيئاً كبيراً من حق الجيل الاتي، ثم يصرف بعضاً مما أخذه على الشعب ويصرف بعضه الاخر في الفساد والافساد وبالحروب والاسراف ونحوها ـ .

مثلا: أوقف والد بستاناً على أولاده الحاضرين،وأولاده الاتين ،ولنفرض انهم عشرة أجيال، في كل جيل عشرة، والبستان يعطي في كل عام ألف دينار بحيث اذا وزع الناتج توزيعاً عادلا،كان لكل ولد مأة دينار، الى آخر الاجيال فاذا آجر الجيل الاول البستان لمائة سنة [ـ ولنفرض ان عشرة أجيال تدوم مأتي سنة] بخمسة آلاف دينار، ثم ثلاثة من الجيل الاول استبد بأربعة آلاف وسبعمائة وتسعين دينار كان معنى ذلك [أولا] استهلاك هؤلاء الثلاثة حق أربعة

أجيال آتية و[ثانياً] استهلاك هؤلاء الثلاثة بعض حق سبعة من جيلهم، أي أعطى الثلاثة لكل من السبعة [ثلاثين] بينما كان حق كل واحد من السبعة [مائة] .

فاذا أردنا العدالة في الثروة يلزم :

(١) ان نلاحظ حق هذا الجيل في الثروات المختزنة في الارض حتى لايؤخذ أكثر من حقهم تعدياً على حقوق الاجيال الاتية .

(٢) توزع هذه الثروة على النطاق العالمي، لاالنطاق القطري، حتى لا يبقى جائع وفقير .

(٣) يوزع الانتاج على العامل والمدير وغيرهما كل بقدر حقه، لا ان يستبد الرأسمالي الغربي ، والدولة الشرقية بأكثرية سعي العمال و الفلاحين .

وعند ذلك لايكون :

(١) فقر .

(٢) ولا اسراف .

(٣) ولا ظلم الجيل والاجيال .

(٤) ولا البطالة .

(٥) ولا الازمة .

(٦) ولا فساد ـ وقد ذكرنا تفصيل ذلك في [كتاب الاقتصاد] ـ .

وهذا الامر ممكن اذا :

أ ـ اذا دخل الايمان بالله، والخوف من الحساب القلوب .

ب ـ واتبع النظام الاسلامي في المعاملات والانتفاع بالمباحات، وفي غيرهما مما يرتبط بالمقام من القوانين الاسلامية .

قال سبحانه: «خلق لكم» وقال تعالى: «ولاتبذر تبذيراً ان المبذرين كانوا

اخوان الشياطين» .

وقال عز من قائل: «ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً» .

ولايخفي ان الضنك لايصيب الفقراء فقط بذنب الاغنياء ، بل يصيب الاغنياء المنحرفين أيضاً ، الضنك من نوع آخر :

(١) ضنك الفقراء حولهم .

(٢) وضنك السأم، ولذا يكثر فيهم الانتحار، بل قدّدلت بعض الاحصاءات على ان أعداد المنتحرين من أولاد الاثرياء أكثر من اعدادهم من أولاد الفقراء .

(٣) وضنك الكبرياء والغرور، حيث تضيق الارض عليهم بما رحبت، من جهة المنافسات، ورؤية النفس فوق مقدارها .

(٤) وضنك الخسارة أحياناً .

(٥) وضنك حفظ المال وانمائه .

(٦) وضنك الضرائب .

(٧) وضنك تشتت العائلة، حيث ان الاغنياء تتشتت عائلتهم غالباً، لان اعتماد كل فرد على العائلة تتحول الى اعتماده على الثروة .

(٨) وضنك أمراض الاغنياء ، أمثال: السمنة، وقرحة المعدة ، والسكر ، والمفاصل ، والنقرس .

(٩) وضنك اختلال الاولاد ، حيث ان اكثارهم من الملذات يؤثر في نسلهم .

(١٠) وضنك احاطة عداء الفقراء بهم .... هذا بالاضافة الى :« ونحشره يوم القيامة اعمى ، قال : رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال : كذلك آتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى » .

لكن هذه الانواع من الضنك ، انما هي اذا لم يؤمن بالله ، او لم يأخذ المال من حله أو وضعه فى غير حله ، والا كان المال نعمة ، وأسباب الرفاه ، وقد سماه الله سبحانه [خيراً] فى آيات متعددة ، وفى الشعر المنسوب الى الامام عليه السلام :

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا واقبح الكفر والافلاس بالرجل

ثم انه قد زعم بعض علماء الاجتماع ان المذهب البروتستانتي انما ظهر حلا وسطاً بين الدين المسيحي والمدنية فى عصر الصناعة ورأس المال ، و علله بأن مذهب الكاثوليك لم يكن يلائم عصر رأس المال ، لانه لم يكن يبيح الرأسمالية ، والربا ، والصناعة ... لكن الاطلاع على تاريخ البرتستانت ينفى ذلك ، فانه ظهر فراراً من احتكار الكاثوليك الدين للاحبار والرهبان ، ومن التشديد غير المستند الى كتابهم الذي كان يمارسه العلماء المسيحيون ، ولذا أخذ لوثر فى ترجمة الكتاب وأباحه للكل ، خلافاً لتشديد الباب ضده . ثم كان الكاثوليك يبيح الرأسمالية والربا ، ولذا كانت أموال الكنيسة تجمع من أمثالهما .

نعم لاشك ان رأس المال أولد :

(١) امتداداً بالصهيونية .

(٢) ورد فعل بالشيوعية ، وأكثر فجائع العصر الحاضر ، مستند الى هذا الثلث : الوالد وولداه ، وكل الثلاثة مشتركة فى :

(١) امتصاص الثروات .

(٢) الافساد لها .

(٣) امتصاص أتعاب الناس ببدل أقل من العدالة .

(٤) ويتبع ذلك الفقر والمرض والجهل ، والفوضى ، وهدم العائلة

واشاعة المفاسد الاخلاقية ، والتأخر للاغلبية الكاسحة من الناس .

وان كانت تختلف اختلافاً غير جوهري، فالشيوعية أكثر ديكتاتورية واجاعة، والرأسمالية أكثر استعماراً واستغلالا، والصهيونية أكبر مكراً وأكثر عنصرية وحيث ذكرنا في كتاب: [الفقه ـ الاقتصاد] اضرار الشيوعية والرأسمالية ،و في كتاب [هؤلاء اليهود] اخطار الصهيونية ، فلا حاجة الى اعادة الكلام حول اضرار الثلاثة ، بما هو خارج عن علم الاجتماع الذي بصدده هذا الكتاب .

ثم ان بعض علماء الاجتماع الذين تأثروا بالرأسمالية قالوا ان الازمة الاقتصادية [كما تقدم تفصيلها] وان كانت ضارة من جهة الا انها نافعة من جهة اخرى ، وهي انها توجب تصفية العمال ، باخراج المرضى والشيبة والكسالى وما أشبه ، لانه اذا انتهت الازمة استرجع أصحاب المعامل الصالحين من العمال فقط .

ويرد على هذا الكلام :

(أولا):ان الازمة توجب البطالة والتأخر في المعيشة لعشرات الالوف من الصالحين للعمل ، فما ذنب هؤلاء ؟

و(ثانياً): ان اللازم سن قانون احالة غير الصالحين الى التقاعد ،لا الانتظار بهم الى أيام الازمة ، فما ذنب الشيبة والمرضى حتى يعملوا ويحملو افوق طاقتهم الى أيام الازمة ؟

الاقتصاد الاسلامي

بقي شيء ، وهو ان الاسلام له طريق آخر في الاقتصاد هو غير الرأسمالية الغربية والشيوعية والاشتراكية والتوزيعية ،وهذه الطريقة مستقاة من الكتاب

والسنة والاجماع والعقل ، وهي تعطي :

(١) توزيع الثروة توزيعاً عـادلا ، بحيث لايأكل جيل حق جيل ، ولا جماعة حق آخرين من معاصريهم .

(٢) عدم اكتساب الثروة بالاستغلال ، أو صرفها فى ما يضر ويفسد .

(٣) عدم بقاء فقر وحاجة معطلة .

(٤) جعل الثروة لتقدم الكل ، وذلك لانه حيث يكون التوزيع عادلا [كل بقدر حقه] تظهر الكفاءات الموجبة للتقدم العام .

أما الثروة فى الحال الحاضر ، فلا توجب الا تقدم الرأسماليين، ومن اليهم ، أو أعضـاء الحـزب الشيوعى ، ومن فى فلكهـم ، وبذلك بقيت أكثر الكفاءات الانسانية معطلة .

وكما انه اذا كان العلم خاصاً بجمـاعة ، يحرم البشر من طاقات الاخرين العلمية الكامنة .

وكما انه اذاكان الحكم استبدادياً بيدقلة، كبتوا الناس فلم تظهر طاقاتهم .

كذلك الثروة،فانها حيث تكون بيدقلة لاتظهر الطاقات الكامنة في الاخرين وفي الحال الحاضر حيث ان كلامن الحكم والعلم والمال بيدقلة من البشر ، حرم الانسان من مواهب كامنه ، لاتعد ولاتحصى . . ضرر ذلك لايرجع الى المحرومين فقط ، بل الى الحارمين أيضاً، اذ الاختراع والاكتشاف وأسباب الصحة وغيرها ، ليست نصيب بعض البشر، بل نصيب الكل ، فمالم يظهرمنها يحرم الكل منه .

الحكومة

(مسألة ـ ٣٢ ـ) الحكومة عبارة عن [الادارة] صغيرة كانت أو كبيرة بدائية أو معقدة ، وحتى عائلة تسكن وحدها في غابة أو كهف ، لابد وان يكون أحد افرادها بمثابة الحكومة ، حيث يفصل النزاع ، ويرد المعتدي ، ويقضي بين المتنازعين ، ويفعل ما يقدم العائلة ، وهل تفعل الحكومة الكبيرة المعقدة في الحال الحاضر ، الا تلك الامور ؟

نعم الامم الابتدائية تحتاج الى الحكومة احتياجاً أقل من احتياج الامم المتحضرة ، وقدورد فى الاحاديث ان الخليفة كان قبل الخليقة ، وفي القرآن الحكيم : «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة» وانما يكون احتياج الامم الابتدائية الى الحكومة أقل لامور :

(١) قلة الجماعة الابتدائية ، مثل سكان الكهوف والغابات ، وجماعات الرعي والصيادين على سيف البحار ، وما أشبه ذلك ، فان الجماعة القليلة ، قليلة روابطها ونزاعاتها ونزاعات الاخرين معها ، وهكذا .

(٢) قلة الملكية، وبدائية التعامل فان كثيراً من الامور المحتاجة الى الحكومة في الامم المتحضرة ، انما تنشأ من كثرة الملك وكثرة التعامل .

(٣) وحدة الدين والعقيدة والفكرة في الامة البدائية ، فلا اختلاف تنتهي الى المنازعة بما تحتاج الى الحكومة .

(٤) كما ان عدم وجود المدينة ونحوها ، يقلل من الاحتياج الى الحكومة حيث لانظم في حالة عدم وجود المدينة فلا حاجة الى وجود النظام، وحافظ النظام.

الحكومة فى الامم البدائية

وفي الامم الابتدائية ، تبتدء الحكومة بكبار القوم ، وفي مجلس استشاري كما كانت دار الندوة في مكة المكرمة كذلك ، الا اذا كانت عشيرة واحدة مثلا : فامور الحكومة منوطة بالكبير ، سواء كان كبيراً سناً ـ وهو الغالب ـ أو الكبير علماً ونحوه ، ولذا كان الكهان والعرافون في الجاهلية مرجعاً في المنازعات ونحوها .

والعقاب في الحكومات البدائية يشبه العقاب في الحكومات المتحضرة، مع بعض الفوارق، فالضرب والشتم والاستهزاء والطرد والحرمان عن مثل الارث والمقاطعة، وأحياناً السجن والقتل والمصادرة عقوبات بدائية ، كما انها عقوبات في العصر الحاضر .

الحكومة فى العصر الحاضر

والحكومة في العصر الحاضر ، عبارة عـن مؤسسات متعددة تحتويها مؤسسة كبيرة تنسق بينها ، تقوم بالامور التالية هي :

(١) النظم .

(٢) رد اعتداء بعض على بعض .

(٣) التقدم .

(٤) الدفاع .

وهذه الامور تقوى الحكومة ، حيث ان الاجتماع يحس بالاحتياج الى الحكومة من خلال ممارستها للامور التالية ، أكثر فأكثر ، وبالاخص الدفاع في حال الحرب مع الاعداء ، اذ يشعر الاجتماع بالاحتياج الشديد ، حيث انهم يرون انه لولا الحكومة يكون كل شيء لهم في خطر ، ولذا يبذل الناس في حال الحرب مالا يبذلون في حال السلم ، وقد اشتهر ان [الحرب منجنون التقدم] .

الاحتياج الى الحكومة

ومما تقدم يظهر ، الاحتياج الى الحكومة على كل حال ، لانها من ولائد الملكية الشخصية كما يقوله الماركسيون ، اذ قد عرفت الدليل على خلاف كلماتهم ، وقولهم هذا يشبه قول فرويد من ان أساس الحكومة القضية الجنسية وقول ثالث ان أساسها حب الاستيلاء والشهرة . .

وبذلك يظهر اعتباطية ، ان الملك الخصوصي يسبب تقسيم الاجتماع الى طبقتين ، طبقة الاثرياء ، وطبقة الفقراء ، وان الاولين يوجدون الحكومة ، لاجل حفظ املاكهم ، ولاجل استغلال الاخرين ، ولاجل تحطيم المقاومة التي يبديها الاخرون رغبة في التخلص من نير الاولين .

ثم انه قد تصطلح [الدولة] مرادفة [للحكومة] وقد تستعمل عبارة عن الاعم من الحكومة ، حيث تشمل الدولة ، الامة ، الارض ، والطبقة الحاكمة ، فاذا لم تكن أرض أو امة أو طبقة حاكمة لا تسمى دولة . . .

اسباب تعقد الحكومة في العصر الحاضر

ثم ان الحكومة في العصر الحاضر ، صارت أصعب من الحكومة في

العصر السابق لامرين :

(١) للصناعة وكثرة النفوس .

(٢) للصلف والغرور ، بيان ذلك :

ان الصناعة أوجبت كثرة الحاجات ، والحاجة تحتاج الى تمهيد السبيل والنظم والتنسيق ، وما أشبه ، مثلا : سفر الانسان فى الحال الحاضر ، صار أضعاف سفره فى زمان الدواب ، والسيارة ، والطائرة ، والقطار ، والفندق وما أشبه صارت بكثرة هائلة ، وكل تلك الكثرة بحاجة الى النظم ، وفتح الطريق أمامها بصنع المطارات والمحطات والكراجات ، والفنادق وانظمة المرور ، وانظمة المنازعات المرتبطة بها وغير ذلك .

وكثرة الجمعية أوجبت مشاكل جديدة ، حيث يلزم فتح الطرق ، وتهيئة الوسائل مثل المدارس ، والمصحات ، ودور العجزة وماأشبه ، مثلا : اذا كانت مدينة فيها مائة ألف بحاجة الى عشر طرق عامة ، كل طريق بعرض خمسين ذراعاً فاذا ارتفعت نفوس المدينة الى خمسمائة ألف احتاجت الى خمسة أضعاف ذلك طرقاً وسعة ، وهكذا الكلام في المدارس وغيرها .

أما الصلف ، فلان الحكومات أخذت تحدمن الحريات ، وتريد التوسعة وتريد المصفقين ، وبذلك أوجبت لانفسها مشاكل معقدة ، حيث دست أنفها في كل شيء ، ولم تترك الناس يعملون كما يشائون و تكون الدولة رقيبة عليهم فقط ، وادارتها الاستعمارية والاستغلالية أوجبت لها مشاكل جدد ، كما ان توظيف المصفقين أوجب مشاكل أيضاً ، مشكلة كون الوظيفة غطاءاً ، ومشكلة تحصيل المال لاجلهم ، ومشكلة ادارتهم والى آخر .

بينما الحكومة اذا عقلت ورجعت الى وظيفتها الحقيقية [من الامور الاربعة المتقدمة] لم تتعقد الاثلث التعقد الحالي ، حيث ان نصف تعقدها بسبب الصناعة

والجمعية يزول ، وكل تعقدها بسبب الصلف يزول وذلك لان اعطاء حرية الثقافة والصناعة والزراعة والتجارة، وماأشبه للناس يرفع عن كاهل الحكومة مشكلات كبيرة ، فالناس يبنون المدارس والمستشفيات والمصانع والمطارات وغيرها ، لكن الحكومة تشرف لعدم أجحاف أصحاب تلك الامور على الناس .. فأي لزوم لان تكون هذه الامور تابعة للدولة ؟

بل اذا اعطيت الحرية للناس في هذه الامور ، استفاد الاجتماع فوائدجمة هي :

(١) ظهور الكفاءات والطاقات الكامنة .

(٢) العمل الدائب ، حيث انه فرق بين الموظف الذي لايعمل الابقدر الواجب ببلادة وجمود ، وبين من يركض لنفسه ليل نهار .

(٣) وصول الحاجات الى كل الناس حيث التنافس الحر بين التجار وأصحاب تلك المشاريع ، لان كلايريد فتح السوق لنفسه .

(٤) قلة الاثمان وماأشبه للتنافس الحرأيضاً .

(٥) عدم بقاء الايادي العاطلة فتختفي البطالة ، ولايخفى ما في ذلك من الفوائد .

(٦) عدم نظر المجتمع الى الدولة بكراهية، حيث لم تحدد الدولة حرياتهم وطاقاتهم .

(٧) عدم وجود الطبقية الحادة .

(٨) عدم توتر الاجتماع بالمظاهرات والاضرابات .

(٩) اختفاء الامية والمرض والجهل والجريمة ، وذلك لان الاجتماع بكله يركض لاصلاح نفسه ، ووصولها الى أقل قدرممكن .

وبذلك يظهر ، ان تحويل كل الامور من أيدى الناس الى أيدي الدولة ،

كما يفعله الماركسيون ، أو تحـويل بعض الامور الى يد الدولة ، كما يفعله الرأسماليون خطأ . . وعليه فاللازم على الدولة ان تكون المراقب لاالمباشر، نعم اذا بقي فراغ سدته الدولة ، وبذلك تريح وتستريح .

لا . . لتكثير الدوائر

فما اتخذتها الدول الحديثة من تكثير الدوائر ، والتدخل في كل الشئون سببت مشكلات جمة منها :

(١) تعقد الامور .

(٢) تجميد الطاقات لما تقدم من ان من طبيعة الموظف الجمود .

(٣) الاضرار بالاقتصاد .

(٤) خنق الحريات والكفاءات .

(٥) الروتين القاتل للطاقات .

أماتعقد الامور،فلان كثيراً من الاشياء احتاجت الى تقرير الدولة لها ، بينما لم تكن في السابق كذلك، مثلا: السفر بالطائرة والقطار أوما أشبه احتاج الى اجازة الدولة، بينما السفر بالدواب لم يكن كذلك . . والبناء احتاج الى اجازة الدولة ، بينما لم يكن في السابق كذلك .

وأما تجمد الطاقـات ، فلان هؤلاء الموظفين كان عليهم ان يسعوا في تكثير الانتاج أو الثقافة ، أو العلاج ـ بأن يكونوا أطباء ـ وهكذا ،والانهم جمدوا في ادارة وظائف الدولة ، وأمامي تقرير يقول : ان موظفي امريكا في عام (١٩٥٠) م [١] كانوا (١/١) مليون ، بينما ارتفعوا في عام (١٩٥٥) م الى

(١)حيث ان التاريخ المدون فى الكتب التى نقلت منها هذه الاحصائيات ـ هو تاريخ ميلادى ، ولعدم امكان تطبيق ذلك على التاريخ الهجرى ـ لعدم ذكر الاشهر غالباً ـ . . لذلك تركنا التاريخ كما هو .

(٧/٤) . . . . انه لاشك ان بعضهم زادوا لزيادة الجمعية ، أو لاجل تقدم الصناعة ، أما الكثرة من الزائد فليسوا الا لاجل الصلف والغرور .

وأما الاضرار بالاقتصاد ،فلان المنتج صار مستهلكاً ،حيث ان الموظف منتج بطبعه ، أما اذا صار موظفاً فقد تحول الى مستهلك .

وأما خنق الحريات وتجميد الكفاءات ، فلان الوقت الذي يصرفه الشعب في تحصيل الاجازة للسفر والاقامة والبناء والعمل والزراعة والصناعة والتجارة وغيرها ـ بينما يلزم ان تكون كلها حرة ، كسائر الاعمال الحرة ـ خنق لحريته ، بالاضافة الى كونه ضرراً باقتصاديات البلاد ، حيث ان هذه الاوقات يجب ان تصرف في الانتاج، بالاضافة الى ان الذهاب الى الدوائر ومصارف الدائرة ، والرجوع الى البيت وما أشبه ، كلها تلتهم المال .

ثم ان الدولة لاتأذن لبعض الطالبين بأن يتاجر أو يزارع أوما اشبه ذلك لعدم توفر الشروط القانونية ـ الموضوعة صلفا ، لابحق ـ وذلك تجميد لطاقات كثيرة في الامة ، حيث انه اذا كانت الحريات تفتقت تلك الطاقات عن مواهب كامنة ، واكتشافات انتفع بها البشر .

والروتين ـ أو كتابنا وكتابكم ـ حيث تحول هذه الدائرة المراجع الى دائرة اخرى ، وهلم جراً ، شيء يوجب السأم ، وبلادة العمل ، والتضجر من الدولة ، فبينما وضعت الدولة لتخدم الناس ، صارت تستخدم الناس ، وبينما وضعت لحل المشكلات ، صارت تزيد المشكلات ، وتعقد المشكلات ، وهكذا .

وربما يقال : ان تعقيد الامور، للوقاية، والوقاية خير من العلاج، وفيه : انه هل تمنع الدولة الناس ليلا من التجول الامن حصل على الاجازة ، أوتبيح التجول ـ كما هو الحق الطبيعي للانسان ـ واذا سرق سارق أوماأشبه عاقبته

على سرقته ؟ . . ان الفرق بين أعطاء الحريـة ، وعلاج الفاسد ، وعدم اعطاء الحرية خوفاً من الفساد كالمثال الذي ذكرناه .

اعتذارات زائفة

ومما تقدم ظهر ، زيف اعتذار الدول الحاضـرة ، عن كثرة موظفيها :

(١) بكثرة الجمعية .

(٢) وبمعطيات الصناعة، مثلا: السيارة تحتاج الى قوانين المرور وهي بحاجة الى موظفين، وهكذا التلغراف والتلفون وغيرها .

(٣) وبالمظاهرات وبالاضرابات التي واكبـت الحرية الحديثـة بسبب الديمقراطية، حيث انها تحتاج الى العلاج، وذلك لايمكن الا بالموظفين.

(٤) وبأن هـدم النظام بالانقلابات العسكرية وما أشبه صار كثيراً ولـذا نجد الانقلابات في كثير مـن البلاد ، فالدولة مضطرة لحفظ الامـن بواسطة أجهزة كثيرة .

(٥)وبكثرة الجريمة من السطو والاختطاف والقتل وماأشبه، وذلك بحاجة الى أجهزة جديدة للحيلولة دونها، بالاضافة الى تكثير أجهزة القضاء للعقاب والفصل .

(٦) بانهالتسهيل الحياة ، أمثال : [شركات التأمين] مما لم تكن سابقاً ، و هي أيضاً بحاجة الى موظفين لضبطها وتطبيق القوانين عليها .

وجه الزيف ان كثرة الجمعية وتقدم الصناعة، وان كانا بحاجة الى موظفين الاان سهولة الحياة بسبب معطيات الصناعة، قللت من الموظفين، فاذالوحظت تلك الزيادة بنسبة هذه القلـة ، صار الفارق صفراً، أودون الصفر ، حيث ان الاحتيـاج الى زيادة عشرة ، بينما الاستغناء عن اثنى عشر مثـلا ، مما يلزم ان

نستغني عن بعض الموظفين الذين كنا سابقاً ـ قبل الصناعة وكثرة الجمعية ـ بحاجة اليهم .

مثلا: قبل عصر السيارة، كان البلد الذي نفوسه مائة ألف، بحاجة الى مائة كناس للبلدية، أما بعد صنع سيارات الكنس صار البلد الذي نفوسه مأتا ألف، بحاجة الى عشرة كناسين فقط، حيث تسرع سيارات الكنس في تنظيف المدينة، وكذا بالنسبة الى انارة المدينة، وايصال الماء اليها ونحوذلك حيث ان ماكنة الكهرباء والماء، اغنتا عن جملة من الموظفين،وكذلك بالنسبة الى سيارات النجدة، والافراس الدورية سابقاً وهكذا .

اذاً: فلنجعل الاستغناء بالالة، مكان الاحتياج لاجل الالة، وحينذاك يظهر ان الاستغناء يأخذ رقعة أكبر ـ في خريطة الموظفين ـ من الاحتياج .

ب ـ والمظاهرات والاضرابات، انما هي بسبب ظلم الحكومات أمابعدم اعطاء الناس حقهم فى الحوائج، وأما في الاراء، بعدم اعطاء الحرية للاشتراك فى الانتخابات، حيث قلة يستبدون بالحكم، وهوظلم لاراء الاخرين ، سواء كان الاستبداد علنياً كحكومات الشيوعيين والانقلابيين والوراثيين ، أومغلفاً كالغالب في الديمقراطيين.. فاللازم دفع الحيف ، لا ابقائه وتكثير الموظفين لاجل قمع طلاب العدالة .

ج ـ وأما التطلع الى هدم النظام، فذلك أما للظلم وهوالغالب ـ كما تقدم في بند [ب] وأما لحب السلطة، فذلك موجود، وان لم يكن ظلم، لكن الثانى لايوجد الا في قلة، ومن الممكن علاج أولئك القلة، بمايعالج به سائر المجرمين وذلك لايحتاج الى زيادة موظفين... ولهذا الذي ذكرناه من ان الغالب كون الانقلاب لاجل الظلم، ترى كثرة الانقلابات، أومحاولاتها في البلاد التي هي أقرب الى الظلم وأبعد عن العدالة الاجتماعية .

ولايخفى ، ان الانقلابات العسكرية التي رأيناها ـ منذ ثلاثين سنة ـ لم يكن حتى واحدة منها نابعة من ذات البلاد، بل كانت انقلابات شرقية أوغربية أومزدوجة، وكلها أتت بالاسوء مما قبل الانقلاب، حيث ان الاستعمار أحكم قبضته على البلاد أكثر فأكثر. . والانقلاب العسكري مهما برر لـه أصحاب الانقلاب لايوافق ديناً ولاعقلا اذ كيف يتسلط جماعة من أصحاب الدبابات على الامة بدون رضاها واستشارتها .. بينما الحكم عقلا وشرعاً يجب ان يكون مستنداً الى اختيار الامة ، [في غير الانبياء والائمة، حيث ان هناك اختيار الله تعالى وليس لانسان الخيرة اذا قضى الله امراً] .

ثم كيف تعترف الدول بالحاكم الجديد؟ أليس ذلك لان الغرب والشرق قسموا العالم، فاذا حدث انقلاب من احدهما، تحت قفاز الجيش وما أشبه اعترفوا به، لانه في فلكهم ، ونصبوه ليحمي مصالحهم، وهل يقر الشرق و الغرب بأن ينصب انسان معلماً في مدرسة ليدرس أربعين طفلا، بدون سوابق واختبارات وماأشبه ؟ فان قالوا: نعم، اجيب: بأن قوانين التعليم ـ في كل العالم ـ لايسمح بذلك وان قالوا: لا، يقال: فكيف لايسمح ذلك لمعلم أربعين طفل؟ ويسمح ذلك لحاكم عشرات الملايين ـ أحياناً ـ ؟ أليس ذلك دليلا على مؤامرة العالمين، ومن في فلكهما ضد شعوب العالم الثالث ؟ .

والمشكلة لم تنشأ من الخارج، وانما من داخل بلاد العالم الثالث [والتي منه العالم الاسلامي] وهي عدم الوعي ، فلماذا يسلم ملايين الناس أنفسهم لحفنة عسكريين، لايتجاوزون ـ احياناً ـ بضعة الوف ، بل أقل ؟ ولماذا لا يتسائل العالم نفسه: لماذا لايحدث انقلاب في امريكا وبريطانيا وفرنسا و؟ !! بل وحتى في اسرائيل ذات الملايين القليلة ؟! هل لان هناك لاأطماع لاعدائهم؟! أولانه لا مغامرين يحبون الحكم ؟! أولوعي تلك الامم ضد مثل هذا الشيء؟

حتى اذا غامرت جماعة واستندت الى مؤامرة اعدائهم ،رفضتها شعوبهم، و قدموا الانقلابيين الى المحاكم ؟! حتى يحكم عليهم بمثل مايحكم على قطاع الطرق والسلابين ؟! .

و مشكلة الاستعمار المستغل ،ومشكلة المغامرين المتآمرين مع الاستعمار ستبقى فى العالم الثالث ، الى ان يحصل الوعي لشعوب هذا العالم ، و يكون الحكم فيه تبعاً للانتخابات الحرة ، في اطار الشروط المقبولة للحاكم [والتي منهااستجماعه لشرائط الاسلام في العالم الاسلامي] وسنذكر في آخر هذه المسألة كيفية اعادة الحكم الاسلامي الى بلاد الاسلام باذن الله تعالى .

د ـ وأما كثرة الجريمة ، فهي تابعة لامور :

(١) عدم الايمان ـ الرادع الداخلي للانسان عن الجريمة ـ .

(٢) الحرمان ، مثل الفقر الموجب للمرض والجهل وعدم الازدواج وما أشبه .

(٣) المغريات الموجبة لسهولة ارتكاب الجريمة .

(٤) تمكن الانفلات من العقاب ، لما في المحاكم من الالتواءات و المنعطفات ... والجريمة ستبقى ، بل تزداد ، مادامت هذه العوامل باقية ، سواء كثر الموظفون أم لا ؟ فالمهم اصلاح الجذور ، لا قطع الفروع ، فهو كمستنقع يعطي الامراض والجراثيم ، فليس الحل تكثير الاطباء ، وتوفير الادوية ، وانما الحل علاج المستنقع .

هـ ـ ويبقى أخيراً ، أمثال [التأمين] و [البنوك] وما أشبه ، مما حدثت في العصر الحاضر ... وفيه : انه لماذا الحكومات تستولي على مثل هذه الشئون حتى تحتاج الى كثرة الموظفين ؟ ألم يكن من الافضل ان تكون هي بأيدي الناس ، مع رقابة الدولة حتى لايجحفوا ، كما ذكرناه في السابق ؟

طريق الخلاص

و على هذا ، فاللازم على الشعوب الواعية ان تضع البرامج الصحيحة لاجل انقاذ أنفسها عن هذا الاختلال في ميزان الحكومات ، بأن يقلل من الموظفين حتى يصلوا الى الحد اللازم ، وينقلوا البقية الى القطاعات العامة ويجعل هذا التعديل تدريجاً في مدة مناسبة ، لئلا يختل التوازن .

فتشكل لجان خاصة في كل وزارة وزارة،لاجل ملاحظة الفائض من الموظفين ، وملاحظة الحريات المهدورة للناس ، فتعطي للناس الحريات ، وبقدره يسحب الموظف المرتبط بتلك الحرية المهدورة ، مع جعل ذلك الموظف في شأن يناسبه لئلا يبقى عاطلا . . مثلا : بيع المطارات للناس ، مع اشتراط عدم اجحاف المشترين على الناس الذين يريدون السفر وجعل مراقب في الدولة لذلك ، وموظفو المطارات ان شائوا ، وشاء المشترون بقوا على أعمالهم ، لكن العمل حينئذ للناس ، والا وجدوا لهم عملا مناسباً ، ولو مستقلا لتربية الدواجن ، واذا لم يكن للموظف رأس مال لذلك ، أعطته الحكومة قرضاً لمدة معقولة حتى يسدده أقساطاً في تلك المدة .. وهكذا .

ويجب أن لايخدع الانسان بأن زيادة الدوائر ، وزيادة الموظفين تحول الدولة من الدولة السياسية الى الدولة الانتاجية ، وهي تحول ضروري ، اذا أردنا دفع الامية ، وايصال العلاج الى كل الشعب ، وتحسين معيشة الفقراء و . . اذ هذا الكلام صرف خيال لا واقع له ، فان زيادة الموظفين والدوائر قد عرفت مفاسدها ، وتسمية الدولة [بالانتاجية] لا تغير من الواقع شيئاً .

نعم ، الدولة في حالة الحرب ، تحتاج الى [تحديد معتدل] من حريات الناس ، لاجل ادارة الحرب ، كما انها كذلك في حالة الطوارىء، كالامراض

والزلازل ونحوهما ـ والضرورات تقدر بقدرها ـ كما انها في حالة السلم ، بحاجة الى وزارة الحرب ، بقدر ما يحفظ السلام ، واستعداداً لحرب ممكنة ، ولكن هذا ـ أيضاً ـ غير تكثير الدوائر والموظفين بصورة مطلقة ، مما استدل به أنصار زيادة الدوائر والموظفين .

والحاصل : ان هذا الدليل [الثاني] والدليل الاول [الحكومة الانتاجية] أخص من المدعى .

وعلى ما ذكرناه ، فاللازم أن يجعل الاصل [الحرية] للشعب ، ثم يجعل تقليل هذه الحرية بقدر الضرورة ، لا أن يجعل الاصل [الحكومة الانتاجية] وتمنح بقية الحريات للناس .

واللازم على الشعوب التى تتمتع ببعض الحريات :

(١) استرداد بقية حرياتها عن دولها ـ وفي المثل الحق يؤخذ ، ولايعطى وقد قال علي عليه السلام : لاتكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حراً ـ .

(٢) الاهتمام لاسقاط الديكتاتورية في سائر الحكومات ، لتقوم مقامها الحكومات الاستشارية ، كما أسقطت الشعوب المانيا النازية ، وايطاليا الفاشية وروسيا الستالينية و :

أ ـ سواء كانت الدولة ديكتاتورية بحتة كروسيا .

ب ـ أو دكتاتورية نصفية، وهي التي فيها انتخابات ، ولكن رئيس الدولة يبقى رئيساً ـ بأي اسم كان ـ ويعين من بعده خليفته ، ولو كان ذلك تحت أغطية براقة .

ج ـ أو ديكتاتورية مغلفة بالجماعات الضاغطة ، والدعاية العريضة ، وتدخل رأس المال ونحوها مما تحرف ارادة الناس في الانتخابات بايجاد الاجواء المكذوبة ولو تبدلت الحكومة من أعلى رئيس فيها ، كامريكا .

كيفية انقاذ المسلمين

وأخيراً ، فان كيفية نجاة المسلمين بايجاد حكومة واحدة لهم ، تكون بالاختيار الحر لرئيسها المرضي لله ، وبكون الاحكام اسلامية بحته ، ليعيش المسلمون تحت ظلها في أمن ورفاه وسيادة وتقدم ، هي :

(١) بالتنظيم الاسلامي العالمي ، سواء في بلاد الاسلام أوغيرها ، ولعل ما يحتاج اليه من التنظيم ، في اقامة مثل هذه الحكومة ، هو عشرون مليون منظم ، يدخل فيه مختلف الاحزاب والتنظيمات الاسلامية الحالية ، كأجنحة عاملة لاجل ذلك الهدف السامي المتفق عليه .

(٢) بالتوعية الاسلامية العالمية، توعية سياسية اقتصادية اجتماعية[ايجاباً] وضد الاستعمارية والتجزيئية [سلباً] .

(٣) بالسلم في الحركة ، حتى يمكن أخذ الزمام ، قال سبحانه : «ادخلوا في السلم كافة » .

وقال تعالى : «كفوا أيديكم * واقيموا الصلاة . .» .

(٤) بالجماهيرية ، بأن لا يصبح التنظيم صنماً ، والا كان ذلك يساق سقوطه .

(٥) بالاستغناء عن البضائع والافكار الشرقية والغربية . . كل ذلك وان طالت المدة ، والله الموفق المستعان .

كيفية التوعية والتنظيم

ثم ان كيفية الشروع في التوعية والتنظيم أن تشكل نواة مركزية مهمتها الامران المذكوران ، فتبعث الى العالم ما لايقل من ألف عضو لينظم كل في

محله تنظيماً لاجل الحكومة الاسلامية الواحدة ، بعد تربية النواة لاولئك الاعضاء تربية خلقية وعملية، فيشرع كل فرد في انماء نفسه بضم أعضاء آخرين اليه . . .

أما التوعية فهي بفتح ما لايقل من مأة مجلة ، ومأة مكتبة ، لكل مكتبة ما لا يقل من مأة ممثلين ، يكوّن جميعهم عشرة آلاف مركز لبيع الكتب المعنية بهذا الامر، واللازم أن تتواجد في كل مكتبة ـ من الاصول والممثليات ـ كتب الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، والكتب ضد التخلف والاستعمار .

وبذلك ينمو الوعي تدريجاً . . والى جانب كل ذلك ، تكون من مهمة الاعضاء ، استدراج الاحزاب والمنظمات والجمعيات والصحف والمكتبات وسائر وسائل الاعلام ، والمفكرين الى هذه الفكرة ، حتى يجمع الكل في شلال واحد . .

وانما شرطنا [السلم] في الحركة ، لان العالم المدجج بالسلاح لايمكن للتنظيم المذكور أن يقابله بالسلاح ، اذ عدم وجود السلاح في الطرفين بنسبة متعادلة ، يوجب سقوط ذلك التنظيم .

كما ان اشتراط [الجماهيرية] لاجل أن لايصبح التنظيم صنماً يوالي و يعادي في سبيل التنظيم ممايفقده الجماهيرية ، وكل حركة لاتسندها الجماهير خليقة بأن لاتكون الاجمعية خيرية كبيرة ، ولقد كان من أسباب سقوط غالب الحركات الاسلامية ـ أي عدم وصولها الى الحكم مع انها تعمل زهاء نصف قرن أو أكثر ـ الصنمية ، مما أخاف الجماهير من وصولهم الى الحكم فحالوا بينهم وبينه بمختلف الوسائل .

وانا نرى ان حركة الانبياء عليهم السلام كانت تتسم بالسلم والجماهيرية، حيث انهم كانوا يسالمون حتى وهم في أوج قدرتهم ، كما فعله الرسول صلى الله عليه وآله عند

فتح مكة وغيره ـ الا لدى قصوى حالات الاضطرار ـ وكذلك فعله علي عليه السلام بعد ان ظفر بأصحاب الجمل والنهروان . . كما ان الانبياء كانوا يقبلون حتى الاراذل ـ في اصطلاح الكفار والمنافقين ـ .

أولا : لاستدراجهم الى الطريق السوى .

وثانياً : لاكتساب الجماهيرية ، فهل الافضل أن يعاديك انسان ظاهراً وباطناً ، أو باطناًفقط ، أما قوله سبحانه : « هم العدو » و « في الدرك الاسفل» فالمراد الكشف من الحقائق ، وان لا يخدع الانسان بظاهر المنافق ، لا أن يطرده .

التنظيم الاسلامى وعوامل الاستقطاب

واللازم على التنظيم الاسلامي أن يكون مغرياً، يأتي علماً وعملا بمايسبق العالم ، والا فالناس لايتركون ما هم فيه من الرفاه الى الاسوء ـ بنظرهم ـ وكذلك فعله الرسول صلى الله عليه وآله أعطى العلم، والالفة ، والرفاه ، والسيادة، والحرية لعالم كان غارقاً في الجهل والانشقاق وصعوبة العيش ، واستعباد طبقة قليلة لجماهير الناس، ولذا أقبلوا اليه صلى الله عليه وآله في وقت قصير .

ولذا فاللازم أن يعطى التنظيم الاسلامي في العصر الحاضر، ما يفقده العالم المتحضر، من حرية الانسان ، وكون عمل كل انسان لنفسه ، والاخوة لكافة بني الانسان .

فان من طبيعة الناس أن لا ينضووا تحت لواء المتعجرفين الذين يجعلون آرائهم فوق آراء الاخرين ، والذين يصعبون الحياة على الناس ، ولذا قال سبحانه : « يريد الله بكم اليسر » وقال تعالى : « وشاورهم في الامر » وقال عز شأنه : « فبما رحمة من الله لنت لهم * ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا

من حولك » .

وفي دعاء الامام السجاد عليه السلام: (اللهم سددني لان اعارض من غشني بالنصح واجزي من هجرني بالبر ، واثيب من حرمني بالبذل واكافي من قطعني بالصلة واخالف من اغتابني الى حسن الذكر ، وان أشكر الحسنة ، وأغضى عن السيئة).

واللازم أن يكون هذا المنهج ، هو منهج التنظيم: كتابة ، وقولا ، وعملا ، اذ لايكفى أن يقول الانسان للناس ، كونوا كذا ، أو ان يكتب في كتبه حسن منهجه ثم يكون عمله خلاف ذلك ، فان الانسان يقاس قوله بعمله ، ولذا ورد في الحديث : (كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم) .

وقال علي عليه السلام: (لعن الله الامرين بالمعروف التاركين له ، الناهين عن المنكر العاملين به) وقبل ذلك قال القرآن الحكيم : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون ؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون » .

كيف يتم تأمين البعد المالى ؟

يبقى السؤال ، في انه من أين هذا القدر الكبير من المال ، لادارة ولو مقدمة التنظيم والوعى أي ألف شخص ، ومأة مجلة ، وعشرة آلاف ممثلية والارتباط بالاعلام والمفكرين ؟

والجواب : ان الامر تدريجي تصاعدي ، والمال في البلاد الاسلامية كثير جداً ، فاللازم على النواة العاملة أن تجد الى المال سبيلا ، ولو بقدر متوسط من المال ، تنميها في التجارة ونحوها ، حتى يكون المال دورياً ، فمثلا تحصل على مليون دينار ، وتستثمر بما يعطى الربح كل عام ، وبقدر الربح المذكور تتقدم الى الامور المذكورة ، وهكذا .

ثم الله سبحانه وتعالى ـ وهو أقوى الناصرين ـ من وراء العاملين المخلصين

قال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لايحتسب * ومن يتوكل على الله فهو حسبه * ان الله بالغ امره * قد جعل الله لكل شيء قدراً » وقال سبحانه : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » وقال تعالى : « ان ينصركم الله فلاغالب لكم » .

التحرير . . يجب أن يكون شمولياً

وربما يقال: لايمكن تحرير بلد واحد فهل يمكن تحرير كل بلاد الاسلام مرة واحدة ؟ وفيه : ان المشكلة انما نشأت من ارادة تحرير بلد واحد ، فهل يمكن أن يقوم بلد واحد على قدمه ، ويستمر استقلاله ، في وسط بحر من المناوئين من مستعمري الشرق والغرب وعملائهم في البلاد الاسلامية ، والكل يعلم ان البلاد الاروبية وامريكا تحتوى على أكثر من تسعمأة مليون متحالف وروسيا تحتوى على أكثر من ربع مليار ، وهكذا .

وربما يظن بأنه يمكن تحرير بلد بلد ، تنظيراً لعمل الرسول ﷺ حيث حرر بلداً بلداً ، وفيه : انه تنظير مع فارق ، فان الرسول ﷺ عمل في عالم متفكك والان ارتبط العالم بعضه ببعض ، فاذا لم يتحرك العالم الاسلامي بكله لم يتمكن أن يقف على قدمه .

نقاط . . في كيفية العمل

واللازم لاجل استقامة الامر امور :

(١) ان تجعل النواة ـ البادئة بالعمل ـ نفسها ميزاناً للحكم ، لاان تتهيأ لتسلّم الحكم ، حيث ان العاملين المخلصين اذا مارسوا الحكم ، لم يتمكنوا من تقويم الحكم ، وبذلك يفوتهم الهدف الذي هو تطبيق حكم الاسلام كاملا

غير منقوص .

(٢) ان يصب الحكم، بحيث توزع القدرة ، ولايبقى مجال للديكتاتورية فانمن طبيعة القدرة ان تطغى [الافي المعصوم] وقد قال علي عليه السلام : (من ملك استأثر) وان لم يفعل ذلك ينتهى الحكم ، الى مثل حكومة الامويين والعباسيين والحكم الدينى المنحرف ابشع من الحكم الدنيوي المنحرف ـ كما رأيناه في الحكومتين ، وحكومة محاكم التفتيش ، وغيرها ـ فاللازم ان يكون لكل فئة مجلة وجريدة ، واذاعة وتلفزيون ، وكلمة مسموعة [كل ذلك في نطاق الاستشارة] الى آخره .

(٣) ان يكتب برنامج الحكم ، في سياسته وادارته واقتصاده واجتماعه وعقوباته وحرياته ومعاملاته، وحكم الاقليات الدينية وغيرها، وينشر على الجميع حتى يكون الحكم واضح المعالم ، يختاره كل من يراه ، لانه يراه افضل من برامج سائر الاحكام السائدة فى العالم الحاضر .

الحكومة الاسلامية الواحدة والمؤامرات الاستعمارية

وبعد كل ذلك، فهل يمكن قيام حكومة واحدة اسلامية ؟ وهل تترك الحكومات المحلية والحكومات الاستعمارية ـ خصوصاً والوفاق حاصل بينهما ـ ان تقوم مثل هذه الحكومة ؟

الجواب : نعم ذلك ممكن بل واقع ، اذا أخذ بهذه المقدمات المذكورة اما الحكومات المحلية ، فانها تذاب في بحر تلك الحكومة الواحدة ، قرب قيامها، فان الحكومة ليست الامؤسسة كبيرة، فاذا واجهت مؤسسة اكبر، انهزمت من الميدان ، شأن ذلك شأن كل حكومة اخذت مكان الحكومة السابقة فى العصر القديم أو الجديد .

واما الحكومات الكبرى فلا تتمكن من تسديد ضربة قاضية للحركة المذكورة لا بنفسها ولا بعملائها .

أ ـ اما انها بالمباشرة لا تقدر ، فـ :

(١) خوفها من تصادم القوتين الكبيرين ، أي امريكا وروسيا .

(٢) ان الحركة لما القت السلاح من نفسها ، القت السلاح من يداعدائها والمناوشات الجزئية بالسجن ونحوه ، فضلا عن انها لا تزيل الحركة ، فانها لا توقف الحركة أيضاً .

(٣) ان الحركة منتشرة ، لا ميدان خاص لمحاربتها ، ولو حوربت في جبهة خاصة لم يضرها ذلك ، حيث الجبهات الاخر مفتوحة تعمل ، وتمد الجبهة التي تحارب فيها ...

ب ـ واما انها بوكلائها ـ الحكومات العميلة في المناطق الاسلامية المرتبطة بالغرب والشرق ـ لا تقدر على مواجهة الحركة .

أولا : لما تقدم من انها تغرق في بحر الحركة الواسعة ، فلا تتمكن من ان تنجي نفسها فكيف تتمكن من ان تحمي اسيادها .

وثانياً : لان الحركة واسعة لا يضرها قيام حكومة صغيرة ضدها ، حيث تشتغل وتنموسائر اجزاء الحركة ، وتمد الجهة المحاربة بالدعاية وغيرها .

اما الوفاق بين الحكومتين الشرقية والغربية ، فلا يضر .

أولا : لانه مائع الى أبعد حد حيث انه ليس عن هدف مشترك ، بل حصيلة الرعب النووي والاصطدام .

وثانياً : فالاقطاب صاروا أربعة ، باضافة دول اروبا ، والصين ، وفي وجود الاقطاب الاربعة يمكن العمل أحسن مما يمكن في وجود قطبين ، فان توزيع القدرة يجعل كل قدرة عاجزة عن العمل بمقدار خوفها عن القدرة الاخرى .

ولذا نرى ان الحكومة ذات الاحزاب ، لاتقدر من التعدي على الشعب ، بقدر ماتقدره الحكومة ذات الحزب الواحد،اذ الاولى تخاف من المنافس بينما الثانية ليست كذلك، ولاجل ماذكرناه ، اشتهر في الاونة الاخيرة [قوة العجز] و[عجز القوة] فالعزلة عن السلاح قوة هائلة ، في حال انها عاجزة عن قوة السلاح، والقوة المتعددة الرؤس عاجزة عن العمل لخوف كل رأس عن الرأس الاخر .

ركائز البناء الحركي

ثم من أهم الامور في النواة المركزية للحركة ، ان تبنى نفسها وأفرادها على :

(١) ان يصمدوا امام الصعوبات والاغراءات ،فان اول شيء يهدم الحركات الاستجابة للاغراءات أو للمصاعب،فاذا ربيت الحركة على الصمود والاستقامة كان البقاء والنمو من نصيبها ، والانسان الصامد المستقيم، يجلب انظار الناس ويوجب التفاف الناس حوله ، ممايسبب ربح الحركة بذلك ربحاً كبيراً .

(٢) ان يشعر الكل بأنهم يتمكنون ان يعيشوا تحت ظل الحركة ، لافي أمن وسلام فحسب ، بل ان الحركة توجب نموهم وتوسيع آفاقهم، ولذا فاللازم على الحركة ان تجد المخلص ـ عن تناقضات الاجتماع ، بالحزم والمداراة [فما وضع الرفق على شيء الازانه ، وما وضع الخرق على شيء الاشانه] .

(٣) ان تبنى ابنية متوازية، بين السياسة والاقتصاد والاجتماع، وضد التخلف والاستعمار و . . فان أية حركة [أوحكومة] لم تقدر على البناء المتوازى ، كان مثلها مثل الطائرة أو السيارة التي لاموازاة بين اجنحتها وعجلاتها ، فانها آئلة الى السقوط والعطب ، والله سبحانه المستعان .

الحرب

(مسألة ـ ٣٣ ـ) الحرب حالة استثنائية في الانسان ، حالها حال اجراء العملية الجراحية، والا فاللازم عند الخلاف تحكيم الحوار ، ورضوخ من ليس له الحق للحق ، وقد كان من مفاخر الاديان انها تحكم الكلمة قال سبحانه : « أقرء » .

والحرب على قسمين :

(١) حرب باطلين .

(٢) وحرب حق وباطل، والحق لايقدم على الحرب الادفاعاً أو لاجل احقاق الحق وانقاذ المستضعفين ، ولذا قال سبحانه:« وما لكم لاتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين» فهي أيضاً حرب دفاعية، وان كانت تسمى [بالجهاد الابتدائي] .

واللازم ان يأخذ الصلح مكان السيف ، اما ماذهب اليه دارون واتباعه من أصل[تنازع البقاء] و[بقاء الاصلح]فذلك مادل الدليل على خلافه، فهو مثل ان يقال: [بأصل الجريمة]حيث لايخلو مجتمع عن الجريمة، وجاء بعده ماركس ليذهب الى [حرب الطبقات] وقد قام الدليل على خلافه .

والحرب كما تقع في المجتمع الانساني، تقع في بعض المجتمعات الحيوانية لكن الفرق بين الحربين :

(١) ان حرب الحيوانات بدنية ، بينما حرب الانسان بدنية وغير بدنية .

(٢) الحيوان لايستعمل آلات في حربه بخلاف الانسان .

(٣) حرب الحيوان سريعة الانتهاء، بخلاف حرب الانسان فانها قدتطول مـدة .

(٤) حرب الحيوان لاتتطور الى غير الجراح والقتل، بينما حروب الانسان تتطور الى الكلامية ـ وتسمى بالحرب الباردة ـ والاقتصادية وغيرهما ،وان كانت تسمية تلك حروباً أشبه بالمجاز .

(٥) وأخيراً لا فداء لحرب الحيوان ، بينما جعل الانسان لحروبه اقساماً من الفداء .

الشعوب تكره الحرب

وحيث ان الحرب خلاف طبيعة الانسان ، لانها تفنى الافراد وتهدم الديار وتلتهم الاموال ، وتبعث على الخوف والاضطراب ، بل وأحياناً توجب هتك حرمات النساء وسبيهن ، واذلال المغلوب ـ اذا كان مغلوب ـ فالامم لاتريد الحروب ، وانماجماعة من الناس لها مصلحة في الحرب هي التى تشعل الحرب وغالباً هي تتجنب ويلات الحرب ، فتقف خارج الميدان ، بمختلف العناوين وتدفع بالاخرين الى الحرب .

ولذا كان سبب الحرب :

(١) اما جلب النفع .

(٢) اوتوهم جلبه .

(٣) أودفع الضرر .

(٤) أوتوهم دفعه .

نعم قلة من الحروب ، هي حروب التحرير ، مما تندفع الامم اليهـا ، لاجل دفع المتعدى على العقيدة الصحيحة ، أوعلى الاقتصاد ، أو على ماأشبه

ذلك .. ودوافع الحروب، لم تختلف في الحال الحاضر عن دوافع الحروب عند الانسان غير المتحضر ، فقد كانوا سابقاً يحاربون ، لاجل الغنائم ، أو لاجل اظهار الشجاعة ، أو لاجل الخوف من الاعداء [وقاية] أو لاجل دفع الاعداء [علاجاً] أو لاجل ارضاء الغرور ، مثلا : كان انسان من عشيرة يهين شيخ عشيرة اخرى ، فالشيخ ارضاءاً لغروره كان يلقي بالعشيرة في الحرب مع عشيرة المهين .. والجامع في كل ذلك هي الامور الاربعة المتقدمة .

وعلى ماذكرنا فتوهم ان الحرب من طبيعة الانسان ،مثل الجوع والعطش توهم غير مدعوم بالدليل ، ولو كان كذلك لزم تحققها في فواصل زمنية خاصة مثل سائر الغرائز الانسانية ، مع ان الامر بالعكس .

الفوائد المزعومة للحرب

كما ان توهم كون الحرب لها منافع بقدر مالها من اضرار أو أكثر ،غير تام ، وان استدل لذلك بأنها تنفع :

(١) في توحيد الاقوام، اذ الطرفان يتعارفان بعد انتهاء الحرب ، ويتوحدان أخيراً بعد ان كشف كل طرف نفسيات الطرف الاخر النظيفة .

(٢) وفي تقدم الفكر ، حيث تتلاقح افكار الطرفين ، بما يوجب تقدم الفكر ، فان حال الفكر حال البدن ، في ان تلاقح البدنين يوجب النسل المقدم للانسان الى الامام .

(٣) وفي تقدم الصناعة ، حيث ان حالة الحرب تفتق الكفاءات من جهة ان كل طرف يفكر لانجاح نفسه ،وكثرة التفكير توجب ظهور الاكتشافات والاختراعات ، مما ينفع الانسان في حال السلم، أكثر ممن ضرره حال الحرب

(٤) وفي تقليل الناس، فتكون سبباً لتحسين حالة الذين يبقون بعد الحرب

ورفاههم .

(٥) وأخيراً توجب تجديد المدن والقلاع وما أشبه ، لبنائها من جديد ، حيث يصيبها الخراب بواسطة الحرب، وكذلك تجديد الرياش والاثاث التي تلفت بسبب الحرب .

مناقشة

وفي الكل نظر ، اذ :

(١) الاقوام انما تتوحد بالثقافة المشتركة ، لابقتل بعضهم بعضاً ، سواء غلب أحدهما على الاخر ، أو وقع بينهما صلح وهدنة ، ولذا نرى ان الاقوام المختلفة ، لما توحدت ثقافتها تحت ظل الاسلام ، توحدوا ، بينما الاختلاط والتعامل ونحوهما بين اليهود والمسلمين ، لم يجعل منهما امة واحدة ، وان بقى ذلك بينهما أكثر من ألف سنة .

(٢) وتلاقح الافكار فرع وحدة الاتجاه ، لاالحرب فالحرب ان اتت بوحدة الاتجاه ـ أي اطلاع بعضهم على بعض ـ تلاقحت الافكار ، وان لم تأت ، لم تتلاقح ، وأيهما اصلح هل التحارب حتى تتلاقح الافكار أو توحد الاتجاه ، بدون حرب حتى تتلاقح ؟ وتوحيد الاتجاه يحصل ، بانفتاح العلماء على افكار الاخرين وذلك ما عمله الاسلام ، ولذا تجد في كتب الشيخ والعلامة وغيرهما ، ذكر آراء الاخرين ، وقبول الصالح منها ، ورد غير الصالح ، والحاصل ان التلاقح وان حصل بالحرب ـ أحياناً ـ الا انه اسوء قسمى التلاقح ، فاللازم الاخذ بالحسن منهما لابالسيء.

(٣) وكذلك الحال في تقدم الصناعة فتهيئة الاجواء الصالحة للعلم والعلماء بصنع المختبرات وتشويق العلماء بالمال والذكر والمنافسة ونحوها ،

تعطى نفس النتائج التي تعطيها الحرب ، بدون اضرار الحرب ، وهل من التعقل ان يسير الانسان في الطريق المعوج وامامه الصراط المستقيم ؟

(٤) وتحسين حالة الانسان ، يمكن بعدم صرف الثروة في الهدم والدمار وقد ذكر في تقرير انه تصرف الدول كل يوم مليار دولار ، فى التسليح ، فأي مال ضخم هذا يصرف في الدمار ؟ لو صرف هذا المال في البناء لم يبق جائع ، ولا حاجة معطلة .. هذا مع الغض عن ان كثيراً من الثروة تكدس أو تصرف اسرافاً وتبذيراً .

(٥) ولماذا نجدد المدن والاثاث، بالدمار ؟ أليس من الافضل ان نجددها بالثروة التي تصرف في الدمار والتكديس والاسراف ؟ أليس مثل ذلك كانسان يجرح نفسه ثم يجري عليها عملية جراحية ؟ فهل له ان يفرح بأن اللحم الجديد انضر ؟ انه كان من الممكن تحصيل النضارة بالعيش الحسن ، وكان ذلك بدون ضرر وآلام .

الحرب .. أسبابها .. وعلاجها

ثم انه لافرق في كون الحروب الخارجية ، والمنازعات الداخلية [ومنها الحروب الاهلية] كلها تنشأ من عدم تحكيم [الكلمة] وعدم التحاكم الى [المنطق] ومنشأ عدم التحكيم اما الجهل ، أو الطمع ، والجاهل لا يريد ان يسمع كلام الاخرين ، أو يسمع لكن ليس له حاسة التمييز .. والطامع يعرف ويحرف ، وقد اشار الى كلا السببين القرآن الحكيم ، فقال :ـ بصدد الاول ـ « ومنهم اميون لايعلمون الكتاب الا امانّي » ـ وبصدد الثاني ـ « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها » .. وقال : « وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم » .

وحيث ان علاج الجهل العلم وعلاج الطمع نظافة النفس ، والانسان لا

يستعد بسهولة للتعلم ولتنظيف نفسه ، كان اللازم على العقلاء والمصلحين ترسيم خريطة :

(١) التوعية العامة تعليماً وتنظيفاً .

(٢) وجعل الطامعين في قفص الاتهام ، حتى لايتمكنوا من التحرك ، و ذلك ممكن اذا وعى الشعب: ان الباعث على الحرب اطماع قلة من المستكبرين في تحسين أوضاعهم السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية .

فان وعى الشعب ذلك ـ لم يقدر اولئك القلة ـ ان تغريه بالحرب باسم مصالح الشعب ، كما هي العادة في القلة ، حيث انهم يريدون منافعهم ، لكنهم يظهرون انهم يريدون منافع الشعب ، وبذلك يتمكنون من تزييف الواقع و الدفع بالشعب الغر الى اتون الحرب .

بين حرب الاستغلال .. وحرب التحرير

وعلى ما ذكرنا ، فالحرب تنقسم الى :

(١) حرب التحرير .

(٢) حرب الاستغلال : والهدف في الحربين متضاد .

فالاولى : لاجل انقاذ الناس عن الاستغلال .

والثانية . لاجل ادخال الناس في ربقة الاستغلال ، وحيث ان الباطل يلبس ثوب الحق ، وكل مشعل للحرب يقول انه يحارب لاجل التحرير ، كان اللازم ملاحظة علائم الحرب التي تقع ، هل هي علامة هذه أو تلك ؟ .

فان الفارق بين الحربين أمران :

(١) هل ان الامة دخلت في الحرب بملأ ارادتها ، ام ان الحرب فرضت عليها فرضاً ، حيث ان الامة لاتدخل الا في حرب التحرير ، اما حرب الاستغلال

فانها تفرض على الامة فرضاً . . .ومن الممكن معرفة الامرين ،بملاحظة اجواء الحرية وعدمها ، فالحرب في اجواء الحرية لاتكون الا حرب تحرير [سواء كان تحريراً عن مستغل متسلط ، أو عن مستغل يريد التسلط] بخلاف الحرب في اجواء الكبت فانها لاتكون الا حرب استغلال .

وعلامة الحرية :الانتخابات الحرة، وعدم الاستخلاف من الرئيس السابق للرئيس اللاحق بأي لون كان الاستخلاف ، والصحف الحرة ، والاعلام الحرفي اذاعة وتلفزيون وغيرهما ، فان في مثل هذا الجو يتحكم الناس في مصاير انفسهم ، بالعكس من اجواء غير الحرية ، حيث يتحكم الديكتاتور المستغل في الناس ، فالحرب لاتكون الا استغلالية .

(٢) عدم كون اصحاب المصالح[السياسية ، أو الاقتصادية ،أو الاجتماعية أو غيرها] وراء الحرب ، ولا الذين يريدون المصالح في المستقبل [اذ قد لايكون وراء الحرب اصحاب المصالح الحالية، وانما الذين يريدون تحصيل المصالح في المستقبل] .

وحيث ان الانسان ، اذا رأى جماعة يريدون سحب البساط من تحت اصحاب الامتياز ، لايعرف هل ان هؤلاء مخلصون ، ويعملون لنجاة الامة ، ام انهم يريدون الامتياز لانفسهم ، مكان اصحاب الامتياز السابقين ، فاللازم : ان يرى هل ان المخطط لهؤلاء الذين يريدون اشعال الحرب [تمركز القدرة] أو [توزيع القدرة] بأن تكون القدرة في يد انسان وجماعته فقط ، أو في يد كل القادة وكل جماعاتهم ؟ فاذا كان الاول دل ذلك على ان الحرب انما هي لتبديل اصحاب امتياز باصحاب امتياز آخرين،وان كان الثاني دل على واقعية الحرب ، وانها حرب تحرير للامة .

وكثيراً ما تبتدء الحرب حرب تحرير ، لكنها تنقلب في الاثناء ، أو بعد

الانتصار، الى تقديم اشخاص يريدون المصالح ،وحيث يرى هؤلاء ان الناس لايلتفون حولهم ، ولا يتركون الشخصيات الاخر المجاهدة ، يفتحون باب التهم ، والاضطهاد ، فمن تمكنوا من اضطهاده اضطهدوه ، ومن لم يتمكنوا بالنسبة اليه من ذلك اتهموه ، لاسقاط شخصيته ، وعليه فاللازم على الامة ،ان يفوتوا مثل هذا الدجل الذي يجعله اصحاب المصالح سلماً لمآربهم :

(١) بتوزيع مراكز القوى ، حسب القدرة .

(٢) بتوعية الناس حتى لايخدعوا بدعاية أصحاب الامتياز الجدد ، ولا يستسلموا لتخويفهم وترغيبهم ، فان مشكلات عدم الاستسلام أقل بكثير من مشكلات الاستسلام .

أسباب كثرة الحروب

ثم ان التمدن ، اذا كان مادياً ـ بأن لم يكن مزيجاً بالايمان ـ يوجب تكثير الحرب ،مما ليس مثله[بهذه الكثرة]في الامم غير المتمدنة ، ولذا نرى كثرة الحرب في العصر الحاضر بعد تقدم الحضارة المادية ، والسبب :

أ ـ ان الايمان عنصر واق عن سوء تصرف الانسان فاذا فقد الانسان الايمان، تصرف في كل شئونه ـ ومنها الحرب ـ تصرفاً سيئاً، فلاجل الاطماع السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، أوغيرها، يقيم الحرب، اما اذا كان الانسان مؤمناً، ابتعد عن اراقة الدماء، ابتعاداً كبيراً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [الايمان قيد الفتك) ولذا كانت حروب رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلي عليه السلام كلها دفاعية، وكانا يكتفيان بأقل قدر من الضرورة، وحتى ان الامام عليه السلام أوصى ان لايقتل به غير قاتله، مع ان المتآمرين كانوا جماعة ، اقتداءاً بالرسول صلى الله عليه وآله، حيث لم يقتل المتآمرين في العقبة .

ب ـ وفي العصر الحاضر انما اشتـدت الحرب ضراوة ـ بالاضافة الى فقد عنصر الايمان، حيث ان الشرق لايؤمن اطلاقاً والغرب يؤمن ايماناً سطحياً لاشأن للايمان بحياته العملية ـ لعدة امور :

(١) لصنع السلاح، حيث ان تجار الاسلحة، لابد لهم من اقامة الحروب حتى يبيعوا اسلحتهم، ولذا اصطلحوا على الدول الكبار امثال امريكا وروسيا وانكلترا وفرنسا، ونحوها [بتجار الحروب] .

وحيث ان السلاح متطور، تكون الابادة أكثر، كما تصل الحرب بسهولة الى مناطق لم تكن تصل اليها الا بكل شدة امثال الجبال والادغال ونحوهما.

(٢) لان الانتاج في ايام الحرب، يتحول الى الانتاج الحربي، بينما لم يكن الامر كذلك ، في زمان لم تظهر فيه الصناعة، فالمعمل المنتج لمأة ألـف ذراع من القماش، أو لمأة ألف آنية، في كل يوم، اذا تحول الى انتاج السلاح انتج مأة ألف رصاصة في كل يوم وهكذا .

والفرق بين (١) و (٢) ان الاول بصدد اصل وجـود مصانع الاسلحة، و الثاني بصدد تحول مصانع الاشياء الاخر الى مصانع الاسلحة .

(٣) لتوفر اسباب الحرب ، من سياسية واقتصادية وغيرهما، فان طلاب الرئاسة في الزمان السابـق كانوا قليلي الكيد، اما في الزمان الحاضر حيث سهولـة الانقلابات العسكرية ـ بمعونة ذوي الاطماع من المستعمرين ـ فانه تكثر الحرب.. وكذلك، حيث توسع الاقتصاد بالتجارة وغيرها [والمال من اسباب الحرب اذ الرآسماليـون يشعلونها لاجل انتفاع اكثر واستغلال أوفر] كثرت الحروب .

ولذا نجد ان امريكا حاربت فيتنام، وانكلترا حاربت الصيـن، بما ذهبت ضحيتهما عشرون مليـون انسـان ، وروسيا تحارب افغانستان ، تلك الحرب

الضارية التي لم تنته بعد، وفرنسا حاربت الجزائر، واسرائيل تحارب البلاد الاسلامية منذ اكثر من ثلث قرن وهكذا .

(٤) قرب البلاد بعضها من بعض، وكثرة الروابط مما اولدتهما الصناعة الحديثة، فان بعد البلاد وعدم الروابط ، يوجبان عدم الحرب، كما يوجبان عدم السلم، فيعيش كل وحده، اما اذا كثرت الروابط، وقربت البلاد ـ بواسطة الالات ـ كان لابد من ان تتحول الروابط احياناً الى الحرب ، كما تكون احياناً روابط سلمية، وكذلك لابد من وصول احدهما الى الاخر بسبب القرب مما يمكنه ان يحاربه .

فمثلا: امريكا في العصر السابق لم تكن تقدر ان تصل الى فيتنام وبريطانيا لم تكن تقدر ان تصل الى الصين وهكذا .

الحرب . . بالوكالة

ثم في العصر الحديث، احدث المستعمرون، حرباً جديدة هي [الحرب بالوكالة] فان الامم في السابق كانت تحارب بعضها بعضاً، حرباً نابعة من ذاتها غالباً، اما بعد عصر الذرة، فحيث تخاف الدول الكبيرة المواجهة بينها وكان لابد لها من الحرب، لبعض الاسباب المتقدمة [لفتح الاسواق، وبسط النفوذ] لذلك تعطى الصلاحية ، لبعض مافي فلكها لتحارب وكالة عن تلك الدولة الكبيرة حتى تخضع دولة جديدة لبسط النفوذ وفتح السوق لتلك الدولة المشعلة نار الحرب في السر .

شروط الحرب

ثم اصطلاح الحرب ليس مطلقاً بل اللازم ان تتوفر هناك شرائط حتى

تسمى حرباً، والا ان سميت حرباً لم تذكر مطلقاً، بل تقيد ، مثلا يقال: [حرب العصابات] أو [حرب الدعاية] أو [حرب الاقتصاد] أوما أشبه ذلك و الشروط هي :

(١) ان يكون كل طرف مستقلا فاذا كانت اجتماعات غير مستقلة بل متداخلة لم تسم حرباً وانما فوضى، كما اذا صارت حرب اهلية لا اصطفاف لكل طرف بل وقع الناس بعضهم في بعض يقتل بعضهم بعضاً .

(٢) ان يكون بين الطرفين ارتباط، والا فلايصدق الحرب ولاالصلح ولا المعاهدة ولاالمسالمة،ولا ماأشبه، فاذا كان ارتباط كان احد المذكورات ،فاذا كان الارتباط ارتباط العداء والمواجهة بالسلاح ونحوه يسمى حرباً .

(٣) يلزم ان يكون لكل طرف النظم والا لم يسم حرباً، ولا فرق في تسمية المواجهة بالحرب، بين ان يكون كلاهما ذا فئة يرجع المنهزم والمجروح اليها أم لا مثلا: حرب الجمل والنهروان لم تكن حرب ذي فئة اذ لم يكن في طرفهما فئة ، وانما جاء المحاربون بثقلهم الى الحرب، وأما حرب صفين فكانت حرب ذى فئة ، ولذا اختلفت الاحكام الشرعية كما لايخفى لمن راجع الفقه الاسلامي .

العوامل المؤثرة فى اختلاف الحروب

ثم ان كيفية الحرب تتوقف على عوامل، وتختلف الحرب باختلاف تلك العوامل :

(١) فالحرب تختلف اذا اختلفت آلاتها، مثل الالات البدائية [الحصى و الحجارة] والالات المتوسطة كالسيف والرمح ، والالات القريبة من الحضارة كخراطيم النار ونحوها، والالات الحديثة على اختلاف مراتبها ، كالبندقية و

المدفع والدبابة، ثم القنابل الذرية والهيدروجينية والاقمار الصناعية وغيرها.

٢ ـ وسائل الحمل والنقل، مثل الوسائل البدائية، كالافراس والجمال فان من كانت له تلك كان فائزاً في الحرب بالنسبة الى من كان راجلا، ولذا نجد ان بعض الامم الاسويـة لما حصلوا على الفرس ولم تكن لغيرهم الافراس، تمكنوا من الغلبة على الفاقدين لها.. وكذلك بالنسبة الى العربيـات والسفن الشراعية فانها كانت وسائل متطورة بالنسبة الى الفاقدين لها حتى وصل الامر الى الالات الحديثة كالسيارات والطائرات والقطارات والسفن البخارية.

(٣) المنطقة فان من في المناطق المحصنة طبيـعة اقدر على الحرب من الفاقدين لها كالجبال والغابـات والاهوار ولذا يقضي الاسلوب الحربي [في حالة التقابل بين مثل هاتين الفئتين] ان يمكر من لا حصانة له، في انزال جيش الطرف الى السفح ـ في الجبل مثلا ـ ليتكافىء الطرفان، من حيث عدم الحصانة الطبيعية.

(٤) كيفية البنية الاجتماعية، فان بعض الامم عجنوا بالبطولة والشجاعة ـ مثلا ـ مما فيهم من المؤهلات الطبيعية، بينما بعض الامم بالعكس من ذلك ولايخفى ان التفاوت في مثل هذه الخصلة يعطى المؤهلين قدرة خاصة حتى في العصر الحاضر.. نعم القدرة على المكيـدة والمناورة، هي ايضاً قدرة كبيرة يتسم بها بعض الامم دون بعض ولذا قالوا: [الحرب خدعة].

ولذا نرى ان بريطانيا، وهي الدولة الصغيرة التي افلت شمسها، وتحطمت امبراطوريتها الاستعمارية، بعد تقف على ساقها وتعد من الدول الكبار.

أ ـ لكثرة خداعها حتى غير المشروع من الخداع مثل نقض العهد.

ب ـ وللاستفادة من تجاربها دائماً.

ج ـ ولحزمها.

د ـ ولعلاجها الامور بالتصبّر والتحلم ، ولولا ذلك لانقضّت عليها الشعوب التي ظلمتها طوال قرون، ولم تبق منها الا جزيرة صيادين، كماكانت من قبل كذلك .

(٥) قدر التقدم الحضاري [في الحروب الحاضرة] حيث انه الدولة المتقدمة حضارياً من جهة الاسلحة الحربية، والتدريب الحربي، والصداقات التي توجب السهولة في اتخاذ القواعد والحمل والنقل من اراضي الاصدقاء وامكانية الدعاية، والتعبئة [الركن المعنوي] لاشك انها تتمكن من ربح الحرب، بما لا تتمكن مثله دولة ليست بتلك المثابة ... كما ان الامكانيات المادية ، لها ثقلها في التقدم حيث ان القدرة على المنابع الطبيعية تعطي امكانية حربية اكثر ، مثلا: البلد الذي له [أورانيوم] له امكانية الحرب أكثر بكثير من البلد الفاقد له، فان كل مثقال من هذه المادة تعطي من الوقود بمقدار عشرة ملايين مثقال من الفحم الحجري ـ على ما حدده بعض الخبراء ـ.

(٦) سعة اراضي البلد المحارب ، حيث ان العدو مهما قدر على الضرب لايقدر على الاستيعاب فتبقى فرج تمكن المحارب [ذي السعة في أرضه] من الكر والفر في تلك الفرج ، بخلاف المحارب ذي الارض الضيقة . . ولذا يرى المحللون السياسيون، انه لابد من زوال اسرائيل ان قريباً أو بعيداً لاسباب شتى، من جملتها ضيق أراضيها التي احتلتها .

(٧) البعد البشري فانه كلما كثر ، كانت الدولة المشتملة عليه أقرب الى الفوز، حيث ان الحرب في الحال الحاضر ، كل فرد فيها يحتاج الى سبعة و عشرين شخصاً من ورائه يمدونه باحتياجاته ، فكلما كان أفراد البلد أكثر ، كانت امكانية تجهيز اعداد الجيش ، وامكانية تهيئة ما يحتاجه الجيش، أكثر ، والعكس بالعكس، فالمدينة ذات الخمسين مليون تتمكن من اعداد مليوني جندي بينما المدينة ذات العشرين مليون، لاتتمكن حتى من اعداد مليون من الجنود.

كيف نتوقى الحروب؟

ثم ان العصر الحاضر ، يحتاج الى :

أ ـ رؤية مستقبلية كبيرة .

ب ـ واعداد حسب تلك الرؤية ، للتجنب من الحرب ، و هما لايتاحان الا بالاستشارية الكاملة للدولة، بأن تكون مقادير الناس في أيديهم، والافان كانت المقادير بيد المستبدين ، لم يمكن الرؤية ولا الاعداد ، وهذا من أكبر أسباب انحسار المسلمين امام اسرائيل، على قوة المسلمين الحقيقية، وضعف اسرائيل الحقيقي، ان البلاد الاسلامية، يأخذ ازمتها مستبدون جائوا الى الحكم بالوراثة أو بالانقلاب العسكري ، وحتى من جاء منهم بالانتخاب فرضاً، انقلب مستبداً وبذلك خلت الساحة امام اسرائيل ، وسيبقى الامر هكذا ، الى ان يرجع الزمام بيد الامة .

ولما ذكرناه من ان الرؤية المستقبلية والاعداد الصحيح يبعدان الحرب ترى البون الشاسع بين البلاد الاروبية في الحال الحاضر ، حيث لم تقع فيها حرب منذ نصف قرن تقريباً [بعد الحرب العالمية الثانية] وبين نفس البلاد ، قبل اتصافها بهاتين الصفتين، فقد احصى بعض المحققين ان [٤٠] في المأة من سنى البلجيك استغرقتها الحرب ، وهذا العدد في تاريخ المانيا ينقلب الى [٢٨] وفي ايطاليا الى [٣٦] وفي هولندا الى [٤٤] وفي روسيا الى [٤٦] وفي فرنسا الى [٥٠] وفي انكلترا الى [٥٦] وفي بولندا الى [٥٨] وكذا في لتوانيا وفي اسبانيا الى [٦٧].

وبينما نرى انعدام الحرب في الحال الحاضر في البلاد الاروبية ونحوها ، نرى الحروب المستمرة في البلاد الاسلامية أمثال : الاردن، وافغانستان، ومصر،

وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين وارتريا ، والمغرب ، والباكستان ، والفلبين ، وغيرها ، والسر هو ما ذكرناه من الاستبداد الحاكم في هذه البلاد ، والذي يحطم الكفاءات ، فلايقدر الاكفاء من العمل ، ليكون لهم رؤية مستقبلية واعداد كاف لتجنب الحرب ـ الحاصل من الاعداد الصحيح للحرب ـ .

ولذا قال سبحانه : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل * ترهبون به عدو الله وعدوكم » فالاعداد له وجهان :

(١) ارهابي يمنع العدو من المقابلة .

(٢) مفاوضي يخفف من حدة القوى ، التي هي اول شرارة الحرب.

اخطار الحرب

ثم ان اللازم على الامم ان تسعى بكامل جهدها لحفظ السلام في الزمان الحاضر ، حيث ازدادت اخطار الحرب زيادة كبيرة غير متصورة ، اما زيادة اخطار الحرب فلامور:

(١) الاسلحة الفتاكة التي اكتشفها العلم ودفعت بأيدي البشرية، مما يوجب استعمالها في الحرب نسف الحضارة ، من غير فرق بين الحروب المحدودة والحرب العالمية ،فان الحروب المحدودة تهدم بقدرها،مثلا: في حرب لبنان ـ هذه الحرب التي توافق كتابة هذا الكتاب ـ قتل وجرح من البشر زهاء مأة وخمسين ألف .

وفي حرب العراق مع ايران قدر مجموع القتلى والجرحى من الطرفين بمآت الالوف، واما تلف الاموال فقد ذكر بعض المطلعين انه يقارب أربعمأة مليار دولاراً، وفي الحرب التي وقعت بين الهند والباكستان ،ذكرت بعض التقارير ان الخسائر البشرية كانت فوق المليون انسان، كما ان حرب الروس لافغانستان

خلفت أكثر من مليون قتيل وجريح ، بالاضافة الى أربعة ملايين مشرد ، الى غير ذلك من الارقام الهائلة .

أمّا اذا اتفقت حرب عالمية، فان الحضارة ربما تنتهي ، وقد ذكر تقرير انه كان مخطط امريكا ضد روسيا ان تدمّر في حرب نووية خاطفة [٨٥] في المأة من منشآتها الصناعية ،فقد كدست كل من روسيا وامريكا، في مخازنها من الاسلحة الفتاكة ما يكفي لابادة البشر سبع مرات ، وفي تقرير ان عند الاتحاد السوفيتي قنابل، اذا القيت واحدة متوسطة منها على مدينة ،كنيويورك افنت في لحظة واحدة كلما كان في شعاع مأتين وخمسين ميلا مربعاً ، الى غير ذلك من الاسلحة الفتاكة الرهيبة، والتي لاتكون اسلحة الحرب العالمية الثانية في قبالها الامثل الاسلحة القديمة اليدوية [كالسيف] بالنسبة الى المدفع والدبابة .

والحرب بالاضافة الى الهلاك والتدمير ،تخلف مشوهي الحرب، والجرحى الذين يتألمون طول حياتهم من ويلاتها، فان الاسلحة الفتاكة ،توجب مختلف الامراض والتشويهات في الانسان والحيوان والنبات ، وقد جاء في تقرير ان روسيا اشترت خمسة وعشرين مليون عضواً [كاليد والرجل والعين الصناعية] لاجل المشوهين، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية... هذا بالاضافة الى ان الحرب تذر الديار بلاقع . لاتصلح لانبات النبات الى آماد بعيدة .

(٢) الحرب تلتهم الاقتصاد التهاماً موحشاً، فان الدول ابان الحرب تحول اجهزتها الى اجهزة حربية ، مما تستنفد المال ، وتوجب الفقر الاقتصادي الى سنوات بالنسبة الى الدول المتحاربة ، وقد ذكر [غوستاف لبون] ان اسبانيا لم تستعد نشاطها منذ حارب الصليبيّون المسلمين مما أفنى الناس وخرب البلاد وقد مرّت على الحرب زهاء عشرة قرون ، كما ذكر مؤرخ آخر ان العراق لم يستعد نشاطه منذ تخريب المغول له زهاء سبعة قرون .

وقد صرفت امريكا في الحرب الباردة عام [١٩٥٣] م [٧٤] في الالف من انتاجاتها ،فاذا كانت هذه النتائج التدميرية للاقتصاد في الحرب الباردة، فماذا يكون الحال في الحرب الساخنة ؟ .

وبالاضافة الى الدولة المتحاربة،تلتهم الحرب اقتصاد سائر الدولة المرتبطة بتلك الدول المحاربة ، حيث ان الاقتصاد في العصر الحاضر لا يختص برقعة محددة من الارض، بل الدول تشابكت في الاقتصاد تشابكاً كبيراً ، فالبضائع التجارية ـ بمختلف اقسامها ـ تستورد من كافة الدول الى الدول الاخر ،واذا علمنا ان الـدول المحايدة اسماً ، ليست محايـدة حقيقة نعرف كيف تلتهم الحرب اقتصاديات كل الدول ، وانا نذكر كيف وقع العالم في ضيق شديد ابان الحرب العالمية الثانية ، سواء الدول المحاربة أو غيرها .

(٣) كما ان الحرب توجب التخلف الحضاري، للدولة المحاربة، وللدولة التي ترتبط بها، اذ تتحول الدولة الى دولة حرب، فالخدمات الثقافية، والصناعية والزراعية، والتربوية، وغيرها تتوقف توقفاً كاملا ممايوجب تجمد الحضارة، بل تقهقرها، حيث ان الحرب تفني كثرة كبيرة من مختلف العلماء، الذين هم محور تقدم الحضارة، وقدذكرت بعض التقارير ان مصر وحدها خسرت ـ عند تحطيم خط بارليف الاسرائيلي ـ زهاء عشرين ألف من المهندسين والخبراء ومن اليهم .

جذور الحرب

ثم ان حفظ السلام لايمكن بمجرد الاعلام، ومنظمات السلام، لان السلام ليس أمراً سطحياً، كما ان الحرب ليست أمراً سطحياً، بل اللازم قطع جذور الحرب، حتى يسود السلام، وجذور الحرب، هي حرمان الانسان،ممايوجب

له القيام ضد الطبقة التي حرمته، واسباب الحرمان هي :

(١) الاستعمار .

(٢) والاستغلال .

(٣) والاستبداد، فان هذه الثلاثة توجب عدم نيل الانسان حقه من :

أ ـ الحكم .

ب ـ والمال .

ج ـ والعلم . فلابد له ان يقوم بالحرب ، لانقاذ حقه .

وهذه الثلاثة هي الاسباب الواقعية للحرب، أمّا اسباب الحرب المضادة، فهي أيضاً نفس هذه الثلاثة، لكن من الجانب الاخر، فالذين يريدون احتكار الحكم لانفسهم في قبال [الاستشارية] والذين يريدون المال لانفسهم ـ من الرأسماليين سواء في صورة الرأسماليين الغربيين أوالشرقيين ـ [في قبال التوزيع العادل للمال لكل بحسب حقه] والذين يحتكرون العلم لانفسهم، تبعاً لاحتكارهم السلطة والمال [في قبال تمكن الجميع من العلم] : هؤلاء الثلاثة يقومون بالحرب ، لاجل أخذ الزمام من الشعب .

كيفية القضاء على جذور الحرب

واللازم لمن يريد قطع جذور الحرب ، ان يحول بين مثيري الحروب وبين مآربهم ، وذلك باشاعة الوعي السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

(١) فان الوعي السياسي يوجب عدم استسلام الشعب للديكتاتوريين سواء كانت ديكتاتورية صريحة كالحكومات الوراثية والانقلابية، أومغلفة كالحكومات التي تنادي بالديمقراطية لكنها في مخالب رأس المال، أو مخالب الحزب الواحد [كأمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا ونحوهم] .

(٢) والوعي الاقتصادي يمنع عن كون المال بيد جماعة معينة، سواء كانت تلك الجماعة بيدها الحكم أيضاً كروسيا، أو لا كأمريكا .

(٣) والوعي الاجتماعي يوجب ان يعرف الانسان تساوي المجتمع، في العلم والحكم والمال، وانما «كل امرء بما كسب رهين» و «ان ليس للانسان الا ماسعى» فلا طبقة مختارة ، فاذا رأى ان العلم خاص بجماعة، لان لهم المال أو الحكم أو الحزب، علم بانحراف الاجتماع، ولزوم تعديله ، حتى يعم العلم الجميع .

والعالم تدريجياً، أخذ يتوجه الى مثل هذا الوعي، فقد كان الحكم العالمي مدة بيد بريطانيا، ثم مدة بيد امريكا ، ثم مدة بيد قوتين امريكا وروسيا، لكن في الوقت الحاضر توزع الحكم الكبير بين امريكا وروسيا واروبا والصين.

صحيح ان في المجال العسكري توجد الدولتان فقط، الا انه في المجال السياسي توجد مراكز قوى متعددة لكل مركز حلف جماعي ، وفي المجال الاقتصادي توجد الدولتان، باضافة اروبا الغربية والصين واليابان، وفي المجال الذري توجد أيضاً الهند واسرائيل... مما سبب خروج الدنيا تدريجياً عن الاحتكار.. كما ان الشيوعية اخذت تتحطم بسبب انفصال الصين ومحاولة انفصال بولونيا، وتململ بعض البلاد الاخر الدائرة في فلك الشيوعية، بالاضافة الى انها فضحت اكبر فضيحة وخصوصاً عند غزوها سابقاً للمجر وتشيكوسلوفاكيا وحالا لافغانستان .

والرأسمالية أخذت تتحطم لبنة لبنة، فخرجت عن بعض نيرها اليابان وفرنسا بل الاستعمار البريطاني والامريكي أخذ يترنح للسقوط، هنا وهناك وبالاخص في الشرق الاوسط، حيث ظهرت مفاسد اسرائيل .. وعليه فاعطاء الوعي للبشرية، صار اسهل، صحيح ان الحياد ـ الان ـ ليس ممكناً ، ولاصحيحاً ،

حيث ان الانسان لايصح ان يسكت امام الظالم، الا ان الوعي المتململ أخذ يعمل لايجاد الحياد، اما الحياد الذي كان قبل عشرين سنة، ففي الواقع كان أكثره تغطية للعملاء فهل كاسترو عميل الشرق محايد؟ وهل ناصر عميل امريكا محايد؟ والى غير ذلك .

وعلى أي حال يلزم زيادة الوعي لتنقلع جذور الحرب، والتي هي انحصار [العلم والحكم والمال] بيد اقلية البشر، في قبال حرمان الاكثرية.. والوعي كما يعطي الثلاثة بيد الكل، كذلك يقرب الناس بعضهم الى بعض ممايوجد بينهم علاقة أكثر، فلايتمكن المتعصبون من استغلال البشر في مآربهم الشخصية ولذا نرى انه كلما زاد الوعي انكمشت القوميات واندثرت الطائفيات المنحرفة وقبرت العرقيات واللونيات والجغرافيات، وماأشبه .

كما ان اللازم قبل الوصول الى النتيجة النهائيـة، وهي السلام الشامل، فضح [الحروب بالوكالة] والحيلولة دون وقوعها، وذلك بعدة وسائل :

(١) تضعيف العلاقة بين الدول الصغيرة ، والدول الكبيرة حتى لايتمكن الكبار من ايكال الصغار في الحرب .

(٢) فضح القواعد العسكرية للدول الكبيرة في أراضي الدول الصغيرة.

(٣) فضح المحالفات العسكرية بين الدول الصغيرة التي تدور في فلك الكبار ، وبيان ان هذه الدول الصغار المحـالفة ، لاتريد بالاحلاف الا خدمة تلك الدولة الكبيرة .

(٤) تقوية الروابط بين الدول المتجاورة ، حتى لاتتمكن الدول الكبار من ايقاع الحرب بينها .

(٥) والاهم من الكل ايجاد الوعي للشعوب الصغيرة ، حتى لاتكون العوبة بين حكوماتها التي تنفذ أوامر الاسياد .

الاسلام : يدعوا الى السلام

ولذا الذي ذكرناه ، من كره الاسلام للحرب وحبه للسلام ،نجد في الايات والروايات جملة كبيرة مما يدل على ان الاصل السلم وانما الحرب اضطرار .

قال سبحانه :« يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولاتتبعوا خطوات الشيطان » .

وقال سبحانه : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وفي الحديث : (المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه) .

وقال علي عليه السلام لعسكره قبل لقاءالعدو بصفين: (لاتقاتلوهم حتى يبدؤكم فانكم بحمد الله على حجة ، وتركككم اياهم حتى يبدؤكم حجة اخرى لكم عليهم) ..

وكذلك لم يبدء عليه السلام بقتال أهل الجمل وأهل النهروان ، حتى كانوا هم البادئين ، بعد ان دعاهم الى وحدة الكلمة ، والكف عن القتال ، وتحكيم الحجة مكان السيف .

وقال عليه السلام في كتابه الى أهل الامصار ، يقص فيه بين ما جرى بينه وبين أهل صفين : (وكان بدء أمرنا ان التقينا والقوم من اهل الشام ، والظاهر أن ربنا واحد ، ونبينا واحد ، ودعوتنا في الاسلام واحدة ، ولا نستزيدهم في الايمان بالله والتصديق برسوله ، ولا يستزيدوننا. الامر واحد، الا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ، ونحن منه براء .

فقلنا تعالوا نداوي ما لايدرك اليوم باطفاء الثائرة ، وتسكين العامة ، حتى يشتدالامر ويستجمع، فنقوي على وضع الحق مواضعه ،فقالوا بل نداويه

بالمكابرة ، فأبوا حتى جنحت الحرب وركدت ، ووقدت نيرانها وحمست ، فلما ضرستنا وايّاهم،ووضعت مخالبها فينا وفيهم ، أجابوا عند ذلك الى التي دعوناهم اليه، فأجبناهم الى ما دعوا ،وسارعناهم الى ما طلبوا ، حتى استبانت عليهم الحجة ، وانقطعت منهم المعذرة) .

وقال عليه السلام لولده الحسن عليه السلام : (لا تدعون الى مبارزة) .. الى غيرها .

العائلة

(مسألة ـ ٣٤ ـ) منذ يرى التاريخ تكونت العائلة اول ما تكونت ، من زوج وزوجة ، قال سبحانه : « وخلق منها زوجها ليسكن اليها » فقد كان آدم وحواء ، ثم ولدا هابيل وقابيل ، وخلق الله لهما زوجتين جديدتين فلما تزوجا بهما ، صار أولادهما ابناء عمومة ، وهكذا صار التوالد الى اليوم ، وسيبقى الى يوم انتهاء الدنيا .

انواع الزواج

وأما كيفية التزويج ، فقد اختلفت في الامم على خمسة أقسام :

(١) رجل وامرأة .

(٢) ورجل وأكثر من امرأة .

(٣) وامرأة وأكثر من رجل .

(٤) وجماعات رجال ونساء .

(٥) والفوضى الجنسية بدون ميزان ، كما يدعوا اليه ماركس وطبق في روسيا والصين ، أول سيطرة الحكم الشيوعي فيهما ، فكل رجل لكل امرأة وكل امرأة لكل رجل .

والكيفية الصحيحة ـ عقلا وشرعاً ـ هما الاولان ، اذ انه ان استطاع الرجل اتخذ أكثر من زوجة [وذلك ، لكثرة النساء ـ على الاغلب ـ بالنسبة الى

الرجـال ، حيث دل الاحصـاء ان الرجل أقل عمراً من المرأة ، وان الرجل يقتل ويموت بالكوارث لانه مشغول باعمال خشنة ، وليست المرأة كذلك]و ان لم يستطع الرجل ، اتخذ زوجة واحدة .

لكن الغالب ان الرجال يتخذون زوجة واحدة ، لالعدم الامكان ، بل لان جماعة من الرجال تخلفوا عن موازين ادارة النساء ، فرغبت النساء عن الضرة مما أوجب تخوف الرجال من التعدد ، حيث العرف العام يثقل عليه التعدد ، خصوصاً الى ثلاث وأربع .

أما المرأة لاكثر من رجل ، فقد وقعت في بعض الامم ، اما لفقر الرجال عن المهر أو لقلة النساء لحادث ما . . وهذا خطير في تحطيم العائلة وايجاد أنـواع كثيرة من الاوبئة النفسية والصحية والفكرية كما يؤكده علمـاء ذوى الاختصاص .

والرابع : بالاضافة الى انه غير شرعي ، غير صحيح حيث يلزم من ذلك المنازعات ، للمقاربة ، وللنفقة ، وللاولاد .

اما الخامس: فهو خلاف السكن والانس ، ولذا تحاشى عنه حتى الشيوعيين ـ غالباً ـ ضاربين تعاليم ماركس وانجلز عرض الحائط ، كما ضربوا بسائر تعاليمهما ، الا الديكتاتوريـة فـي الحكم ، فهي باقية الـى الان ، والا خنق الاديان ، خوفاً من ان يطالبهم الدين بعدم الديكتاتورية ، وتوزيع الثروة توزيعاً عادلا .

الزواج فى عالم الحيوان

ثم انه فرق بين عالم الانسان والحيوان في الزواج ، من حيث ان الزواج في الحيوان اما ينفصم بعد اللقاح أو بعد تكبير الاولاد ، وقابيلة الاولاد للعيش

وحدهم، كما في الحمام ونحوه، بينما الانسان حيث لاينتهى امره بتكبير الاولاد بل يبقى هناك التربية والمعاش للاولاد ، والمحبة ، وانتظار ان يكافيء الاولاد جزاء والديهم في الاعاشة والادارة و . . لـذا تدوم العائلة الانسانية أكثر من دوام العائلة الحيوانية ـ فيما كان لها دوام ـ .

لا . . لطرد الاولاد

والعائلات على قسمين : قسم يستبقى الاولاد ، بعد رشدهم، واستقلالهم في امور معاشهم ، وقسم يطـرد الاولاد ، لكن القسم الثاني اقرب الى المادية بينما القسم الاول اقرب الى الانسانية ، حيث ان الحب والعلاقة فوق المادة ، بل اللازم ـ كما جعله الاسلام ـ انفاق العائلة على الاولاد ، ان كانوا فقـراء وبالعكس كذلك ، والاتعاونا في امر المعيشة ، وبالاجتماع يدرك الانسان لذة روحية لايدركها بالانفراد .

ولذا نرى انه كلما أوغل مجتمع في المادية، كان الطرد فيه أكثر وبالعكس كلما لازم مجتمع الانسانية ـ وفي قمتها الاسلام ـ كان الاستبقاء أكثر . . وقد زعم بعض علماء الاجتماع ان المجتمع الصناعي يلازم الطرد ، وفيه ان ذلك ليس من لوازم الصناعة بل من لوازم المادية .

ثم هناك بعض العوائل المتوسطه بين المبقية والطاردة ، وهي التي تحفظ ولدها الكبير فقط دون سائر الاولاد ،وذلك للانس به والتعاون معه ، واذا مات الولد الاكبر ، جاء ولد آخر ليعيش مع ابويه، تاركاً استقلاله في عائلة نفسه، أي يأتي مع عائلته الى دار والديه .

بين العائلة الصغيرة والعائلة الكبيرة

والعائلة ، تنقسم الى عائلة ضيقة هي عائلة الزوجين والاولاد، وعائلة وسيعة هي العائلة التي تتكون من الابوين والاولاد والاصهار وزوجات الاولاد ، و عائلة أوسع هي بالاضافة الى ما تقدم تبقى مستمرة في السعة كالاجداد والاعمام والاخوال ، وما اشبه ولكل من الاقسام الثلاثة محاسن الا انه ورد في الحديث: (تزاوروا ولاتجاوروا) وذلك لان انضمام الكل في عائلة واحدة غالباً تؤدى الى منافسات ومنازعات ،بل بعض المفاسد الخلقية ، ولعل خير الامور أوسطها يقتضي ترجيح الثاني ، بعد انصراف النص عن مثله .

وذلك لان الابناء والبنات لابد لهم ممن يجمعهم في حياتهم العائلية ، كما كانوا قبل ذلك في بيت الابوين ،والا فكيف تعيش بنت منفردة جديدة العهد بالزواج في دار مستقلة ، سواء كانت بنت الابوين ، أو زوجة ولدهما ؟ فانها تحتاج الى مساعدة من نوع جديد في حياتها الجديدة ، حتى ينشاء لها الاولاد وكذلك بالنسبة الى الولد المتزوج ، امّا ان يسكنا مع عائلة اخرى غير ابويهما ، فذلك فيه اضرار الغربة ، وخوف انحراف الاخلاق .

لكن اللازم لهما اذا سكنا بيت الابوين ملاحظة ، عدم تسرب فساد الاخلاق بين الزوج واخت الزوجة وبين الزوجة واخ الزوج . . وكيف كان فالعائلة عش لا للجهات الجسدية للاولاد ، بل للجهات النفسية أيضاً ، فانهم يتعلمون من الابوين ، ويتربون بأخلاقهما وسلوكهما، ولذا كان اللازم عليهما تحسين السلوك حتى لايخرج الاولاد منحرفين ،كما ان اللازم عليهما مداراة الاولاد ، حتى لايصيروا معقدين .

وفي الاسلام طائفة كبيرة ، من الايآت والروايات بهذا الصدد ، يمكن

مراجعة [حلية المتقين] و[مرآت الكمال] و [سراج الشيعة] وغيرها للاطلاع عليها ، وهي كافية لتقويم العائلة سواء الزوجين ، أو مع الاولاد ، أو حتى مع الاحفاد والاقرباء الاخرين .

مركز الثقل في العائلة

ثم الاولاد قد يضعون ثقلهم على الام ،وقد يضعون ثقلهم على الاب ،وقد يساوون في وضع الثقل ، وذلك لعدة عوامل ، فوضع الثقل على الام ، لانها تدير الاقتصاد ، أو لانها شخصية كبيرة سواء بنفسها ، أو لاجل محتدها ، أو لانها تدير التربية ، أو لان الاب يغيب في تجارة أو زراعة أو صيد أو ماأشبه ذلك ، أو لان الاب سجن مدة طويلة،أو لانه مات أو جن ، أو ماأشبه ذلك ومنه يعلم وجه العكس بأن يوضع الثقل على الاب، ووجه وضع الثقل عليهما.. وأحياناً لايوضع ثقلهم على أي منهما بل على العمة أو الخالة أو ما اشبه .

ولكل قسم من أقسام وضع الثقل الاربعة ، قسم من الاثار ، مثلا : من يضع ثقله على الام يتربى بتربية النساء عاطفياً ، بالعكس ممن يضع ثقله على الاب حيث يتربى بتربية الرجال عقلانياً ، اما من يضع الثقل عليهما فيصبح معتدلا ، ومن يضع ثقله على الخارج ـ كالعمة والخالة ونحوهما ـ فهو يحرم غالباً من نوع من العطف والعقل، ويخرج عنيفاً، امّا من يضع ثقله على مثل دار الحضانة ونحوها فغالباً ما يخرج معقداً ، ولعلم النفس والتربية بحث طويل حول ذلك .

العائلة والانتاج الاقتصادى

ثم لكيفية الانتاج الاقتصادي ، اثر بيّن في سعة العائلة وضيقها، فالانتاج

اليدوي زراعة أو صناعة أو ما أشبه، له تأثير في سعة العائلة ، حيث يحتاج مثل هذا الانتاج الى ايادي كثيرة ، ليمكن القيام بالمعاش ، بينما اذا كان الانتاج مثل الصيد ، والغزل بالمغزل ، وتربية الدواجن لم يحتج الى ايادي كثيرة ، فيقتنع الزوجان بأنفسهما وأولادهما لذلك .وكذلك اذا كان الانتاج مثل البستان فانه يكتفي بعائلة واحدة، وقد زعم ستالين ان المزارع الجماعية أدر في الربح لكيس الدولة فاجبر الفلاحين على ذلك ، ولم ينتج ذلك الا تأخر الزراعة من ناحية ، واستشراء الفساد الاخلاقي من ناحية ثانية ، والمقاومة الشديدة ، حتى قتل منهم أكثر من مليون من ناحية ثالثة .

ثم الرجل منتج طبيعي [أي نوع من الانتاج] اما المرأة فاذا كانت منتجة ارتفعت مكانتها في العائلة ، وكذا في الاجتماع، بخلاف ما اذا لم تكن كذلك بل بقيت مربية وربة بيت ، فان عملها وان كان عملا رفيعاً ـ وفي المثل:[التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بشمالها] ـ الا ان الاجتماع المادي لايعيرها تلك الاهمية التي هي للمرأة الاقتصادية ، ولعل ذلك لاجل ما المع اليه علي عليه السلام (احتج الى من شئت تكن أسيره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحسن الى من شئت تكن أميره) .

وقد جعل الاسلام للمرأة مكاناً رفيعاً لم يصل اليه الغرب حتى الحال الحاضر، حتى انه قال بالنسبة الى الام :(الجنة تحت اقدام الامهات)وفي حديث ان شخصاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله : الى من أحسن ؟ قال صلى الله عليه وآله :امك ، وسأل ثانياً وثالثاً ؟ وفي كل مرة يجيب صلى الله عليه وآله امك ، وفي المرة الرابعة قال صلى الله عليه وآله: ابيك .

المرأة . . والعمل

وفي الحال الحاضر: المرأة الموظفة التي تدر الثروة ،والمرأة العاملة ولو في

الصنائع اليدوية، لها قيمة فوق قيمة العاطلة فى الاجتماع ، حتى ان مهرها عند اخذ يدها أكثر من غيرها .. والعالم لم يتمكن ان يحل مشكلة المرأة في العصر الحاضر ، حيث انها ان اشتغلت بالحمل والولادة والتربية والاعمال المنزلية فاتها الاقتصاد، وان اشتغلت بالاقتصاد لم تتمكن من ادارة المنزل ، والانجاب والتربية ،والادارة والتربية وان امكنت للرجل، الا ان العاطفة النسوية في الاولاد لاتحصل بتربية الرجال ، ثم اذا وضعت التربية على الرجل ،كان خلاف قاعدة البنية لهما حيث ان الرجل للاعمال الخشنة ، والمرأة للاعمال الخفيفة .

ولعل الحل ان تقسم أوقات المرأة الى :

(١) الانجاب والتربية .

(٢) ترفيعها نفسها بالعلم والصنعة وما اشبه .

(٣) العمل مع مراعاة الحشمة الكاملة، ويستعان لاجل امكان جمع الثلاثة بالوسائل الحديثة المسهلة ، مع تقديم الاول على الثاني والثاني على الثالث.. اما جعل الرجل والمرأة في سياق واحد فهو الظلم لها وله ، مثله مثل جعل سيارة المسافر وسيارة الحمل في مساق واحد ،كما ان حرمانها عن العلم والعمل ، أو عن الانجاب والتربية ، ظلم لها في الاول ، وعلى الاطفال في الثاني .

ولذا نرى ان المرأة الغربية والشرقية أخذتا تشتكيان حشرهن في المعامل والاعمال الخشنة ، مما و فوق طاقتهن، وسبب لذبول انوثتهن ، كما تشتكين من اهانة الرجل لهن ، حيث ان الوضع السائد ، هناك عدم الاعتناء بعفتهن و بزواجهن، فقد اصبحن وسيلة رخيصة للمتعة والاعلان والدعاية، ولا تحظى كثيرات منهن بدفء البيت من جراء استغناء الشباب عنهن ، من ناحية و تحريم تعدد الزوجات من ناحية ثانية ، حيث كثرت العوانس والارامل من جراء عدم الزواج أو الطلاق أو الافتراق الذي يحدث لاتفه الاسباب .

مشاكل العائلة الحديثة

ثم ان العائلة الحديثة ـ لعدم تمكن العصر من وضع البرامج الصحيحة التي يكون محورها الانسان ـ ابتليت بأمور أولدت مشاكل، وهي :

(١) صغر حجم العائلة [الابوان والاولاد الصغار غالباً] فلاتتنعم العائلة بدفء السعة وحنان الاقرباء، وذلك لان توجه كل واحد الى المزيد من المادة وعدم الثقافة التي توجب ربط الاقرباء بعضهم ببعض، أوجب انفصام العائلة الوسيعة، حتى ان الابوين يخرجان بناتهم عند الرشد عن الدار ليعملن بأنفسهن لاوعطاء ايجار المنزل لتحصيل المزيد من المادة .

(٢) ليست الدار مركز الانتاج، كما كان في عصر الانتاج اليدوي، بل كل من الابوين والاولاد ـ اذا بقوا في البيت ـ يذهب للعمل في الخارج ، والامر الى هنا لابأس به ، وانما البأس في الانفصام الحاصل من ذلك، حيث كثيراً مايبقى فى الخارج اسبوعاً أوماأشبه في عمله، ولا يتلاقى اهل المنزل الا في ايام العطلة، وذلك يورث تقلص العاطفة والدفء ، حيث ان كل صفة لم تراع تقلصت وذبلت .

(٣) قلّ تسلط الابوين على الاولاد مما سبب عدم امكان تربيتهما لهم، وذلك لان الانفصام أوجب عدم تمكن الابوين من رعاية الاولاد، وعدم الرعاية يلازم عدم التسلط .

(٤) وفي المقابل قلّ اعتناء الاولاد بالابوين، وعدم احترامهما وجعلهما اسوة ، وذلك بالاضافة الى انه يسبب بقاء الجميع في حالة ضياع وغربة و وحشة نفسية، يسبب عدم تربي الاولاد تربية صالحة مما يجعلهم نهباً للوسواس والشهوات والتيارات، ولذا نجد الاضطرابات الشبابية في كل مكان .

وعلى هذا فان امكن ارجاع الدفء العائلي ، بالجمع بين الصناعة وبين الدار ، وبين المادة والروح ، لزم وضع برامج لذلك ، تفادياً عن المشاكل الحاضرة ، وان لم يمكن ـ ولو في الخط القريب ـ كان اللازم جعل برامج لحفظ الشباب عن الانزلاق وذلك يمكن بـ :

أ ـ تقوية الثقافة الاجتماعية الصحيحة، حتى تستوعب الشباب اينما كانوا ليعوض ذلك عن مافقدوه من العائلة الصحيحة .

ب ـ تكوين الاحزاب والنقابات الصحيحة ، لتجمع الشباب وتصرف طاقاتهم في البناء بدل الهدم أوالضياع .

ج ـ تكوين [وزارة الشباب] للعمل الدائب في انتشالهم من المزالق و المهاوي .

د ـ تكوين المؤسسات الشبابية لجمعهم وهدايتهم الى الصراط السوي وذلك باعطائهم حاجاتهم، وحل مشكلاتهم ، والاجابة على اسئلتهم ، وصرف طاقاتهم في المصارف الصحيحة .

(٥) قل اتكاء المرأة على الرجل، لان الاتكاء كان من جهة الثقافة الاجتماعية ومن جهة الاحتياج ، وكلا الامرين تبدلا الى الضد، حيث ان الثقافة الحديثة المادية، أوجبت انسياب المرأة، كما ان الصناعة الحديثة والنظام الحديث أوجبا تسديد المرأة لحاجات نفسها بالوظيفة أوبالعمل الصناعي.. وقد انعكس ذلك، الى قلة مبالات الرجل بالمرأة، حيث ان الاتكاء والعطف يتقابلان زيادة و نقيصة، وهذا أوجب تحويل الدار الى جو باهت لاتجد العائلة فيها العطف و الدفء .

(٦) تحوّل قسم من اعمال الاولاد الى خارج الدار ، اخذاً من دار الرضاعة والحضانة الى البلوغ والرشد، وذلك لان كثرة اعمال الابوين ، من

ناحية، وتأسيس المؤسسات المعنية من ناحية ثانية، أوجبت ان تحول الاولاد الى خارج الدار، وقدسبب ذلك بعض ماتقدم من المشاكل .

وتبعاً لبعض ماتقدم وقعت العائلة في مهب الانفصام ، من جهة ان المحور المادة، ومن جهة الثقافة الانفصالية في المجتمع والتي منها الثقافة الماركسية التي لاترى للعائلة احتراماً ، ومن جهة اختلاف آراء العائلة في الامور السياسية ونحوها مما اوجد النزاع الدائم ، ومن جهة سرعة استغناء كل من الزوجين عن الاخر، ولذا كثر الطلاق كثرة كبيرة الى غير ذلك من الاسباب والمسببات .

اسباب الطلاق

ثم ان الطلاق ظاهرة اجتماعية، رافقت البشرية منذ العهود السحيقة، و كثرته وقلته تابعتان لامور :

(١) فالزواج المتأخر يوجب كثرة الطلاق، بخلاف الزواج المبكر، و السبب ان تقدم الانسان في العمر يعطيه طابعاً خاصاً من الكيفية الحياتية، فلا يقدر من تغيير تلك الكيفية الا بصعوبة، ولذا لايتلائم الزوجان، بخلاف الزواج المبكر حيث يتمكنان من توفيق اخلاقهما .

(٢) كما ان عدم الدين يوجب كثرة الطلاق، بخلاف المتدين، لان الدين من أقوى الحوافز على عدم الطلاق، الا لدى الاضطرار، وقد ورد: (ان عرش الله سبحانه يهتز عند الطلاق) و: (ان ابغض الحلال عند الله الطلاق) الى غير ذلك .

(٣) الاختلاط بدون الاحتشام بين الرجال والنساء يوجب كثرة الطلاق، لان المرأة تجد أفضل من زوجها مالا و أخلاقاً ، وكذلك العكس ، ولذا

يقل الطلاق في المجتمعات المحتشمة بالحجاب ، بينما يكثر في المجتمعات المنسابة .

(٤) مرض أحد الزوجين أو كليهما حيث ان الطرف الاخر يريد التخلص منه، وفي ماذا كان كلاهما مريضاً، كل يريد ذلك ، اذ لايطيق مرض الاخر زيادة على مرض نفسه .

(٥) العقم يوجب كثرة الطلاق، حيث ان الاولاد من أقوى الروابط المبقية للعلاقة بين الزوجين، وهكذا قلة الاولاد بالنسبة الى كثرتهم، حيث الطلاق في الاول أكثر من الطلاق في الثاني .

(٦) كثرت التكاليف الاقتصادية في الدار، ولذا كلما تحضر الاجتماع زاد الطلاق حيث ان الحضارة المادية توجب التكاليف الكثيرة بالتجملات ونحوها وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله (خير نساء امتي اقلهن مهراً) فان قلة المهر بالاضافة الى تسهيلها الزواج، توجب عدم استعلاء المرأة على الرجل مما يؤدي الى الشقاق ، كما ان المرأة قليلة المهر قليلة المصرف أيضاً، بخلاف المرأة كثيرة المهر، وقد ورد استحباب قلة المهر، وان يكون مهر السنة، و في حديث صحيح ذكره الكافي ورد ان مهر فاطمة عليها السلام [كان ستاً وثلاثين درهماً] والدرهم زهاء نصف مثقال فضة .

(٧) سوء خلق الطرفين أو أحدهما، فانه ينتهي كثيراً الى الطلاق، لعدم تحمل احدهما الاخر، ولذا ورد في الحديث: (اذا جائكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه) .

(٨) عدم رعاية أحد الطرفين آداب الملامسة، فان اللمس احدى العوامل الجوهرية لبقاء العائلة، فضلا عن عدم قدرة احدهما اشباع الاخر، لنقص جنسي لمرض أو هرم أو غير ذلك .

(٩) الفاصل الكبير بين عمرهما ، حيث أن الانقص عمراً يطلب الطلاق وينتهي أمرهما غالباً الى الفراق .

(١٠) عدم رضى أحدالطرفين بالزواج من الطرف الاخر لامر غيرعاطفي حيث ان عدم الرضى يوجب عدم الانسجام مما يوجب الطلاق في كثير من الاحيان ، نعم لوكان عدم الرضى لامر عاطفي عابر، فانه يزول بسرعة ولايخل بموازين الانسجام .

(١١) الاختلاف الثقافي الاجتماعي بينهما ، حيث يكدر ذلك جوالتفاهم وعدم تفاهم الزوجين من أسباب الطلاق .

(١٢) كون الزوجين في المدينة يوجب أكثرية الطلاق من كونهما في القرية ، اذ جوّ القرية ضاغط للانسجام بخلاف جو المدينة الذي ليس له ذلك الضغط ، ولاسباب اخر أيضاً .

(١٣) الثقافة الاجتماعية العامة ، في تقبيح الطلاق ، أوعده أمراً عادياً ، فان خوف الاجتماع من ناحية ـ في الثقافة المقبحة ـ ورسوخ القبح في باطن الزوجين ، يوجب قلة الطلاق ، بخلاف العكس .

(١٤) تبدل حال أحدالزوجين غنى أو فقراً أوبالصعود والنزول الاجتماعي بوظيفة أو نحوها ، يوجب كثرة الطلاق ، حيث ان المرأة اذا استغنت تترفع على الرجل الفقير، ويتأنف من استغنى عن أن تكون قرينته امرأة فقيرة ، و هكذا في ترفع أوانحطاط الوظيفة ونحوها، وذلك يوجب الاقتراب من الطلاق.

بين الطلاق والزواج

ثم انه بقدر كثرة الطلاق في المجتمعات المتحضرة ، تكون قلة الازدواج لعدة أسباب من أهمها امكان كل من الرجل والمرأة أن يرضى غريزته الجنسية

بغير الزواج ، فلماذا يتزوج ويتحمل مسئولية العائلة ؟ فان التجمل المتزايد الذي هو طابع عصر المادة ، جعل مسئولية أصل الزواج ثم استمرار العائلة أمراًعسيراً ، بقدر ماسيّب العصر الحاضر كلا من الرجل والمرأة ، وجعل كلا في متناول الاخر، بأسهل صورة .

ولهذا السبب نفسه اعتيد في العصر الحاضر ، المنع عن أنجاب الاولاد اطلاقاً ، أو لمدة، كما اعتيد الاجهاض بكثرة لا سابقة لها ، وفتحت دور البغاء والشذوذ ، واعتيد الاستمناء ، مع ان كل ذلك لها اضرار بالغة مذكورة فى الطب .

اضرار الطلاق

والطلاق يسبب اضراراً بالغة مثل :

(١) اشاعة عدم الاحترام في الاجتماع ، حيث ان الزوجين ومن اليهما يأخذ في تنقيص الاخر وذويه وذكر معايبهما .

(٢) تعقّد الرجل والمرأة، حيث ان الطلاق يوجب صدمة نفسية لاتنسى خصوصاً للطرف المظلوم ، والعقد النفسية لها آثار سيئة منها زرع حالة الانتقام في المعقّد ، ومنها غير ذلك .

(٣) ضياع الاولاد وتعقدهم ، فانه ليس مثل عش العائلة مكاناً آخر لتربية الاولاد،ومنعهم الصحة الجسدية والنفسية .

المهر بين الاسلام والمذاهب الاخرى

ثم ان المهر اتخذ في مختلف الامم صوراً :

(١) حيث فى حين كان الرجل يعطي المهر لزوجته ، باعتبار ان الرجل هو

العامل الذي يحصل على المال ، والاحتياج الى المهر من جهة تجهيز البيت الجديد .

(٢) في حين، كانت المرأة تعطي للرجل، باعتبار قلة الرجال وكثرة النساء ، فكان أهلها يضطرون لجمع المال لها حتى يتمكنوا من جلب نظر الرجل ، وقد كان ذلك بسبب ان المرأة هي المحصلة للمال ، أما الرجل فكان مشغولا بالحرب ونحوها .

(٣) واحياناً كان الزواج بلامهر في بعض الامم ، أما الاثاث المنزلية فكل واحد منهما يأتي به حسب قدرته .

(٤) ولم يعهد قسم رابع بأن يقدم كل واحد المهر للاخر، وان كان أمكن ذلك من باب تبادل الهدايا .

وفي الاسلام جعل المهر على الرجل ـ لما تقدم في الاول ـ لكنه أكد على تخفيفه ، وقد تقدم حديث الرسول ﷺ بشأن قلة المهر، وان أباح الاسلام المهر بالغاً ما بلغ ، حتى قال القرآن الحكيم : « وآتيتم احداهن قنطاراً » وقد ذكر الشيخ البهائي (ره) ان القنطار : ملأ جلد الثور ذهباً ، أو انه ما يكفي لكل أيام الحياة ، كأنه قنطرة يعبر عليها الانسان .

الرجل هو القيم

وفي الاسلام جعلت ادارة البيت بيد الرجل ، فقال سبحانه : « الرجال قوامون على النساء » وذلك لان الدار تحتاج الى قيّم ، اذ بدونه تكون فوضى ، فالقيّم ان كانت المرأة أوجبت الانحراف لغلبة عاطفتها ، وان كان كلاهما ، أوجب التنازع ، فلم يبق الا الرجل ، وفي قبال هذا الحق كانت النفقة عليه ـ اذ بأزاء كل حق واجب ـ .

وبيد الرجل حق الطلاق لماتقدم ، نعم للمرأة أن تأخذ لنفسهاحق الطلاق بحسب الشرط عند العقد . .

بحث حول المتعة

أما المتعة، كما قال سبحانه : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن» فهي كالايجار، ولذا ورد في الحديث : (هنّ مستأجرات) فكما ان في كل شيء ملكاً واستيجاراً ، في الدكان ، والدار، والبستان ، والسيارة ، والحيوان ، كذلك في الانسان ، لاقتضاء الضرورة في الاسفار ونحوها، فهل تكبت الشهوة؟ وذلك صعب جداً ، أو تطلق بالزنا والشذوذ ؟ فذلك فساد ، فلم يبق الا الزواج الموقت الذي هو كالدائم ، وان كان الفارق ان الدائم يقطع بقاطع [وهو الطلاق] وهذا ينقطع تلقائياً ، كالملك الذي يقطع بالبيع ونحوه، والايجار الذي ينقطع تلقائياً .

وعدم رغبة بعض الناس في المتعة لايضر، فهو كعدم رغبتهم في رجل يوقع الدائم ثم يطلق بعد ساعة ، نعم تبعاً لمصلحة التوقيت ، صارت المتعة بدون طاعة ولانفقة ولا ارث الا بالشرط [على نحو مشروع] .

الزواج من الاقارب

ثم ان من الشئون العائلية أيضاً ، صلة الرحم ، حيث ان الزامها يوجب التعاون الاكثر بالاضافة الى الجنين الطبيعي بين الارحام ، لما تقتضيه وحدة الدم ، كما ثبت في عالم الوراثة ، وقد كانت ثقافات الامم تختلف في الزواج من الرحم ، بين اجازة ذلك حتى بالنسبة الى الارحام القريبة ، كزواج الام والبنت والاخت ، وبين عدم الاجازة حتى من بعداء العائلة كبنت العم والعمة

وبنت الخال والخالة .

والاسلام توسط بمنع الاول، لما فيه من الاضرار وعدم الرغبة ،واجازة الثاني لعدم المحذور ، والغالب في عالم اليوم الجنوح الى رأي الاسلام ،ورأي الاسلام هو كان دين الانبياء منذ آدم عليه السلام ـ كما تقدم ـ وان كان بين الشرائع بعض الخلافات النابعة من مقتضيات الزمن ، حال ذلك حال الخلاف في بعض خصوصيات الصلاة والصيام والحج والزكاة وما أشبه .

نقاء المحيط العائلي

ثم ان من أهم الشرائط العائلية ، ان يتمكن الزوجان من الحفاظ على نقاء المحيط العائلي ، بالنسبة الى انفسهما وبالنسبة الى الاولاد ، فان ذلك يؤمن سعادة العائلة أولا ، وسعادة مستقبل الاولاد ثانياً .

أ ـ فالاختلافات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية و التربوية ،بين الزوجين توجب سوء الروابط بين الزوجين، مما يبدل السعادة الى الشقاء ، بل وكذا الاختلاف الكبير بين عمرهما .

وعلاوة على ذلك هناك اسباب توجب سوء الروابط ، مثل عدم المحبة عدم الوفاء ، عدم الرحمة ، سوء الاخلاق ، شدة الكلام ، السباب ، الحسد ، ترجيح الزوج احدى زوجاته على الاخريات ، الكبر ، الغرور ، عدم اعتناء الزوجة بنفسها لزوجها ، خصوصاً اذا كانت تعتني بنفسها للضيوف ، وعند الخروج من الدار ، عدم الاهتمام بالاكل واللباس والنظافة ، الكذب ، سوء الظن .

وهكذا شرب الخمر واستعمال المخدرات،والكسل،والنوم الكثير، وعدم اعتناء احدهما بالاخر ، لمطالعة أو ما أشبه ، احتقار احدهما الاخر أو عمله

أو اقربائه ، العلاقة الشديدة بين احدهما وبين اقربائه ، قبح احدهما أو نقصه سوء تصرف احدهما .

عدم التوافق الجنسي ، نفسياً ، أو جسدياً ، أو عملياً ، و موضعاً ، فان كل واحد من الزوجين له فلسفة خاصة في الممارسة ، اذا لم توافقها فلسفة الاخر ينتهي الى السوء الجنسي فسوء العلاقة ، وكذلك في الاختلاف الجسدي، بأن كان احدهما بارداً والاخر حاراً ، والاختلاف العملي عند الملامسه ، وكذلك عدم التطابق الموضعي ، وان كانت الفلسفة والجسد حرارة وبرودة متقاربين وكان العمل حسب الموازين الصحيحة، ويلحق بذلك الفقر والمرض في الموضع ثم اللازم للزوجين ، علاج ما يمكن علاجه ، من تقويم الاخلاق ، ومن مراجعة الطبيب الجسدى والنفسى ، ومن تقوية الاطارات التى يتمكنان من العيش فيها بسلام ، والا فيكثر بين الازواج سوء الاخلاق ، مما ينتهي بالعائلة الى الشقاء ، وكثيراً ما الى الطلاق .

وعائلة كل واحد من الزوجين ، لها علاقة كبيرة باسائة المحيط العائلى أو تحسينه ، كما ان اصدقاء كل منهما له نفس الاثر ، وعليه يكون اللازم على الاقرباء ان يراعوا الله فى حفظ المحيط وتحسينه ، وكذلك بالنسبة الى الاصدقاء .

والاختلاط بين الجنسين ، وكذلك الثقافة العامة المنحرفة لهما اثرهما الكامل في اسائة المحيط ، كما مر تفصيلهما في اسباب الطلاق، وبالعكس جو الحشمة ، والثقافة العامة المستقيمة لهما تأثير في تحسين المحيط العائلي .

ومن الجدير تأسيس المؤسسات لتكثير ولتحسين الروابط العائلية كجمعيات خيرية ، لها فروع، فرع لتزويج العزاب [حتى المطلقات والارامل والمطلقين ومن ماتت زوجته] مثلا: وفرع سد حاجات العائلات ، من الحوائج اللازمة ،

مع عدم تمكن العائلة من سدها بنفسها لامور اقتصادية أو غيرها ، وفرع التقريب بين وجهات النظر المختلفة وعلاج الامراض النفسية والجسدية الممكن علاجها ، بما يسبب تبديل الشقاء والتعاسة الى الهناء والسعادة ، ويقوم هذا الفرع ، أو فرع آخر بالارشادات العائلية بالنسبة الى الزوجين ، والاولاد ، والاقرباء ، الى غيرها من الفروع .

العائلة والتربية السليمة للاولاد

ب ـ العائلة يجب ان يكون محيطها بحيث يمكن تربية الاولاد ، تربية صحيحة بحيث يتخرج فيه الاولاد .

(١) سالمين من حيث الجسم .

(٢) ومن حيث العقل .

(٣) ومن حيث العاطفة، فان سعادة الزوجين فقط لاتؤثر في سعادة الاطفال وان كانت سعادتهما من شرائط سعادة الاطفال، اذ الدار التي فيها الشقاق والتضارب لاتتمكن ان تربي أولاداً صالحين .

كما انه تقدم ان الطلاق يؤثر تأثيراً كبيراً في مستقبل الاولاد ، وان لم يؤثر في صحتهم الجسمية ، وان كان هناك فرق كبير بين ان يقع الطلاق في حال صغر الطفل ، وفي حال كبر الطفل ، فان حال الصغر أقل تأثيراً في نفس الطفل وعقله، كما ان هناك فرقاً كبيراً أيضاً بين ان يتشتت امر العائلة بالطلاق ، بحيث يكون الطفل بعد الطلاق عند احد ابويه ، أو عند غيرهما ، حيث يؤثر ذلك فى الطفل تأثيراً كبيراً ، وبين ان يكون البيت واسعاً يسع الاجداد والاعمام والاخوال ، بحيث لاينهدم عش الطفل بالطلاق ، وانما يؤثر الطلاق فى حياة الزوجين بان يفترقا فى الغرفة فقط مثلا ، فان مثل هذا الطلاق أقل تأثيراً فى

حياة الطفل من القسم الاول .

وعلى أي حال ، فالدار المتزلزلة لاتتمكن ان تربى الطفل السليم وأقل ذلك ان لايتمكن الطفل اذا كبر من المعايشة السليمة مع النـاس ، حيث امتزجت نفسه بالمضادة والصخب والمنافرة، واللازم بالاضافة الى هدوء العائلة الصغيرة [الابوين] هدوء العائلة الكبيرة [الاجداد والاعمام والاخوال] اذا كان الطفل يعيش فى عائلة كبيرة ، اذ الطفل كالشريط يأخذ ما يجرى حوله من الاحداث فاذا كان بين الجد والجدة ، أو بين العم والاب ، أو بين الام والخالة ، وما أشبه ، شجار ومنافرة ونزاع ، اثر ذلك فى مستقبل الطفل .

وقد ذكر بعض علماء النفس ان مخ الطفل من أول يوم ولادته ، يسجل كل ما حـوله من الاحداث ، ويؤثر ذلك فى لاوعيه ، مما يعطيه لوناً فى حال كبره ، ولعل ذلك سبب تأكيد الشارع على الاذان فى اذنه اليمنى والاقامة فى اذنه اليسرى ، وغير ذلك .

تأهيل الطفل للمستقبل

واللازم تربية الطفل تربية تؤهله للمستقبل :

(١) بملاحظة صحته الجسدية، بعدم سوء التغذية وعدم تركه وشأنه معرضاً للاخطار ، وعلاجه بمجرد اصابته بمرض ، ووقايته عن الامراض المحتملة ، فربما سبب الاهمال في الجملة ، تحطم مستقبل الطفل الصحي.

(٢) وصحته العقلية ، بان لايصيبه خلل حتى لايتمكن من تقييم الاشيـاء حسب موازينها الطبيعية، وانما ينشأ منحرف الفكر كثير التردد، أو كثير الجزم فان الطفل اذا عاش في جو الشك والريب ، أو في الاعتباط في الحكم على الامور خرج كذلك ، ممايفسد مستقبله .

(٣) وصحته العاطفية ، بان لايكون جامد العاطفة ، أوسيال العاطفة ، فان الطفل الذي يرى عطوفة زائدة ، أو خشونة زائدة ، يربى على ذلك ، فينضح منه ماغرس في عقله الباطن، من الخشونة والانسياب، بمالهما من الاثار السيئة حتى في معاملته مع نفسه ، حيث ان معاملة الانسان مع الناس ومع نفسه تنشاءان من منبع واحد ، ولذا نجد اناساً يتشددون حتى على انفسهم وآخرين يعطفون عطفاً متزايداً حتى على انفسهم ، وكلا الامرين نوع من المرض النفسى والانحراف الخلقي .

صحيح ان ذلك ليس علة تامة ـ على اصطلاح الحكماء ـ الانه مقتضى وللمقتضى آثاره ، ولعل ماورد من ان ابناء الانسان يتعاملون معه كما تعامل مع آبائه ، ينشأ من ذلك حيث انه كيف ما عامل ابويه ، انطبعت تلك الحالة في ذاته ، مما يتخلق بها ، فالابناء يتأثرون بخلقه و يردون ذلك الخلق الى نفسه هذا بالاضافة الى التأثير الغيبي، وعلى كلا الامرين يحمل ماورد من انه [كما تدين تدان] فان عمل الانسان وفكره، وقوله، نواة يزرعها، فكيف مازرع ، أخذ الثمر وفي المثل [لايجتنى الجاني من الشوك العنب] وقد قال القرآن الحكيم : « ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة » « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة » .

التربية بين الافراط والتفريط .

والطفل الذي لم يتوجه اليه توجهاً كافياً من ناحية الابوين، يكون في مستقبل عمره سيء العمل، ويفرط في الخشونة مع أولاده ومع غيرهم، كأنه يريد بذلك ملاء فراغه النفسي ، حيث يحس بعدم الامن وبالخطر المطارد له ، بينما اذا توجه الابوان اليه برعاية زائدة عن الحد ، يصبح الولد مهزوز الشخصية ، ومتزلزل الارادة

ولايتمكن من الاستقامة في مستقبل امره ، وغالباً ما يكون مثل هذا الشخص عاطلا ،ولايتمكن من التقدم ، اما الابوان المعتدلان في التربية بلامسامحة ، ولا افراط، بدون عصبية وليونة، فهما يهيئان المناخ الملائم لنمو الطفل نمواً صحيحاً خالياً عن التعقيد والانفلات .

بل الاطباء يقررون ان كلا من التشديد والتساهل في امور الطفل الجسدية يسبب له امراضاً مستقبلية، فتجنيبه الحر والبرد ، وحفظه عن المأكل المتعارفة الى المأكل اللذيذة ، يسبب له امراضاً ،كما ان عكسه ـ بعدم الاعتناء بأكله ولباسه ونظافته ونومه ووقايته عن الحر والبرد المتناهيين ـ يسبب له نوعاً آخر من الامراض .

وقد ورد في الحديث : (خير الامور أوسطها) وفي الاية الكريمة : «وكذلك جعلناكم امة وسطاً » وقد قرر علماء الاخلاق لزوم التوسط ، والا كان سوءاً مثلا : الافراط والتفريط في الكرم والشجاعة ، بخل واسراف ، وجبن وتهور وهكذا .

المساواة بين الاطفال

وكذا يجب ان يلاحظ بالنسبة الى الطفل عدم ترجيح غيره عليه ، فاذا كان له طفلان ساوى بينهما ، وان لم يساو، اورث تعقيداً بالنسبة الى كليهما ، سواءاً المرجح ، او المرجح عليه ، ولو كان أحدهما اذكى أو أكثر عملا أو مااشبه ، لزم ان يكون التشويق في غيبة الاخر، حتى لايوجب للمرجح دلالا ، وللمرجح عليه حقداً وعقدة .

بل ورد في الحديث ان رسول الله ﷺ كان يبدء في تقسيم الشيء بالصغار حيث انهم ارق نفساً فلايتحملون التأخير مما يتحمله الاكبر فالاكبر، فيوجب

تقديم الاكبر صدمة نفسية للاصغر . . كما ان اللازم مراعاة مشاعر الطفل ، فهو ليس كالكبير يتحمل مايتحمله الكبير . . وكذلك يلزم ان يعطيه الابوان الشخصية والسمو ، فان ذلك يطبع الرفعة عن الدنايا في نفسه ، حيث انه قد قرر في علم النفس ان من طبيعة الانسان انه لايريد ان يخيب ثقة الانسان الذى وضع ثقته فيه ، وذلك يحفز على العمل الدائب والارتفاع عن ارتكاب الدنايا ، بل ذلك حالة الكبير أيضاً في انه لايريد تخييب ثقة من وضع ثقته فيه .

التقدم العلمى فى خدمة العائلة

ثم انه بعد ان تحطمت اراء ماركس وفرويد وداروين وماركوز واشباههم على صخرة الواقع واعطى العلم كشوفاً جديدة وتسهيلات كبيرة ، وتقدم علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التربية و . . أخذت العائلة في التحسن ، مماظهر بعض آثاره في الحال وستظهر آثاره الاخرى في المستقبل ـ ان لم تصادف البشرية انتكاسة جديدة ، كانتكاستى الرأسمالية والشيوعية في القرنين الاخيرين ـ والتحسن :

(١) في علاقة العائلة: بين الزوجين، وبينهما والاولاد، حيث يكون العطف الاكثر والالفة والمحبة والتعاون الاوفر ، وتقوى الروابط بين الاقرباء ـ من جهة التسهيلات ـ .

(٢) وسيكون الشمل أجمع، فان تبدد شمل العائلة، أوالاقرباء، كان وليد تحول المحورية عن الانسان الى المادة، وحيث ظهرت مفاسد ذلك، أخذت المحورية تتحول الى الانسان، وبذلك ستنظم الحياة على محورية الانسان، و هوملازم لتجمع الشمل بما لاينافي الصناعة والكشوفات الحديثة، بل الصناعة تزيد من تجمع الشمل، لامكان اتصال بعضهم ببعض حتى في الغياب بسبب

التلفون وغيره، ويمكن قطع الغيبة الطويلة بالاسفار السريعة الى غير ذلك من الامثلة .

(٣) كما سيصبح الرفاه أكثر، بسبب وسائله، من ثلاجة وغسالة وانارة و مدفئة وراديو وتلفزيون ووسائل طبخ وتنظيف وتجميل وغيرذلك، بل ستكون البيوت قابلة لتجديد المكان وتجديد وضع الغرف وهندستها، وتجديد الوانها ومزاياها، وكذلك الحال في الشوارع والمدن والجامعات، والسيارات وغيرها ممايخرج الانسان عن الرتابة المملة، انظر كتاب: [صدمة المستقبل] .

(٤) وكذلك بالنسبة الى تربية الطفل، فانها تتحسن بسبب روضة الاطفال والمدارس والجامعات ، حيث يواجه الاساتذة والاخصائيين، الاطفال بما يربيهم تربية صحيحة، وحتى الملاعب والالاعيب اخذت تتوجه الى حالة تعليمية وتوجيهية، ممايساعد في تربية الطفل وتنميته العقلية والعاطفية، واللازم في تربية الاطفال أمران :

أ ـ جعلهم صالحين ليتمكن من الكفاح في حياة كثيرة الالتواءات و الانعطافات، فمن لايعرف سبل مثل هذه الحياة سيسقط عاجلا أو آجلا .

ب ـ تأهيلهم للحياة المستقبلية، لان الزمان يسير بسرعة، والاكان كمن ربى أولاده لحمل السيف، بينما المستقبل لايفيده الا البندقية .

(٥) كما ان صلوح المعلمين، اذا رافقه البلاغ الحسن والاسوة الحسنة ، يؤثر تأثيراً كبيراً في اصلاح العائلة، ورفاهها، وتحسين التربية، وذلك صار أكثر امكاناً بسبب الوسائل الحديثة، وزوال كثير من التعصبات، وظهور فلسفة جملة كبيرة من الاحكام بسبب الاكتشافات الحديثة .

تحول الشئون العائلية الى الخارج

ثم انه قدتحول الاقتصاد والتعليم والتربية والاكتفاء الذاتي وتربية الدواجن وزواج الاولاد وماأشبه من العائلة الى الخارج، حيث ان الوحدة الاقتصادية التي كانت تتم في الدار بالغزل والنسج ونحوهما، تحولت الى المعامل و المصانع، كما تحول تعليم الاطفال وتربيتهم الى المدارس والروضات و غيرهما، والعائلة كانت تخبز وتعجن وتطحن وتنسج وتهيىء كثيراً من لوازم البيت في نفس البيت، بينما تحوّل كل ذلك في العصر الحاضر، الى الخارج وتربية الدواجن اعطيت الى الحقول، والابوان لايكلفان في الحال الحاضر بتزويج الاولاد، وانما نفس الاولاد، هم الذين يختارون لانفسهم زوجاً أو زوجة حسب صداقة في المدرسة أوغيرها .

وتلك الامور بعضها حسنة يورث السعادة والرفاه، وبعضها سيئة يورث الشقاء والوحشة، واللازم على المصلحين ان يهتمّوا لتمييز الصالح من الفاسد وتنظيم الاجتماع بحيث يجمع بين الرفاه النفسي والجسدي، وبين الصناعة والتقدم، ولايمكن ذلك الا بعد تنقية الاجتماع من :

(١) استغلال المال .

(٢) واستبداد الحكم .

(٣) واحتكار العلم، فانهذه الثلاثة رأس المفاسد، وبدون تنقية الاجتماع عنها، لايمكن الاصلاح الشامل، وان امكن بعض الاصلاحات الجزئية، الا انها لااهمية لها، نعم الميسور لايترك بالمعسور، وما لايدرك كله لايترك كله.

الارث فى الاسلام

بقيت كلمة اخيرة في باب العائلة، وهي ان أحدهم اذا مات ورثه الاخرون وفي منطق الاسلام ذلك للاقرب فالاقرب، حسب مناهج مفصلة في الفقه، وفي الارث ـ بصورة عامة ـ قد يتساوى الرجل والمرأة، كما في اقرباء الام، وقد تتفاضل المرأة على الرجل كما اذا مات جدّ له ابن بنت، وبنت ابن، حيث يكون نصيب البنت ضعف نصيب الابن، وقد يكون العكس كما في الاولاد و الزوجين، حيث البنت و كذا الزوجة ـ غالباً ـ ترثان نصف نصيب الزوج والابن، و كل ذلك لفلسفة دقيقة ذكرت في الكتب الاسلامية .

الدين

(مسألة ـ ٣٥ ـ)اذا رأى الانسان شيئاً يدل على العلم والقدرة والحكمة انتقشت، في ذهنه ثلاثة اسئلة: من أوجده ؟ وماعمله؟ وماذا يكون مصيره ؟ و هـذه الاسئلة الثلاثـة تنتقش في ذهن كل انسان ينظر الى الكون ، حيث كل شيء فيه آثار العلم والقدرة والحكمة : فمن أوجده؟ وماهو تكليف الانسان فى هذا البحر الهائج الممتد من الكون في كل جوانبه ؟ والى ماذا يكون مصير الانسان ؟ .

والجواب الصحيح على هذه الاسئـلة ، هو مايسمى [بالدين] فالموجد عالم قادر حي حكيم مريد. . ولابـد ان يكون جعل للانسان منهاجـاً اذا سار عليه سعد.. كما انه لابد وان يحاسب كما يحاسب كل عاقل عمّاله ومرؤسيه والا كان خلاف المصلحة .

وحيث يدل الدليل على انـه لايمكن ان يكون المبدء غير الله ، يذعن الانسان بوجوده.. وحيث انه يلزم الحساب [ولا حساب في الدنيا] فلابد وأن يكون هناك يوم حساب هو القيامة.. وحيث انه لابد من منهج فلابد وان يكون رسول يبيّن ذلك المنهج، وكتاب فيـه ذلك المنهج، مثل صانع معمل دقيق حيث يجعل مهندساً يعرف تفاصيل المعمل وكتاباً، يبيّن خصوصياته ومزاياه يرجع اليه لدى الحاجة .

موقف المستغلين تجاه الدين

وامام هذه الحقيقة، جاء المستغلون، وانقسموا الى ثلاثة أقسام :

(١) من تمكن من ان يستغل الناس بدون الاحتياج الى جعل الـه مكان الاله الحق، وامثال هؤلاء انكروا وجود الاله رأساً، وأخذوا يستغلون الناس باسم ان لااله، ونماذجهم في العصر الحاضر [لينين] و [ستالين] و [ماوتسي تونغ] فهم رأوا امكان التسلط على الناس، والديكتاتوريـة، بدون الاحتياج الى ارضاء فطرة الناس ، وقدجعلوا من انفسهم اشباه آلهة، في اخضاع الناس بالقوة .

(٢) من تمكن من ان يجعل من نفسه الهاً بعد ان لم يتمكن من نزع فطرة الناس،وهؤلاء جعلوا من انفسهم آلهة، حتى يستثمروا بدون مزاحمة حق الله سبحانه، فالاله هم بأنفسهم، ونماذجهم في العصر السابق، فرعون ونمرود، اذ قال الاول: «ياأيها الملاء ماعلمت لكم من اله غيري» وقال الثاني، في جواب ابراهيم عليه السلام: «ربي الذي يحيى ويميت» : «أنـا احيى واميت» قال ابراهيم: «فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر» .

(٣) من لم يتمكن ان يجعل من نفسه الهـاً ، بعد ان لم يتمكن من نزع فطرة الناس ، وهولاء توسلوا بمختلف الوسائل لاستغلال الناس .

أ ـ تارة بالسحر والكهانة والعـرافة ، حتى يقولوا للناس نحن متصلون بالاله ويستثمروا الناس باسمه .

ب ـ وتارة بنحت الاصنـام وجعل انفسهم سدنتها ليستـدروا من الناس الاموال وغيرها، وهولاء قسم منهم اعترفوا بالاله الحق مع جعل الاصنام شركاء له ، امثال مشركي مكة ، ولذا كانوا يقولون :«مانعبدهم الا ليقربونا الى الله

زلفى » .

ج ـ وتارة انكروا وجود الاله الحق اطلاقاً، وجعلوا اصنامهم آلهة على اختلاف جعلهم للاله ، من ذكر وانثى وغير ذلك ، [انظر الاصنام للكلبي].

وكل هولاء الاقسام المستغلـون للناس بانكار الاله أو باثباته شريكاً أو صنماً محضاً يشتركون في :

(١) عدم الدليل لما زعموه ، ولذا لاتجد لهم حتى دليلا واحداً .

(٢) مزج عقائدهم بالخرافات امثال[الطوطم]والولد للاله ، وان الملائكة بنات الله ، والاوراد والاعمال السحرية ، وان العالـم لم يزل شعلة ، وصحة التناقض ، وان مسير التاريخ الاقتصاد ، والى غيرها من الخرافات .

فقدان الدين . . ينتج الخوف والقلق

وحيث ان عدم الاله ، أو وجود الاله المزيف ، شريكاً مع الاله الحق ، أو وحيداً في الميدان، لايمكن ان يملأ فطرة الانسان التي تطلب الحق والامن في ظل ذلك الحق، امتلأ العالم ـ قديماً وحديثاً ـ بالخوف والقلق، وقد نسب كل طائفة عدم الامن الى سبب خاص .

أ ـ فجماعة ، قالـوا بان عدم الامن ناش عن ضعف الثقافـة ، فاذا تثقف الاجتماع رجع اليه امنه ، لكن لماذا لانرى الامن عند المثقفين أيضاً ؟

ب ـ وتولستوي وآخرون قالـوا ، بان عدم الامن وليد الفقر الروحي ، فاذا غنى الروح ، تبدل القلق الى الامن، لكن السؤال هو :ماذا يقصد بالفقر الروحي ؟ وبالغنى الروحي ؟

ج ـ وجاء فرويد ليقول ان عدم الامن ناش من كبت قضايا الجنس ، فاذا تمكنا من اطلاق سراح الجنس ذهب عدم الامن ؟ وفيه :

(أولا) : هل ان المكبـوت غريزة واحدة ، أو عدة غرائز ، مثل كبت غريزة الشهرة ، والمال ، و . . ؟

و (ثانياً) : فلماذا يجد من اطلق سراح جنسه عدم الامن أيضاً ؟

د ـ وماركس واتباعه نسبوا عدم الامن الى الاقتصاد الطبقى ، فاذا امكن تحويل الاقتصاد الى يد الدولة ذهب عدم الامن ؟ وفيه :

(أولا) : هل ان الناقص عند الانسان الاقتصاد فقط ، حتى اذا عدل تنتهى المشكلة ؟

و (ثانياً) : فلماذا عدم الامن في روسيا ، بلاد الشيوعيـة ، بعد ان تحقق حكم ماركس ، بل حس الانسان الـذي يعيش تحت ظل ذلك النظام ، بعدم الامن أكثر ؟

هـ ـ اما الذي يمكن ان يكون سبب عدم الامن بنظرنا ، فهو عدم الدين عقيدة عند كثيرين ، وتطبيقاً عند آخرين ، فان الدين عقيدة يملاء الفكر ، فلايبقـى مجال فارغ حتى يشعر الانسان بعدم الامن الفكري ، وقد عرفت ان المبدء و المعاد والرسالة ، امور فطرية ، لدى أقل التفات الى البرهان القائم على تلك.. اما العدل فهو امتداد للمبدء في قبال من انكره بحجة غير تامة ، والامامة امتداد للرسالة ، دل عليه العقل والنقل انظر كتاب [الالفين] للعلامة الحلي (ره) وغيره .

كمـا ان الدين شريعة تمـلأ الحياة ، فى عباداته ومعـاملاته ، وأحوالـه الشخصية وعقوباته وقضائه وغير ذلك ، فلايبقى مجال للفراغ الموجب للحس بعدم الامن ، وكذلك الدين يملأ فراغ السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وغيرها ويعطى اجابة لكل الاسئلة ، ويعطى كل حاجة ، فاين بعد ذلك الفراغ الموجب لان يحس الانسان بعدم الامن ؟

وقد كرر القرآن الحكيم الاشارة الـى ذلك ، قال سبحانه : « أولئك

لهم الامن » وقال تعالى : « الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون» وقال سبحانه : «الا بذكر الله تطمئن القلوب» الى غيرها من الايات ، وحتى انه ذكر الاسلام مناهج تورث الامن لغير الامن، من صبر وثبات واقدام وكفاح وغير ذلك .

سبب تخلف المسلمين

ويبقى السؤال لماذا نجد المسلمين متخلفين، اذا كان دينهم بهذه المثابة ؟ والجواب ان المريض الذي لايستعمل دواء الطبيب الحاذق، لايشفى، لانه لم يجد الدواء ، وانما لانه لم يستعمل الدواء ، فقد ترك المسلمون الاسلام فى جملة من بنوده ، ولذا احسوا بعدم الامن ، وحاق بهم سيئات ماعملوا ، وقدحذرهم وغيرهم القرآن الحكيم من ذلك ، حيث قال : «ومن اعرض عن ذكرى *فان له معيشة ضنكا» وقال تعالى : «استجيبوا لله وللرسول* اذا دعاكم لما يحييكم» فلم يستجيبوا وكان الموت ، والمعيشة الضنك .

هل ولى عصر الدين ؟

وما يشاهد من تأخر الدين فى العوالم الثلاثة ، الغربي ، والشرقي ، و الاسلامى ، لم يكن لان عصر الدين ولى كما يزعمه الماديون ، بل بالعكس لان جملة من حملة الدين ولى عصرهم ، لسوء تصرفهم ، فاذا اساء جملة من الاطباء التصرف ، مما سبب رغبة المرضى عنهم فهل ذلك لان عصر الطب ولى ، أو لسوء تصرف الاطباء ؟ وهل يعقل ان يولى عصر الطب ؟

ان الكنيسة اساءت التصرف اسائة بالغة فانصرف الغرب عنها ، وقصص محاكم التفتيش واحراق العلماء وغير ذلك شاهدة على مانقول ، ولما وقع

العالم فى الرأسمالية ، نجم الانحراف الذى أوقع الناس فى الشيوعية ، انفلاتاً عن دين قيصر روسيا ورأسمالية التجار المنحرفين المتحالفين مع قيصر وقد زعم رافضوا الدين في الغرب والشرق انهم ينالون خيراً من ذلك ، لكنهم وقعوا في الاسوء فلا رأسمالية الغرب ولا اشتراكية الشرق ، سببت لهما الامن .

هذا بالاضافة الى ان دين المسيح عليه السلام صار منحرفاً ، وقد انقضى زمانه مما لم يكن ينفع فى ادارة امور الحياة ، وأي دين هذا الذي تتعقد عقيدته بالتوحيد والتثليث ـ فى آن واحد ـ الى غير ذلك من تعقيدات العقيدة ؟ وما هذا الدين الذي ليس له مناهج للحياة ، بل يدعوا الى الظلم ، فيقول : دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ؟

كما ان المسلمين اساؤا التصرف ، مما سبب ضعف بلاد الاسلام ، فسلط الله عليهم اعدائهم ، وقد قال سبحانه : « بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار * وكان وعداً مفعولا » الى ان يقول : « ان احسنتم احسنتم لانفسكم * وان اسأتم فلها » .

المستقبل . . للاسلام

وحيث قد عجز الانسان عن القوانين الوضعية من ناحية ، ومن الالحاد من ناحية ثانية ، ومن المادية من ناحية ثالثة ، أخذ يتوجه الى الدين ، مما يحتم ان يكون المستقبل للدين ، والاسلام بصورة خاصة حيث يعطى متطلبات الانسان في انظف اطار ، له المستقبل الزاهر ، لكن يشترط ان يعرضه القائمون عليه عرضاً صحيحاً مناسباً للعصر الحاضر ، والمراد بالمناسب للعصر الحاضر كون الحلول للمشاكل يناسب عصر الصناعة ، اذ كليات الدين قابلة الانطباق لكل عصر ومصر .

مثلا : في الاسلام [الحرية] وفيه : [الاختيار للحاكم] وفيه : [الفقيه الذى هـو قمة الحكم] وفيه : [الاقتصاد والاجتماع السليم] وفيه : [خدمة الناس] فاللازم ان تنظم الحريـات ، بحيث يكون كل احد حراً في جميع اموره بـاستثناء المحرم [ومن المحـرم اضرار نفسه واضرار الاخرين] وان تجعل الاحزاب السياسية ، في اطار القوانين الاسلامية ، ممالهم الحق الكامل في اختيار الحاكم المؤهل للحكم ، وان يجعل شورى المراجع الفقهاء ، ممن يقلدهم الامة ، حيث يسيرون الدولة بأكثرية الاراء ، ويكونون هم السـلطة العليا للدولة ـ حيث يكون تحت نظرهم السلطات التنفيذية والتشريعية [أي التطبيقية] والقضائية ـ .

وان يعدل الاقتصاد والاجتماع ، حتى لايكون استغلال الانسان للانسان بالاسلوب الرأسمالي ، أوالشيوعي ، أوالاشتراكي ، أوالتوزيعي ، وحتى يكون الاجتماع سليماً في اسلوب العائلة ، وارتباط الاحزاب والمنظمات بعضها ببعض وكذلك بالنسبة الى سائر الامور الاجتماعية من المعاملات وغيرها ، الى غير ذلك من المناهج اللازمة ، مثل كيفية معاملة الاقليات ، والترابط بين دولة الاسلام وبين سائر الدول .

وحينذاك ، لايكون استعمار بمختلف اشكالـه ، العسكري ، والفكري ، والثقافي ، والاقتصادي والسياسي ، فلاقواعد ولااحلاف في بلاد الاسلام ، كما لاتسلط لعسكر المستعمر على بلاد الاسلام بالغزو ، ولاتشتت ، ولافرقة ، بل دولة واحدة ذات ألف مليون مسلم . ولااتجاه فكري مستورد عن بلاد الاستعمار ـ كمـا هو الحال حيث ان الشباب الذين يذهبون الى بلاد الاجـانب يأتون بالافكار الاستعمارية في كيفية ادارة امورهم الشخصية والاجتماعية والسياسية وغيرها ـ .

ولاتكون الثقافة في المدارس والمعاهد والاعلام، على وفق الثقافة الاستعمارية كاراء دارون ، وماركوز ، وماركس ، وفرويد ، وسارتر ، ودركايم ، وغيرهم . . ولايكون الاقتصاد نظم على نحو الرأسمالية الغربية أو الشيوعية الشرقية أوما أخذ منهما من الالوان ، بل اقتصاد اسلامي ممايجعل المال مقابل خمسة أشياء : [العمل ، والفكر، والمواد ، والشرائط، والعلاقات الاجتماعية] وحينئذ لايكون استغلال الدولة للانسان ، كما في الشيوعية ، ولا الرأسمالي للانسان ، كما في الرأسمالية ، ويكون سائر المعاملات على طبق النظام الاسلامي .

ولاتكون السياسة، حسب رأي الشرق[الديكتاتور] ولاحسب رأى الغرب الذي :

(١) يقنن القانون .

(٢) ويسيطر رأس المال على الانتخابات باعلامه وبجماعاته الضاغطة ، وبغير ذلك .

(٣) ويكون الناس خارجين عن الميدان المرتبط بهم ، بعد انتخاب النائب انتخاب رئيس الجمهور ، بل اذا شائوا اخذت آرائهم في كل قضية مهمة .

وقدذهب بعض علماء الاجتماع الى ان الكيفية ان يجتمع الناس كل شهر مرة ـ مثلا ـ في حلقات خمسمأة مثلا : ليدلوا بارائهم في القضايا المهمة ، بعدان ينظم اهم الامور التي لها مدخلية في القضية، جماعة من الحياديين فيكون المجلس مقيداً بأخذ أكثرية هذه الاراء لا كيفما شاء المجلس بنفسه ، ولا بأس بذلك اذا عدل بما يطابق الصيغة الاسلامية [فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها اين وجدها] .

(٤) ولا يكون للطفل حق الانتخاب [عكس الاسلام الذي يعطى حتى

للنساء والاطفال حـق الانتخاب اذا شائت النساء ، وشـاء أولياء الاطفال ، لان المنتخب يتصرف في شأن الطفل ، فاذا شاء وليه جعل لـه صوتاً أيضاً ، يؤديه هوبالوكالة عن الطفل] .

وبذلك ترجع الى الانسان انسانيته ، وتصرف المواد في مصارفها اللائقة ويذهب القلق ويأخذ الامن مكانه ، ويكون بلد الاسلام، اسوة عملية لسائر بلاد العالم، فيأخذون منه ، كما أخذوا منه عند ظهور الاسلام، وينعدم الفقر ، والجهل ويتقلص الاجرام والمرض ، الى اقصى حد ممكن ، والله القادر المستعان .

ويجب ان ينظم المتدينون انفسهم حتى يستوعبوا كل الحياة ، فلا يجد الانحراف الرأسمالي أوالديكتاتوري اوما اشبه سبيلا ، ليأخذ في التخريب ، كما وجد الانحراف الشيوعي والقومي والبعثي والوجودي ، وماأشبه الى قلوب الشباب منفذاً فخرب تخريباً لامثيل له .

فاللازم تنظيم كل شيء دينياً ودنيوياً، من الروضة الى مابعد الجامعة ، ومن الثكنة الى ساحة الميدان ، ومن الزوجين الى العائلة الكبيرة ، ومن الاعمال الفردية الى المؤسسات الكبيرة ، وهكذا . . كما ان المهم تنظيم امور النساء بحيث يقدرن ان يدخلن كل ميدان يصلح لهن، سواء في السياسة [غير الامارة والقضاء] أوالثقافة ، أوالصناعة ، أوالتجارة، أوالزراعة، أوالادارة ، أوالوظيفة أوغيرها .

ويجب ان يكون التنظيم الديني الدنيوي، غيرضار بالحرية ، لان الاصل في الانسان الحرية ، فالناس مسلطون على أموالهم وانفسهم ، ثم تأخذ سائر الامور بعد ذلك مجراها ، ولايتوهم ان بين الامرين مناقضة، اذ من الممكن ان يكون محفز النظام التنافس الحر ـ بالاضافة الى جعل برامج للسمو الروحي ممايوجب العمل الدائب تلقائياً ، بدون جبر واكراه ـ .

و المحفز الروحي ، والتنافس في تحصيل رضى الله ، هو الذي أوجب تلك الانطلاقة الفريدة في تاريخ المسلمين أول ظهور الاسلام ، ومن الممكن اعادة كل ذلك اذا وعى القائمون بالامر كيفية العمل ، وكانت القدرات موزعة بحيث لم يتمكن أحد من الديكتاتورية .

المؤسسات الاجتماعية

(مسألة ـ ٣٦ ـ) المؤسسات الاجتماعية عبارة، عن جماعة من الناس يبنون العمل المنظم ، لاجل هدف خاص ، سواء كان الهدف الهدم أو البناء ، لكن كل هدف هدمي لابد وان يتطلع الى هدف بنائي وراء ذلك الهدم، وعلم الاجتماع قد ينظر الى المؤسسات بصورة عامة، وهذا هو الاهم، وقد ينظر الى بعض المؤسسات أو الى عمل عام من نـوع واحد لكل المؤسسات ، مثل ان ينظر في ارتباط الدولة مع المؤسسات وهذا هدف خاص، وليست له من الاهمية ما للقسم الاول.

ونحن نذكرهنا بعض جوانب المؤسسات :

توسع المجتمع يزيد الحاجة الى المؤسسات

ان الاحتياج الى المؤسسـات يزداد ، كلما توسع الاجتماع ، أو تقدم الاجتماع ، وذلك لان العلاقات في الاجتماع الموسع ، ولو كان بدائياً ، تزداد ومع ازديادها تتشابك ، فان علاقة انسانيـن [اثنتان] بينما علاقة ثلاثة [ستة] وهكذا ، وكلما زادت العلاقة زاد الاعضال ، مما يحتاج الى حلول كثيرة ، مثلا : لو تنازع اثنان ، احتاج الحل الى تليين هذا امام ذاك ، وذاك امام هذا اما اذا تنازع ثلاثة ، احتاج الى تليين (١) امام (٢و٣) وتليين (٢) امام (١و٣) وتليين (٣) امام (١و٢) .

ولذا كان اللازم كثرة المؤسسات للقيام بالحلول الكثيرة . . هذا من جهة

زيادة الكم ـ في الاجتماع ـ واما من جهة زيادة الكيف ، بان تقدم الاجتماع فانه حيث كان معنى التقدم تـدخل اشياء جديدة ـ علمية أو عملية ـ في حياة الانسان ، تكثر العلاقـة أيضاً ، ومع كثرتها تحتاج الى كثرة الحلول مثلا مدينة ذات عشرة الاف انسان، اذا تدخلت في حياتها السيارة ، احتاجت السيارة الى مؤسسة، واذا تدخلت الطائرة والقطار أيضاً احتاجت الى مؤسستين جديدتين أيضاً ، وهكذا .

العلاقة بين المؤسسات

وحيث ان الحياة مرتبطة بعضها ببعض ، كذلك يكون حال المؤسسات اما ارتباط الحياة، فلما نشاهد من ان رعي الحيوان مرتبط بالنبات، والنبات بالمطر والمطر بالريـح ، أو ان ازدهار التجارة مرتبط بعدم تسوس الزراعة ، وعدم تسوسها مرتبط بكثرة العصافير حيث تأكل الحشرات، وكثرة العصافير مرتبطة بعدم البرد الشديد الموجب لعدم افراخ الطيور ، وهكذا .

وأما ارتباط المؤسسات ، فاللازم ان يقال انه على قسمين :

(١) ارتباط المؤسسات بعضها ببعض .

(٢) وارتباط الاجتماع بالمؤسسات ، واللازم على عالم الاجتماع ، ان يكشف نوعية هذين الارتباطين وعلل قوة وضعف الارتباط ، وفائدة الارتباط قوياً أو ضعيفاً ، وضرر الانفصام في الارتباط .

فاذا لوحظت المؤسستان :

١ ـ فاما تكون بينهما صداقة مع تعاون .

٢ ـ أو صداقة مع حياد .

٣ ـ أو عداوة . . . ثم امّا ان تؤثر احداهما في الاخرى .

(١) تأثيراً متقابلا .

(٢) أو بالاختلاف .

(٣) أو لاتؤثر . . وقدتكون احديهما متوقفة على الاخرى ،لاالعكس . . وقد لاترتبط مؤسسة باخرى .

وفي الاجتماع كلما كانت المؤسسات أكثر ، كان انفع للاجتماع لكن بشرط ان لاتسبب الكثرة ضياع الانتاج ، ولا ان تسبب امكانية الالتواء ، اما ان الكثرة انفع ،فلماتقدم من ان كل مؤسسة تحل جانباً من المشاكل الاجتماعية أو توجب تقدماً في جانب من الحياة، مثلا : مؤسسات القضاء تحل المشاكل ومؤسسات التربية البدنية تقدم الحياة .

أ ـ اما كون الكثرة سبباً لضياع الانتاج، فمثلا: شركتان لحمل مواد البناء من المعمل الى المدينة ، كل واحدة منهما لابد لها من سيارة للحمل ، فاذا كان انتاج المعمل بقدر لايملاء السيارة كان خسارة للقدر الفارغ من السيارة ولقدر من السائق ، ومن الزيت المستعمل فيها، ولموقف السيارة ، حيث انها تأخذ المكان اللائق بها من الايجار مثلا ، ولا تعمل العمل اللائق بها .

ولذا فاللازم على المؤسستين ان تشتركا في سيارة واحدة،وكذلك حال مدرستين تستطيع كل واحدة منهما ان تحتوى على ألف طالب ، وخمسين معلماً ، بينما لاتحتوى المدرستان مثلا: الاعلى ألف طالب فقط ، فانه يستلزم فراغ مؤسسة منها ، الى غير ذلك من الامثلة .

بل أصل الاستفادة من القدرة ،كاصل جمع القدرات مسألتان مهمتان بالنسبة الى كل قدرة ، بأي شكل كانت القدرة ، مثلا : العامل في المعمل ، اذا كان له ذكاء يبعثه على المهارة والتقدم ، فلم يستفد من ذلك،وانما حشر مع الذين لامهارة لهم كان ذلك تضييعاً للقدرة . . كما انه اذا امكن جمع قطرات مياه

المطر الساقطة على الارض للاستفادة منها في ادارة معمل بسبب شلال مثلا فلم تجمع كان ذلك هدراً للقدرة . . واذا لم تكن دقة ومهارة وعمل دائب ، كان الغالب هدر القدرة ، وعدم الاستفادة من قدرة تستخدم في انتاج أقل من الانتاج الممكن .

ب ـ واما تسبب الكثرة لامكانية الالتواء ، فهو كما اذا فتحت صناديق قرض الحسنة ، لاجل اعانة المحتاجين ، فان كثرتها قد توجب الالتواء ، في المقترضين ،مثلا : مقترض يريد بناء داره، بألف دينار فيقدم الشهود الى احدى تلك الصناديق باحتياجه ، فيقترض الالف ، ثم يقدم شهوداً آخرين الى صندوق ثان فيأخذ ألفاً آخر ، وهكذا ، واذا به يصرف ألفاً في البناء وثلاثة آلاف في التجارة ، بينما كان اللازم ان تصرف تلك الثلاثة الالاف في سدّ ثلاث حاجات اخر .

فان الالتواء نشاء من كثرة الصناديق، مما جعلت الكثرة سبباً لانحراف المال عن الهدف المقرر له، وكذلك بالنسبة الى مؤسسات تتحد في الهدف .

الترابط البنائي والعملي بين المؤسسات

ثم انه يلاحظ امور في شأن المؤسسات :

أ ـ قد ترتبط مؤسسة بمؤسسة اخرى :

١ ـ في بنائها .

٢ ـ وقد ترتبط في عملها،ومعنى الارتباط في البناء انه لولا تلك المؤسسة لم يكن لهذه المؤسسة، البناء الحالي لها، وذلك مثل المؤسسات الدينية حيث ترتبط بالمؤسسات العائلية، من حيث البناء ، فالعائلة تتعدد من جهة الزوجة ، اذا سمحت بذلك المؤسسة الدينية ، بخلاف ما اذا لم تسمح ، ولذا في العائلة

المسيحية بناء وحدة الزوجات، وفي العائلة المسلمة بناء تعدد الزوجات الى أربع ، وفي بعض الاديان بناء تعدد الزوجات الى مالايحصى.

ونتيجة لذلك اذا تغيردين العائلة تتغيربنائها، بأخذزوجة جديدة، أواطلاق زوجة قديمة .. وكذلك المؤسسة الحكومة تتدخل في بناء المؤسسة الدينية ، فالحكومة المسلمة تسمح للابنية الدينية بالعمل، بينما الحكومة الماركسية لاتسمح بذلك .

وأما ارتباط مؤسسة باخرى في عملها ،فكالمؤسسات الصناعية والمؤسسات الثقافية حيث ترتبط كل واحدة منهما بالاخرى في عملها ، فالمدرسة تقدم مدرين وعمالامهرة للمؤسسة الصناعية ،والصناعة تهيء الاثاث واللوازم للمدرسة مثل الثلاجة والمروحة والمدفئة ونحوها .

متى تهدم المؤسسة ؟

ب ـ انما تتمكن ان تتدخل مؤسسة في هدم المؤسسة الاخرى، اذا تغير الاجتماع تغيراً جذرياً ، والا لم تتمكن المؤسسة الا من تغيير عمل المؤسسة الاخرى، مثلا : المؤسسة الدينية في البلاد الاسلامية لم تتمكن ان تتدخل المؤسسة الحكومية ـ حيث تحولت استعمارية ـ في هدمها ، وانما عملت المؤسسة الحكومية فى التقليل من اعمال المؤسسة الدينية ، نعم في الاتحاد السوفياتى، حيث تغيرت الحكومة شيوعية ، تمكنت من تحطيم المؤسسات الدينية وتغير بنائها تغيراً جذرياً: أي نسفها وتسليم اعضائها الى المشانق والسجون، ومراكزها الى حانات واصطبلات ومراقص وسينمات ونحوها .

تأثير التغيير فى المؤسسة على سائر المؤسسات

ج ـ اذا حصل تغيير في مؤسسة اجتماعية، تتأثر سائر المؤسسات بذلك التغيير

قليلاأو كثيراً مثلا :اذا تغييرت ثقافة المدارس من ثقافة دينية الى ثقافة غربية أثرت تلك الثقافة في المؤسسات التجارية والزراعية، مثلا : فتكون المؤسسة التجارية رأسمالية استغلالية بعد ان كانت بقدر السعر ونحوه، وكذلك تحولت الزراعة الى اقطاعية، بمعنى استغلال الاقطاعي للفلاحين، والعكس بالعكس، اذا تحولت الثقافة اسلامية ، اثرت في تعديل الاقتصاد زراعة وتجارة وغيرهما .

الانفصام فى المؤسسات يولد الانفصام الاجتماعى

د ـ اذا تغيرت بعض المؤسسات في عملها ، ولم تتغير سائر المؤسسات المرتبطة حسب ذلك التغيير ، حصل الانفصام في الاجتماع ، مما يؤدى الى سقوط الاجتماع ، وكان مثال ذلك ، ما اذا سقطت الموازات بين عجلات السيارة ، فى سرعة السير او بطوئه ، بان اسرعت بعضها وابطئت الاخرى ، حيث ينتهى ذلك الى تكسر السيارة او عطبها ووقوفها .

والسر فى ذلك ، ان الانفصام فى الاجتماع يوجب التناقض بين جماعات الاجتماع والتناقض ينتهى الى الحرب الاهلية ، أوالى الضعف الموجب لتفرق الاجتماع [أيادى سبا] او نفوذ الغزاة فيه ، «ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » .

وقد شاهدنا بعض الدول المعاصرة ، حيث انفصمت مؤسساتها، بتقدم الصناعة ، من دون تقدم المؤسسات السياسية فيها، فانها تحطمت، وتسلط عليها اعدائها مما اسقطها ، وغيرها من نظام الى نظام آخر ، فان الصناعة لابد وان تضبطها السياسة والا تصرفت تصرفاً سيئاً و التصرف السىء يوجب انشقاق الاجتماع حيث تحدث الطبقية المنحرفة فتبطر قسماً النعمة ويدقع فى الفقر قسم آخر .

وكذلك لوفرض العكس بأن تقدمت المؤسسات السياسية ، ولم تتقدم المؤسسات الصناعية ، حيث ان السياسة لابد لها من افراغ في التقدم ، فاذا لم تجد منفذاً للتقدم ، حصل الاختلاف بين الساسة ، مما يوجب الانفصام ، وهكذا .

ضرورة التوازى فى حركة المؤسسات

هـ ـ الاجتماع ان كان ساكناً ، لم يكن فيه خطر التشقق والانفصام ، أما اذا تحرك الاجتماع فاللازم الملاحظة الدقيقة ، لان تكون مؤسساته متوازية الحركة ، فان أبطئت مؤسسةوأسرعت اخرى، أو أسرعت مؤسسة ،وتحركت اخرى بسرعة أشد ،كان الاجتماع معرضاً للهزات،وربما تحطم،حاله حال السيارة مادامت واقفة لاخطر عليها ، أما اذا تحركت فاختلفت حركة العجلات ، أو تحركت احديها وجمدت الاخرى ، احتفت بها المخاطر .

وربما دام الانشقاق والانفصام والسقوط لمدة مديدة ، وهذا سر مانجده في عالم اليوم من الاضطرابات، فان الصناعة سببت حركة الاجتماع، وحيث لم يكن التحرك في مؤسسات الاجتماع متوازياً ، انقسم العالم المسيحي الى رأسمالي ، وشيوعي ، وديمقراطي، وديكتاتوري ، وخلال نصف قرن حدثت حربان عالميتان ، وحروب متفرقة ، واضطرابات ، وانقلابات ، وربما امتدت هذه الحالة ، الى أن تأخذ المؤسسات العصرية توازنها في السير معاً بصورة متساوية .

تبدل المؤسسات

و ـ قد تتحول المؤسسة الاجتماعية الى مؤسسة اخرى أقرب الى هدفها

مما يسبب التحول في عمل المؤسسة كمؤسسة تربوية تتحول الى مؤسسة ثقافية حيث يرى القائمون بها ان التربية بدون أرضية ثقافية ، لاتنفع النفع المطلوب منها ، أو تتحول مؤسسة زراعية الى مؤسسة صناعية ، حيث يرى القائمون بها ، ان الصناعة توجب تقدم الزراعة ، وليس العكس .

المؤسسات الموقتة

ز ـ المؤسسة قد تكون دائمة لاعطاء حوائج مستمرة في الاجتماع ، وقد توجد لوقت خاص كالمؤسسات التي توجد لادارة شئون الحرب ، فانها موقتة بأوقات الحرب ، وكالمؤسسات التي توجد لترميم خسائر زلزال ، أو سيل ، أو وباء ، أو ما أشبه ، والقسم الثاني من المؤسسات لابد وان تكون سريعة العمل ، حيث ان أمد عملها يتطلب ذلك ، وحيث ان كل سرعة شاذة عن سير الاجتماع ، توجب هزة اجتماعية ، وهي مخطورة كما تقدم ، لابد وان يجمع القائمون بها بين السرعة والحزم .

اختلاف تأثير المؤسسات في المجتمع

ح ـ والمؤسسات الاجتماعية ، تختلف تأثيراتها ، فبعضها تؤثر أكثر من بعض ، لاحتياج الاجتماع الى تلك أكثر من احتياجه الى مؤسسة اخرى ، مثلا : في العصر الحاضر ، المؤسسات الاقتصادية ، أكثر تأثيراً من قسم من المؤسسات الاجتماعية الاخر ، وكذلك المؤسسات السياسية ، في الدول الاستشارية ، وحيث ان السياسة في عالم رأس المال ـ سواء الغربي منه أو الشرقي ـ متأثرة بالرأسمالية ، كانت المؤسسات الاقتصادية أكثر تأثيراً في المؤسسات السياسية من العكس .

مؤسسات مختلفة تودى نتائج متقاربة

ط ـ ثم قدتؤدى مؤسسات متعددة العنوان نتيجة متقاربة ، وانما تعددت في الهيكل والاسم، لاجل التفاوت في الجملة في نوعية أعمالها ، مثلا :العائلة والمدرسة ، والمؤسسة الدينية ، كلها تعطي تربية الانسان الروحية ، لكن العائلة مزيجاً مع ترفية الجسم ، والمدرسة مع الثقافة ، والدينية مع الاعتقاد بالمبدء والمعاد .

شروط نجاح المؤسسة

ى ـ والمؤسسة حيث تؤدي أعمالا خاصة ، لجهة معنية من جهات الحياة كالمؤسسة الاقتصادية أو الزراعية أو السياسية ، التي تؤدي عملا ورشداً في جهة السياسة ، أو الزراعة ، أو الاقتصاد ، لابد وان تكون مستوعبة لامرين :

(١) العلم المرتبط بتلك الجهة ، فالمؤسسة السياسية لابد وان يكون القائمون بهامستوعبين لعلم السياسة ، والا ففاقدالشيء لايعطيه ، حتى المؤسسة العملية كالعائلة حيث تربي الاولاد ، لابد وان تعرف كيفية التربية ، والا كان مصير الا ولاد الموت أو المرض ، ان قصرت في انماء الجسد، أو الانحراف ان قصرت في انماء الروح .

(٢) العلم العام المرتبط بتلك الجهة ، حيث ان المؤسسة لا تعيش في فراغ بل وسط ارتباطات ، فاذا لم تراع تلك الارتباطات امتنع التقدم على المؤسسة، فكمايلزم علم الاقتصاد على المؤسسة الاقتصادية كذلك يلزم عليها علم الاجتماع والا فكيف تعاشر الاجتماع ، وعلم السياسة ، والا تحطمت المؤسسة بالتقلبات السياسية، وهكذا .

كما ان اللازم أن يكون العلمان ، للقائمين بالمؤسسة ، على السطح الاجتماعي ـ لا أقل ـ اذ لو تقدم الاجتماع على علم القائمين ذبلت المؤسسة وأحياناً تفككت واندثرت ، حال ذلك حال المدرس ان كان متأخراً في العلم عن مستوى الطلاب اللائق بهم، أنفض الطلاب من حوله ، فالمؤسسة السياسية ـ مثلاـ اذا لم تساير العصر [كالاستشارية مثلا في العصر الحاضر] سقطت عن الاعتبار ، وأنفض من حولها مرتادوا السياسة ، الى مؤسسة عصرية اخرى ، تعطيهم متطلبات العصر .

الجو العام للمؤسسة

ك ـ ثم المؤسسة اذا كانت تعيش في وسط جو خاص من المؤسسات المرتبطة ،لابد وان تعيش في ذلك الجو، والا فان لم يراع الجو في المؤسسة المرتبطة ، ذبلت واندثرت ، مثلا : الطبيب ، والصيدلي ، والجراح ، و مركب الاسنان ، والقابلة ، كل واحد منهم يؤدي خدمة في جو خاص من التنسيق ، فاللازم على المؤسسة التي تقوم باحدى هذه الامور، ان تكون في جو المؤسسات الاخر ، مثلا : لايمكن للصيدلية ان تعيش في جو فارغ عن الدكتور والقابلة و .. أو لاتتمكن دار الولادة ان تعيش في جو فارغ عن القابلة وعن الصيدلة ، وهكذا .

ولذا جرت عادة بعض البلاد المتقدمة صناعياً ، على تجميع الطاقات المؤسسية المرتبطة بعضها ببعض ، وتكميل الجو ، اذاكان الجو ناقصاً ، مثلا: المطبعة ، ومعمل التجليد، ومكتبة البيع ، والمجلة والجريدة ، وما أشبه كلها تدخل في جو عام ثقافي ،فاذا لم تكن المطبعة لم ينفع معمل التجليد وهكذا.

لمؤسسة والسلوك المرضى للجماهير

ل ـ ثم المؤسسة يلزم عليها ان تحفظ ارتباطها بالذين هم في مسير عملها ، وحفظ الارتباط غير المهارة في العلم المرتبطة بالمؤسسة ، مثلا : اذا كان الطبيب المتخصص الماهر اجرى عملية جراحية في اتم النظافة والدقة ، لكن اتفق ان مات المريض بقدر الهي ، تحطمت سمعة الطبيب ، لالانه لم يقدر على العلم والمهارة وحسن الخدمة ، بل لانه لم يتمكن ان يحفظ علاقته بالمجتمع ، حيث كان اللازم عليه ان يتخلى عن العملية اذا رآها خطراً ، أو لأقل من ان ينبه اصحاب المريض انه مخطور تسعين في المأة مثلا .

وكذلك حال المؤسسة يلزم عليها السلوك المرضي للجماهير ، والا انفض الناس من حولها ، وان اتقنت غاية الاتقان ، وكان في قمة العلم اللازم للمؤسسة .

التلاحم والتنسيق بين اعضاء المؤسسة

م ـ وأخيراً اللازم في المؤسسة أكبر قدر من التنسيق والمودة بين أعضاء المؤسسة ، والا اضر عدم التنسيق بالعمل وتقدمه من ناحية ، وانفض الناس من حولها بسبب اظهار الاعضاء نقائص الاخرين ، امام الاجتماع مما يسبب سحب الاجتماع ثقتهم عن المؤسسة ، مثلا : مدرسة اهلية ، يشتكي المعلمون عند المجتمع من فساد اخلاق المدير ، أو يشتكي المدير شدة المعلمين مع الطلاب ، ان الناس يسحبون أولادهم من مثل هذه المدرسة ، مما ينتهي بها الى الفشل .

تحول المؤسسات

ثم ان بعض المؤسسات أخذت في الظهور مما لم تكن سابقاً ، وبعض المؤسسات أخذت في الاختفاء مما كانت سابقاً ، وبعض المؤسسات ضمرت أو توسعت ، وبعض المؤسسات تمركزت ، وبعض المؤسسات تعقدت أكثر من السابق،وبعض المؤسسات تطورت من حالة الى حالة ، وبعض المؤسسات انتقلت من مكان الى مكان .

(١) فمؤسسة البنوك،والبورصة،والتأمين،وما اشبه ، أخذت في الظهور.

(٢)ومؤسسة تربية العبيد والاماء ،ومراسيم قتل الاولاد وحرقهم،اختفت.

(٣) ومراسيم وضع التيجان للملوك ، واماكن النار للمجوس ، ومعابد الاصنام ، ضمرت .

(٤)والمؤسسة الحكومية توسعت ، مثلا : دخل في شئون الدولة تأسيس المدارس ، والمستشفيات ،وصنع الحدائق العامة والمرافق العامة ، ومؤسسة الامن للدولة وعشرات المؤسسات الاخر .

(٥)وقد تمركزت الشئون السياسية والاقتصيادية والاجتماعية،في الدولة ـ في الحكومات الشيوعية ـ .

(٦)والمؤسسة الثقافية والطبية،وما اشبه تعقدت،حيث صارت الاختصاصات والاجهزة الكاشفة عن الامراض وغير ذلك .

(٧)وقد تطورت المؤسسات السفريّة،من الدواب الى مؤسسات السيارات والطائرات والقطارات وما اشبه .

(٨) وانتقلت مؤسسة الايتام والاوقاف ونحوهما ، من ادارة الكنيسة ـ في العالم المسيحي ـ الى ادارة الدولة . . وهذه التطورات بعضها ممايمليه

الواقع كالسادس، أو يوجبها انحراف كالخامس مما يجب رفع هذا الانحراف عن الاجتماع .

مضاعفات تضخم المؤسسة الاقتصادية والمؤسسة الحكومية

ثم لايخفى ان المؤسستين الاقتصادية والحكومية ، توسعت توسعاً كبيراً على ضرر الشعوب ، اما المؤسسة الاقتصادية ، فأخذت تأكل أموال الناس بالباطل، وجعلت المال دولة بين الاغنياء، فاللازم الاهتمام من المفكرين والمصلحين لتجريد حملة عالمية، لقطع جذور الرأسمالية المنحرفة ، حتى يرجع الاقتصاد الى السلامة ، بان يكون المال امام خمسة اشياء ، كما المعنا اليه مكرراً ، هنا وفي كتاب [الفقه : الاقتصاد] وغيره .

وأما المؤسسة الحكومية ، فقد جمعت في يدها بالاضافة الى اشغالها الطبيعية [ذكرنا تفصيله في الفقه : ـ السياسة] السياسة والاجتماع والاقتصاد ، امّا في الشرق الشيوعي ، فقد ضربت الدولة الرقم القياسي في هذا الامر ، وامّا في الغرب الرأسمالي ، فالدولة أخذت في توسع هائل من جهة ضمّ المؤسسات الثلاث الى نفسها، وعلى أي فاللازم انفصال الدولة عن المؤسسات الثلاث انفصالا كاملا ، لما نجم من الانضمام، من الاضرار البالغة، والتي منها:

أ ـ سقوط التنافس الحرّ ، مما يعطى للحياة معنى ، بخلاف تسليم تلك المؤسسات الى الموظفين ، حيث فرغت حياة الموظف عن المعنى، بل صار هو آلة تعمل تلقائياً لاداء الوظيفة ، في حياة رتيبة مملّة [انظر : الاجتماع السليم ، تأليف اريك] .

ب ـ كبت الكفاءات ، اذ الكفائة زهرة لاتنمو الا في حدائق الحرية .

ج ـ تحول النشاط الى الخمود ، نشاط الموظفين القائمين بالاعمال

الحكومية ، ونشاط الافراد الذين سلبتهم الحكومة حرياتهم .

د ـ توسع الفقر والمرض والجهل والجريمة ، حيث ان الناس يمكنهم رفع نقائص انفسهم لكثرتهم، وحنانهم على انفسهم ، اما الحكومة فهم جماعة قليلة ، وهي بحكم انها موظفة روتينية لاتخسر على الناس .

مثلا : اذا كانت المدينة تحتاج الى مليون دار لاسكان الناس ، وقيل للتجار ابنوها وبيعوها للناس بربح معقول ـ اقساطاً ـ تمكنوا من البناء ، في خلال ستة أشهر ، وهم يجلبون المواد والعمال والمهندسين من شرق الارض وغربها ، اما اذا أرادت الحكومة بنائها ، لم تتمكن من ذلك ولو في عرض مدة طويلة ، وهكذا حال سائر الاحتياجات .

هـ ـ اشتغال الحكومات بالمزيد من التسليح ، حيث تمركزت في ايديهم السياسة والمال ، مما كان اللازم ان يصرفا في انقاذ العباد وتعمير البلاد ، اذا كانت بايدي الناس .

و ـ كثرة الموظفين مما معناه تحويلهم من منتجين الى مستهلكين ، وبذلك اشتد الضغط على الاقتصاد، اذ بنسبة زيادة الموظفين، يضعف الاقتصاد لدى المنتجين .

ز ـ كبت الحريات ، فليس كل انسان حراً في مزاولة السياسة ، ومزاولة الامور الاقتصادية من تجارة و زراعة و صناعة و غيرها ، ومزاولة الامور الاجتماعية ، من فتح المدارس والمستشفيات ودور الرضاعة وغيرها ، وقد وصل الكبت في النظام الشيوعي قمته، اما في بلاد الرأسمالية فقد حدث الكبت بقدر أخذ رأس المال ، والحكومة ، الامور من أيدى الناس .

ح ـ ارهاق كواهل الناس بالضرائب الكثيرة باسم ان الدولة ترعي المؤسسات امثال المدارس وغيرها ، وحيث نعلم ان أكثر الضرائب تخرج

من كيس الفقراء انظر [الفقه ـ الاقتصاد] نعلم انه كان من الافضل ايكال الحكومة الى الناس حقهم الطبيعي في تأسيس مايشائون من المؤسسات ، مع ربح معقول ، واشراف الدولة عليها حتى لاتنحرف . . ومن لايقدر على الاجور ونحوها كان له ان يأخذ من بيت المال .

ط ـ تخلى الدولة ـ اضطراراً ـ عن وظائفها الاولية ، التي هي :

(١) النظم .

(٢) والعدالة القضائية .

(٣) وتقديم الامة الى الامام ، حيث اشتغلت الدولة بما ليس من اعمالها من السياسة والاقتصاد والاجتماع ، ومن الواضح ان الانسان ينوء تحت حملين اذا كان الحمل الثاني ثقيلا لا يتحمله الا الامة كلهم .

ي ـ وأخيراً : التوقف العام عن التقدم بما لاتتمكن الحكومة منه ، بافرادها القليلة بالنسبة الى الامة . . وعليه فاللازم على المؤسسة الحكومية ، التي انتفخت انتفاخاً هائلا ، ان تحول الامور الى الناس تدريجاً ، وترجع هي الى حالتها الطبيعية من مزاولة الاعمال الثلاثة الانفة الذكر .

الاكتشافات والاختراعات

(مسألة ـ ٣٧ ـ) خلق الانسان محتاجاً ، وخلقت كثير من حوائجه في الكون ، وهدى الانسان الى ان حوائجه في الكون .

قال سبحانه : « الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .

ولافرق في كون الكون مخزناً لحوائج الانسان، بين كونه مخزناً لحوائجه بسبب ذخائره الموجودة ، مثل الماء والفاكهة واللحم ، أو بسبب قوانينه المودعة ، مثل قانون ارخميدس، وقانون حمل الهواء للطائرة الى غيرهما ، فقد ملأ الكون بمليارات القوانين ،وكل اكتشاف انما هو وصول الى قانون من تلك القوانين الكونية ، أو قوانين منها .

وانما نقول [كثير من حوائجه ..] لان حاجات الانسان لايملئها عالم الدنيا ، حيث خلق الانسان للاخرة ، وهناك تملأ حوائجه ، اما الدنيا فهي معبر وقنطرة ، ولذا نجد أي انسان فى أي حال كاسف البال يتمنى مالايدركه الى ان يموت .

الاختراع بحاجة الى الفكر والعمل

ثم الانسان في محاولته تحصيل حاجاته من الكون ، يحتاج الى أمرين : [الفكر] و [العمل] مثلا : الانسان بحاجة الى اغصان الشجر لدفئه أو طبخه، فيفكر في صنع المنشار ، ثم يصنع المنشار لقطع الاغصان والفكر قد يأتي بشيء جديد مثل صنع الفاس اضافة الى المنشار ، وقديأتي بتحسين

جديد ، في الشيء القديم ، مثل تحسين المنشار من اليدوى الى الكهربائي ، والغالب ان التفكير يهدي الى تفكير آخر ، والعمل يهدي الى عمل آخر .

الفرق بين الاكتشاف والاختراع

وقد اصطلحوا على تسمية ما يعرف بعد ان لم يكن معرفاً بـ[الاكتشاف] وتسمية مايصنع بعد ان لم يكن صنع بـ[الاختراع] فـاكتشاف ان الهواء كالماء تسرع في المجري الضيق اسرع منها في المجرى الواسع ، ممـا انتهى الى صنع الطـائرة ، يسمى اكتشافـاً ، اما صنح الطائرة فيسمى اختراعاً .. و الحـاجة والفكر والاختراع امور تسلسلية ، اذ بعد الاختراع يكتشف حـاجة جديدة ففكر لملئه ، فاختراع ، وهكذا ، مثلا : الحـاجة الى السرعة أوجبت اختراع السيارة ، فاحتاج الانسان بسببها الى كراجات ، والكراج يحتاج الى المحافظ ، وهكذا .

ثم ان الفكر والاختراع ، لابد وان يستند الى فكر سابق ، ومادة سابقة فمثلا : تفكير صنع الباخرة البخارية يتولد من فكرة المراكب الشراعية، فالفكر الجديد استند الى فكر قديم ، كما ان الباخرة بنفسها تتهيىء من مواد موجودة كالخشب والالمنيوم وما أشبه ، وقد ذكروا ان السيارة تصنع من أكثر من خمسين مادة من المواد المأة والبضع المكتشفة .

بين المخترعات الجديدة والقديمة

والمخترع الجديد قد يوجب اخلاء مكان المخترع القديم ، مثل الاواني الفلزية التي أخذت مكان الاواني الحجرية والخشبية والفخارية والعظمية ، وقد يبقى المخترع القديم ، مثل الطائرة لم تتمكن ان تطرد السيارة عن الميدان،

وذلك لان بعض الحاجات لاتتأتي بالمخترع الجديد أوان ذلك باهض التكاليف مما لايتحمله كثير من الناس ، كالطائرة لاتتمكن ان توصل الانسان في المدن الى دورهم ، ومحلات عملهم ، وكذلك فى الاسفار بين المدن، الطائرة تكلف اجوراً باهضة مما لايتمكن عليها غالب الناس، ولذا بقيت السيارة على حالها السابق .

المخترعات . . . والاجتماع

والمخترع الجديد ، حالـه ، حال الفكر الجديد ، والمؤسسة الجديدة ، كثيراً مايرتطم بقسم من الاجتماع الذين يقاومون كل شيء جديد ، خوفاً على مصالحهم ، أوحسداً لتقدم الاخرين عليهم، ولذاكان الناس أصحاب المصالح يحاربون الانبياء ، لان فكـر الانبياء كان خطراً على مصالحهم ، واذا فتحت مؤسسة تربوية جديدة خاف اصحاب الكتاتيب من ان تسحب المؤسسة الجديدة تلاميذهم، وكذا اذا ظهر العقل الالكتروني لحسابات المطار ، حاربه الوف من عمال المطار ، لان ذلك يأخذ زمام العمل من ايديهم ، وقديكون الامر حسداً محضاً ، قال تعالى : « أم يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله» .

أماعامة الناس فان كان المخترع الجديد ينفعهم استقبلوه استقبالا بقدر انتفاعهم منه، فلو فرض ان المخترع لم ينفع الاجتماع ، لم يستقبل منهم ، ولذا نجدان المخترعين بعضهم يحظى بقبول الناس لاختراعه وبعضهم لايحظى بذلك ، اما اذاكان المخترع ينفع الاجتماع، فهوالذي يستقبله الاجتماعات كل بقدر حاجته مثلا: تستقبل المدن الصناعية الوسيعة السيارات بمالاتستقبلها المدن غير الصناعية وبالاخص الصغيرة منها .

وذلك لان سعة المدينة ، واحتياج الصناعة الى الحمل والنقل ، تزيدان

زيادة كبيرة من الاحتياج الى السيارة، ثم ان الاجتماع قديحتاج الى المخترع لكن لعدم وجود المال له، أوعدم وجود سائر الوسائل الملازمة لذلك المخترع أو لمحذور في ذلك ، يكف الاجتماع عن استقباله ، مثل المجتمعات الفقيرة بالنسبة الى الوسائل الكمالية، ومثل القرية التي لا كهرباء لها بالنسبة الى المروحة والمدفئة ، مع كمال احتياج اهل القرية اليها، ومثل خطر الطائرات السريعة جداً التي تبعث على خرق بعض الاغلفة الجوية ، مما يكون في خرقها اضرار كبيرة على الانسان ، فان خوف الضرر يمنع من صنعها واستعمالها ، وان كثر الاحتياج اليها .

الاختراع يلد الاختراع

وكما ان الشيء الجديد وليد الفكر ، كذلك بدوره يولد الفكر ، مثلا : الفكر يولد التراكتور، وهويولد فكراً لاجل ماكنة تعمل على الحصاد ، وهكذا تتراكم في عالم الثقافة الافكار الخلاقة ، وفي عالم الخارج المواد الرافعة للاحتياجات ، نعم الرأسمالية ، لاجل مزيد الاسترباح تعمل على :

(١) انتاج حاجات جديدة وهمية ، وتملاء الاسواق بها ، مدعومة بدعاية كبيرة ، لتستدر بذلك آخر نقد في صناديق الناس امثال الموضة الجديدة ونحوها .

(٢) تعمل حاجات جديدة لاجل التخريب ، أمثال بعض الادوية الضارة المثيرة لامراض ، حتى تروج اسواق الادوية ونحوها .

(٣) تعمل مصنوعات جديدة سريعة العطب ، مكان ماليس كذلك ، لبيع قطع الغيار ، أواصل المصنوع بعد سقوطه عن الانتفاع لخلل فيه .

فاللازم ان لايشتبه الانسان بين مانحن بصدده ، وبين الفكر والاختراع

الموجبين للتأخر والانحطاط .

ارضية الاختراع

ثم الجديد قديكون الفكر،وقد يكون الصنعة، وكلاهما بحاجة الى أرضية صالحة ، ففي جوالامية والكبت العملي لايولد الفكر الجديد ، وفي الصنعة اذا اريد صنعها أو كمالها ، احتاج الى خمسة اشياء :

(١) الحرية، اذبدون الحرية يطرد الصانع ، بل أحياناً يعدم، ولذا اختفى جابر بن حيان خوفاً من الخليفة العباسي الى ان مات ، ولم يظهر مختبره في الكوفة الابعد ثلاثة قرون، وحرم العالم عن كثيرمن اختراعاته .

(٢) التشويق حيث له كامل الاثر في اندفاع الانسان الى الامام .

(٣) الامكانيات للاختبار، فان الصنائع خصوصاً المعقدة منها بحاجة الى امكانيات مادية من مختبر ومال وما اشبه .

(٤) التنافس فان التنافس من أقوى محفزات الانسان للتقدم، اذ لا يتمكن الانسان ـ بطبعه ـ ان يرى نفسه متأخراً وغيره يتقدم عليه، وحتى الجنة جعلها الله سبحانه في معرض التنافس ، فقال سبحانه : «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون».

(٥) ظهور الصنعة الجديدة في العالم الخارجي، فان من طبيعة المخترع العمل والضغط على فكره اذا رآى نتيجة عمله ، وبالعكس اذا لم يرها ، مثلا مخترع التلفون اذا رآى ان التلفون صار وسيلة المكالمة في الاجتماع اهتم بتحسينه ، واختراع شيء آخر ، اما اذا لم ير ذلك ، لايهتم بأي من الامرين .

بل في الفكر أيضاً الحال كذلك فاذا اظهر الانسان فكراً جديداً ، فرآى الاستقبال له حفزه ذلك الى تحسينه ، باكتشاف سائر خصوصياته ، وبالضغط على نفسه لفكر جديد ، والا لم يفعل أياً من الامرين . .

والفكر الجديد المناقض للفكر القديم ، يأخذ مكان الفكر القديم حيث لايمكن التناقض ، مثل التوحيد في الجزيرة ، عند ظهور الرسول ﷺ حيث اخذ مكان فكرة الشريك .

ولايلزم في المفكرين المناقضين ان ينتهيا الى نتيجتين متناقضتين ، وان كان الواقع لايقبل الا أحدهما ، مثلا : فكرة ان الشمس تدور حول الارض ، وفكرة ان الارض تدور حول الشمس ، لايمكن الجمع بينهما في الواقع ، مع ان نتيجة كلتيهما واحدة ، ولذا لم يختلف علم الفلك الجديد عن علم الفلك القديم في النتائج المترتبة عليهما ، وان اختلفا في كيفية الاستدلال .

استيراد الفكر والصنعة

والجديد من الفكر أو الصنعة ، قد يظهر من داخل الاجتماع ، وقد يستورد من اجتماع آخر ، فان المجتمعات تعين بعضها البعض في تجديد الحياة فكرياً وعملياً لكن كل مجتمع ليس صالحاً لاستيراد الافكار أو الصنائع الجديدة ، اذ الاستيراد بحاجة الى التهييء النفسي للمجتمع المستورد والتهيء الاجوائي ، فمثلا : فكرة التوحيد لم تجد مجالا في العالم الغربي لعدم التهيي النفسي لاولئك في تقبل هذه الفكرة .

كما ان فكرة الشيوعية لم تجد ترحيباً في العالم الاسلامي لعدم التهييء النفسي للمسلمين لاستقبال هذه الفكرة . . وكذلك الحال في الصناعة ، حيث انها لاتنمو ولاتتحرك الا في المكان المناسب ، فسكان الغابات والجبال لايرحبون بالسيارات والتراكتورات حيث ان اجوائهم لاتسمح بذلك . .

وقد يرحب مجتمع بفكرة أو صنعة جديدة ، لكن حيث لااجواء لهما ، لاتدومان في البقاء ، وانما يكون الامر بالنسبة الى المجتمع المستورد ، تحميلا

يرفضه بمجرد ان وجد مجالا للرفض ، كفكرة القومية في البلاد الاسلامية ، وكصنع الخمر، فانهما حملاعلى البلاد، وفي أول فرصة متاحة لاي بلد اسلامي رفضهما بشدة .

ولذا نرى ان الاستعمار يتوسل بكل وسيلة، لتهيئة الاجواء النفسية والمحيطية لاجل اصدار مبادئه وبضائعه، فيعمم ثقافته قبل الغزو بمدة مديدة [انظر التبشير والاستعمار] كما يحطم وسائل عيش البلد الذي يريد غزو اسواقه، فيحطم الزراعة والصناعة المحلية ، ويخنق المفكرين بمختلف الوسائل ، حتى بطريقة الاغتيال وهكذا ، ليخلو الجو لفكرته أو بضاعته .

وبالعكس من ذلك اذا كان الاجتماع مهيأً لفكرة أو صنعة ، تقبلهما بسرعة بل المجتمع في حال التحرك ، اسرع شيء الى استيعاب الافكار والصنائع ولذا نجد ان المجتمع الاسلامي في أول ظهور الاسلام ، رحب بكل فكرة صحيحة وبكل صناعة جديدة ، سواء استوردوا من مصر أو ايران أو الهند أو غيرها ، بل اضافوا عليهما بالقدر الممكن .

وقد ذكر بعض علماء الفلسفة ان علماء الاسلام الذين كانوا بصدد علم الفلسفة استوردوا مائتي مسألة، واضافوا عليها خمسمأة مسألة، حتى صارت مسائل الفلسفة عندهم سبعمأة فلسفة ولولا وقوف الامويين والعباسيين ثم العثمانيين سداً امام العلم والصنعة لكان العالم واصلا قبل قرون وقرون ، الى ما وصل اليه اليوم .

وكذلك نرى في هذا القرن تحول اليابان من بلد متخلف الى بلد صناعي يهابه حتى العالم الصناعي، لانها تمكّنت أن تستوعب العلم والصناعة في مدة وجيزة ، حيث اتيحت لها الحريات السياسية ، مما تمكنت بسببها من تفجير الطاقات ، وتقديم الكفاءات .

ومشكلة بلاد الاسلام اليوم ، نفس مشكلتها في زمن أولئك الخلفاء، حيث

الديكاتورية الشديدة، نعم تغيرت الصورة فالخليفة صار ملكاً وراثياً ، أورئيساً انقلابياً ، وكلاهما يخنق الشعب أبشع خنق ، وزاد اليوم استعمار الغرب والشرق للبلاد ، حيث أصبح الملوك والرؤساء عملاء صريحين في العمالة أو مغلفين بأغلفة من الشيوعية والبعثية والقومية والديمقراطية وما أشبه ، وما دام الامر كذلك فالتخلف باق، واسرائيل تزيد في الاغتصاب، وكل ماعدا الحريات السياسية و . . ليس الا شعاراً يختفي الديكتاتور ورائه .

والخط المائز بين الاستشارية والديكتاتورية، الاحزاب الحرة، والصحف الحرة ، والانتخابات الحرة و . . كل ذلك في نطاق الاسلام . . لا الخطابات والشعارات والمؤتمرات وما أشبه ، وقد ألمعنا الى بعض ذلك في كتاب [الفقه ـ السياسة] .

وكيف كان ، فالمجتمعات تتعاون بعضها مع بعض في اصدار واستيراد الثقافة الجديدة والصناعة الجديدة ، بل البشرية كلها تاريخ ممتد واحد للثقافة والصناعة ، ولذا نرى في كل حضارة آثار حضارة اخرى معاصرة أو ماضية ، وحتى في القرآن الحكيم ، كلمات من سائر اللغات ، وقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل الى اليمن وغيرها بعض المسلمين، ليتعلموا بعض الصناعات ، ولا غرو ، فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أين وجدها .

واذا نظرنا اليوم الى بلاد الاسلام ، نرى فيها الورق من الصين، والارقام من الهند ، وأقواس النصر من الرومان ، والمنطق من اليونان ، ونقابات العمال من اروبا في القرون الوسطى ، نعم كان شبه ذلك في الاسلام [كنقابة العلويين] والصناعات الحديثة من مختلف بلاد العالم المعاصر، الى غير ذلك وهكذا حال كل حضارة غبر عليها الزمان .

التـراث

ثم ان علماء الاجتماع اصطلحوا [التراث] على كل من الثقافة والصناعة التي يرثها الاخلاف من الاسلاف .. والتراث بحاجة الى الصيانة ، والا اندثر والى الانماء والا تأخر ، وكل من الصيانة والانماء بحاجة الى مؤهلات كثيرة ، من أهمها الحرية ، حيث تكون محلاخصباً للعمل ، والمؤسسات حيث تتعاون فيها القدرات في العمل ، ويكون لها الاستمرار وان تبدل فيها الافراد .

المخترعات الجديدة بين التأثير والتأثر

ثم اننا اذا لاحظنا الشيء الجديد في الاجتماع ، رأينا أحوالا خمسة :

(١ – ٢) التأثير المباشر في شيء أو أشياء .

(٣) والتأثير غير المباشر .

(٤) والتآثر ، أي تأثير جديدين كل منهما في الاخر .

(٥) وتأثير جملة امور في أمر واحد [اضافي : بالاصطلاح المنطقي] .

(فالاول) : مثل تأثير المفتحات الكهربائية التلفونية لابواب الدور ، في عدم احتياج صاحب الدار الى التحرك من مكانه ، لاجل فتح الباب .

و(الثاني) : مثل تأثير الراديو في التعليم والتربية وايقاظ الناس ، والتنزه واعطاه الاوامر الحربية الى الجبهات ، وغيرها .

و(الثالث) : مثل تأثير الطائرة الحربية ، مباشرة في تقوية الجهة التي تملكها كما أثرت تأثيراً غير مباشر في سياسة الدول ، حيث صارت الدولة القوية في نفسها – التي لاتملك الطائرة – ضعيفة في الملل ، والدولة الضعيفة – مع تملكها الطائرة – قوية ، فتولدت من الطائرة قوة الحرب ، ومن قوة الحرب ، قوة

السياسة ، وهكذا .

و(الرابع) : مثل تأثير الصحف والتلفزيون أحدهما في الاخر ، حيث ان التلفزيون تأخذ جملة من الاخبار وغيرها ، من الصحف ، والصحف بدورها تأخذ أشياء من التلفزيون لتنشرها على صفحاتها .

و(الخامس) : مثل تأثير الاوراق النقدية ، وأوراق القرضة ، والحوالات والكفالات ، والاعتمادات ، وغيرها في البنك ..

الفكر الجديد بين التأثير والتأثر

وكما تلاحظ الاقسام الخمسة بالنسبة الى الشيء الجديد ، كذلك تلاحظ كل الاقسام المذكورة بالنسبة الى [الفكر الجديد: كالقانون] فربما ولد القانون قانوناً آخر أو عدة قوانين، وربما ولّد قانون قانوناً، والقانون الولد ـ بدوره ـ يولد قانوناً آخر، وربما ولدت عدة قوانين قانوناً ، وربما أثر قانونان كل واحد منهما في الاخر :

(١) فالقانون الذي يولد قانوناً آخر، مثل قانون حرمة الخمر، حيث يولد قانون الحد لمن شربها .

(٢) والقانون الذي يولد قوانين متعددة مباشرة ، مثل قانون الزواج الذي يولد قانون النفقة وقانون الطلاق ، وقانون الملامسة ، وغيرها .

(٣) والقانون الذي يولد قانوناً مباشراً وقانوناً غير مباشر ، مثل قانون البيع ، فيما يوجب الربح ، حيث ان البيع أوله الملكية ، والملكية أولدت وجوب الخمس، [لان المعاملة اشتملت على الربح] .

(٤) والقانونان المؤثران كل منهما في الاخر، مثل قانوني الصوم والسفر فالسفر يوجب الافطار في شهر رمضان ، وشهر رمضان يوجب كراهة السفر.

(٥) والقوانين المتعددة التي توجب أثراً واحداً ، مثل قوانين البيع ،

والمضاربة ، والمزارعة،والارث،وغيرها، مما تؤثر في قانون الملكيةالفردية ـ بمعناها العرفي ـ .

ولايخفى انه يمكن نقد بعض الامثلة المذكورة ، الا انه حيث كانالمهم الالماع لم يراع في الامثلة الدقة .

الاقسام الخمسة فى . .

وكما يمكن الاقسام الخمسة بالنسبة الى الصنعة والقانون ،كذلك يمكن بالنسبة الى الظواهر الاخر، مثلا : [فيأشياء تؤثرفيشيء واحد] أربعة أشياء معاً سببت الاستعمار :

(١) حب السياسيين لتوسعة بلادهم .

(٢) رغبة الفاتحين للفتوحات ـ في الاستعمار العسكري ـ .

(٣) اهتمام الكنيسة لادخال الناس فى دينها ـ في الاستعمار الغربي ـ .

(٤) ولع الرأسماليين لفتح أسواق جديدة، ليشتروا منها المواد، ويبيعوا لها منتوجاتهم التي صنعتها معاملهم الكثيرة الانتاج .

و [في شيئين كل منهما يؤثر في الاخر] مثلا : الفقروالمرض، كل منهما يؤثر في الاخر، فالفقر يجلب المرض ، حيثان الفقير يضطر الى سوء التغذية والمرض يجلب الفقر، حيثان المريض لايتمكن من العمل الموجب للاجرة ونحوها ، وكلما زاد المرض زاد الفقر ، وكلما زاد الفقر زاد المرض .

وقد يكون التأثير المتقابل بين أكثر من شيئين مثل : [التفرقة اللونية ، في امريكا] و [اجرة العامل] و[قيمته الاجتماعية] فكلما زادت التفرقة قلّت الاجرة والقيمة ، وكلما زادت الاجرة قلّت التفرقة وزادت القيمة ، وكلما زادت القيمة قلّت التفرقة وزادت الاجرة .

[والشيء الواحد الذي يؤثر في أشياء] كالحرب تؤثر في الوضع السياسي والاقتصادى ، والاجتماعي ، فاذا نجحت ، قويت الدولة ، كما انها تحطّم

الاقتصاد، وتجعل المؤسسات الاجتماعية تغير أشكالها ، فمن أعضائها من يقتل ومن يرتفع ومن ينسحب .. واذا فشلت، ضعفت الدولة ، الى آخره .

فائدة معرفة التأثيرات المتبادلة للاشياء

ثم ان فائدة معرفة ان الفكر والقانون والظواهر الاجتماعيه، لها التأثيرات الخمسة المتقدمة ، هي المعرفة المستقبلية ، مما يسب عدم ارتطام الاجتماع ـ لاجل الجهالـة بالمستقبل ـ فقد تقدم ان الاجتماع اذا تحرك ، ولم يضبط بضوابط شديدة من الرؤية للمستقبل وجعل الحلول للمشاكل الناجمة ،انجر ذلك ، الى ترجرج الاجتماع ، و ربما الـى تصدعه، بمثل الحرب الاهليه ، أو تحطمه .

ويمكن ان يعد مثالا لذلك في العصر الحاضر .

(١) العراق، حيث انفقد ساسته ـ في ايام الملكيّين ـ الرؤية المستقبلية، سبب انقلاب قاسم ، ثم ترجرج العراق رجات شديدة لمدة ربع قرن ، اي الى اليوم .

(٢) واليمن، حيث فقد ساستها الرؤية المستقبلية فادى ذلك الى الانقلاب الذي أوجب حرباً اهلية ، ثم تقسيمها الـى دولتين بكل ويلاتهما التي دامت الى الوقت الحاضر .

(٣) وفلسطين ، حيث فقد ساستها الرؤية المستقبلية مما أدى الى اغتصاب اليهود لها ، وطرد أهلها ، وتحطمهم ، وارتطامهم في الوف المشاكل ، مما لا يعلم مداها الا الله سبحانه . . الى غير ذلك من الامثلة الكثيرة فى العصور الماضية ، وعصرنا الحاضر، والمستقبل مليء بذلك أيضاً ..

ولذا يجب على الامة أن تكون لها مدارس مستقبلية ، بالنسبة الى الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، ليستشف بها المستقبل فيعمل لذلك حتى لايبتلي بما يظنه مفاجئات .

التأثيرات المتبادلة بين الفكر والصنعة

ثم ان الثقافة الجديدة المادية [الصناعة] والثقافة المعنوية [الفكر] تؤثر في مثلها، في القانون .

(١) فالقانون يؤثر في القانون .

(٢) وفي المادة الخارجية .

(٣) والمادة تؤثر في المادة .

(٤) وفي القانون.. وهكذا بالنسبة الى سائر أقسام الفكر .

مثلا: قانون المرور يؤثر في قانون العقوبات، فلولم يكن قانون للمرور لم يكن قانون لعقوبة من خالف المرور.. وقانون عرض الشوارع بقدر خاص مقرر، يؤثر في صنع البيوت والدكاكين بعيداً عن الاخر في الاتجاه المقابل بقدر عرض قرره القانون.. والطائرات الحربية تؤثر في خراب المدن، كما ان طائرات المسافرين تؤثر في بناء المطارات.. وصنع السيارة يؤثر في جعل قوانين السرعة وماأشبه .

والامر بالنسبة الى غير القانون كذلك، مثلا: القواعد الرياضية تؤثر في صنع الصواريخ.. واختراع القنبلة الذرية تؤثر في قاعدة بناء الملاجىء، و هكذا .

وحيث هذا التشابك المعقد في الحياة اعتادت الحكومات الحاضرة على اجتماع ممثلين من كل الوزارات لاجل بناء مدينة جديدة لاستيعاب من يفقدون البيوت، لان هناك مسألة الارض، ومسألة الماء والكهرباء والتلفون، ومسألة مواد البناء، ومسألة المدارس والمستشفيات، ومسألة الشرطة والامن، والقاضي والمسجد، ومسألة الراديو والتلفزيون والصحف، ومسائل اخرمادية ومعنوية،

وكل جملة من تلك المسائل تتداخل مع جملة اخرى ، وكل فئة من تلك المسائل ترتبط بوزارة من وزارات الدولة .

ومع تشابك الافكار والماديات، فالدور الاول يكون للافكار، وذلك لان الفكر هو المسيطر على المادة لا العكس، وبالفكر تطور المادة، وتهيّيء لان تكون ملائمة للانسان، وان تعطي حاجاته من المأكل والملبس والمسكن و المركب وغيرها فان مثل الفكر مثل القائد، ومثل المادة، مثل الجندي المطيع وفي الحديث: (فكرة ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة) .

أقسام المجتمعات

(مسألة ـ ٣٨ ـ) الاجتماع على أربعة أقسام :

(١) المجتمع الجامد .

(٢) والمتحرك نحو النقص والانحراف .

(٣) والمتحرك نحو الكمال بأقدام ثابتة .

(٤) والمتحرك نحو الكمال بدون اسس ثابتة .

المجتمع الجامد

(١) أما المجتمع الجامد فهو الذي يقف في مكانه بدون تجديد في فكر أو صنعة، وهذا انما يمكن اذا كان المجتمع في محيط طبيعي وجغرافي خاص بعيداً عن المجتمعات البشرية والغزاة ، وكان مجتمعاً قليل الافراد، لانه اذا توفر فيه أحد الشرطين :

أ ـ أي كان قريباً الى المجتمعات البشرية ، فلم يكن محاطاً بالجبال و نحوها ممايقطعه عن الناس، أوكان في السهل، ولكن كان بعيداً عن المجتمعات البشرية لكونه في جزيرة، أوفي القطب، أونحو ذلك.. كان لابد من احتكاكه بسائر أفراد البشر ممايوجب خروجه عن الجمود .

ب ـ وكذا اذاكان مجتمعاً كثير الافراد، فان مثل هذا المجتمع لابد وان يظهر فيه المفكرون والنوابغ و التقدميون ، ولسعة المجتمع يكون ضبط

الجامدين له صعباً، فتظهر فيه الافكار الجديدة. وتبعاً لذلك تظهر فيه الصنائع الجديدة ولايبقى مجتمعاً جامداً .

وعليه فالمجتمع الصغير المنقطع هو الذي يبقى جامداً لانه لاتظهر فيه الافكار الجديدة لقلة أفراده وانقطاعه، ولو ظهرت خنقت لقوة المسيطرين عليه .

المجتمع المتسافل

(٢) والمجتمع المتحرك نحو النقص، المراد به المتحرك في الصنعة و نحوها، الا ان الفلسفة التي ينطلق منها المجتمع فلسفة التردى والهوى، كما اذا كان منطلقاً عن فلسفة قومية أو وطنية أو اقتصادية أوجنسية أو وجودية أو دكتاتورية، أوماأشبه .

أ ـ فان من يرجح قومه على من سواهم مهما كان قومه وضعاء ، ومن سواهم رفيعاً ، فقد نضبت فيه الانسانية ، واذا نضبت الانسانية تدرج الامر من ترجيح القوم الى ترجيح العشيرة، ثم ترجيح العائلة، ثم ترجيح النفس، ومثل هذا المجتمع خليق به ان يتحطم و تقع بين افراده الحروب والمنازعات الى الزوال .

وقد رأينا كيف ان القومية العربية تفرقت بلادها ، و حاربت بعضها البعض وذهبت ريحها ، مع وجود أكبر عدو مشترك بينهم وهو اسرائيل، لكن تصفية الحسابات التي انطلقت من فلسفة القومية لا تدع مجالا للتفكير الجدي المثمر في ماعداها ، وكذلك كان حال أعراب الجاهلية والفرس و الروم واروبا في القرون الوسطى وغيرها ... وحال الوطنية حال القومية في النتائج .

ب ـ والذي جعل منطلقه الفلسفة الاقتصادية لابدوان يبتلى بالانحراف مما

ينتهي الى تشقيق المجتمع الى طبقة الاغنياء الكثيرة الغنى وطبقة الفقراء الكثيرة الفقر من ناحية، ولابد له من ان يفحص الاغنياء عن الاسواق، خارج بلادهم مما يجرهم الى محاربة الامم المجاورة لفتح الاسواق في تلك البلاد، كما نرى كلتا الصفتين في كل من روسيا وامريكا ومن اشبههما .

ومثل هذا المجتمع يتخبط في الطبقية والثورات والحروب الداخلية والخارجية الى ان يسقط ، سواء طال الزمن أو قصر ، وقد رأينا كيف أقام هؤلاء حربين عالميتين في أقل من نصف قرن ، وكيف يستعدون الان لحرب ثالثة لاتبقى ولاتذر ، وكيف يستعمرون الشعوب ويشعلون فيها الحروب ، ويجيعون اكثر العالم لحساب ثرائهم .

ج ـ والذي ينطلق من فلسفة الجنس ، مثل فرويد واتباعه ، لايمكن أن يسموا أخلاقاً ، وان تقدم في ميادين الصناعة ، والاخلاق هي الموجبة لبقاء الامم ـ كما قال الشاعر :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وذلك لان الفلسفة الجنسية تشيع الاباحية التى تملأ فكر المجتمع ، فلا يبقى مجال للابداع والتقدم والرجولة والقدرة والمثابرة ، وقد هلك قوم لوط عليه السلام ، قديماً بذلك ، كما ان آلمانيا غزت فرنسا في الحرب العالمية الثانية بسهولة مذهلة، لمثل ذلك أيضاً .

د ـ أما من ينطلق عن فلسفة وجودية ، تتلخص في (ان وجودك كل شيء فافعل ماتقدر عليه) فلا بد له من ان يتبدد ، لانه ضد فلسفة التعاون [اعطاء حق الاخرين] فيصبح الاجتماع أفراداً غير مرتبطين، والاجتماع لايبقى الا بالتعاون.

هـ ـ والديكتاتورية تخمد الانفاس ، وتخنق الحريات، وتميت الكفاءات وتبدّد أوصال المجتمع ، ولذا لا يتمكن الاجتماع معها من الكمال والتقدم

ولم يتأخر ألف مليون مسلم مع منطقتهم الحسنة وثروتهم الطائلة ، ومبادئهم القيمة ،الا لابتلائهم بحكام مستبدين،حالوا بينهم وبين التقدم بينما تقدمغيرهم في الصناعـة ونحوها أشواطاً شاسعة .

وعليه ، فالمجتمع الذي تسلّط عليه الديكتاتورية ،ان كان متحركاً أخذ نحو النقص ، وان كان جامداً زاد جموداً ، وعلى كلا الحالين مصيره التردي في الهوى فالسقوط اذا لم يدركه التحول الاستشاري قبل فوات الاوان، ولذا رأينا كيف سقطت النازيـة والفاشية وغيرهما في العصر القريب .

وهنا سؤال ، انه اذا كانت الديكتاتورية موجبة للسقوط ، فلمـاذا بقيت الشيوعية ؟

والجواب : أما حكومة الصين ـ ذات الالف مليون ـ فقد سقطت ولـم يمر من عمرها الا ثلث قرن ، وأليس يكفي ذلك دليلا على سقوط الشيوعية؟ وأمـا حكومة روسيا فقد قاربت السقوط أبان الحرب العالمية الثانية ، وانمـا حالت بينها وبين السقوط الديمقراطيون ،ثم هي الان في شرف السقوط ، فان الغرب هو الذي تزودها بالقمح والتكنلوجيا ، ولو لا تلك المساعدة المستمرة كانت ساقطة الى الان ، ومع ذلك فـان جملة من السياسيين يعتقـدون قرب سقوطها بما لايزيد على عشر سنوات .

المجتمع المتصاعد ذى الاسس

(٣) والمجتمع المتحـرك نحو الكمـال باقدام ثابتة هو الذى ينطلق من فلسفة صحيحة ، كالتعاون ، والعلم ، والفضيلة ، والتقوى ، وحب الناس ، والانسانية، وابتغاء الخير، والحرية ، ونحوها .... وأخذ يعمل بتوئدة واتزان ومثابرة ، ومثل هذا المجتمع سيبقى ينمو ويزدهر ويتوسع الى ماشاء الله .

المجتمع المتصاعد بلا اسس

(٤) وأما المجتمع المتحرك نحو الكمال ،بدون اسس ثابتة ، فهو الذى ينطلق من فلسفة صحيحة بالنسبة الى السمو والانسانية ، ولكن لايرعى سلسلة المراتب ، والعمل بتوئدة ومثابرة ، ومثل هذا المجتمع خليق بالسقوط أيضاً لان العمل اذا لم يكن عن اتقان لم يبق راسخاً ، بل ينهار بعد مدة من الزمان وقد ورد عن رسول الله ﷺ : (رحم الله امرءاً عمل عملا فاتقنه) .

سمات المجتمع المتصاعد

ثم ان المجتمع المتصاعد لابد وان يكون التصاعد من ذاته ، سواء نبع التحرك في داخله تلقائياً ،أو نبع في داخلهبسبب اختلاطه بامم اخرى بالهجرة أو بالاسفار ، أو بالغزو ، أو ماأشبه ذلك ، واذا صار المجتمع متحركاً كان ذلك خارجاً عن ارادة أفراده ، وانما يزيد الاجتماع الفرد حماساً للتقدم ، وبدوره الفرد يصب تقدمه في شلال المجتمع ،ويكون حال الفرد والمجتمع – اذ ذاك – حال القطرة والنهر ، وأفراد الجنود والجيش بمجموعه .

وكل جديد فيالمجتمع المتصاعد يزيد الاجتماع تصاعداً وتحركاً الى الامام ، مثلا : اختراع التراكتور ، سبب اختراع سيارات آخر للدوس والحصاد والجمع والتسويق ، وكثر من البطالة ، حيث التراكتور تعملعمل فلاحين كثيرين ، وسبب ذلك ازدحام المدن ، حيث ان الفلاحين اخذوا يهاجرون الى المدن ليجدوا لقمة العيش بعد ان حرموا عن العمل الزراعي ، ومن الواضح ان ازدحام المدن يسبب عدة تحركات في الثقافة ، والبناء و والمواصلات ، وغيرها .

ملامح المجتمع الراكد

ثم انه في المجتمع الراكد يركد كل شيء ، ويسير الزمان بتؤده وبطوء وتخلو الحياة عن التجدد ، ويكون كل فكر جديد وحركة جديدة موضع الاعراض والازدراء والاستهزاء ، وان لم ينفع الاعراض في ردع من أتى بتلك الفكرة ، وتلك الصنعة ، حكم المجتمع عليه بالسجن والقتل ونحوهما.

وفي قبال المجتمع الراكد التفريطي : المجتمع المتحرك الفوضوى ، حيث لاميزان اطلاقاً فيسود الجهال ويعملون ما يحلو لهم ، وهذا المجتمع الافراطي معرض للسقوط السريع ، حيث يكون حاله حال السيارة التي تسير بسرعة بدون مقود ، فانها ترتطم في حركتها بما يوجب سقوطها وتهشمها . وانما المجتمع المعتدل هو الذى له اسس ثابتة واقعية ، وفي اطار تلك الاسس يتجدد ويتحرك ويبدع في الفكر والصنعة وما اليهما .

وبينما المجتمع المتحرك المتصاعد يجعل للتقدم جوائز ويشوق ، سواء من اكتشف فكراً جديداً أوصنعة جديدة، يقف المجتمع الساكن ضد أولئك بالتكفير والتشهير والعقوبات الجسدية وما الى ذلك ، فقد قال المجتمع الجاهل عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، انه ساحر ، وكاهن ، ومجنون ، ومسحور ، و شاعر ، وكافر ، وماالى ذلك ، وأرادوا ان يثبتوه او يقتلوه أو يخرجوه ، وفي القرن السابع عشر المسيحي لما اكتشف في عالم الغرب [1](هاروى)الدورة الدموية ، حاربه حتى الاطباء والمثقفين .

وقد وضع المقننون البريطانيون قانوناً يقتضى بمنع استعمال الفحم

---

(١) انما قلنا فى عالم الغرب ، لان الامام الصادق عليه السلام أول من ذكرهذا الشيء قبل هاروى بقرون.

الحجرى ، وقد عاقبوا بالاعدام بعض من استعمله ـ في أول زمان كشفه ـ و الى القرون الاخيرة كان الغرب يمنع المرأة حقوقها ، وكان من يتفوه بلزوم اعطائها حقوقها يطرد ويهان ، ويعاقب ، وقصة توبة [غاليلوا] معروفة ، الى غير ذلك .

أسباب مقاومة المجتمع الراكد للتجديد

وانما يقف الراكدون دون التجدد ، لعدة أسباب :

(١) التقدم يوجب تحطم امتياز أصحاب الامتيازات ، ولذا لما ظهر القطار خالفه أصحاب السيارات ، أشد المخالفة . . . وكذلك في أصحاب الامتيازات الاجتماعية والسياسية ، وغيرها .

(٢) يخاف الراكدون من انهم اذا أجازوا الجديد ، ان يجد المجتمع سبيلا الى جديد آخر ، مما يوجب تحطم الاجتماع بزعمهم .

(٣) وقد يكون المنع لخوف انه اذا انفتح الباب يصل الامر الى مالا يحمد عقباه ، مثل انه اذا استوردت بضاعة من بلد فلاني ، خيف من انفتاح الطريق أمامه ، مما ينجر الى استعمار البلد المصدّر للبلد المستورد ، ولذا كان الامام يحيى في اليمن يمنع استيراد البضائع الاجنبية خوفاً من استعمارهم لليمن .

(٤) لان الانسان يعتاد عمله ، بينما لايعتاد الشيء الجديد ، وكذلك في الفكر ، حال ذلك حال التقليد ، فيقف الانسان دون التجدد ، خوفاً على تحطم ما اعتاده ، ولذا كان الجاهليون يقولون :«انا وجدنا آبائنا على امة وانا على آثارهم مقتدون» وكانوا يقولون : «اجعل الالهة الها واحداً» .

(٥) أكثر الافكار الجديدة لاتكون عند ظهورها كاملة، وكذلك في الصناعة

حيث يكون كمال الفكر السابق أو مصنوعه ، موجباً لتوقف الناس عن أخذ الجديـد ، أو استعماله .

(٦)لايريد بعض الناس الاعتراف بتفوق المفكر فكراً جديداً،أو مخترع الصنع الجديـد، حسداً أو نحوه ، ولـذا يقفون سداً أمام فكره وعمله حتى لايلزمهم الاعتراف به ، ولذا قال أبو سفيان : كنا وقريش نطعم ونجير و . . ثم ظهر فيهم من يقول انا نبي!!.

(٧) يعتاد بعض الناس ان ينسوا سيئات الماضي ، ويروا حسناته ، بينما يرون سيئات الحـال ، ويستصغرون حسناته في قبال سيئاتـه ، ولذا لايريدون تحول الحال .

(٨)لان الامر الجديد يوجب انشقاق الاجتماع،ولايريد بعض المصلحين انشقاقه ،لانهم يرون ان وحدته أصلح من صلاح الفكر الجديد ، أو الصناعة الجديدة ، أو لانهم يرون الوحدة مطلقاً ، وان لم يروا الاصلحية ، ولذا يقفون دون الشيء الجديد .

(٩)لان الفكر الجديـد ،أو الشيء الجديد ضار حقيقة، فاللازم الوقوف دون تسربه .

(١٠) لان الصناعة الجديدة توجب تكاليف كثيرة ، مما يفر الناس منها ، وقد مثل بعضهم لذلـك بالمطر الاصطناعي ، فانه وان كان نافعـاً جداً الا انه حيث يكلف تكاليف كثيرة ينسحب الناس من استعماله .

(١١) لانهم يفكرون ان مجتمعنا خير، حيث لاقلق فيه ، ولا اضطراب ، فاللازم الحيلولة دون ان يتحول الـى مجتمع مضطرب يبعث على القلق .

ولايخفى ،ان بعض هذه المبررات صحيحة،كما ان بعضها غير صحيحة وقد يمكن جمع مبررين من المذكورات تحت جامع واحد،الا انا ذكرناها منفصلة حيث المنطلقات مختلفة . . .

نعم للتجديد

وكيف كان ، فاللازم على المفكرين والعقلاء فى الاجتماع ،ان يتعاملوا مع الفكر والصنعة الجديديـن على الاصل ، أي اصالة الحرية ، الا اذا كان ضاراً فيمنع ، كما ان الاصل السماح للانسان بالتجول ليلا ، أما اذا ظهر انه لص أوقف ، وربما يقال : بأن الاصل التوقيف ، الا ما خرج ، ويستدل لذلك بأن الامم المتأخرة اذا غزتها صناعات جديدة ، حولت البلاد الى مشاكل ، حيث طبقة تقبل على الصناعـة الجديدة ، وطبقة لاتقبل ، والطبقـة التى تقبل ترتبط بالخارج ، وذلك يسبب تغييراً في بعض عقيدتها،وفي بعض اقتصادياتها وفي بعض عاداتها .

واذا بالمجتمع يصبح ذا لونين في العقيـدة والاقتصاد والعادة والارتباط بالخارج ، وذلك مبعث النـزاع والشقاق ـ وكذلك بالنسبة الى تقبل الانظمة والافكار كالفكرة الحزبية والبرلمان وما أشبه،مما ينجر أخيراً الى الاستعمار.

وفيه(أولا): ان الدليل اخص من المدعى،حيث ليس الكلام في خصوص المجتمع المتأخر الفقيـر المعـرّض للاستعمار .

(وثانياً) : اللازم علاج الاخطار لا الوقـوف دون التقـدم الصحيح .

بين الجديد . . . والمؤسسات الاخرى

(مسألة ـ ٣٩ ـ) اذا ظهرت فكرة جديدة، أو صنعة جديدة وراجبتافي الاجتماع لابد وان تغير المؤسسات والقوانين بقدرها ـ كما تقدم الالماع اليه في المسألة السابقة ـ وتغيير الشيء الجديد للمؤسسات الاخر على أربعة أقسام :

(١) فسخ الشيء القديم ، وقيام الشيء الجديد مكانه .

(٢) ان يكون الشيء الجديد موجباً لاسرعية مؤسسة اخرى من سرعة تحرك الشيء الجديد .

(٣) بالعكس من الثاني بأن تكون المؤسسة الاخرى ابطؤ في السير من الشيء الجديد .

(٤) ان يتساوى الجديد والمؤسسة الاخرى فى الحركة .

وهذا المبحث له فائدتان :

(الاولى) : تلافي السرعة والبطؤ في المؤسسة الاخرى ، حيث تضر الاسرعية أو الابطئية أو المساواة فى الحركة بمايلزم تعديله .

(الثانية) : المعرفة المستقبلية لقدر مايلزم من تحرك مؤسسة اخرى ، بسبب الشيء الجديد ـ وسيأتي الكلام فيهما ـ .

الجديد . . قد ينسخ المؤسسة

(١) فما يوجب النسخ ، مثل السيارة حيث نسخت الاسفار بالدواب ، فهذا الشيء الجديد نسخ الشيء القديم ، وكذلك في القانون ، مثلا : لمّا

ظهرت السيارة في بريطانيا ، جعل قانون انه يلزم ان يمشي أمام السيارة رجل بيده لواء أحمر يهزه كي يتجنب المارة الطريق حتى لاتدهسهم السيارة ، ثم جيء بقانون جديد الغى بموجبه هذا القانون ، وفي الامثلة الاسلامية قانون أربعة اشهر وعشراً نسخ قانون [الى الحول] ـ بأي معنى فسرنا النسخ ـ .

. . وقد يوجب تسريع حركتها

(٢) وما يوجب تسريع حركة مؤسسة اخرى مثاله سيارة تسرع ، وتأتي سيارة اخرى تنافسها ، فتسرع أكثر من سرعة الاولى، وقد حدث هذا الشيء بالنسبة الى القمر الروسي لما اطلق في الخمسينات ، حيث سبب ان تغير امريكا مناهجها الدراسية، حتى لاتسبقها الروس ، وبذلك تمكنت لامن اطلاق القمر فحسب ، بل من ان تنزل الانسان على سطح القمر .

. . وقد يحركها ببطوء

(٣) أما الجديد الذي يوجب تحرك مؤسسة اخرى ، لكن يكون التحرك لها ابطؤ ، فهو كتوسعة المدن حيث اسرعت في الاونة الاخيرة ، وهي بالطبع تحرك المؤسسات المرتبطة بالاجتماع كالمدرسة والمسجد ومركز الشرطة والمستوصف والماء والكهرباء والتبليط والتلفون والمواصلات وغيرها، لكن الغالب ان هذه المؤسسات لاتتمكن ان تلحق المدن الجديدة بالسرعة التي تسيربها المدن الجديدة ، فترى أكثر المدن الجديدة في آسيا وافريقيا ـ بالاخص ـ تفقد القدر الكافي من المؤسسات التي تحتاج المدن الجديدة.

ومثال آخر: ان مؤسسة الاعلام [كالراديو والتلفزيون والصحف والكتب]

ومؤسسة النقل : [كالسيارة والطائرة والباخرة والقطار] ومؤسسة البضائع : [كمختلف الحاجيات، سواء في الاكل أو اللباس أو التجمل أوغيرها] اسرعت في العصر الحديث، مما خرقت الحدود الجغرافية ، وانطلقت لاتعرف الايصال نفسها الى كل العالم ، بينما الحدود الجغرافية لم تلحقها بالسرعة المطلوبة ، فهي بعد تقف دون ايصال تلك المؤسسات أنفسها الى العالم .

وليس سبب هذا البطؤ الان المؤسسة الحكومية وهي الحامية للحدود لم تتمكن ان تطور نفسها حسب مقتضيات العصر الحديث ، فلم تسرع في السير بالقدر المطلوب ، وجعلت السدود والقيود أمام سرعة تلك المؤسسات: ولذا فالصيغة الملائمة للحكومة بعد سرعة تلك المؤسسات ان تسقط الحدود، وانما يكون شأن الدولة : اعمالها الاصيلة من حفظ العدالة ، واجراء عدالة القضاء ، والتقديم بالامة الى الامام، والسوق الاروبية المشتركة قدخطت بعض الخطوات في هذا السبيل ، لكنها لاتكفي بالمطلوب حتى بالنسبة الى أعضاء السوق ، فكيف بكل العالم . . أما البلاد الاسلامية فهي من أكثر البلاد تأخراً في هذه الناحية .

وقد يحركها بشكل متساو

(٤) والمؤسسة الجديدة التي توجب سرعة لمؤسسة اخرى مساوية لسرعة الجديدة ، فهي ككثير من المؤسسات الموازية للاخرى في السرعة في العمل .. واذا لم يحصل التناسب بين الجديد، وبين مؤسسة اخرى يجب ان تعمل متناسقة مع الجديد ، حصل الانفصام الضار ، كما تقدم في مسألة سابقة ، مثلا : اذا صنعت المدينة الجديدة ، ولم يكن لها مركز الشرطة ، صارت معرضة لعدم الامن من جهة اللصوص ، أواذا لم تفتح لها مدرسة صارت معرضة لامية أبنائها مايهدد مستقبلهم وهكذا .

المعطيات

أما الفائدتان :

(فالاولى): وهي تلافي السرعة ، فانها تكون اذا عرفت كيفية الارتباط بين المؤسستين و كمية مقدار الحاجة ، مثلا : اذا شرعنا في صنع معمل كبير ، يستهلك بنائه عشر سنوات لابدوان يلاحظ انه كم يحتاج من المثقفين عدداً ؟ و كم يجب انيكون مستوى معلوماتهم كيفاً ، وبتلك المناسبة نبنى مدرسة الى جنب المعمل ، فاذا كان عدد طلابها أكثر من المطلوب كان معناه ان المؤسسة المرتبطة بالمعمل: [المؤسسة الجديدة] أكثرت السرعة ، كما ان العكس معناه انها ابطئت في السرعة المطلوبة .

(والثانية) : وهي المعرفة المستقبلية ، انما يمكن اذا عرف .

(١) الشيء الجديد كماً و كيفاً .

(٢) وعرف مايحدثه في المستقبل ، معرفة حسب الموازنة العلمية، مثلا من كان يرى السيارة كان يعرف انها توجب توسيع الطرق، مثلا : فاذا عرف الامر ان يلزم وضع خطط المستقبل ، بحيث تلائم بين الشيء الجديد ، وبين سائر المؤسسات والقوانين.

والفرق بين الاولى ، والثانية، ان الاولى بصدد ايقاع التناسب بين الشيء الجديد ، وبين الامور فى الحال ، والثانية بصدد التناسب بينه وبين الامور المستقبلية ، والحاصل لزوم التنسيق بين الشيء الجديد ، وبين مايرتبط به في الحال والمستقبل .

التغيير بين الارادة البشرية وعامل الزمن

ثم ان النسخ والتغيير ـ كما تقدما في (١ ـ ٤) ـ قديتركان لعامل الزمن وقديساعدان حتى يدخلاه الاجتماع في اقرب وقت ممكن ، وبأقل قدر ممكن من صرف الطاقات، والثانى أولى لانفيه عدمهدر طاقات يمكن الاستفادة منها، مثلا : اذا وضعنا المعمل ولم نعجل في فتح المدرسة لاجله ، مرت عشرات السنوات حتى تكون مدرسة منتجة لاحتياجات المعمل ـ فى المثال المتقدم ـ وفي ذلك هدر طاقات المعمل ، وحرمان الانسان عن فوائد نتائج المعمل في المدة القريبة .

ثم ان استجابة المؤسسات الملائمة ـ نسخاً أو تغييراً ـ للشيء الجديد، كثيراً ماتكون حسب مرور الزمان ، وباختلاف نوعية المؤسسات المستجيبة سرعة وبطوءاً ، كمالا ونقصاً ، مثلا صنع السيارة يغير من مؤسسات وقوانين ـ أي اموراً مادية ومعنوية ـ مثل تغيير الشوارع والازقة والدور ، وكيفية التنزه والمجيء الى العمل من مسافات بعيدة، ووظائف شرطة المرور والمحاكم ، والخطر على الفتيات ، حيث يمكن اختطافهن أو يمكن اغرائهن مما يلزم تحصينهن امام هذا الخطر ، وامكانية ارتكاب الجريمة بصورة اسهل، وغير ذلك، ومن الواضح ان كل ذلك لايمكن تنسيقه بمجرد صنع السيارة ، بل هي أيضاً تتدرج فلا يتزامن وجودها وكمالها في وقت واحد .

وكذلك اختراع القنبلة الذرية ، تغير في سياسة الدول ، وامكان الهجوم والدفاع وصنع الملاجيء ،وميزانية الدولة الصانعة لها ، حيث انها تؤثرعلى جعل الميزانية لسائر الامور كالتعليم والصحة وغيرهما ، لكن هل كل ذلك يمكن مع اختراع القنبلة ، أو هل تكون كل تلك في زمان واحد ؟؟

فقدان التناسق بين المؤسسات

ثم انـه قد يمنع التغيير فى المؤسسـات ونحوها حسب مـايلائم الامر الجديد ، مثلا :

حصل فى الصناعة تقدم كبير ، بينما لم يحصل بقدره تقدم فى الاجور وذلك لان الرأسمالية المنحرفة تريد ان تمتص كـل ما يمكن من الفائدة ، و لاتستعد لتغيير قانون المؤجر والمستأجر ـ حسب العدل ـ تنسيقاً مع التغيير الحادث فى اجهزة الانتاج .

ومن أقسام عدم التناسق بين المؤسسات عدم نظر الدولة الى البلاد التى تحت نفوذها بنظرة واحدة ، لامر طائفي أو عرقى ، أو لوني ، أو مـا أشبه ، فيكون نصيب بعض البلاد من الحضارة أكثر من نصيب غيره، وذلك يوجب الخطر على الدولة ، حيث ان البلد المحروم يأخذ في التمـلمل حتى يوجد مشكلة للدولة ، وأحياناً ينتهي بسقوط الدولة ، سواء في الدولة الديمقراطية ، أو الديكتاتورية ، منتهى الفرق انه في الديكتاتورية يكون السقوط بالسلاح ، وفي غيرها بالتسبيب من سحب الثقة عنها، ممايوجب سقوطها أو عدم انتخابها لمرة اخرى .

ومن أقسام عدم التناسق أيضاً ان يكون العقاب للمجرم بالمستوى اللائق بينما لم يكن التعليـم والتربية ورفـع الاحتياجـات بالمستوى الـلائق ، اذ الحرمان محل ولادة الاجرام ، فعدم رفع الحرمان مع جعل العقاب الصـارم للاجرام ، ليس فقط لايقطع جذور الاجرام، بل يجعله مضاعفاً، حيث يتحدى المجرمون السلطة بالاجرام ،ولذا ورد فى الشريعة عدم العقاب الصارم للسارق أيام المخمصة، وللمجرم المضطر الى الجريمة الى غيرهما ،وقد ورد فى المثل (كلما فتحت مدرسة اغلق سجن) و (كلما فتحت تعاونية اغلق مستشفى) .

متى يلزم التنسيق بين المؤسسات

ولايخفى ان ماتقدم من لزوم التنسيق بين المؤسسات اذا اسرعت مؤسسة في التقدم انما يصح اذا كانت سرعة تلك المؤسسة سرعة صحيحة، أما اذا كانت سرعة غير صحيحة لزم التخفيف من سرعتها لا اسراع سائر المؤسسات حتى يحصل التناسق بينها وبين سائر المؤسسات .

مثلا : السرعة في انتاج البضائع ، قد تكون غير صحيحة لانها تكون فوق قدر احتياج الانسان ، مثلا : الانسان يحتاج الى مليون سيارة كل شهر فاذا أسرعت المعامل في انتاج مليون ومائة ألف سيارة كل شهر كانت زيادة المائة ألف باطلة ، فمن اللازم حذفها لا تسريع المؤسسات المرتبطة بانتاج السيارات حسب سرعة معمل الانتاج ، اذ الاسراع للمعمل حينئذ معناه .

(١) هدر المواد بينما المواد وضعت لحاجات اخر ، أو لاجيال اخر [اذا فرض وجود كل الحاجات الاخر ، مما لايبقى مجال لصرف المواد في الحاجات الاخر] .

(٢) هدر الطاقات البشرية ،فلماذا تصرف الطاقات فيما لاينفع ، بل اللازم صرفها في حاجيات اخر ، واذا فرض عدم الحاجة لصرف الطاقات البشرية في الحاجات الاخر ، يلزم ان تصرف تلك الطاقات في تقدم العلم ، وفي العبادة ، وفي التنزه ، وفي ما أشبه ذلك .

وكالسرعة في ما ذكرناه [أي لزوم ان يخفف من السرعة ، لا ان تنسق السرعة مع المؤسسات الاخر] المؤسسات الهدمية أمثال صنع السلاح، و مؤسسات اختراع السلاح ، والمؤسسات التي تخدم السلاح ، كمؤسسات التنقيب عن مواد السلاح، و المؤسسات التي تحمل وتنقل و تخزن وتحفظ السلاح، فان اللازم ملاحظة قدر الحاجة الملحة منها، وصرف مازاد ـ مادة

وطاقة بشرية ـ في غيرها ، فان السلاح ضرورة والضرورات تقدر بقدرها.

وكذلك حال السرعة في صنع المؤسسات المحتاج اليها بيد الدولة فانها سرعة غير صحيحة، فليس اللازم تنسيق سائر المؤسسات الحكومية حسب سرعة تلك المؤسسات، بل اللازم عدم تدخل الحكومة في المؤسسات غير المرتبطة بها ، وانما تكلها الحكومة الى الشعب فهم يقومون ببنائها ، وانما تكون الحكومة مشرفة لعدم اجحافها ـ كماتقدم في مسألة سابقة ـ واذا لم يقم الشعب ببنائها بنتها الدولة، ثم تبيعها الى التجار ليقوموا بشئونها فلايثقل كاهل الدولة بها.. الى غيرذلك .

فان كلا من العلم والعمل [كعلم وعمل اختراع وصنع السلاح، وكعمل المؤسسات التي لاترتبط بالحكومة] يحتاج الى الاعتدال بأن لايكون افراط ولاتفريط، والمؤسسات الدينية والاخلاقية والقوانين المنبثقة منهما، هي التي تتمكن من حفظ الاعتدال، وسر مانراه اليوم من الانحرافات في كلا مجالي العلم والعمل، هو ضعف المؤسسات الدينية والاخلاقية ، وهو نتيجة طبيعية لمنطلق الغرب والشرق في فلسفتهما، حيث ان فلسفة الغرب : [دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله] .

وفلسفة الشرق: اللاءات الخمسة: (لادين، لااخلاق ، لا حرية، لا عائلة، لا ملكية) ومن يحذف من قاموسه الدين والاخلاق،ومن يمنع الدين والاخلاق عن التدخل في الحياة اليومية، من الطبيعي ان يصل الى ماوصلا اليه .

تحطم المؤسسات

ثم ان النظم في المؤسسة قديتعرض لخطر الانفراط، واذا انفرط كان سبباً لتحطم المؤسسة، مثلا: اذا هاجم جيش المدينة، أوحدث زلزال، أوجاء

سيل جارف، فانه يحطم النظم في نفس المدينة ومؤسساتـه، فربما يطول أمد التحطم ، مما يسبـب زوال المؤسسة، وربما يكون موقتاً ، مما يرجع النظم الى المؤسسة، ولو بعد الترميم لمانقص منها.. وليس من قبيل التحطيم، مـا اذا توقف العمال عن العمل لاجل الاضراب، مثلا: فانـه وان أحدث اللانظم، الا انه ليس بتحطيم، وكذلك اذا ذهبوا لاجل استقبال أوعزاء ، أوعرس، أو ماأشبه .

وانما نذكر [التحطم في المؤسسة] لبيان المشابهة بين [الجديدالبنائي] و[الجديد الهدمي] فكما ان الجديد فيمؤسسة يوجب تجديد سائرالمؤسسات المناسبة مع تلك المؤسسة ـ على ماتقدم ـ كذلك الهدم في مؤسسة يوجب الهدم في سائر المؤسسات المرتبـطة ، مثلا: اذا خرب فيضان البحر الميناء، توقفت [بسبب توقف الميناء] المؤسسات المرتبطة، بالميناء، سواء كانت قبل الميناء كمجيء الباخرات، أوبعد الميناء كالشركات العاملة المبنية على حركة الميناء .

فكما ان اللازم في مؤسسة جديدة تنسيق مؤسسات معها، كذلك اللازم في مؤسسة مهدومة العمل فيسائر المؤسسات المرتبطة بها بمالايسبب انحرافاً أوعطباً، مثلا: اذا اضرب القصابون عن بيع اللحم، كان اللازم توقف المجزرة عن الذبح ، والا لزم تعفن اللحوم، الا ان تجد المجزرة متنـفساً آخر لبيع لحومها .

ثم الغالب ان تتكون منظمة جديدة، لانقاذ المؤسسة المهدومة، سواء كان هدماً بكارثة أوبعمل انساني ، مثلا : اذا ضرب الزلزال مدينـة ، تكونت فرق الانقاذ ، واذا اضرب العمال تكونت فرق الاصلاح لاجل الصلح بين العمال المضربين ، وبين الدولة أوالشركة التي يعمل العمال لاجلها .

والتخريب قد يكون كارثة ، وقد يكون انسانياً موقتاً ، كالمظاهرات و الاضرابات الموقتة، وقديكون بعمل مؤسسة :

(١) صغيرة كجماعة من اللصوص اتخذوا مغارة أوغابة، للانقضاض على القوافل .

(٢) أو كبيرة كحزب سري هدفه هدم الدولة، وكل واحد منهما يغير من المؤسسات المرتبطة بهما، مثلا: في جماعة اللصوص، تضطر السيارات الى تغيير الطريق، أواستصحاب النجدة في السفر .

وفى الحزب السرى تضطر الدولة الى تغييرات واسعة أحياناً ، مثل اصطحاب كل أعضاء الدولة السلاح ـ واحياناً المسلحين ـ لاجل سلامتهم عن الاغتيال، ومثل جعل قوانين ومحاكم خاصة لافراد الحزب ، ومثل تشكيل معسكرات الاعتقال ومثل تكوين جمعيات الشباب لتمتص فائض الشباب الذين يلحقون بالحزب المذكور اذا لم يجدوا متنفساً لطاقاتهم الى غير ذلك . . والغالب ان الارهاب المضاد من الدولة للارهابيين لايزيد الامر الا اعضالا ، وانما اللازم حل المشكلة بالتي هي أحسن .

والمؤسسة سواء كانت انسانية أو صناعية ،يمكن ان تكون حسنة كمؤسسة الاطباء لعلاج الفقراء ، وكمعمل صنع اللوازم المنزلية ، ويمكن ان تكون سيئة ، كمؤسسة ارهابية ، ليس من ورائها هدف شريف يرجح على الارهاب وكمصنع عصر العنب خمراً ، فاللازم ان ينظر الى الهدف ، ولذا فاذا كان الاضراب والمظاهرات [وهو تخريب وقتى على ماتقدم] يقصد منه انصاف العمال فى اجورهم كان حسناً ، وان قصد منه تخريب دولة صحيحة قائمة ،أو اباحة الفحشاء والمنكر وماأشبه ، كان سيئاً .

أنواع التحطيم

ثم ان هدم مؤسسة غير انسانية ، قد يكون بافساد اجزائها، كما اذا حطمت السيارة ، حيث لايمكن تجميع أجزائها من جديد، وقد لايكون بالافساد ، كما اذا فلت أجزاء السيارة ، فان اجزائها تجمع من جديد ، وكذلك حال المؤسسة الانسانية ، فقد تفل اجزائها بالبعثرة والتفكيك ،وحينئذ يمكن الجمع والتنظيم من جديد ، وقد تفل أجزائها بغسل المخ ، حيث تنقطع العلاقة النفسية بينهم وبين المؤسسة ، وحال هذا كحال تحطم أجزاء السيارة ، حيث لايمكن جمعها من جديد .

وأحياناً يكون فل المؤسسة الانسانية لاجل ان الهدف قد حصل ، كما اذا اسست لاجل انقاذ المنكوبين في زلزال وما أشبه ، فحيث ينتهي الهدف ، تنتهى المؤسسة ، أو تفل لاجل برودة أعضائها ، أو لاجل انهم يشعرون باستحالة السير الى الهدف لاعتراض مشاكل فى طريقهم ، أو ما أشبه ذلك .

والغالب ان المؤسسات الانسانية تتحول الى مؤسسات سياسية عند الاوقات السياسية ،ولذا نجد انه بعد قصة التنباك في ايران كثرت المؤسسات التربوية والادبية وما أشبه ،فلما صارت قصة المشروطة ، تحولت كل تلك المؤسسات الى مؤسسات سياسية ، وكذلك حال المؤسسات الاقتصادية ، حيث تتحول الى مؤسسات حربية اذا شنّت حرب على البلد .

آثار التحطيم القسرى للمؤسسات

واذا حطمت مؤسسة انسانية بالقسر،فاذا كانت العلاقة بين أفرادها شديدة سبب التحطيم آثاراً سيئة في نفوس أفرادها ، بخلاف ما اذا لم تكن العلاقة

شديدة ، مثلا : اذا حطمت عائلة بالطلاق أو بقتل الدولة رئيس العائلة أو ما أشبه،أثر ذلك في أفراد العائلة تأثيراً سيئاً،ينتهي أحياناً الى الانحراف والعقد النفسية ، بل الى الجنون أحياناً ، أما اذا حطمت مؤسسة تربوية ، كما اذا اغلقت الدولة جمعية خيرية للتربية أو ما أشبه ،لم يؤثر التحطيم ذلك الاثر البالغ في أفراد المؤسسة .

واذا فرض تحطم الاجتماع،فان ذلك يؤثر تأثيراً كبيراً في أفراده، كما شاهدناه في العصر القريب بالنسبة الى الشعب الفلسطيني الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق حيث حدث فيهم ما حدث ، مما هو معلوم لايحتاج الى التفصيل .

ثم ان المؤسسة اذا حطمت بالقسر،فان كان أفرادها قد تمرنوا على النظم والعمل ، أوجد كل فرد منهم في المستقبل كياناً خاصاً ، اما من قبيل نفس تلك المؤسسة ، أو ما أشبه تلك في كونها عملا منظماً باندفاع ، وان لم يكن التمرن ، أخذ كل فرد طريقه الى أعماله الخاصة .

كما ان المجتمع اذا تحطم :

(١)فان كان مجتمعاً تصاعدياً متحركاً قبل التحطم لم يؤثر التحطم عليه كثيراً ، وذلك لان الحركة التي صارت داخله في كيانه توجب التحام أجزائه من جديد،فلا لا يترك التحطم عليه أثراً عميقاً،أما اذا كان مجتمعاً جامداً قبل ذلك أثر التحطيم فيه أثراً شديداً، ولذا نجد ان الامة الاسلامية لما تحطمت على أيدي المغول أثر التحطيم فيهم أسوء الاثر،حيث ان الخلافة العباسية كانت قد فسدت وافسدت وترهلت وجمدت الطاقات،فلما تحطمت البلاد أثر التحطم في الامة أسوء الاثر ، وكذلك حال تحطم الخلافة العثمانية أمام غزو الصليبية والصهيونية والشيوعية .

أسباب تحطم المجتمع

ثم انه يسبب تحطم الاجتماع أمران :

(١) المشكلات التي تنبع من خارج الاجتماع، مثل غزو الاعداء ، والسيل والبركان ، والزلزلة ، والجفاف بسبب قلة الامطار، أوان يصبح المحل مستنقعاً أوما اشبه ذلك، فان الاجتماع مهما كان رصيناً ومتعاوناً لايتمكن ان يقاوم مع وجود هذه العوامل، فالاعداء يحولون البلد يباباً، واذا تواتر السيل أو انفجار البركان ، أو الزلزلة على محل يرى أهله ان لا فائدة من بقائهم هناك ، وبذلك يتشتتون وهكذا اذا جف البلد أوصار مستنقعاً ، حيث قلة الارزاق والامراض .

ولمثل هذه الاسباب خربت الكوفة بعد ان ازدهرت حتى وصل نفوس أهلها زهاء أربعة ملايين ، فان حرب النهروان وصفين فرضتا على الكوفة ـ ثم حرب ابن زياد ضد الامام الحسين عليه السلام وحرب الشام للمختار (ره) وحرب ابن الزبير، وحرب التوابين، والحرب على ابن الزبير، وحرب زيد (ره) وحرب العباسيين على الامويين ، كل هذه الحروب جعلت من الكوفة محل تزلزل وعدم اطمينان ، ولذا تشتت اهلها .

وهكذا يذكر التاريخ مدناً تشتت أهلها من جراء الزلازل والبراكين وما أشبه ، وتشتت أهل سباء بعد تحطم السد ، مما لم يبق لهم رزق .

(٢) المشكلات التي تنبع من داخل الاجتماع، كما اذا وقعت بين المجتمع فرقة كبيرة سببت التنازع والمشكلات الدائمة لهم، فان الانسان انما يفتش عن الامن والراحة والاحترام والحرية، فاذا فقد أمثال هذه الامور ذهب طالباً للمكان المناسب فينيخ رحله هناك ، حيث يرى الاستقرار والرفاه .

مقومات بقاء المجتمع

ثم ان الاجتماع اذا بني بدون مقومات، لامر طاري، لم يمض زمان الا ويتحطم ذلك الاجتماع ، بخلاف ما اذا بنى الاجتماع ـ ولو لامر طارى ـ لكن كانت له مقومات البقاء، ومقومات البقاء ، أما أمر معنوي ، أو أمر مادي ، فمثلا: سامراء بنيت في زمان العباسيين لامر طاري رآه الخليفة ، وحيث لم يكن لها مقومات من الزراعة والصناعة والثروة المعدنية وكونها في طريق القوافل وما أشبه ، لم يمض زمان والا تحطمت وتحطم معها الاجتماع، بخلاف البصرة فانها بنيت واثرت وكانت في ملتقى الطرق ، ولذا بقيت قائمة الى الان .

أما الامر المعنوي ، فهو مثل كونه محل تقديس الناس ومرتبطاً بقلوبهم، مثل الكعبة المعظمة .

قال سبحانه عن لسان ابراهيم عليه السلام : « ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غيرذي زرع »فانها بنيت على التوحيد،ومثل النجف وكربلاء والكاظمية وخراسان فان كونها مدفن الامام المعصوم حولها الى مدن عامرة ، وكذلك حال المدينة المنورة ، فان النبي صلى الله عليه وآله وردها وهي تحتوى على عشرة آلاف انسان، كما يذكره بعض التواريخ ، ثم تحولت الى مدينة عامرة والى الان .

ولـولا التفرقة المذهبية الشديدة في كل من المدينة المنورة ، وسامراء ـ حيث مدفن الامامين عليهما السلام وحيث السرداب المقدس ـ لكانت هاتان المدينتان من أكبر المدن ، فكلتاهما مهوى قلوب مآت الملايين من الناس .

ثم ان المجتمع الذي يعيش على استعمار الشعوب، أو على مبادى سيئة، أو على الديكتاتورية، لايمضى زمان الا ويتحطم، كما تحطمت بريطانيا وتركيا والمانيا وذلك لان الاولى اعتمدت على خيرات غيرها ، فاذا خرج الغير عن ربقة

الاستعمار تحطم ، والثانية اعتمدت على التفرقة الشديدة المذهبية والعرقية ، والثالثة مارست الديكتاتورية . . ومن أجل ذلك يرى المراقبون تحطم روسيا حيث الاستعمار للشعوب، وحيث الديكتاتورية، أما امريكا فهي الاخرى معرضة للتحطم ، حيث تفاوت الطبقات الحاد في داخلها ، فان الانتاج ارتفع ارتفاعاً كبيراً ، بينما لايستفيد منه الا الرأسماليون، أما الطبقة الكادحة فلهم أقل من لقمة العيش، هذا بالاضافة الى أعمالها اللاانسانية في كثير من بلاد العالم وغير ذلك.

بين الجديد والقديم

(مسألة ـ ٤٠ ـ)اذا تجدد طرف من الاجتماع لاجل تجديد في الفكر أو في الصنعة ،وقع في الاجتماع نوع من الفرقة ، قسم يؤيد الطرف الجديد ، وقسم يؤيد الطرف القديم ، وحيث لايمكن للاجتماع ان يعيش في تنازع دائم كان لابدمن احدى ثلاثة أشياء :

(١) سحب الجديد القديم معه ، حتى يتلون الكل بلون الجديد .

(٢) سحب القديم الجديد معه، حتى يرجع الاجتماع الى لونه السابق .

(٣) جعل حل وسط يتنازل الجديد عن بعض لونه ، والقديم عن بعض لونه حتى يتلون الاجتماع بلون وسط لاحدة فيه لاحد من لوني الجديد والقديم.

فمثلا: لما جاء الاسلام الى الجزيرة حصل الاختلاف ، لكن الاسلام تمكن ان يسحب اللون الوثني القديم الى نفسه فطبع الكل بطابع الاسلام ، وانسحب أمامه الوثنية . . ولمـا جائت البرتستانية الى العالم المسيحي ، حصل الحل الوسط بين الكاثوليكية ، وهي، فلم يتمكن الجديد ان يهزم القديم ولا العكس وحيث جائت الشيوعية الى المانيا الغربية ، وغيرها من جملة من بلاد الغرب لم تتمكن من البقاء ، وانما سجتها الرأسمالية الى لون نفسها مما سبب تلون الجميع بلون الرأسمالية .

وعلى أي حال ، فالاجتماع لابد له من ان يسترجع وحدته التي تحطمت بسبب تلون قسم منه بلون جديد ، وقسم منه بلون قديم ، من غير فرق بين ان يكون كلاهما باطلا ، أو أحدهما حقاً... لكن من طبيعة الاجتماع سحب الحق

منهما ـ اذا كان احدهما حقاً ـ البساط من تحت الباطل، والزمن يكفله ، وان كان أحياناً يميل الاجتماع الى الباطل ، الا ان الحق لابد وان ينتصر أخيراً .

نظرة على الحركات الاصلاحية

ثم ان الحركات التجديدية تنقسم الى قسمين :

(١) الحركات الاصلاحية .

(٢) والحركات الانقلابية .

أما الحركات الاصلاحية فهي حركات بطيئة السير ، ترتبط غالباً بجانب خاص من الحياة ، مثل حركة اخراج المرأة عن هضم حقوقها، أو حركة اخراج المرأة من الميوعة والفساد الى العفة والصلاح .

وحركة تعميم العلم ضد الامية ، أو الصناعة ضد الوسائل البدائية ، أو تعميم الصحة ضد شيوع المرض ، أو تجديد المدن والقرى ، أوما أشبه ذلك.. بخلاف الحركات الانقلابية ، حيث انها حركات سريعة السير تقصد الاطاحة بالنظام القائم ليأتي نظام جديد مكانه في كل أبعاد الحياة ، وسيأتي الكلام حول هذا القسم الثاني ، والكلام الان حول الحركات الاصلاحية .

والحركة الاصلاحية لاتكون الا بمقدمات هي :

(١) التجدد في جانب من جوانب الحياة .

(٢) تأخر الجوانب الاخرى من الحياة ، مثل حصول التعلم للرجال ، والتأخر في هذا الباب للنساء مثلا .

(٣) التفكر في لزوم تجديد الاجتماع بكون المرأة كالرجل في العلم .

(٤) تفهم انه كيف يمكن التجديد في هذا الجانب المتأخر حتى يتلون الاجتماع بلون واحد ينتشل عن الفرقة وعن كونه ذا لونين ؟ .

(٥) تهيئة الاسباب اللازمة لمثل هذا الاصلاح .

ولايخفى، ان ليس المراد بالاصلاح الاطار الواحد، بل يشمل التجديد وان اختلفت اطره، مثلا : اذا تجددت مدينة وكان النقص في المدرسة و المستوصف ومركز الشرطة لها، كانت الحركة لاجل تكميل هذه الاشياء حركة اصلاحية، فلايلزم أن يكون الاصلاح من قبيل تعليم المرأة مساوقاً لتعليم الرجل [مما يدخل كلاهما في اطار التعليم] وهكذا .

موقف الحكومات تجاه الحركات الاصلاحية

وقد كانت الحكومات تقف في العصور السابقة أمام الحركات الاصلاحية أما لاجل ان الحركة تأخذ من الحكومة بعض امتيازاتها، وأما لاجل ان الحركة تريد سحب المال ونحوه من الحكومة ، ولم تكن الحكومة تسمح بحركة الاصلاح الا اذا خافت الانقلاب أو نحو ذلك مما تراه أضر من الاصلاح، مثلا: [مظفر الدين] في ايران لم يستعد لاعطاء الامة [مجلس الشورى] الذي طلبه الشعب لاجل تقييد شيء من ديكتاتوريته ، الا بعد أن توجهت الامة الى قلب النظام من الملكية الى الجمهورية، الى غير ذلك من الامثلة .

والحكومات في العصر الحاضر جعلت الاصلاح من برامجها أما لانها حكومات ديمقراطية [ولو في الجملة] ومن المعلوم ان الناس يريدون اصلاح بلادهم وتقديم امورهم، وأما لانها حكومات دكتاتورية تخاف من الانقلاب في بلادها اذا لم تقم بالاصلاح، والاصلاح يكون بالهندسة الاجتماعية، أي التخطيط الاجتماعي برسم خريطة عامة للبلاد في الحال الحاضر، وخريطة اخرى للبلاد في المستقبل مما ينبغي أن تكون البلاد عليها، ثم جعل الاصلاح حسب الخريطة المترقبة، وهذا قد يكون بالنسبة الى النواقص ، وقد يكون

بالنسبة الى التكامل .

مثلا : في بلاد عجز خمسين في المائة من جهة التعليم، وثمانين في المأة من جهة الصحة، وعشرين في المائة من جهة الامن، تخصص الحكومة خريطة مستقبلية لاجل سد هذه النواقص وتخصص لها الميزانية والجزاء وغيرهما لكل عجز بقدره.. أو ان البلاد لاعجز فيها ، وانما المهم تجميلها بمايحتاج الى عشرة في المائة، وتسليحها بما يحتاج الى خمسين في المائة ، وتطوير الصناعة فيها بمايحتاج الى أربعين في المأة وهكذا .

التخطيط الدكتاتورى أم التخطيط الاستشارى ؟

ثم الامر في التخطيط دائر بين :

(١) التخطيط الديكتاتوري، حيث تخطط الدولة وتسلب الناس حرياتهم لاجل تنفيذ ذلك المخطط، وهذا النوع من المخطط يسير سيراً حسناً حسب ارادة الدولة، لكن فيه نقصان :

أ ـ انه يجعل الانسان حيواناً، فيفقد الانسان انسانيته، وأية فائدة في حسن لاشأن للانسان فيه، فهو كمن يريد استتباب الامن فيقتل جملة من الناس لاجل أمن جملة اخرى ، كماكان يفعله الامويون .

ب ـ تقدم مثل هذا التخطيط لايكون عميقاً ذاكيف حسن، وان كان ذاكم حسن، والنتيجة تضجر الناس وتربصهم بالدولة الدوائر لتحطيمها، كمافعلوا في الصين بمجرد موت ماوتسى تونغ ، بالاضافة الى انه لايصل في الجودة الى مستوى جودة التخطيط بدون الديكتاتورية أوبالاقل من الديكتاتورية، و لذا لم تصل روسيا الى القمر، بينما وصل العالم الغربي وأنزل عليه الانسان ـ لان الغرب أقل ديكتاتورية من الشرق ـ .

(٢)التخطيط الاستشاري بأن تخطط الدولة وتجعل الامر بيد الناس مع اشراف الدولة على عدم الاجحاف، وعلى سد الفراغات ان بقى في التخطيط فراغ، مثلا: تخطط الدولة لسد احتياج البلاد الى مليون دار، وألف مدرسة ثم تجعل ذلك في المناقصة العامة مع اشرافها على البناء، ثم عدم الاجحاف في البيع واجور المدرسة وادارتها، فاذا لم تقم الامة ببعض ذلك المخطط قامت الدولة بنفسها لملاء الفراغ ، كما اذا لم تقم الامة الا ببناء أو ادارة سبعمائة مدرسة، فان الثلاثمائة الباقية تقع على عاتق الدولة .

والتخطيط مع الحرية يأتي حتى فى أعمال الدولة ،كبناء دور القضاة أو مراكز الشرطة أوغيرذلك، أما مثل القطارات والمطارات والباخرات وماأشبه فاللازم أن تكون بيد الامة .

و الحاصل : ان الانسان وحريته هما المحور لا التخطيط حتى يكون الانسان ضحيته .

شروط نجاح التخطيط

ثم اللازم فى التخطيط ملاحظة امور :

(١) استقامة التخطيط ، لاان يحرفه المخططون لمنافع شخصية ، أو اتجاهات سياسية أوطائفية أوماأشبه، فان التخطيط المنحرف يؤدي الى تحطم المخطط أوتحطم الامة، فان كان التخطيط في نفع المخطط أزيل عن منصبه عاجلا أو آجلا ، وان كان لجهة خاصة كطائفته ، مثلا: سبب ذلك التفرقة و تحطم الاجتماع .

(٢) يلزم ان يكون التخطيط حسب الامكانيات المتوفرة لا الامكانيات المحتملة ، والا ربما لاتكون تلك الامكانيات مما يسبب ضرر التخطيط كباني

دار لا يمكنه اتمامها ، حيث ان ترك الدار على النصف يوجب خراب ذلك المبني أيضاً بالامطار والعواصف وغيرهما .

(٣) يلزم أن يجعل للتخطيط المال الكافي ، والرجال الكفوئين ، والافلو لم يكن المال الكافي اضطرت الحكومة أما لعدم اتمام العمل ، وذلك يوجب الضرر كما تقدم ، وأما لان تطلب من الحكومات الاخر ، وذلك يوجب تنازل الحكومة من بعض سيادتها ، اذ الحكومات الحاضرة لاتقرض الا في قبال تنازل المقترض من بعض سيادته في قبال القرض .

أما اذا لم يكن للتخطيط الرجال الكفوئين ، فالعمل لاينجح الا اذا استوردت الحكومة المستشارين الاجانب ، وذلك معناه ما تقدم من تنازل الحكومة أمام الحكومة المعيرة رجالها ، فتتقيد ارادة المستعيرة بقدر شرائط الحكومة المعيرة ... وهذان الامران المال والرجال هما غالباً منفذ الحكومات الاستعمارية في بلاد العالم الثالث .

(٤) يلزم ان يكون مجرى التخطيط الى التنفيذ مؤسسات قوية منضبطة ، حتى تتمكن من الاستمرار في تنفيذ المخطط ، مثلا : اذا اريد انشاء عشرة آلاف مدرسة لمدة خمس سنوات ، كان اللازم لذلك مؤسسة ذات فروع في كل البلدان ، مركبة من مختلف الوزارات، الاعمار والتربية والمواصلات والاقتصاد ، وغيرها حتى تتمكن من ضبط الامور وتطبيق البرنامج .

(٥) كما يلزم الاستفادة من آخر المكتشفات العلمية ، والمصنوعات الجديدة ، مثل سيارات الحفر والحمل والخلط و . . . لاجل البناء ، ومثل المدافي والمبردات والثلاجات لاجل تجهيز المدارس ، ومثل المناهج العلمية والتنظيمية لاجل تعليم الطلاب وتربيتهم وضبطهم ، وان لم يستفد من المذكورات نتج تلكوء التخطيط ، وأحياناً يؤتي بما مر عليه الزمن مما يكون حاله من

قبيل صنع السيف في زمان الذرة .

(٦) يلزم ان يكون التخطيط قصير المدة كثلاث سنوات ، أو خمس سنوات ، أو أربع سنوات ، كما ان من الافضل ان يكون مقارناً لمدة حكومة المنتخب الجديد ، اذ طول المدة يوجب عدم الرؤية الصحيحة ، واحتمال التقلبات التى تحول دون اكمال البرنامج ، كما ان تحول الحكومة فى أثناء عمل المخطط قد يوجب توقف العمل أوتحطمه،حيث ان الحكومة الجديدة لاترى استقامة ذلك المخطط .

مثلا : في البلد حزبان أحدهما يهتم بالزراعة ، والاخر بالصناعة ، فاذا خطط أحدهما أبان حكمه لما يكون مورد نظره ، ولم يتمه وجاء الاخر، غير ذلك الى ماهو مورد نظره ،وحتى اذا لم يقدر على تغييره ، لابد وان يتلكوء فى تنفيذه ، مما يقلب أحياناً الامر على الحزب المخطط ، حيث يظهر للناس اضرار تخطيطه فيضعف مقامه السياسي .

(٧) من الافضل ان لايرتبط التخطيط العام بعضه ببعض ،بل يسلم التخطيط الثقافي الى جماعة ، والتخطيط الصحي الى جماعة ، وهكذا ، اذ التخطيط العام في ضمن دائرة واحدة ولو وسيعة، خليق بأن لايخرج بكماله المرغوب فيه .

(٨) هناك عوامل لاوجودلها فى الحال ، وانما توجد فى المستقبل ، مثل بعض الواردات المعدنية ، وبعض المثقفين المتخرجين ، وماأشبه مما يوجب المال والمادة ، والفكر ،فاللازم فى التخطيط ان يضع تلك الامور المستقبلية ـ ظناً راجحاً ـ بالاعتبار ، حيث ان تلك الامور لها أثرها فى تقوية وازدياد الامكانية لتطبيق المخطط .

(٩) يلزم ان يناسب المخطط الحالة النفسية للامة ، والا آب المخطط بالفشل ، مثلا : وضع التخطيط الاقتصادى فى بلاد الاسلام ، بما يكون منه

استثمار المحرمات كالخمر والبغاء والربا ، لابد وان يئوب بالفشل لعدم تهيء الامة لمساعدة مثل هذا المخطط .

(١٠) وأخيراً يلـزم استشارة الامة في مساعدة تنفيذ المخطـط ، فان مالا يتحمس له الناس لايحظي بالنجاح الكامل .

أقسام الاصلاح

ثم لايخفى ، ان ما يسمى في الاجتماع بالاصلاح على أقسام :

(١) الاصلاح الواجب وهو الـذي يكون لاجل انقاذ العقيدة أو الشريعة مثل الغاء قوانين الخمـر والقمار والربا والزنـا ، وتقسيم الناتج بين المالك والعامـل بما لايجحف احدهمـا على الاخر ، واعطاء حقوق الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية ،وتعميم العلم حسب قوله ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمـة ، الى غير ذلك .

(٢) الاصلاح المستحب الـذي حبذ اليه الاسلام ولم يوجبه ، كالجمال والنظافة للمدن،وكتسهيل الامر على الناس في المواصلات والصحة ونحوهما.

(٣) ما يسمى بالاصلاح عند غير المتشرع ، وهو حرام شرعاً ، كما اذا اريد جعل المرأة مبتذلة تدخل ميادين الفساد والرذيلة باسم حرية المرأة ، أو تأميم منابع الحياة العامـة باسم حقوق الفقراء ، أو ما أشبه ، مما هو خلاف [لكم] في الاية الكريمة ،وخلاف الحريات الاسلامية ، كما يدل عليه :(الناس مسلطون على أموالهم وانفسهم) الى غير ذلك .

أما فعل مايعمم المكروه أو المباح في المجتمع فلا يسمى ذلك بالاصلاح وان كان داخلا في الجائز .

واللازم في الافعال الاصلاحية ان يميز بين الجائز والمحرم فيخرج المحرم

عن المؤسسة الجائـزة أو الواجبة ، مثلا : البنـك في الحال الحاضر تسهيل كبير ، لكن اللازم اخراج الربـا والقوانين المخالفة للشريعة عنه ، فاذا اريد خدمة الناس شكلت سلسلة من البنوك ،مثلا : بحيث يتوفر فيها كل الحاجيات المالية المشروعة ، كالبيع والحوالة والرهن والمزارعة وغيرها، بدون اعطاء الربا واخذه ، وانما يكون الامر مضاربة ، وهكذا .

ولافرق في الاصـلاح ان يكون مؤسسة أو جمعية خيرية ، أو ما أشبه ، أما تشكيل الحزب لاجل الحكم،فان كانلاجل الاصلاحدخل في هذا المبحث وان كان لاجل التغيير من الجـذور دخل في المسألة الاتية المتعرضة للحركة الانقلابية .

لا .. للانقلابات العسكرية

(مسألة ـ ٤١ ـ)تقدم فى المسألة السابقة،الكلام حول الحركات الاصلاحية والكلام في هذه المسألـة في الحركات الانقلابية ، وهي على قسمين :

(الاول) : الانقلابات العسكرية ، ولا كلام لنا فيها ،حيث انها خارجةعن البحث الاجتماعي ، الا اذا اريد التكلـم حول [قطاع الطرق واللصوص] اذ كلا الامرين من واد واحد ، ولذا كلاهما يبنيان على سلب الناس أموالهم ، وكبت حرياتهم ، وقتلهم وتعذيبهم ، منتهى الامر ان اللصـوص يعملون هذه الاعمال في نطاق ضيق ، والانقلابات العسكـرية تعمل تلك في نطاق واسع واللصوص لايعترف القانون الدولي بهم أما الانقلابات العسكرية ، فالقوانين الدولية التي وضعها المستعمرون الشرقيون والغربيون ، تعترف بهم ، لان في الاعتراف مزيداً من نهب خيرات الشعوب وتحطيمهم،وهذا ما يريده الاستعمار طبعاً،بل الانقلابات التي شاهدناها منذ ثلث قرن كلها كانت بمخطط استعمارى شرقي أو غربي .

منطق الانقلابيين ! !

وما يبرر الانقلابيون عملهم به ، من استشراء الفساد في الحكومة السابقة وكبت الحريات و . . . غير مبرّر لعملهم،اذ لو كانوا صادقين،لاعطوا الامر بعد انقلابهم بيد الامةلتشكل حكومة حرة انتخابية ،ورجعوا هم الى ثكناتهم أما ان يسرق لص عن لص، ويبرر عمله بأن المسروق منه ، كان لصاً ،فذلك

لايدخل الا في منطق القوة ، بينما يجب ان يكون الامر حسب قوة المنطق .

وهناك تبرير آخر للانقلابيين ،لعدم اعطائهم السلطة بيد الامة ، بأن الامة ليست رشيدة تتمكن من ادارة امورها ، فاذا سلمنا الحكم اليهم ، استغله الاستغلاليون والاستعماريون .

وفيه : هل ان كل الامة غير رشيدة ، وافراد انقلابيون ـ ليست لهم معلومات كافية ـ رشيدون ؟ ثم من جعل الانقلابيين أوصياء على الامة الا السلاح ، وهل السلاح من الادلة ؟ ولو كان كذلك لكان لكل لص وقاطع طريق دليل .

فقدان الوعي هو المشكلة

والمشكلة في الانقلابات العسكرية ، لاتنشأ من المغامرين ومن ورائهم من المستعمرين ، والا فكل مغامر يريد السلطة ، وكل مستعمر يريد سلب الشعوب واستعمارهم ، وانما المشكلة تنشأ من ضعف وعي الامة ، فلماذا ترضخ الامة للانقلابيين بمجرد الثورة ؟والا يتسائل العالم الثالث نفسه : لماذا لايكون انقلاب في امريكا وفرنسا وانكلترا ؟ولماذا لايكون انقلاب في اسرائيل والهند ؟ هل لان تلك البلاد لاتعاني من المشاكل ؟ أو لان شعوبها تعي عدم صحة الانقلاب ، حتى اذا قفز جماعة من المغامرين على الحكم ، لم تعترف بهم امتهم ، وانما تحركت القوى العسكرية لالقاء القبض عليهم وسوقهم الى المحاكم ؟

وعلى هذا ، فاللازم توعية الامة ، حتى تعرف ان كل انقلاب عسكري وقع كان باطلا ، وان اللازم التخلص من الانقلابيين ، كما يلزم ان يستعدوا لمعاملة الانقلابيين في المستقبل معاملة المجرمين ،لامعاملة الابطال المحررين .

ومثل حال الانقلابيين حال الذين يأتون الى الحكم بارادة الامة ، لكن ضعف الوعـي في الامة يوجب ان يتلاعبوا بمقدراتها فيزيفون الانتخابات ، ويستخلفون ، ويهيئون الاجواء المكذوبـة بواسطة الاعلام والرتـل الخامس والرشوة وما أشبه ، لتنفيذ مآربهم من وراء ظهر الامة ، كما رأيناه في العراق فقد جاء فيصل الى الحكـم باختيار مجموعة من الشعب ، بعد ثورة العشرين للامام الشيرازى ، ثم قلـب ظهر المجـن للامة ، فتلاعب بما شائت أهوائه ، والقصة معروفة لاتحتاج الى البيان .

وعليه فوعي الامة يوجب :

(١) عدم نجاح الانقلاب العسكري .

(٢) عدم تمكن الحكومة التي جائت باختيار الاكثرية من التلاعب، بل الميزان وجود الاحزاب الحرة ، والانتخابات الحرة ، كل أربع سنوات مثلا، والا فالحكومة ديكتاتورية ، وان تقنعت بالاستشارية ، وسمت نفسها حكومـة شعبية .

بحوث فى الثورات الاجتماعية

(الثاني): الانقلابات الاجتماعية، وهي التي تقوم بها أكثرية الناس، لايجاد نظام جديد في الحكم ، وتقوم هذه الانقلابات على اسس ثلاثة :

(١) عدم الرضا بالحكم القائم .

(٢) اليأس عن اصلاح الحكم القائم بسلام .

(٣) الرجاء في تكوين نظام جديد يعطي آمال الناس، ويخفف من آلامهم.

وضع الاسس السليمة للثورة

وهذه الثورة ان جعلت لها اسس صحيحة تنتهي الى الحكم الاستشاري، كما حدث في حركة فرنسا والهند وغيرهما ـ فانها وان لم تكن مطابقة للنظر الاسلامي الا انها صحيحة في نظـر أكثرية الشعوب القاطنة في تلك البلاد ـ وان لم تجعل لها اسس صحيحة تنتهي الى الديكتاتورية ، كما حدث في الحكم العباسي سابقاً ، وحكم الروس والصين وما أشبه في الزمان الحاضر ، وتكون النتيجة حينئذ ، أما تبديل ديكتاتور بمثله ، أو بأسوء منه .

وعلى هذا ، فاللازم على الثائرين ان يضعوا نصب أعينهم أمرين :

(١) هدم الحكم الجائر .

(٢) كيفية الحكومة المستقبلية مع تهيئة أسباب تلك الحكومة ، وأهم تلك الاسباب :

أ ـ توضيح معالم الحكومة في السلطات التقنينية [أي التطبيقية في الاسلام] والتنفيذية والقضائية .

ب ـ توزيع القدرة في الفئات والمنظمات والاحزاب حتى لا تتمكن جماعة من استغلال الحكم وضرب الاخرين .

كما حدث في الثورة الشيوعية ، حيث ان الشعب قـام ضد قيصر لايجاد حكم ديمقراطي بديل، وتشكلت أحزاب، كان من أهمها [المنشفيك، والبلشفيك] ولكن لما لم يكن التوازن بين القدرات ، قفز الشيوعيون على الحكم بقيادة الديكتاتور [لينين] وبالاستعانة بالخارج [أي آلمانيا] وأبادوا كل الاحزاب الاخرى ، والتي كان من جملتها المنشفيك .

وهكذا حدث في ثورة الدستور في ايران ، فقد قام الشعب بقيادة العلماء

لرفع ظلم الحكام، وتبديل النظام الى حكم اسلامي استشاري لكن لما لم تكن القدرة موزعة، فاذا ببهلوي مع قلة مسلحة يقفزون على الحكم بمعاونة بريطانيا ويذيقون الامة الامرين .. وهكذا حدث في تركيا عند قفز أتاتورك الى الحكم بمعاونة بريطانيا أيضاً ، فان العثمانيين أسائوا في السلطة ، مما اضطر الامة الى الانتفاضة ضدهم ، ولكنهم لم يلاحظوا توزيع القدرة ، واذا بالامر يقوده ثلاثة من اليهود ، وجماعة من المسيحيين ، ومن ورائهم الاستعمار حتى جائوا باتاتورك ، وحدث ماحدث .

بداية الثورة

ثم ان الثورة الاجتماعية، في بدء أمرها تكون بدون لون خاص، ولا اسلوب منظم ثم تدريجياً يتبلور الامر ، والغالب ان الثورات الاجتماعية لتبديل الحكم يقودها مخلصون مجهولون ، يؤلمهم الحكم القائم ، فينذرون أنفسهم لانقاذ الامة ، ويضحون بكل شيء في سبيل ذلك ، كما ان الغالب انهم يقودون الثورة بشجاعة فائقة، ولامبالاة كبيرة ،مع انهم لايقدرون وقت النجاح ، وهل انهم يدركون الثمر أم لا ؟ ولذا يموت كثيرون منهم في السجون والمنافي ، أو بالرصاص على المشانق ، أو في عمليات فدائية .

كما ان القائد العام وأعوانه ، يتبلورون في الاحداث ، وبقدر عملهم ، فليست القيادة في الحكومات الشعبية ـ بالتلفظ بالشعب الخالي من معنى ، والاكل يدعي ان حكومته شعبية ـ بالاسم والمنصب والدعاية ، بل هي حقيقة ترتفع الثورة اليها ، كما ترتفع الشجرة الى أن تعطي الثمرة .

والغالب تبعثر الثائرين في ابتداء الامر، ففي كل بلد وما أشبه جذر للثورة ثم تتلاقي الجذور ، كما تتلاقي قطرات المطر ، لتكون النهر الكبير وحينذاك

يكون للثورة مجرى ، وجري ، ومصب ، وحينذاك تأخـذ الثورة في النضج والارتفاع الى ان تطيح بالحكم المنحرف .

مراحل الثورة

وللثورة الاجتماعية مراحل خمس :

(١) الاضطراب والهيجان .

(٢) تصاعد الروح الثورية الاجتماعية .

(٣) اتساع رقعة الثورة وتقوى بعضهم ببعض.

(٤) تبلور الفكرة الواحدة هدفاً وطريقاً .

(٥) وأخيراً توسعة الطرق المؤثرة في انجاز الثورة .

(١) ففي حالة الاضطراب والهيجان، من جراء سوء تصرفات الدولة، يعمل كل عمل ملائماً بنظره من الشكاية ونشر بعض المناشير السرية، وبعض التعريضات فوق المنابر، وكتابة بعض الشعارات على الحيطان وما أشبه، والدولة تقابل بعضهم بشيء خفيف من العنف ، الا اذا عنف الشخص، فالدولة تقابله بعنف مثله ، أو أشد ليكون رادعاً ، وتظن الدولة انه حاسم .

(٢) وحيث يتماسك بعض المنتقدين ببعض ، وحيث يوجب فعل الدولة رد الفعل عند الناس تأخذ روح الثورة في الاتقاد ، ويأخذ اليأس يعم القلوب فيرون انه لااصلاح للوضع بمايلزم ان يعملوا شيئاً للانقاذ، فالدولة راكبة رأسها لاتلوى على شكاية، وتقتنع بالوعود الفارغة وبالتهديدات بدل الاصلاح .

(٣) وبذلك تتسع رقعـة الثورة ، وتستشري فكرة لزوم ان يعمل الشعب شيئاً، وليس ذلك الشيء باصلاح جهة أوتبديل وزير، أوانصاف مظلوم، لان الامر أوسع من هذا، والدولة تأخذ في غرور أكثر، وصلف أكبر، فترى انها

سيدة الموقف، وان الذين يعملون ضدها شرذمة قليلون اذا شائت الدولة تخترقهم وتكتسحهم بعصى غليظة، وبذلك يقف الطرفان في صفين متقابلين.

وعند ذلك تتبلور الفكرة الثورية، وتصمم الامة على الاطاحة بالدولة، مهما كلفها ذلك من الثمن، وتأخذ القيادات الصغيرة في الظهور والبلورة، مما تستجلب انتباه الناس، ويرون فيهم بدائل صالحة عن قيادة الدولة.

(٥) ثم يأتي دور المؤسسة الثورية، فتتوسع الطرق المؤدية الى انجاز الثورة وتقع الفوضى في البلاد، وتصطف مؤسستا الدولة والثورة احداهما أمام الاخرى، وتسترخى قبضة الدولة، وتأخذ قبضة الثوار تشتد وتشتد .... و تحاول الدولة ان تجعل الحلول الوسطى، لكن الثوار يأبون، وتتفادى الدولة سقوطها ببعض الحلول، مثل تغيير بعض الموظفين، والغاء بعض الضرائب، واطلاق سراح بعض السجناء، واشراك بعض الثوار في الحكم.

لكن الاوان قد فات، ولسان الثوار [الان وقد عصيت من قبل، وكنت من المفسدين] وفي مثل هذه الحالة يستولى الثوار على مؤسسة مؤسسة من مؤسسات الدولة... ولايمنعهم عن القيام بأعمالهم بعض العنف الذي تريه الدولة، مثل جعل الحكومة العسكرية وقانون منع التجول، وضرب المتظاهرين بالرصاص، ونهب دكاكين المضربين وماأشبه ذلك.

ويلجأ اقطاب الدولة الى الفرار والاختفاء، ويقع بعضهم في قبضة الثوار فقد يتعاملون معهم بقسوة، وقد يتعاملون معهم بلين وذلك يتبع أمرين:

(١) عنف معاملة الدولة مع الثائرين، فان العنف لايولد الاالعنف.

(٢) اخلاقيات الثورة، فقد يربّى الثائرون على رفيع الصفات، ومن ناحية اخرى يريدون جعل أنفسهم اسوة مما يضطرهم الى التنازل عن حقهم المشروع.

ولذا نجد شدة انتقام الثورة البلشفيكية من قيصر واتباعه ، بينما كانت شدة الانتقام في الثورة الفرنسية أقل ، أما الثورة الاسلامية فقد كانت مظهراً من مظاهر الله الرحمان الرحيم ، فقد قال النبي ﷺ لاشد الخصوم بعد أن وقعوا في كف عدالته : (اذهبوا فانتم الطلقاء) وكذلك عفى علي عليه السلام - وهو تلميذ الرسول ﷺ - عن أقطاب التمرد في الجمل، بل واحسن مثوى عائشة وغيرها، وعن أقطاب المفسدين في النهروان ، وكان اذا ألقى القبض على محاربي صفين، اطلقه بشرط ان لايعين الاعداء بعدذلك .

وبهذا الصدد قال الشاعر :

(ملكنا فكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم ابطح)
(وحللتم قتل الاسارى وطالما ظللنا عن الاسرى نعف ونصفح)
(فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل اناء بالذي فيه ينضح)

وقدقال علي عليه السلام : (اذا ملكت فاسجح) .

وقال عليه السلام : (العفو زكاة الظفر) .

وقبل ذلك قال القرآن الحكيم : «وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به * ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

عناصر هامة .. فى نجاح الثورة

ثم المهم في نجاح الثورة :

(١) توسعة التنظيم ، فان النظم يوجب صرف كل الطاقات في أحسن المصرف، اذ قد لايصرف بعض الطاقات ، وقديصرف لكن لا في الاحسن، فمن يمكن ان يكون عالماً كبيراً، قديعطل عن العلم والعمل ، وقد يجعل من نفسه عاملا عادياً .

(٢) الوعي الجماهيري وجماهيرية الحركة ، بأن يبين الثوار للناس ، كيف حال الامة الان؟ وكيف حال الدولة؟ وكيف يجب ان تكون الدولة الصحيحة؟ وكيف يجب ان نعمل حتى نصل؟ الى غير ذلك .

(٣) اخلاقيات الثائرين، كيف يعامل بعضهم بعضاً؟ وكيف يعاملون الناس؟ فان المداراة، والعفو، والمعاملة بالتي هي أحسن ، والنشاط ، والتعاون، و المشورة، والاستقامة، والخدمة، والاصلاح بين الثوار، والناس، وبين الناس، وما أشبه، أخلاقيات توجب التفاف الناس حول الثورة، وتسبب اطمينان الناس بقادتها مما يقرب الثورة الى النجاح .

ثم في المقام امور ثلاثة بشأن الحركات الثورية الجماهيرية لابد من الالماع اليها .

الثورة.. تستغرق زمناً طويلا

أ ـ الحركة الثورية الجذرية في الدنيا الحاضرة، لابد لها من أمرين:

(١) الزمن الطويل، حيث ان الثورة ليست كأنقلاب عسكري سطحي، يتحقق بين عشية وضحاها، فان الثورة الجماهيرية تحتاج الى الجماهير ، و الجماهير لايتحركون، الا بعد الوعي الثوري، والوعي المستوعب لابد له من ربع قرن على أقل تقدير مع ملاحظة الشروط السابقة من الاخلاقيات و نحوها، ولذا نشاهد في التاريخ ان كلا من ثورة الهند ضد بريطانيا، والصين ضد الاجانب، وروسيا ضد القيصرية احتاجت الى زهاء نصف قرن .

وذلك لان اللازم تبدل الثقافة السابقة الى ثقافة جديدة ثورية ، وتبدل الثقافة ليس بالشيء الهيّن .

لابد للثورة من تكوين الجذور

(٢) الجذور، فان العالم صار شبه وحدتين، وحدة غربيـة بمافي فلكها، ووحدة شرقية بمافي فلـكها ، ولكل منهما جذور في بلاد الثورة ، مدعومة بالمال والرجال والاعلام من الاذاعات الخارجية وغيرها، مما يوجب صعوبة تهيئة الناس للثورة على أوضاعهم الفاسدة، فاللازم على القائمين بالثورة، ان يمدّوا جذور الثورة الى آفاق بعيـدة حتى تتمكن الثورة من المقاومـة و النهوض .

ولعدم وجود الجذور للثورة الفلسطينية ضد اسرائيل الغاصبة، ترى كيف ان اسرائيل تتوسع بصورة مستمرة، والثورة الفلسطينية تتضائل؟ ان اسرائيل مدت جذورها التنظيمية، والثقافية ، والمالية الى كثيـر من بلاد العالم، ولذا حفظت نفسها وأخذت تنمو، بينما الثورة الفلسطينية بالعكس قطعت [وبضربة واحدة] أكبر جذورها، وهوالاسلام، فقطعت صلتها بالمسلمين، حيث صبغت نفسها بالعربية فقط، الى غيرذلك مما لسنا الان بصدد تفصيله .

وليس فهم كيفية الجذور وتكوينها شيئاً هيناً، وما أكثر ارادة الثورة في العالم، كما ما أقل الثورة ، وذلـك أمالعدم وجود الجذور ، وأما لعدم تأهل الاجتماع للثورة، فان الثورة الحقيقية لاتقع الا اذا تأهل الاجتماع لذلك، و التأهل يقوم على أمرين أساسيين هما :

(١) النقص في ماديات الانسان، أى مأكلـه ومشربه ودوائـه وسكناه وما أشبه، فان ذلك يبعث على الثورة .

(٢) النقص في معنويات الانسان، أي آرائـه وأفكاره، فان الانسان لايريد الماديات فحسب، بل يريد ان يؤخذ برأيه أيضاً .

ولذا تشتبه الحكومات الديكتاتورية، حيث تهتم لماديات الناس وكأنها فعلت كل شيء، بل اللازم انيكون الاهتمام السياسي بقدر الاهتمام الاقتصادي فان الكرامة الانسانية تبعث على احترام آرائه ، فاذا رأى ان آرائـه لاتحترم ثار من أجل ذلك .

ضرورة توزيع القدرة بين القوى

ب ـ الثوار الذين يصلـون الى الحكم، يزعم كل فريق منهم انـه يقدر على الاستبداد بالحكم فان كانت القدرة موزعة بين الثائرين، كان بينهم التراشق بالكلمات والتهم ، واذا رجحت كفة القدرة في بعض الاطراف يأخذه الغرور فيستبد بالحكم ويزعم لنفسه انه الثائـر الحقيقي، وان من عداه لم يكن لهم نصيب في الثورة وانهم لايستحقون شيئاً .

وهذا الزعم الافراطي، والعمل المساند له يعطي رد الفعل المعاكس حيث يزعم الذين ينحون عن الحكم ، ان الثورة ثورتهم ، وان المستبد لم يكن له نصيب ، وانه سارق الثورة ، وانه يجب ان ينحى بالقوة ، ليقودوا هم الثورة، وهنا يحدث أحد ثلاثة أشياء :

(١) الثورة المضادة .

(٢) الحرب الاهلية .

(٣) منظمات الاغتيال لاجهزة الحكم .

(١) فالثورة المضادة هي ثورة الذين نحوا عن الحكم ، وانما يثورون لان لهم جماعة كجماعة الباقي فى الحكم ، وهم ثوريون أيضاً ، ولافرق بين الحاكم وهم، الا ان بيد الحـاكم القوة والدعاية ، وما أسهل ما يحصل عليه المنحون ، وقد حدث هذا فى زمان قاسم ، حيث نحى زملائه كسلام ، ولم

تمض سنوات الا وقام المنحون بالثورة المضادة ، فازالوا حكمه وقتلوه .

ولايخفى ان الثورة المضادة بهذا المعنى غير الثورة المضادة بمعنى قيام أنصار الحكم البائد بالثورة ضد الثوار الجدد ، فان لهم أيضاً قياماً ، سواءاً كانت الثورة شعبية جماهيرية ، أو انقلابية عسكرية ، وان كان قيام العهد البائد بالثورة الجماهيرية أصعب ولايحالفه النجاح غالباً ، لان العهد البائد لاشعبية له حتى ينتظر تصفيق الناس لثورته ، والثورة اذا لم تكن جماهيرية ، ولم يكن لها مصفقون [فى العسكرية] لاتجد مناخاً ملائماً للظهور .

(٢) والحرب الاهلية حيث يكون أنصار الطرفين الثورة والثورة المضادة بقدر يتمكن كل منهما من المقاومة وحرب الشارع ، خصوصاً اذا وجدت الثورة المضادة محلا جغرافياً ملائماً ، مثل الجبال والغابات ، وقد حدث هذا فى زمان قاسم فى العراق بسبب الاكراد ، وفي اليمن ، مما سبب القلاقل الى الان ـ بعد ربع قرن ـ في شمال العراق وقسم اليمن الى شطرين .

وبالمناسبة فلايختفي دور الغرب والشرق في أمثال هذه القلاقل والانقسامات لقاعدة : [فرق تسد] ولانه كلما كانت المشاكل في بلاد العالم الثالث أكثر ، كان سادة لندن وباريس ونيويورك والكرملين في راحة أكثر ، ولذا نجد كل طرف من هؤلاء الاستعماريين يتفق سراً مع طرف من الاطراف المتنازعة في كل من [١ و ٢ و ٣] .

(٣) واذا لم يتمكن المنحون من الاولين ، شكلوا عصابات الاغتيال لاجل ضعضعة الحكم ، وسلب ثقة الناس من الحكام الجدد ، حيث ان الحكم الذى لايتمكن من حفظ الناس ليس جديراً بالبقاء ، وقد تخصص عصابات الاغتيال أمرها بالنسبة الى أركان الحكم ، وقد تعممه الى كل أحد ، لسلب الثقة ، و الغالب ان تسلك الطريق الثاني اذا لم ينفع الطريق الاول في وصولها الى

هدفها .

والحاصل : انه كلما حصلت الديكتاتورية ،كان معناه عدم تحكيم الكلمة وكلما لم تحكم الكلمة كان الحكم السيف . . وذلك بخلاف الاستشارية ، فان المحكم فيها الكلمة ، والحوار المفتوح يمنع من تزايد الكره ،كماً وكيفياً ، فالذين يكرهون الحكم لايجدون الانصار حتى يزداد عددهم ، كما ان الذين يكرهون الحكم لايزدادون كرهاً ، بل يبقى كرههم عند الحد القليل فلا يتطور كيف الكره الى الغليان والى أحد الامور الثلاثة الانفة الذكر .

ولذا فالواجب على الحكم الجديد ان يعطي الحريات ويجمع شمل الناس.

(١) بتكوين الاحزاب الحرة .

(٢) وجعل وزارة الشباب حتى لايلتف الشباب حول الناقمين ،فان الشباب لكثرة حاجاتهم ، وسرعة انفعالهم يلتفون حول كل ناقم، فاذا كانت وزارة لهم التفوا حولها، وبذلك يسحب البساط من تحت الناقمين .

(٣) الاهتمام بارضاء الطبقة المتوسطة ، لانهم هم الذين ينشرون النقمة ، فيلتقط النقمة الشباب ومن اليهم ، ويخلقون المشكلة للحكومة الجديدة ، و تواضع الحكومة أمام الاحزاب والشباب والطبقة المتوسطة ، خير من تحطم سمعتها واشرافها على السقوط ، بل كثيراً ماتسقط ،كما لايعز مثاله في السابق وفي العصر الحاضر .

الجذور بعد تكون الدولة

ثم اللازم في الحكومة الجديدة الجماهيرية(اذليس الكلام فى الانقلابات العسكرية) ملاحظة ثلاثة امور :

(١) الجذور ، فالجذور ليست ضرورية لاجل اسقاط الحكم السابق فقط، بل

ضرورية لاجل بقاء الحكم الجديد ، والجذور عبارة عن الارتباطات لافي داخل البلاد فحسب ، بل في خارجها أيضاً ، بمساندة الشخصيات والاذاعات وسائر الاعلام والمراكز للحكم الجديد ، فان الحكم كالشجرة كلما كانت جذورها أكثر ، كان احتمال سقوطها في العواصف أقل ..

أما المساندة من الاشخاص في الداخل ، فذلك أمر حيوى للحكومة ، فاللازم تقليل عدد الناقمين مهما امكن ، وتقليل نقمة الناقم مهما امكن أيضاً .

يجب ان تكون الحكومة عصرية

(٢) وان تكون الحكومة عصرية ، فكما ان العصر لايمكن فيه استعمال المراوح الخوصية ، والدواب للسفر ، والشموع الزيتية وهكذا ، كذلك لا يمكن للشعوب في العصر الحاضر الاعتماد على حكومات من الطرز القديم، فان أصر الحاكم على ذلك الطراز اسقطه الشعب بعدم الانتخاب فى الاستشارية وبالقوة فى الاستبدادية .

والمراد بالعصرية :

أ ـ تهية وسائل العصر البشرية :كالاطباء والمهندسين والعلماء وأصحاب الخبرات والعقول المخططة والمفكرة والفنيين وما اليهم، فان كل عالم وخبير ركن من أركان الدولة ،وبقلة هؤلاء فى دولة تضعف الدولة وتصير مجبورة على استيراد الخبراء من الخارج ، وذلك نقص فى سيادة الدولة مع انه محل اثارة الناس ضد الدولة ، ومنفذ الاستعمار الى البلاد .

ب ـ والمادية من المعامل والصنائع والتراكتورات والاجهزة وما الى ذلك.

ج ـ والانظمة ، فان للنظام الحديث الذى وصلت اليه أحدث الافكار البشرية أهمية كبيرة فى استقرار الدولة وتقدمها .

ولايمكن ذلك الا اذا اسندت القيادات ـ كالوزارات و ما أشبه ـ الى كفاءات من غير نظر الى الولاء ، فان الادارة تسيرها ـ السير الحسن ـ الكفائة لا الولاء والقيادة الكفوة هي التى تجمع شروطاً مثل :

(١) الايمان .

(٢) والاخلاق .

(٣) والشعور المرهف بالمسئولية .

(٤) والاستمرار فى العمل .

(٥) والذكاء .

(٦) والقدرة على اتخاذ القرارات .

(٧) والحماس .

(٨) وجذابية القيادة لتتمكن من التأثير في المرئوسين .

(٩) والحزم .

(١٠) والخبرة الكافية .

وهذه الشروط وان كانت صعبة الاجتماع، الاان الحكومة اذا كانت جماهيرية بأن التف الناس حولها ، تمكنت من ان تجد مثل هذه القيادات ، بعدد لابأس به، فان الحكومة انما ينفض الناس من حولها اذا اتصفت بالكبر والانانية والغرور والاستبداد، والا التف الناس حولها، ووجدت القيادات الكفوئة لتضع الانسان المناسب في المكان المناسب .

وحتى الولاء ليس بمهم في الحكومات الشعبية ، ولذا قال السياسيون بأن الحكومات الحزبية عند وصولها الى الحكم ، يلزم عليها ملاحظة الكفوء في اسناد المناصب ، ولو كان من الحزب الاخر ، لاملاحظة ان يكون المسند اليه من حزب الحاكم ، وان لم يكن بكفاية زميله في الحزب الاخر .

اسلامية الدولة . . وتفوقها على النظم الاخرى

(٣) وان تكون الحكومة ذات مستوى مساو للحكومات الديمقراطية ، بل الامر في الحكومات الدينية أصعب ، حيث يلزم عليها أمران :

أ ـ اثبات ان الحكومة الدينية أفضل من الحكومة الدنيوية .

ب ـ ان تكون امتداداً لحكومة الرسول ﷺ وعلي عليه السلام اذ الناس ينظرون الى الحكومة الدينية بذلك المنظار [هذا مع الغض عن ان معنى الحكومة الدينية هو ان تكون امتداداً لهما عليهما السلام] .

من سمات الحكومة الاسلامية

وكيفية حكـومة الرسول ﷺ ، وعلي عليه السلام ، موجودة في الوف الكتب ماثلة في اذهان الناس، تتلى في الاذاعات وتصور في التلفزيونات ، وتكتب في الصحف، وحتى أطفال المدارس يقرئون كيفيتها في كتبهم الابتدائية .

(١) فقد كانت الحريات متوفرة للعقيدة [لااكراه في الدين] وللرأي ، ولذا قال بعض الصحابة في الحديبية وغيرها ماقال، ولم يعاقبه الرسول ﷺ وكذلك توفرت الحرية في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، والسفر ، والاقامة والعمارة ، وحيازة المباحات ، والزواج حتى بأربع وغيرها وغيرها .

(٢) والضرائب كانت خمساً وزكاتاً ، وجزية وخراجاً ، فقط .

(٣) وحصلت كل عائلة في زمان علي عليه السلام ـ وهو يحكم على خمسين دولة في الجغرافيا الحديثة ، وله أكبر دولة في عالم ذلك اليوم ـ على دار ورزق .

(٤) ولم يكن حتى فقير واحد في بلد ، ولذا تعجب عليه السلام ، من النصراني المتكفف وقال : (اجروا له من بيت المال راتباً) .

(٥) وكانت تقسم الضرائب في نفس البلد، فان زاد شيء أرسل الى بيت المال كما أمر الرسول ﷺ بذلك .

(٦) ومن مات وله مال فماله لوارثه، ومن مات وعليه دين فدينه على بيت المال ، كما قاله الرسول ﷺ .

(٧) والناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم .

(٨) وكل المسلمين اخوة لافرق بين قديم الاسلام وجديده ، وبين العربي والفارسي والرومي والحبشي وغيرهم ، فلاتمايز اطلاقاً الابالتقوى ولاامتيازات.

(٩) ولاحدود لبلاد الاسلام ولاجنسية واقامة وورقة مهنة وغيرها وغيرها من الحدود والقيود .

(١٠) ولاكمارك .

(١١) والنبي والامام في متناول الجميع ، فلاحجاب ، ولا أبواب ، ولا قصور .

(١٢) وكيفية أخذ الضريبة انسانية الى أبعد أحد ، كماكان يأمر علي عليه السلام عامله اذا أرسله لجمع الصدقات .

(١٣) والاقليات محترمة الى أبعد حد حتى ان الله يدافع عنهم « ولولادفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » وانما المجال للحوار فقط ، وذلك جدالا بالتي هي أحسن .

(١٤) واذا تآمروا على قتل الامام وقتله أحدهم قال : (لايقتلن بي غير قاتلي) .

(١٥) ولم يسجن الرسول الانادراً جداً ، وكان سجن الامام ـ وفي الكوفة أربعة ملايين ـ سجناً صغيراً ولم يسجن الأفراداً معدودين .

(١٦) والعفو عن المجرم سيرتهما عليهما السلام ، كما في فتح مكة، وحروب البصرة

وصفين والنهروان ، وحتى ان الرسول ﷺ عفى عن قاتل عمه حمزة ، وبنته زينب وعمن اراد قتله في عقبة .

(١٧) ويتقاضى الرسول ﷺ وهو رئيس الدولة مع أعرابي الى أحد أصحابه ، ويتقاضى علي عليه السلام وهو رئيس أكبر دولة مع يهودي الى قاضيه .

(١٨) والحكم بسيط الى أبعد حد فأسيد يحكم مكة، وسلمان يحكم المدائن وهكذا ، فالحكم في نظر الاسلام ضرورة ، والضرورات تقدر بقدرها.

(١٩) ويعزل القاضي اذا علا صوته صوت الخصمين ، كما عزل علي عليه السلام أبا الاسود لذلك .

(٢٠) كما يعزل الوالي اذا اشتكت عليه ولو امرأة ، كما عزل علي عليه السلام واليه لذلك .

(٢١) ويعيش الحاكم الاعلى كعيش أحد الافراد، بل انزل، فكان الرسول ﷺ يشد حجر المجاعة ، ويطعم الناس الاحمرين، وهو يطعم الاسودين، وعلي عليه السلام لايترك خادمته تخلط خبزه بالدهن، ويأكل اللحم كل سنة مرة في الاضحى لانه يعلم ان كل المسلمين يأكلون في ذلك اليوم اللحم .

(٢٢) واذا أخطأ المنفذ تحمل الرسول ﷺ دية من قتلوا حتى يعطي دية خوف النساء وضجة الاطفال، وضرب علي عليه السلام قنبراً سوطاً لانه زاد في الضرب سوطاً.

(٢٣) ويستعد الرسول صلى الله عليه وآله لضرب سوادة اياه ، لانه ادعى ان الرسول ﷺ ضربه بعصاه ـ والرسول ﷺ مريض مشرف على الرحيل ـ قائلا ﷺ : انه لايتحمل القصاص في الاخرة .

(٢٤) وليست الدولة دولة شعارات وكلام ، وانما دولة أعمال وحقائق .

(٢٥) والمظاهرات ضد الامام عليه السلام لاتقابل بالشدة .

(٢٦) وحتى المنافق الذي يسب الامام يقابل بالعفو ، كما فعله ابن كوا والاشعث

وغيرهما .

(٢٧) ويقتنع في ردع أشد الاعداء المنافقين ـ الذين هم العدو وفي الدرك الاسفل ـ بالكلام فقط، أما المعاملة فانها انسانية الى أبعد حد، ولذا صلى الرسول ﷺ على ابن أبي ، والحال أنه هو الذي انزلت فيه سورة المنافقين .

(٢٨) وحتى قاذف زوجة الرسول ﷺ لاينال من الرسول ﷺ الا التهديد لا العقاب .

(٢٩) ويعطي الامام أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج اعطياتهم من بيت المال.

(٣٠) وفي منطق الامام : (الناس أما أخ لك في دين ، أو نظير لك في الخلق) .

(٣١) ويشمل العطاء الاعداء ، كما أعطى الرسول ﷺ كفار مكة من غنائم خيبر ـ كما في تاريخ ـ وكذلك أعطى علي عليه السلام الماء لاهل صفين وسار على ذلك الحسين عليه السلام في اعطاء الماء لمن جائوا لقتله .

(٣٢) كما يوصى بالاعداء، كما أوصى علي عليه السلام بالخوارج فقال : (لاتقتلوا الخوارج من بعدي) .

(٣٣) ولا استبداد ، بل استشارة في الامور «شاورهم» و«أمرهم شورى».

(٣٤) ويحمل الامام قربة الماء للعجوز، ويسجر لها التنور ويلعب أطفالها.

(٣٥) والاختيار في تعيين الحاكم بيد الامة ، كما في آية الشورى ، وقاله علي عليه السلام والرضا عليه السلام ـ بالنسبة الى غير من عينه الله ، فلا حكومة وراثية ، ولا انقلابات عسكرية ، ولا انتصابات حكومية . . الى غيرها وغيرها ، ممايجدها الباحث في الروايات والتفاسير والتواريخ .

ملامح النظام الدكتاتورى

بقي شيء ، وهو ان الفارق بين الدكتاتورية والاستشارية واضح لكل من له أقل المام بالامر، ويعرف الديكتاتور من كل مواقفه ـ وان كانت بعض مواقفه تظهر استبداده أكثر ـ مثل :

(١) ان الديكتاتور يمدح نفسه وذويه باسهاب تعريضاً وتصريحاً وتلويحاً بينما يتوقف عن مدح من سواه ، وان كان ذلك الغير أجل منه قدراً، وأحسن منه كفائة، وقد كان عبد الكريم قاسم يقول عن ثورته: انها مالم يتفق مثلها منذ خمسة آلاف سنة في العراق .

(٢) الديكتاتور يخفي على أعماله السرية، حيث يريد أن لاتنكشف عوراته لكن بالعكس من ارادته تظهر سوءآته للناس ، وقد قال الشاعر :

ومهما تكن عند امرء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

(٣) والديكتاتور يتآمر على أعدائه ويمكر بهم لالقائهم في التهلكة ويلصق بهم التهم والاكاذيب ،لكن سرعان ما يظهر تأمره وتنكشف عوراته ، وقد ورد في الحديث الشريف : (ومن كشف عورات الناس انكشفت عورات بيته) . وسأل عليه السلام عن الحيلة ؟ فقال : (في ترك الحيلة) .

(٤) ومن عادة الديكتاتور الكذب والرياء والنفاق والخدعة ، وحيث انه يعتاد تلك يظن ان الناس كذلك؟ ولذا يرميهم بها غافلا عن ان لسان الانسان مرآت قلبه ، وقد قال المسيح عليه السلام :(كل ينفق مما عنده).

(٥) عدم اشتراك الناس في امور الدولة، وانما يستبد بها هو وجماعته والمتزلفون حوله .

(٦) عدم وجود الصحف الحرة .

(٧) كثرة الضرائب، لتكفي نفقات مخططاته الوهمية، وقد يكون الديكتاتور سارقاً كبيراً يجمع المال لنفسه ولذويه .

(٨) خنق الحريات حتى الرأي والكلام .

(٩) شدة العقاب ، كأن الديكتاتور يرى نفسه فوق الجميع، ولذا يعاقب بشدة وقسوة كل من خالف امره ، أولم يطع رأيه .

(١٠) عدم كشفه عن المال كيف يصرف ؟ لانه يريد ان يصرفه لنفسه وذويه أو أهوائه ، مما اذا اطلع الناس عليه منعوه عن ذلك، وحتى اذا أظهر شيئاً أظهره مجملا مبهماً ، لتكون هناك فجوة يتمكن بسببها من استلاب المال لصرفه حسب هواه .

(١١) عدم الانتخابات اطلاقاً ، أو انتخابات مزيفة حسب ما يمهد الجو لمرشحه ، حيث ليس هناك أحزاب حرة و صحف حرة ، لتكشف زيف الانتخابات .

(١٢) كون محاكم القضاء العوبة بيده، ينصب من يشاء و يعزل من يشاء ، ويخفف كما يريد ويشدد كما يرغب .

(١٣) اظهار المؤامرات المزيفة لتصفية من يشاء من خصومه ، جسدياً أو اجتماعياً بالصاق التهم بهم لاسقاطهم من أعين لناس .

(١٤) مصادرة أموال الناس كيف يشاء ، كما رأينا كيف صادر ناصر أموال التجار باسم الاشتراكية .

(١٥) العدوان على الجيران بألف اسم واسم ، كما فعله ناصر وقاسم و البعث ومن اليهم .

(١٦) يرفع كل مرتبط به الى ما يشاء من القمم ولو كانوا بدون كفاية ، ويخفض كل من ليس بمرتبط به الى ما يشاء ، ولو كان له الكفاية .

(١٧) تحكيم الانتسابات على الكفاءات في موظفيه، فالمعيار في الوظيفة الولاء لا غير ذلك .

(١٨) يختفي هو وراء أعماله ، فان ظهر عند الاجتماع حسناً أظهر انه لنفسه ، وان ظهر عند الاجتماع سيئاً جعل تبعة ذلك على غيره، و أظهر نفسه بريئاً حتى كأنه لااطلاع له اطلاقاً ، واذا ظهر في الامرخطأ كبير عزل انساناً كبيراً أو قتله بتهمة انه اخطأ ذلك، وقد قتل ناصر عامراً ليلقى بتبعه النكسة عليه .

(١٩) التكثير من البوليس السرى بمختلف الاسماء والعناوين ، ليضبط وحده الامر ولا يدع مجالا لاحد غيره .

(٢٠) مايمدحه اليوم يذمه غداً وبالعكس، لانه يريد شخصه، وان نادى بالهدف جعله ستاراً لديكتاتوريته ، قال سبحانه : «ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا» .

(٢١) يجمع حوله الامّعات، لانه لايتحمل ذوي العقول والاراء الحرة، فانه يتلهف على المدح، ولايطيق القدح، والاحرار يقدحون ويمدحون، بالعكس من الامّعات، حيث ليس في كيسهم الا المدح، وفي المثل : (صديقك من صدقك، لامن صدّقك) .

(٢٢) يكثر من موظفي الدولة، بمختلف العناوين ليكثر حوله المصفقون وليتلافي بالكم مافقده من الكيف ـ بزعمه ـ .

(٢٣) وتبعاً لتحكيم المحسوبيات والانتسابات على الكفاءات تتحطم الزراعة والصناعة والثقافة والتجارة والتربية في عهده ، حيث لا كفاءات لادارتها .

(٢٤) يحول دون الخدمات الاجتماعية فلا مدارس أهلية، ولا مؤسسات

بيد الجمعيات، وهكذا، وذلك لانه يريد انتساب كل شيء لنفسه، فلا يرضى بأن يعمل غيره عملا خيرياً في أي من أبعاد الحياة .

(٢٥) يطبع كل المؤسسات والشوارع والمشاريع بأسمه وأسماء اصدقائه.

(٢٦) المبالغة في ذم أعدائه بكل الوسائل وشتى الانواع .

(٢٧) جعل الحلول العسكرية الاعتباطية للقضايا بدون مراعاة الموازين الانسانية .

(٢٨) ولو تجرأ رفع نفسه على الانبياء والمرسلين، كما قال أحد الولاة: (خليفة الرجل أفضل من رسوله، وفلان خليفة الله، أما محمد ﷺ فهو رسول الله ، فالاموي الفلاني أفضل من رسول الله ﷺ) .

(٢٩) ويبقى دائماً في الحكم بمختلف الاسماء .

حركة التاريخ

(مسألة ـ ٤٢ ـ) هل التاريخ يصعد، أوينزل، أويدور؟ اختلاف بين علماء الاجتماع، فالمشهور منهم قالوا بصعود التاريخ وتقدمه، لكن لا بمعنى عدم الميل والتعرج له، بل بمعنى ان الاصل تقدمه الى طرد، وانما الميل والدوران والتنزل فيه أمر عارض، لايوجد حتى يرتفع ويأخذ التاريخ مسيره التكاملي، وجماعة قالوا بأن التاريخ آخذ في النزول بالنسبة الى الانسان ـ الذي هو المحور ـ وان كان في صعود بالنسبة الى الالة ، اذ الالة جماد ليس الكلام فيها بمهم، في هذا البحث، وانما الكلام في الانسان .

ومعنى نزول التاريخ بالنسبة اليه ان تزداد مشاكله حيناً بعدحين حتى تصل الحياة الى مالايطاق، ويدل عليه مايحدث التاريخ من رفاه الاباء بما لا يوجد مثله في الحال الحاضر ، حتى ان كل انسان تراه ، يكون مهموماً ولو من جهة .

أماالذين ذهبوا الى دوران التاريخ، فقالوا التاريخ يعيد نفسه، فلاصعود ولانزول، وانما يتقدم خطوة ليتأخر بعدذلك خطوة، وكلما صلح حال الانسان من جانب فسد من جانب ـ في كل زمان قديسون وأشرار، وظالمون ومظلومون ومرفهون وفقراء، وهكذا، وهذا معنى دوران التاريخ .

الانسان .. في طريق الصعود

والظاهر ان القول الاول أقرب لما نرى من تقدم الانسان في كل الميادين

وشتى المجالات، ولسنا الان بصدد تفصيل الادلة والجواب، وانما المهم ان يعمل الانسان في هذا الخط، لتقديم الانسان الى الامام، أمامشاكله ، فاللازم ان تحلّ، وحل المشاكل انما يكون بالايمان والتقوى، حيث يتبع ذلك عدم استغلال الانسان للانسان في الحكم والعلم والاقتصاد، وانما يكون لكل سعيه حسب كفائته، كما ألمعنا الى ذلك في بعض المسائل السابقة .

كيف تتوفر سعادة الانسان؟

والهدف من صعود الانسان سعادته، وهي لا تتوفر الا في ظل العدالة، و هي بمعنى اعطاء كل ذي حق حقه ، وكما في الامور المادية هناك حركة افقية، وحركة عمودية، فالانسان قد يسير من مكان الى مكان، وقد يصعد الى السطح، كذلك في الحركة المعنوية، قديسير الانسان الى الامام ، وهذا ما يسمى بالتقدم الكمي، وقديصعد في سيره التاريخي ، وهذا مايسمى بالتقدم الكيفي مثلا، كلما سببت الالة سرعة السير، كان ذلك في الكم، وكلماسببت رفاه المسافركان ذلك في الكيف .

فاذا تمكن الانسان من تعميم [الحرية] و [العدالة] و [الاخوة]كان ذلك حركة في الكم، أما اذا تمكن من تحسين كيفية المذكورات، كان حركة في الكيف .

و ان شئت قلت : ان الثلاثة الاول بمنزلة الواجب والاخير بمنزلة المستحب .

قال سبحانه:«يأخذوا بأحسنها» والحرية عبارة عن الغاء القيود سواءكانت على روح الانسان، أوعلى جسده .

قال سبحانه: «يضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم» .

فسوء الاخلاق وما أشبه يوجب الاصر، أماتحديد سفر الانسان واقامته و زراعته وتجارته ، فهو اغلال على الانسان ... والعدالـة ان يعطى كل انسان حسب حقه ، وهي الحق ، لا المساواة، اذ اعطاء المهندس بقدر العامل ظلـم للمهندس، أما العكس أي اعطاء العامل بقدر المهندس، فهواعتباط، وقد يعبر عنه بانه ظلم للمال، ولذا ورد: (لاتمنعوا الحكمة عن اهلـها فتظلموهم، ولا تبذلوها لغير اهلها فتظلموها) فان اسكان الغزلان في البستان ليفسدوا فيه ظلم للبستان .

أما الاخوة فهي أمر معنوي، فان رؤية الناس متساويين أمر عاطفي، بينما العدالة أمر عقلي، أماالتساوي في القانون ومأشبه فهو من العدالـة ، حيث لا مزية لاحد على الاخر.. ولذا نرى تارة يعبر بالعدالة واخرى بالمساواة .

قال تعالى: «ومن يأمر بالعدل» .

وقـال عليه السلام : (الناس من جهة التمثال اكفاء) وقديراد بالاخوة الاعم من العدالة والمساواة، أما لوجعلت الثلاثة في قبال الاخر، فيراد بالحرية ماذكرناه وبالعدالـة ماتقدم، وبالاخوة الامر العاطفي ، اذ لا أمر مادي بعد العدالة حتى يكون مشمولا للاخوة، بل ربما يكتفي بالعدالة فقط حيث انالحرية أيضاً داخلة فيها، فانه بدون اعطاءالحرية لاتكون عدالة .

مناقشة .. مع منكرى التكامل الاجتماعى

وكيف كان ، فقد استدل منكرو التكامل الاجتماعي بأن الناس يختلفـون في الحسن والقبح، فلاهدف واحد للجميع، مثلا: الغربيون يعتبرونالمذهب الرأسمالي حسناً، بينما يعده الشروق سيئاً، وفرعون وقومه كانوا يعدونالسحر حسناً، بينماكان المؤمنون يعدونه قبيحاً، وفي بعض المجتمعات الحاضرة قتل

المجرم حسن، بينما في بعض المجتمعات الاخر قتله قبيح ، وانما يبدلونه بالسجن، الى غيرذلك من الامثلة .

هذا بالاضافة الى انه لوفرض وحدة الهدف، فمن أين يمكن اثبات ان الوصول الى ذلك الهدف الواحد تكامل ؟ وفي كلا الوجهين نظر، اذ لاشك ان الواقع واحد، وانما يصل اليه من وصل ولم يصل اليه من لم يصل، فليس الحسن والقبح مطلقاً نسبياً والا لكان قتل الابرياء بلاسبب ، وحكم القاضي على خلاف القانون وخلاف ضميره باعطاءالحق للمبطل وماأشبه ذلك حسناً، أو لاحسن له ولا قبح، وكلاهما باطل وجداناً .

واذاكان الهدف حسناً لم يكن معنى لعدم كونه تكاملا، فانه لايراد بالتكامل الا الوصول الى الهدف الحسن .

سبب اختلاف المجتمعات

وبذلك تبين انه اذا رأينا اختلاف المجتمعات البشرية في بعض الامور لابد وان يعلل ذلك بأحد أمرين :

(١) انحراف أحدهما عن الحقيقة اذا كان بين الامرين تناقض، والا امكن انحراف كليهما، مثلا : لورأينا بعض المجتمعات كالرأسماليين والشيوعيين يحسّنون الحرب والاستعمار، ورأينا العالم الثالث يقبّحهما، فانه لابد وان يكون أحد الطرفين باطلا، اذ لايعقل أن يكون شيء واحد حسناً وغيرحسن [كما ثبت في المنطق] .

ومثال انحراف كلا الطرفين ، مثل كون المال بيد الدولة كما يقوله الشيوعيون، أوبيد زمرة خاصة من الاثرياء كما يقوله الرأسماليون، فان كليهما باطل، حيث ان اللازم كون المال بيد من يحصل المال بدون الاجحاف كما

ذكرنا تفصيله في [الفقه ـ الاقتصاد] .

(٢) أواختلاف الظروف فى المجتمعين ممالايكون اختلاف في الحقيقة فان أي واحد من المجتمعين لوكان في ظروف المجتمع الاخر كان يعمل كما عمله المجتمع الواجد للظروف، وبالعكس مثل: [عمل الاطفال] فانه يحسّنه المجتمع الفقير، ويقبّحه المجتمع الغني، ذلك لان الاول محتاج الى عملهم ـ بما يجعل العمل أحسن من باب الاهم والمهم ، بينما المجتمع الثاني لا يحتاج ، فالامر يبقى على أصله من قبح استعمالهم لانه يذوى شخصيتهم و يعقّد أنفسهم ـ فيما لم يكن عملا ترفيهياً، مثل اعطاء الماء للحدائق والطعام للحيوانات ومأشبه ـ .

تعاليم الانبياء .. هى العلاج

ثم ان مانشاهده الان في المجتمع الانسانى من الاضطراب والقلق و التحير والتهديد، ليس لان الانسان وصل الى طريق مسدود، وانما لان الانسان بقدر ماتقدم في ميدان العلم والصناعة لم يتقدم في ميدان الايمان والتقوى، و كما انه اذا بدل السيف في يد اللص بالبندقية صار خطره أكثر، صار العلم هكذا، حيث ان التقدم العلمي والفني سبب ان تشتد عضلات الذين لايؤمنون بالاخرة ولا يتصفون بالفضيلة والتقوى .

فاذا تمكن عقلاء العالم من تأمين كيان الناس ، وارجاع تعاليم الانبياء الى البشر زال هذا الخطر، وذلك لايمكن الا بازالة نظام الرأسمالية والشيوعية حيث ان رؤساء هذين النظامين ذوو أطماع، ومن المعلوم ان الطامع اذا صارت له قدرة مادية فسد وأفسد، و ازالة هذين النظامين، لا انه ينجي العالم الثالث فحسب ، بل ينجي نفس العالمين الشرقي والغربي من مآسي هذين

النظاميـن .

والا فلاينبغي الاشكال في ان البشرية تقدمت تقدماً كبيراً، فالولادة كثرت والامراض تعالج بسرعة، والامراض التي كانت تحصد الانسان حصداً كالوباء والطاعون ازيلت كلية أو قلت الى حد كبيـر ، والسفر صار سهلا ، وساعات العمل تقلصت، والعلم أخذ في التعميـم، وصعوبات العمال والفلاحين قلّت ـ بسبب المعامل والتراكتورات ـ والاعمار طالت نوعاًما بسبـب الوسائل الصحية الحديثة ، ووسائل راحة الانسان كالكهرباء وأنابيب الماء ونحوهما كثرت، وأسباب التنزه ازدادت، والاجتماعات تقاربت، الى غيرها مماألمعنا الى بعضه في طي المسائل السابقة .

وقدأخذ الاجتماع يتحول الى التجديد بسرعة كبيرة، اذ من الواضح انه كلماتقدم العلم أخذ يسرع في التقدم أكثر لتراكم المعلومات السابقة .

وقـد أحصى بعض علماء الاجتماع الاختراعات لشبه قارة واحـدة من المـدن الصناعية فكانت بيـن سنة [١٨٦٠] الى [١٨٦٩] م سبعة آلاف و بين [١٨٧٠] الى [١٨٧٩] م ثلاثة عشر ألف، وهكذا ازداد العدد في كل فترة الى أن وصل عدد الاختراع بين سنة [١٩٥٠] الى [١٩٥٥] م أربعين ألف اختراع .

لا شك ان جملـة من هذه الاختراعات تدميرية الا ان أكثرها بنائيـة و التدميرية يجب أن تزال بزوال أسبابها ، وهي النفوس الشريرة ، فاذا طهرت النفوس تبدلت حتى التدميرية الى البنائية ، وماذلك على الله بعزيز .

اللهم انا نرغب اليك في دولة كريمة تعز بها الاسلام وأهلـه، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك، والقادة الى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة ..

سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

محمد بن المهدى الحسينى الشيرازى

خاتمة

(خاتمة) :

هناك زخم كبير من الاحاديث الشريفة المروية عن رسول الله ﷺ وعن ائمة أهل البيت عليهم السلام وردت بشأن العلاقات العامة ، والاجتماعية ترتبط ـ بعلم الاجتماع ـ من قريب أوبعيد ، تعدبالالوف ، والالوف .

انتخبنا منهاهذه النبذة نضعها بين يدي القراء الكرام لاتمام الفائدة، واكمال الموضوع .

ولايخفى : اننا تركنا فهم أبعادها ومايستفاد منها الى مستويات المطالعين المختلفة ، كل يقتبس منها بمقدار فهمه وفطنته ، فان استيعاب الكلام حولها يحتاج الى مجلدات ضخمة ، والله ولي الهداية .

١ ـ في كيفية السلوك الاجتماعي

عن معاوية بن وهب ، قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا ، وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس ؟ قال: فقال : تؤدون الامانة اليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم ، وتعودون مرضاهم وتشهدون جنائزهم.

عن أبي أسامة زيدالشحام قال : قال لى أبوعبدالله عليه السلام اقرء على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، واوصيكم بتقوى الله عزوجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الامانة ، وطول السجود، وحسن الجوار ، فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله ، وأدوا الامانة الى من ائتمنكم عليها براً أو فاجراً ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر باداء الخيط والمخيط، صلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم ، وعودوا مرضاهم ، وأدوا حقوقهم ، فان الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الامانة وحسن خلقه مع الناس، قيل هذا جعفري ، فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور ، وقيل هذا أدب جعفر ، واذا كان على غير ذلك دخل على بلاؤه وعاره ، وقيل هذا أدب جعفر ، والله لحدثنى أبى عليه السلام ان الرجل كان يكون فى القبيلة من شيعة على عليه السلام فيكون زينها أداهم للامانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، اليه وصاياهم وودائعهم ، تسأل العشيرة عنه فتقول من مثل فلان؟ انه أدانا للامانة ، وأصدقنا للحديث .

عن معاوية بن وهب قال : قلت له: كيف ينبغى لنا أن نصنع فيما بيننا وبين

قومنا وبين خلطائنا من الناس ممن ليسوا على أمرنا ؟ فقال عليه السلام : تنظرون الى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون مايصنعون، فوالله انهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم ، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ، ويؤدون الامانة اليهم .

عن حبيب الخثعمى قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : عليكم بالورع والاجتهاد، واشهدوا الجنائز، وعودوا المرضى، واحضروا مع قومكم مساجدكم وأحبوا للناس ماتحبون لانفسكم ، أما يستحيى الرجل أن يعرف جاره حقه ، ولايعرف حق جاره .

عن مرازم قال : قال أبوعبدالله عليه السلام: عليكم بالصلاة فى المساجد ، وحسن الجوار للناس واقامة الشهادة وحضور الجنائز، انه لابد لكم من الناس ان أحداً لايستغنى عن الناس حياته ، والناس لابد لبعضهم من بعض .

عن عبدالله بن سنان قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : أوصيكم بتقوى الله ولاتحملوا الناس على أكتافكم فتذلوا ، ان الله عزوجل يقول في كتابه : «وقولوا للناس حسناً» ثم قال: عودوا مرضاهم، واحضروا جنائزهم ، واشهدوا لهم وعليهم ، وصلّوا معهم في مساجدهم حتى يكون التمييز ، وتكون المباينة منكم ومنهم .

عن خيثمة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أبلغ موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله والعمل الصالح، وأن يعود صحيحهم مريضهم، وليعد غنيهم على فقيرهم وأن يشهد حيهم جنازة ميتهم ، وأن يتلاقوا فى بيوتهم ، وأن يتفاوضوا علم الدين فان ذلك حياة لامرنا رحم الله عبداً احيى أمرنا ، وأعلمهم ياخيثمة انا لانغنى عنهم من الله شيئاً الا بالعمل الصالح ، فان ولايتنا لاتنال الا بالورع ، وان أشد الناس عذاباً يوم القيامة من وصف عدلا ثم خالفه الى غيره .

عن كثير بن علقمة قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : اوصني، فقال: اوصيك

بتقوى الله ، والورع والعبادة، وطول السجود، وأداء الامانة، وصدق الحديث وحسن الجوار فبهذا جاءنا محمد صلى الله عليه وآله صلوا في عشائركم وعودا مرضاكم، واشهدوا جنائزكم ، وكونوا لنا زينا ، ولاتكونوا علينا شينا، حببونا الى الناس ولاتبغضونا اليهم، فجروا الينا كل مودة ، وادفعوا عنا كل شر ـ الحديث .

عن يحيى بن عمران، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ليجتمع في قلبك الافتقار الى الناس ، والاستغناء عنهم ، يكون افتقارك اليهم في لين كلامك ، وحسن سيرتك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك .

عن أبي اسامة قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : عليكم بتقوى الله والورع والاجتهاد ، وصدق الحديث، واداء الامانة ، وحسن الخلق ، وحسن الجوار وكونوا لنا زينا ، ولاتكونوا علينا شينا ـ الحديث .

٢ ـ استحباب حسن المعاشرة والمرافقة

عن محمد بن مسلم قال : قال أبو جعفر عليه السلام : من خالطت فان استطعت أن تكون يدك العليا (عليه) عليهم فافعل .

عن معاوية بن عمار قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : وطن نفسك على حسن الصحابة لمن صحبت، وحسن خلقك ، وكف لسانك ، واكظم غيظك ، واقل لغوك وتغرس عفوك ، وتسخو نفسك .

وعن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن اسماعيل بن مهران عن محمد بن حفص، عن أبي الربيع الشامي قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام والبيت غاص بأهله (الى أن قال) فقال : ياشيعة آل محمد اعلموا أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه ، ومن لم يحسن صحبة من صحبه ، ومخالقة من خالقه،

ومرافقة من رافقه ، ومجاورة من جاوره، ومسالحة من مالحه ـ الحديث .

عن محمدبن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ما (لا) يعبأ بمن سلك هذا الطريق اذا لم يكن فيه ثلاث خصال : ورع يحجزه عن معاصي الله ، وحلم يملك به غضبه ، وحسن الصحبة لمن صحبه .

عن صفوان الجمال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان أبي يقول لا (ما) يعبأ بمن يؤم هذا البيت، اذا لم يكن فيه ثلاث خصال: خلق يخالق به من صحبه ، أو حلم يملك به، غضبه أو ورع يحجزه عن محارم الله .

عن عمار بن مروان قال : أوصاني أبو عبدالله عليه السلام فقال : اوصيك بتقوى الله وأداء الامانة وصدق الحديث ، وحسن المحبة لمن صحبت ، ولاقوة الا بالله .

عن المفضل بن عمر قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال لي: من صحبك؟ فقلت له : رجل من اخواني ، قال : فما فعل ؟ قلت : منذ دخلت لم أعرف مكانه فقال لي : أما علمت أن من صحب مؤمناً أربعين خطوة سأله الله عنه يوم القيامة .

عن السكوني، عن أبي عبدالله ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل : ورع يحجزه عن معاصي الله ، وخلق يداري به الناس ، وحلم يرد به جهل الجاهل .

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : خالطوا الناس مخالطة ان متّم معها بكوا عليكم، وان غبتم حنوا اليكم .

٣ ـ كيفية المعاشرة مع أنواع الاخوان

عن جابر، عن ابي جعفر عليه السلام قال : قام الى أمير المؤمنين عليه السلام رجل بالبصرة

فقال : أخبرنا عن الاخوان ؟ فقال : الاخوان صنفان اخوان الثقة واخوان المكاشرة ، فأما اخوان الثقة فهم كالكف والجناح والاهل والمال ، فاذا كنت من أخيك على ثقة فابذل له مالك ويدك ، وصاف من صافاه ، وعاد من عاداه ، واكتم سره وأعنه واظهر منه الحسن ، واعلم أيّها السائل انهم اعز من الكبريت الاحمر .

وأما اخوان المكاشرة فانك تصيب منهم لذتك ، فلا تقطعن ذلك منهم ولا تطلبن ماوراء ذلك من ضميرهم وابذل لهم مابذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان.

٤ ـ استحباب التوسعة في المجلس

عن ابن أبي عمير ، عمن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل: « انا نراك من المحسنين » قال : كان يوسع المجلس ويستقرض للمحتاج ، ويعين الضعيف .

عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ينبغي للجلساء في الصيف أن يكون بين كل اثنين مقدار عظم الذراع لئلا يشق بعضهم على بعض .

٥ ـ استحباب توقير الاخوان

عن معمر بن خلاد ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: اذا كان الرجل حاضراً فكنه وان كان غائباً فسمه .

عن العلاء بن الفضيل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان أبو جعفر عليه السلام يقول : عظموا أصحابكم ووقروهم ، ولايتهجم بعضكم على بعض ، ولاتضاروا ولاتحاسدوا ، واياكم والبخل ، وكونوا عباد الله المخلصين .

٦ ـ كراهة العزلة عن الناس

عن علي بن عقبة ، عن بعض من رواه، عن أحدهما عليهما السلام قال: الانقباض من الناس مكسبة للعداوة .

٧ ـ استحباب اكتساب الاخوان وقبول العتاب

عن محمد بن يزيد قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : من استفادأخاً في الله استفاد بيتاً في الجنة .

وفي (المجالس) عن أبيه قال: قال لقمان لابنه : يابني اتخذ ألف صديق وألف قليل ، ولاتتخذ عدواً واحداً والواحد كثير .

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لايدخل الجنة رجل ليس له فرط، قيل يارسول الله ولكل فرط ؟ قال : نعم ان من فرط الرجل أخاه في الله .

عن جعفر بن ابراهيم ، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : أكثروا من الاصدقاء في الدنيا فانهم ينفعون في الدنيا والاخرة ، أما في الدنيا فحوائج يقومون بها، وأما في الاخرة فان أهل جهنم قالوا : فما لنا من شافعين ولاصديق حميم .

عن أحمد بن محمد ، عن بعض أصحابه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : استكثروا من الاخوان ، فان لكل مؤمن دعوة مستجابة ، وقال : استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة ، وقال : أكثروا من مواخاة المؤمنين فان لهم عند الله يداً يكافئهم بها يوم القيامة .

في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : أعجز النّاس من عجز عن اكتساب الاخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم .

عن أبي المفضل ، عن جعفر بن محمد العلوي ، عن علي بن الحسين بن علي ، عن حسن بن زيد ، عن جعفر بن محمد ،عن أبيه ، عن جده ،عن

علي بن أبي طالب عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :المؤمن غر كريم والمنافق خب لئيم ، وخير المؤمنين من كان مألفة للمؤمنين ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف،قال :وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :شرار النّاس من يبغض المؤمنين وتبغضه قلوبهم ، المشاؤن بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة الباغون للناس العيب، اولئك لاينظر الله اليهم ولايزكيهم يوم القيامة ،ثم تلا عليه السلام : «هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم» .

عن أيوب بن نوح قال : كتب يعني علي بن محمد عليهما السلام الى بعض أصحابنا : عاتب فلاناً وقل له : اذا أراد الله بعبد خيرا اذا عوتب قبل.

٨ ـ استحباب صحبة العاقل واجتناب الاحمق

عن عمّار بن موسى، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا عليك أن تصحب ذا العقل وان لم تحمد كرمه ، ولكن انتفع بعقله واحترس من سيء أخلاقه ، ولا تدعن صحبة الكريم وان لم تنتفع بعقله ولكن انتفع بكرمه بعقلك ، وافرر كل الفرار من اللئيم الاحمق .

٩ ـ استحباب الاستشارة من العاقل

عن النبي صلى الله عليه وآله استرشدوا العاقل ولاتعصوه فتندموا .

١٠ ـ استحباب اجتماع الاخوان

عن محمد بن علي بن الحسين، باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: تجلسون وتحدثون ؟ قلت: نعم ، قال: تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا ، رحم الله من أحيى أمرنا يافضيل: من ذكرنا أوذكرنا عنده فخرج عن عينيه مثل جناح الذباب

غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر .

(أقول : لان ذلك يجره الى الاستقامة) .

عن عبد الله بن مسكان، عن ميسر، عن أبي جعفر عليه السلام قال :قال لي:أتخلون وتحدّثون تقولون ما شئتم ؟ فقلت : اي والله، فقال : أما والله لوددت أنّي معكم في بعض تلك المواطن ـ الحديث .

عن أبي جعفر عليه السلام قال : رحم الله عبدا أحيى ذكرنا ، قلت : ما احياء ذكركم ؟ قال : التلاقي والتذاكر عند أهل الثبات .

عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام ان علياً عليه السلام كان يقول: لقيا الاخوان مغنم جسيم .

عن فضيل بن يسار قال : قال أبو جعفر عليه السلام أتتجالسون ؟ قلت : نعم ، قال : واهاً لتلك المجالس .

عن خيثمة ،عن أبي عبد الله عليه السلام قال :أبلغ موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله العظيم ، أن يعود غنيّهم على فقيرهم ، وقويهم على ضعيفهم ، وان يشهد حيّهم جنازة ميتهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم ، فان في لقاء بعضهم بعضاً حياة لامرنا ، ثم قال: رحم الله عبداً أحيى أمرنا .

عن السكوني، عن جعفر ، عن آبائه ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال : ثلاثة راحة للمؤمن : التهجّد آخر الليل، ولقاء الاخوان، والافطار من الصيّام .

عن شعيب العقرقوفي قال : سمعت أباعبد الله عليه السلام يقول لاصحابه: اتقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه .

عن أبي جعفر عليه السلام قال : اجتمعوا وتذاكروا تحف بكم الملائكة ، رحم الله من أحيى أمرنا .

١١ ـ استحباب صحبة خيار الناس واجتناب شرارهم

عن أبي علي قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انظروا من تحادثون فانّه ليس من احد ينزل به الموت الا مثل له اصحابه الى الله ، فان كانوا خياراً فخياراً ، وان كانوا شراراً فشراراً ، وليس احد يموت الا تمثلت له عند موته .

عن علي بن اسباط ، عن بعض اصحابه ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : قال عيسى عليه السلام ان صاحب الشر يعدي ، وقرين السوء يردي، فانظر من تقارن .

عن عبد الله بن مسكان ،عن رجل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام:عليك بالتلاد واياك كل محدث لاعهد له ولاامانة ولاذمة ولاميثاق ، وكن على حذر من أوثق الناس عندك .

عن عطية ، عن ابن عباس قال : قيل يارسول الله أي الجلساء خير ؟ قال : من تذكركم الله برؤيته ، ويزيد فى علمكم منطقه، ويرغبكم فى الاخرة عمله .

عن داود الرقي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : انظر الى كل مالايعنيك منفعة فى دينك فلا تعتدن به ، ولاترغبن فى صحبته ، فان كل ماسوى الله مضمحل وخيم عاقبته .

١٢ ـ استحباب قبول النصح وصحبة الناصحين

عن أبي العديس قال : قال أبوجعفر عليه السلام : ياصالح اتبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولاتتبع من يضحكك وهو لك غاش ، وستردون على الله جميعاً فتعلمون .

عن أحمد بن محمد، رفعه الى أبي عبدالله عليه السلام قال : أحب اخواني الي من أهدى الي عيوبي .

عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي ، عن بعض أصحابه رفعه قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : لايستغني المؤمن عن خصال وبه الحاجة الى ثلاث خصال : توفيق من الله عز وجل ، وواعظ من نفسه ، وقبول من ينصحه .

١٣ ـ من نصادق ؟

عن عبيدالله الحلبي ،عن أبي عبدالله عليه السلام قال :لاتكون الصداقة الابحدودها فمن كانت فيه هذه الحدود أو شيء منها فانسبه الى الصداقة ، ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه الى شيء من الصداقة ، فأولها أن تكون سريرته و علانيته لك واحدة ، والثانية أن يرى زينك زينه ، وشينك شينه ، والثالثة أن لايغيره عليك ولاية ولامال ،والرابعة أن لايمنعك شيئاً تناله مقدرته ،والخامسة وهي تجمع هذه الخصال أن لايسلمك عند النكبات .

عن السيد الرضي (ره) فى (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : لايكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث : في نكبته ، و غيبته ، ووفاته .

١٤ ـ استحباب المواساة

عن الرصافي ، عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال لي : أرأيت من قبلكم اذا كان الرجل ليس عليه رداء ، وعند بعض اخوانه رداء يطرحه عليه ؟ قال : قلت لا، قال: فاذاكان ليس عنده ازار يوصل اليه بعض اخوانه بفضل ازاره حتى يجد له ازاراً؟ قال : قلت:لا، قال : فضرب بيده على فخذه ثم قال :ماهؤلاء باخوة.

عن خـلاد السندي رفعه قال : أبطأ على رسول الله ﷺ رجل فقال : ما أبطأ بك ؟ فقال العـرى يا رسول الله ، فقال : أما كان لك جار له ثوبان يعيرك أحدهما ؟ فقال : بلى يارسول الله ، فقال : ما هذا لك بأخ .

عن مفضل بن يزيد قال: قال أبوعبد الله عليه السلام : انظر ماأصبت فعد به على اخوانك ، فان الله يقول : « ان الحسنات يذهبن السيئات» .

عن ابن أعين ، أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن حق المسـلم على أخيه فلم يجبه قال: فلماجئت اودعه قلت: سألتك فلم تجبني، قال: اني أخاف أن تكفروا وان من أشد مـا افترض الله على خلقه ثلاثاً انصاف المؤمن من نفسه حتى لايرضى لاخيه المؤمن من نفسه الا بما يرضى لنفسه ، ومواساة الاخ المؤمن فى المال (في الله) وذكر الله على كل حال ، وليس سبـحان الله والحمـد لله ، ولكن عند ماحرم الله عليه فيدعه .

١٥ ـ كراهة مؤاخاة الفاجر والاحمق والكذاب

عن محمد بن سالم الكندي ، عمن حدثه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام اذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم أن يتجنب مؤاخاة ثلاثة الماجن الفاجر والاحمق والكذاب ، فأما الماجن الفاجر فيزين لك فعله ويحب أن تكون مثله ، ولا يعينك على أمر دينك ومعادك ، ومقاربته جفـاء وقسوة و مدخله ومخرجه عار عليك ، وأما الاحمق فانه لايشير عليك بخير ، ولايرجى لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه ، وربما أراد منفعتك فضرك ، فموته خير من حياته ، وسكوته خير من نطقه ، وبعده خير من قربه ، وأما الكذاب فانه لا يهنئك معه عيش ينقل حديثك ، وينقل اليك الحديث، كلما أفنى (أفنى) احدوثة مطها باخرى مثلها ، حتى أنه يحدث بالصدق فمـا يصدق ويفرق (يغري) بين

الناس بالعداوة فينبت السخائم في الصدور ، فاتقوا الله وانظروا لانفسكم .

عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لاينبغي للمرء المسلم أن يؤاخي الفاجر ، فانه يزين له فعله ويحب أن يكون مثله ، ولا يعينه على أمر دنياه ولا أمر معاده ، ومدخله اليه ومخرجه من عنده شين عليه .

عن ميسر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لاينبغي للمرء (للمسلم) أن يؤاخي الفاجر ، ولا الاحمق ، ولا الكذاب .

عن عبيد بن زرارة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام اياك ومصادقة الاحمق فانك أسر ماتكون من ناحيته أقرب مايكون الى مسائتك .

عن محمد بن سالم الكندي ، عمن حدثه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان علي عليه السلام عندكم اذا صعد المنبر يقول للمسلم أن يجتنب مؤاخاة الكذاب ، فانه لايهنئك معه عيش ينقل حديثك ، وينقل الاحاديث اليك ، كلما فنيت احدوثة مطها باخرى ، حتى أنه ليحدث بالصدق فما يصدق ، فينقل الاحاديث من بعض الناس الى بعض يكسب بينهم العداوة ، ويثبت الشحناء في الصدور.

١٦ - كراهة اشراك السفلة والفجار في الامر

عن عمار بن موسى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: حب الابرار للابرار ثواب للابرار، وحب الفجار للابرار فضيلة للابرار ، وبغض الفجّار للابرار زين للابرار، وبغض الابرار للفجار خزي على الفجّار .

عن ابراهيم بن أبي البلاد عمن ذكره رفعه قال : قال لقمان لابنه : يابني لا تقترب فيكون أبعد لك ، ولا تبعد فتهان ، كل دابّة تحب مثلها ، وان ابن آدم يحب مثله ، ولا تنشر برك الا عند باغيه ، كما ليس بين الذئب والكبش خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلّة ، من يقرب من الرفث يعلق به بعضه ،

كذلك من يشارك الفاجـر يتعلّم من طرقه ، من يحب المرآء يشتم ، ومن يدخل مداخل السّوء يتّهم ، ومن يقارن قرين السّوء لايسلم ، ومن لايملك لسانه يندم .

عن معاوية بن وهب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : كان أبي عليه السلام يقول : قم بالحق ولا تعرض لمافاتك، واعتزل مالا يعنيك،وتجنب عدوك ، واحذر صديقك من الاقوام الا الامين ، والامين من خشى الله ، ولا تصحب الفاجـر ولا تطلعه على سرك ولاتأمنه على أمانتك ، واستشر في امورك الذين يخشون ربّهم .

١٧ ـ كراهة مصاحبة الكذاب والفاسق والبخيل والجبان وقاطع الرحم

عن محمد بن مسلم وأبي حمزة ،عن أبي عبدالله ، عن أبيه قال : قال لي أبي علي بن الحسين عليهما السلام : يابني انظر خمسة فلاتصاحبهم ولا تحادثهم ولاترافقهم في طريق، فقلت : ياأبه من هم عرفنيهم ؟ قال: ايّاك ومصاحبة الكذّاب فانّه بمنزلة السّراب يقرب لك البعيد ، ويبعد لك القريب،واياك ومصاحبة الفاسق فانّه بايعك بأكلة ، وأقل من ذلك ، و ايّاك ومصاحبة البخيـل فانّه يخذلك في ماله أحوج ماتكون اليه وايّاك ومصاحبة الاحمق فانّه يريد أن ينفعك فيضرك، وايّاك ومصاحبة القاطع لـرحمه فانّي وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع قال الله عزوجل : «فهل عسيتم ان تولّيتم أن تفسدوا في الارض وتقطّعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم» وقال : «الـذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك لهم اللّعنة ولهم سوء الدار» وقال في البقرة: « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض

أولئك هم الخاسرون» .

عن محمّد بن مروان ، عن الصّادق جعفر بن محمّد عليهما السلام قال : ايّاك وصحبة الاحمق فانّه أقرب ماتكون منه أقرب ما يكون الى مسائتك .

عن السيد الرضي (ره) في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : يابني ايّاك ومصادقة الاحمق فانّه يريد أن ينفعك فيضرك ، وايّاك ومصادقة البخيل فانّه يقعد عنك أحوج ما تكون اليه،وايّاك ومصادقةالفاجر فانه يبيعك بالتافه، وايّاك ومصادقة الكذاب فانّه كالسراب يقرب عليكالبعيد ويبعد عليك القريب .

عن حنان بن سدير،عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: لاتقارن ولاتؤاخي أربعة : الاحمق، والبخيل والجبان ، والكذّاب ، أمّا الاحمق فيريد أنينفعك فيضرك ، وأمّا البخيل فانّه يأخذ منك ولا يعطيك ، وأما الجبان فانّه يهرب عنكوعن والديه، وأمّا الكذّاب فانّه يصدق ولا يصدق .

عن مسعدة بن صدقة ،عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه قال : أردت سفراً فأوصى الي أبي علي بن الحسين عليهم السلام فقال : في وصيته : وايّاك يا بني أن تصاحب الاحمق أو تخالطه واهجره ولا تحادثه، فان الاحمق هجنة عياب غائباً كان أو حاضراً ،ان تكلّم فضحه حمقه ، وان سكت قصر به غيّه ، وان عمل أفسد ، وان استرعى أضاع ، لاعلمه من نفسه يغنيه ، ولا علم غيره ينفعه ولا يطيع ناصحه ، ولا يستريح مقارنه ، تؤد امّه أنها ثكلته وامرأته أنها فقدته ، وجاره بعد داره ، وجليسه الوحدة من مجالسته، ان كان أصغر من في المجلس أعني من فوقه ، وان كان أكبرهم افسد من دونه .

١٨ ـ كراهة الدخول في مواضع التهمة

عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من عرض نفسه للتهمة فلايلومن من اساء به الظن، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده.

عن الحسين بن يزيد، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: من دخل موضعاً من مواضع التهمة فأتّهم فلايلومن الا نفسه.

عن أبي الجارود، عن أبي جعفر، عن أبيه، عن جده قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من وقف بنفسه موقف التهمة فلايلومن من أساء به الظن ـ الحديث.

عن الفجيع العقيلي في (وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام) انه قال فيها: واياك ومواطن التهمة، والمجلس المظنون به السوء، فان قرين السوء يغر جليسه.

عن البزنطي قال: قال أبو الحسن عليه السلام: قال أبو عبد الله عليه السلام: اتّقوا مواقف الريب، ولا يقف أحدكم مع امه في الطريق فانه ليس كل أحد يعرفها.

عن السيد الرضي (ره) في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن.

وقال عليه السلام: من سل سيف البغي قتل به، ومن كايد الامور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن دخل مداخل السوء اتّهم.

١٩ اتقاء فراسة المومن

عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: «ان في ذلك لايات للمتوسمين» قال: هم الائمة عليهم السلام قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله في قوله: «ان في ذلك لايات للمتوسمين».

عن سليمان الجعفري قال : كنّا عند أبي الحسن عليه السلام فقال: اتق فراسة المؤمن فأنه ينظر بنور الله ـ الحديث .

عن (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: اتّقوا ظنون المؤمنين فان الله جعل الحق على ألسنتهم .

٢٠ ـ استحباب مشاورة ذوى الرأى

عن ابن القداح، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام قال : قيل: يارسول الله ماالحزم ؟ قال: مشاورة ذوي الرأي وأتباعهم .

عن السري بن خالد، عن أبيعبد الله عليه السلام قال : فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام قال : لامظاهرة أوثق من المشاورة ، ولا عقل كالتدبير .

عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: فى التوراة أربعة اسطر: من لا يستشر يندم، والفقر الموت الاكبر، كما تدين تدان، ومن ملك استأثر .

عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لن يهلك امرء عن مشورة.

عن السيد الرضي (ره) فى (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: لا غنى كالعقل ، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالادب ، ولا ظهير كالمشاورة .

وقال عليه السلام: من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها.

وقال عليه السلام: الاستشارة عين الهداية .

وقال عليه السلام: خاطر بنفسه من أستغنى برأيه .

٢١ ـ استحباب استشارة الورع الناصح الصديق واتباعه

عن المفضل بن عمر قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: من لم يكن له واعظ من قلبه، وزاجر من نفسه، ولم يكن له قرين مرشد، استمكن عدوه من عنقه.

عن عبد العظيم الحسني، عن علي بن محمد الهادي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: خاطر بنفسه من أستغنى برأيه.

عن معاوية ابن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: استشر في أمرك الذين يخشون ربهم.

عن الحسين بن المختار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال علي عليه السلام في كلام له: شاور في حديثك الذين يخافون الله.

عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: استشر العاقل من الرجال الورع، فانه لا يأمر الا بخير، واياك والخلاف، فان مخالفة الورع العاقل مفسدة في الدين والدنيا.

عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله، فاذا أشار عليك الناصح العاقل فاياك والخلاف فان في ذلك العطب.

عن المعلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما يمنع أحدكم اذا ورد عليه مالا قبل له به أن يستشير رجلا عاقلا له دين وورع، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: أما انه اذا فعل ذلك لم يخذله الله بل يرفعه الله ورماه بخير الامور وأقربها الى الله.

عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال ان المشورة لا تكون الا بحدودها

فمن عرفها بحدودها والا كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها له، فأولها: أن يكون الذي تشاوره عاقلا، والثانية: انيكون حراً متديناً، والثالثة: أنيكون صديقاً مؤاخياً، والرابعة أن تطلعه على سرك فيكون علمه به كعلمك بنفسك، ثم يسر ذلك ويكتمه، فانه اذا كان عاقلا انتفعت بمشورته، واذا كان حراً متديناً أجهد نفسه في النصيحة لك، واذا كان صديقاً مؤاخياً كتم سرك اذا اطلعته عليه، واذا أطلعته على سرك فكان علمه به كعلمك به تمت المشورة، وكملت النصيحة.

٢٢ ـ في نصح المستشير

عن حسين بن عمر بن يزيد، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من استشار أخاه فلم ينصحه محض الرأي سلبه الله عزوجل رأيه.

٢٣ ـ في استشارة الانسان من دونه

عن معمر بن خلاد قال: هالك مولى لابي الحسن الرضا عليه السلام يقال له سعد: فقال له: اشرعلي برجل له فضل وأمانة، فقلت: أنا اشير عليك، فقال شبه المغضب: ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يستشير أصحابه ثم يعزم على مايريد.

عن الفضيل بن يسار قال: استشارني أبوعبد الله عليه السلام مرة في، أمر فقلت: أصلحك الله مثلي يشير على مثلك؟ قال: نعم اذا استشرتك.

عن الحسن بن جهم قال: كنا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فذكر أباه عليه السلام فقال: كان عقله لاتوازن به العقول، وربما شاور الاسود من سودانه فقيل له: تشاور مثل هذا؟ فقال: ان الله تبارك وتعالى ربما فتح على لسانه، قال: فكانوا ربما أشاروا عليه بالشيء فيعمل به من الضيعة والبستان.

عن السيد الرضي (ره) في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام

انه قال لعبد الله بن العباس وقد أشار عليه فى شيء لم يوافق رأيه: عليك أن تشير علي فاذا خالفتك فأطعني .

عن علي بن مهزيار قال: كتب الي أبو جعفر عليه السلام أن سل فلاناً أن يشير علي ويتخير لنفسه فهو أعلم بما يجوز فى بلده، وكيف يعامل السلاطين، فان المشورة مباركة، قال الله لنبيّه فى محكم كتابه : « وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله» فان كان ما يقول مما يجوز كتبت أصوب رأيه، وان كان غير ذلك رجوت أن اضعه على الطريق الواضح انشاء الله .

٢٤ ـ كراهة استشارة الجبان والبخيل والحريص والفاجر والسافل

عن محمد بن آدم، عن أبيه ، عن أبي الحسن الرضا، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ياعلي لاتشاورن جباناً فانه يضيق عليك المخرج ولاتشاورن بخيلا فانه يقصر بك عن غايتك، ولاتشاورن حريصاً فانه يزين لك شرها، واعلم أن الجبن والبخل والحرص غريزة يجمعها سوء الظن .

عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول :كان أبي عليه السلام يقول : قم بالحق ولاتعرض لما نابك ، واعتزل مالايعنيك ، و تجنب عدوك، واحذر صديقك ، واصحب من الاقوام الامين ، والامين من يخشى الله ، ولا تصحب الفاجر ،ولاتطلعه على سرك، ولاتأتمنه على أمانتك،واستشر فى امورك الذين يخشون ربهم .

٢٥ ـ النهى عن مجالسة اهل البدع

عن ابن أبي نجران ، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال :لا تصحبوا أهل البدع ، ولاتجالسوهم فتكونوا عند الناس كواحد منهم ، و

قال رسول الله ﷺ : المرء على دين خليله وقرينه .

٢٦ ـ فى جملة ممن ينبغى اجتناب معاشرتهم وترك السلام عليهم

عن جعفر بن محمد ، عن آبائه عليهم السلام فى وصية النبى ﷺ لعلي عليه السلام قال: ياعلي من لم تنتفع بدينه ولادنياه فلا خير لك فى مجالسته ، ومن لم يوجب لك فلاتوجب له ولاكرامة .

عن الحسين بن زيد ، عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام فى حديث المناهي قال : وكره أن يكلم الرجل مجذوماً الا أن يكون بينه وبينه قدر ذراع ، و قال عليه السلام : فر من المجذوم فرارك من الاسد .

عن محمد بن أحمد بن يحيى، باسناده رفعه الى أمير المؤمنين عليه السلام قال : نهى رسول الله ﷺ ان يسلم على أربعة: على السكران فى سكره ، وعلى من يعمل التماثيل ، وعلى من يلعب بالنرد، وعلى من يلعب بالاربعة عشر ، وأنا أزيدكم الخامسة انهيكم أن تسلموا على أصحاب الشطرنج .

عن درست قال : قال رسول الله ﷺ : خمسة يجتنبون على كل حال : المجذوم ، والابرص ، والمجنون ، وولد الزنا ، والاعرابي .

عن السكوني ، عن جعفر بن محمد ، عن آبنائه عليهم السلام قال: ستة لايسلم عليهم : اليهودى ، والنصراني ، والرجل على غائطه ، وعلى موائد الخمر ، و على الشاعر الذي يقذف المحصنات ، وعلى المتفكهين بسب الامهات .

عن الاصبغ بن نباته ، عن علي عليه السلام فى حديث قال : ستة لاينبغي ان يسلم عليهم اليهود والنصارى ، وأصحاب النرد والشطرنج، وأصحاب الخمر والبربط والطنبور ، والمتفكهون بسب الامهات ، والشعراء .

عن مصدق [مسعدة] بن صدقة ، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام قال :

لاتسلموا على اليهود، ولا النصارى ولاعلى المجوس ولا على عبدة الاوثان ، ولاعلى شراب الخمر، ولاعلى صاحب الشطرنج والنرد ، ولاعلى المخنث ، و لاعلى الشاعر الذي يقذف المحصنات ... الى أن قال : ولاعلى آكل الربا، ولا على رجل جالس على غايط ، ولا على الذي فى الحمام ، ولا على الفاسق المعلن بفسقه .

٢٧ ـ استحباب التودد الى الناس

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان أعرابياً من بني تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال له : أوصنى ، فكان مما أوصاه : تحبب الى الناس يحبوك .

عن موسى ابن بكر ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : التودد الى الناس نصف العقل .

عن سليمان بن داود بن زياد التميمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال الحسن بن علي عليهما السلام : القريب من قربته المودة وان بعد نسبه ، والبعيد من بعدته المودة وان قرب نسبه ، لاشيء أقرب من شيء من يد الى جسد ، وان اليد تغل فتقطع ، وتقطع فتحسم .

عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله :التودد الى الناس نصف العقل .

٢٨ ـ استحباب مجاملة الناس وتلقيهم بالبشر و احترامهم وكف اليد عنهم

عن سماعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : مجاملة الناس ثلث العقل .

عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ثلاث يصفين ود المرء لاخيه المسلم: يلقاه بالبشر اذا لقيه ، ويوسع له فى المجلس اذا جلس اليه ، ويدعوه بأحب الاسماء اليه .

عن حذيفة بن منصور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من كف يده عن الناس فانما يكف عنهم يداً واحدة ، ويكفون عنه ايدياً كثيرة .

٢٩ - فى انه يستحب لمن احب مؤمناً ان يخبره بذلك

عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : اذا أحببت رجلا فأخبره بذلك فانه أثبت للمودة بينكما .

عن نصر بن قابوس قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام اذا أحببت أحداً من اخوانك فأعلمه ذلك ، فان ابراهيم عليه السلام قال : رب أرني كيف تحيى الموتى قال : أولم تؤمن ، قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي .

عن يحيى بن ابراهيم بن أبي البلاد ، عن أبيه ، عن جده أن رجلا قال لابي جعفر عليه السلام اني لاحب هذا الرجل ، فقال له أبو جعفر عليه السلام : فأعلمه فانه أبقى للمودة وخير في الالفة .

عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : اذا أحببت رجلا فأخبره.

عن عبد الله بن القاسم الجعفري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا أحب أحدكم صاحبه أو أخاه فليعلمه .

٣٠ - استحباب الابتداء بالسلام

عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : البادي بالسلام أولى بالله ورسوله .

عن أبي حمزة ،عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : من أخلاق المؤمن الانفاق على قدر الاقدار ، والتوسع على قدر التوسع ، وانصاف الناس ، وابتداؤه اياهم بالسلام عليهم .

عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أولى الناس بالله وبرسوله من بدء بالسلام .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من بدء بالكلام قبل السلام فلاتجيبوه ، وقال :ابدوا بالسلام قبل الكلام ، فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه .

عن جابر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ان ملكاً مر برجل على باب فقال له : مايقيمك على باب هذه الدار ؟ فقال : أخ لي فيها أردت أن اسلم عليه ، فقال الملك : بينك وبينه قرابة أو نزعتك اليه حاجة ؟ فقال : لاما بيني وبينه قرابة ولا نزعتني اليه حاجة الا اخوة الاسلام وحرمته فأنا اسلم عليه وأتعهده لله رب العالمين ، فقال له الملك : أنا رسول الله اليك وهو يقرؤك السلام و يقول لك : اياي زرت ، ولي تعاهدت ، وقد أوجبت لك الجنة ، وأعفيتك من غضبي ، وأجرتك من النار .

عن اسماعيل بن أبي زياد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من بدأ الكلام قبل السلام فلا تجيبوه قال : وقال عليه السلام لاتدع الى طعامك أحد حتى يسلم .

٣١ ـ وجوب رد السلام

عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : رد جواب الكتاب واجب كوجوب رد السلام ، والبادي بالسلام أولى بالله وبرسوله .

عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : السلام

تطوع ، والرد فريضة .

٣٢ ـ استحباب افشاء السلام واطابة الكلام

عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان الله عز وجل يحب افشاء السلام .

عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :كان سليمان عليه السلام (سلمان) يقول : افشوا سلام الله فان سلام الله لاينال الظالمين .

عن ابن القداح ، عن أبى عبد الله عليه السلام فى حديث قال :كان علي عليه السلام يقول لاتغضبوا و لاتغضبوا ، افشوا السلام وأطيبوا الكلام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام ،ثم تلا عليهم قوله عزوجل:«السلام المؤمن المهيمن».

عن هارون بن خارجة، عن أبى عبد الله عليه السلام قال : من التواضع أن تسلم على من لقيت .

عن حماد بن عمرو وأنس بن محمد ، عن أبيه جميعاً ، عن جعفر بن محمد ، عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام ياعلي ثلاث كفارات افشاء السلام ، واطعام الطعام ، والصلاة بالليل والناس نيام .

عن معاوية بن وهب ، عن أبى عبدالله عليه السلام قال : البخيل من بخل بالسلام.

عن أبي بصير ، عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان فى الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها لايسكنها من امتي الا من أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام ، فقال على عليه السلام : يا رسول الله من يطيق هذا من امتك ؟ فقال : ياعلي أتدري ما اطابة الكلام ؟ من قال اذا أصبح وأمسى : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر عشر مرات ، واطعام الطعام

نفقة الرجل على عياله ، وأما ادامة الصيام فهو أن يصوم الرجل شهر رمضان وثلاثة أيام من كل شهر يكتب له صوم الدهر ، وأما الصلاة بالليل والناس نيام فمن صلى المغرب والعشاء الاخرة وصلاة الغداة في المسجد جماعة فكأنما أحيى الليل، وافشاء السلام أن لايبخل بالسلام على أحد من المسلمين.

عن سعد الاسكاف ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ثلاث درجات : افشاء السلام ، واطعام الطعام ، والصلاة بالليل والناس نيام ـ الحديث .

عن هارون بن خارجة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من التواضع أن تسلم على من لقيت .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان اعجز الناس من عجز عن الدعاء ، وان أبخل الناس من بخل بالسلام .

عن معاوية بن وهب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات فى الجنة أنفق ولا تخف فقراً ، وأنصف الناس من نفسك، وأفش السلام فى العالم ، واترك المراء وان كنت محقاً .

استحباب التسليم على الصبيان والتواضع

عن العباس بن هلال ، عن علي ابن موسى الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خمس لأدعهن حتى الممات : الاكل على الحضيض مع العبيد ، وركوبي الحمار مؤكفاً ، وحلبي العنز بيدى ، ولبس الصوف والتسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي .

عن اسماعيل بن أبي زياد، عن جعفر بن محمد ،عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : خمس لست بتاركهن حتى الممات : لباس الصوف ، وركوبي الحمار مؤكفاً وأكلي مع العبيد، وخصفي النعل بيدي ، وتسليمي على الصبيان لتكون سنة من بعدي .

٣٤ ـ النهى عن التفريق بين الفقراء والاغنياء فى السلام

عن فضل بن كثير ، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال : من لقى فقيراً مسلماً فسلم عليه خلاف سلامه على الغني لقى الله عزوجل يوم القيامة وهو عليه غضبان .

٣٥ ـ استحباب الحمد عند رؤية الكافر والمبتلى من غير ان يسمع المبتلى

عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمد، عن آبائه أن النبى صلى الله عليه وآله قال: من رأى يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً أو واحداً على غير ملة الاسلام فقال : (الحمدلله الذي فضلني عليك بالاسلام ديناً، وبالقرآن كتاباً، وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً وبعلي اماماً ، وبالمؤمنين اخواناً ، وبالكعبة قبلة لم يجمع الله بينه وبينه في النار أبدا) .

عن العيص ابن القاسم ، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: من نظر الى ذي عاهة أومن قد مثل به أوصاحب بلاء فليقل سراً في نفسه من غير ان يسمعه : (الحمدلله الذى عافانى مما ابتلاك به ولو شاء فعل ذلك ، ثلاث مرات فانه لا يصيبه ذلك البلاء أبدا).

٣٦ ـ فى الجهر بالسلام والرد

عن ابن القداح ، عن أبى عبدالله عليه السلام قال : اذاسلم احدكم فليجهر بسلامه ولايقول سلمت فلم يردوا علي ولعله يكون قدسلم ولم يسمعهم، واذا رد احدكم فليجهر برده ولايقول المسلم سلمت فلم يردوا علي ـ الحديث.

٣٧ ـ في كيفية السلام

عن الحسن بن المنذر قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: من قال : السلام عليكم فهى عشر حسنات ، ومن قال: سلام عليكم ورحمة الله فهي عشرون حسنة ومن قال : سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فهى ثلاثون حسنة .

عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : يكره للرجل ان يقول : حياك الله ثم يسكت حتى يتبعها بالسلام .

عن عمار الساباطى انه سأل أباعبدالله عليه السلام عن النساء كيف يسلمن اذا دخلن على القوم ؟ قال : المرأة تقول عليكم السلام والرجل يقول السلام عليكم .

عن وهب اليماني في حديث قال: ان الله قال لادم انطلق الى هؤلاء الملاء من الملائكة فقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فسلم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فلما رجع الى ربه عزوجل قال له ربه تبارك وتعالى: هذه تحيتك وتحية ذريتك من بعدك فيما بينهم الى يوم القيامة .

٣٨ ـ استحباب اعادة السلام ثلاثاً مع عدم الرد

عن أبان بن عثمان ، عن الصادق عليه السلام في حديث الدراهم الاثنى عشر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال للجارية : مري بين يدى ودليني على اهلك وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وقف على باب دارهم وقال : السلام عليكم يا أهل الدار فلم يجيبوه فاعاد السلام فلم يجيبوه، فاعاد السلام، فقالوا : وعليك السلام يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، فقال : مالكم تركتم اجابتي فى اول السلام والثاني؟ قالوا : يارسول الله سمعنا سلامك فاحببنا ان نستكثر منه ـ الحديث .

٣٩ ـ استحباب مخاطبة المؤمن بضمير الجماعة في موارد

عن منصور بن حازم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ثلاثة ترد عليهم رد الجماعة وان كان واحداً : عند العطاس تقول يرحمكم الله وان لم يكن معه غيره ، والرجل ليسلم على الرجل فيقول: السلام عليكم ، والرجل يدعو للرجل يقول : عافاكم الله وان كان واحداً فان معه غيره .

٤٠ ـ الموارد التي لايستحب فيها السلام

عن محمد بن الحسين رفعه قال : كان أبو عبدالله عليه السلام يقول: ثلاثة لايسلمون الماشي مع الجنازة ، والماشي الى الجمعة ، وفي بيت حمام .

٤١ ـ كيفية رد السلام على الحاضر والغائب

عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال : مر أمير المؤمنين عليه السلام بقوم فسلم عليهم فقالوا: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه، فقال لهم أمير المؤمنين: لاتجاوزوا بنا، مثل ماقالت الملائكة لابينا ابراهيم عليه السلام انما قالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت .

عن الحكم بن عيينة قال: بينا أنا مع أبي جعفر عليه السلام والبيت غاص بأهله اذ أقبل شيخ حتى وقف على باب البيت فقال : السلام عليك يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ورحمة الله وبركاته ثم سكت فقال ابو جعفر عليه السلام وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم اقبل الشيخ بوجهه على أهل البيت وقال: السلام عليكم ثم سكت حتى اجابه القوم جميعاً وردوا عليه السلام ـ الحديث.

عن أبي كهمش قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام عبد الله ابن أبي يعفور يقرؤك

السلام قال: وعليك وعليه السلام اذا اتيت عبدالله فاقرئة السلام ـ الحديث.

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان ملكاً من الملائكة سأل الله ان يعطيه سمع العباد فأعطاه فليس من احد من المؤمنين قال صلى الله على محمد وآله وسلم الا قال الملك : وعليك السلام ثم قال الملك : يارسول الله ان فلاناً يقرؤك السلام فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: وعليه السلام .

عن محمد بن قيس ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينما أمير المؤمنين عليه السلام في الرحبة اذ قام اليه رجل فقال السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر اليه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت؟ ثم ذكر حديث عشرة بعضها أشد من بعض .

عن القاسم بن سلام رفعه عن النبي صلى الله عليه وآله قال لاعرار (غرار) في صلاة ولا تسليم ـ العرار (الغرار) النقصان اما في الصلاة ففي ترك اتمام ركوعها و سجودها و نقصان اللبث في الركعة الاخرى وأما العرار (الغرار) في التسليم فان يقول الرجل السلام عليك، ويرد فيقول وعليك ولايقول وعليكم السلام.

عن علي بن ابراهيم في تفسيره في قوله تعالى : « وأمر اهلك بالصلاة و اصطبر عليها» قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء كل يوم عند صلاة الفجر حتى يأتي باب علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فيقولون: وعليك السلام يارسول الله ورحمة الله وبركاته فيقول: الصلاة يرحمكم الله .

٤٢ ـ استحباب مصافحة المقيم ومعانقة المسافر

عن علي بن رئاب ، عن ابي عبدالله عليه السلام قال : ان من تمام التحية للمقيم المصافحة وتمام التسليم على المسافر المعانقة .

٤٣ ـ فيمن يبدى بالسلام

عن جراح المدايني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليسلّم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير .

عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اذا كان قوم في المجلس ثم سبق قوم فدخلوا فعلى الداخل أخيراً اذا دخل أن يسلم عليهم .

عن عنبسة بن مصعب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : القليل يبدؤون الكثير بالسلام، والراكب يبدؤ الماشي، وأصحاب البغال يبدؤون أصحاب الحمير وأصحاب الخيل يبدؤون أصحاب البغال .

عن ابن بكير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: يسلّم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، واذا لقيت جماعة جماعة سلّم الاقل على الاكثر واذا لقى واحد جماعة يسلّم الواحد على الجماعة.

عن ابن القداح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يسلّم الراكب على الماشي، والقائم على القاعد .

٤٤ ـ اجزاء سلام الواحد من الجماعة، وكفاية رد الواحد منها

عن عبدالرحمن بن الحجاج، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اذا سلم الرجل من الجماعة أجزأ عنهم .

عن غياث بن ابراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اذا سلّم من القوم واحد أجزأ عنهم واذا رد واحد أجزأ عنهم .

عن ابن بكير، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اذا مرت الجماعة بقوم، أجزأهم ان يسلّم واحد منهم، واذا سلّم على القوم وهم جماعة

أجزأهم ان يرد واحد منهم .

عن زيد بن أسلم ان رسول الله ﷺ قال: ليسلم الراكب على الماشي، فاذا سلّم من القوم واحد أجزأ عنهم .

٤٥ ـ كراهة ترك التسليم على المؤمن

عن اسحاق بن عمار قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وكنت تركت التسليم على أصحابنا في مسجد الكوفة ، وذلك لتقيّة علينا فيها شديدة فقال لي أبوعبد الله عليه السلام: يااسحاق متى أحدثت هذا الجفاء لاخوانك، تمرّ بهم فلا تسلّم عليهم؟ فقلت له: ذلك لتقيّة كنت فيها، فقال: ليس عليك في التقية ترك السلام، وانما عليك في الاذاعة، ان المؤمن ليمرّ بالمؤمنين فيسلّم عليهم فترد الملائكة: سلام عليك ورحمة الله وبركاته أبداً .

٤٦ ـ كراهة السلام على الشابات

عن ربعي بن عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يسلّم على النساء ويرددن عليه السلام، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسلّم على النساء و كان يكره أن يسلّم على الشابة منهن اقول : لان مجتمع الكوفة كان غير المدينة.

٤٧ ـ في النهي عن السلام على الكفار والفساق وكيفية الرد عليهم

عن غياث بن ابراهيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تبدؤوا أهل الكتاب بالتسليم، واذا سلّموا عليكم فقولوا: وعليكم .

عن زرارة، عن ابي عبد الله عليه السلام قال : تقول في الرد على اليهودي و النصراني: سلام .

عن سماعة قال: سألت أباعبد الله عليه السلام عن اليهودي والنصراني والمشرك اذا سلّموا على الرجل وهو جالس كيف ينبغي أن يرد عليهم ؟ فقال : يقول عليكم .

عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أقبل أبو جهل بن هشام ومعه قوم من قريش فدخلوا على أبي طالب فقالوا : ان ابن أخيك قد آذانا ، فادعه فليكف عن آلهتنا، ونكف عن الهه قال : فبعث أبو طالب الى رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاه ، فلمّا دخل النبي صلى الله عليه وآله لم ير في البيت الا مشركاً،فقال : السلام على من اتبع الهدى ـ الحديث .

عن الاصبغ قال: سمعت عليّا عليه السلام يقول : ستةلاينبغي أن تسلّم عليهم: اليهود ، والنصارى ، وأصحاب النرد والشطرنج ، وأصحاب خمر وبربط وطنبور ، والمتفكهين بسب الامهات، والشعراء .

عن أبي البختري ،عن جعفر بن محمد ، عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لاتبدؤوا أهل الكتاب (اليهود والنصارى) بالسلام ، وان سلّموا عليكم فقولوا : عليكم ، ولا تصافحوهم ، ولا تكنوهم الا أن تضطروا الى ذلك .

٤٨ ـ النهى عن دخول بيت الغير بلا استئذان ولا اشعار ولا تسليم

عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم ، حتّى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها» قال : الاستيناس وقع النعل والتسليم .

عن أبي الصبّاح قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: «فاذا دخلتم بيوتاً فسلّموا على أنفسكم»الاية ،قال : هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل ثم يردون عليه فهو سلامكم على أنفسكم .

عن علي بن ابراهيم في تفسيره قال : في رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: اذا دخل الرجل منكم بيته فان كان فيه أحد يسلّم عليهم، وان لم يكن فيه أحد فليقل : السلام علينا من عند ربّنا ، يقول الله : تحيّة من عند الله مباركة طيبة .

٤٩ ـ من ينبغي الاختلاف الى ابوابهم

عن الاصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : كانت الحكماء فيما مضى من الدّهر تقول : ينبغي أن يكون الاختلاف الى الابواب لعشرة أوجه:

أولها : بيت الله عز وجل لقضاء نسكه والقيام بحقه وأداء فرضه .

والثاني : أبواب الملوك الذين طاعتهم متّصلة بطاعة الله وحقّهم واجب ونفعهم عظيم ، وضرهم شديد .

والثالث : أبواب العلماء الذين يستفاد منهم علم الدّين والدّنيا .

والرابع: أبواب أهل الجود والبذل الذين ينفقون أموالهم رجاء الاخرة .

والخامس : أبواب السفهاء الذين يحتاج اليهم في الحوادث ويفرغ اليهم في الحوائج.

والسادس : أبواب من يتقرب اليه من الاشراف لالتماس الهبة والمروة والحاجة .

والسابع : أبواب من يرتجى عندهم النفع في الرأي والمشورة وتقوية الحزم وأخذ الاهبة لما يحتاج اليه .

والثامن : أبواب الاخوان لما يجب من مواصلتهم ويلزم من حقوقهم.

والتاسع: أبواب الاعداء، الذين يسكن بالمداراة غوائلهم، وتدفع بالحيل والرفق واللطف والزيارة عداوتهم .

والعاشر : أبواب من ينتفع بغشيانهم ويستفاد منهم حسن الادب ويونس بمحادثتهم .

٥٠ ـ استحباب السلام عندمغادرة المجلس

عن سعدةبن صدقة، عن جعفر بن‌محمد أن النبي ﷺ قال : اذا قام‌الرجل من مجلس فليودع اخوانه بالسلام ، فان أفاضوا في خير كان شريكهم ، وان أفاضوا في باطل كان عليهم دونه .

عن الحسن الطبرسي في (مكارم الاخلاق) عن رسول الله ﷺ قال : اذا قام أحدكم من مجلسه منصرفاً فليسلم ليس الاولى بأولى من الاخرى .

٥١ ـ جواز السلام على الذمي والدعاء له مع الحاجة اليه

عن عبدالرحمن بن الحجاج قال : قلت لابي الحسن عليه السلام : أرأيت ان احتجت الى‌طبيب وهو نصراني اسلم عليه وأدعو له ؟ قال : نعم ـ الحديث.

٥٢ ـ جواز مكاتبة اهل الذمة مع الحاجة

عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام في الرجل يكتب الى رجل من عظماء عمال المجوس فيبدء باسمه قبل اسمه ، فقال : لابأس اذا فعل ذلك لاختيار المنفعة .

عن أبي بصير قال : سئل أبو عبدالله عليه السلام عن الرجل تكون له الحاجة الى المجوسي أو الى اليهودي أو الى النصراني أوأن يكون عاملا دهقاناًمن عظماء أهل أرضه فيكتب اليه الرجل في الحاجة العظيمة أيبدء بالعلج و يسلم عليه في كتابه وانما يصنع ذلك لكي تقضى حاجته ؟ فقال : أما ان تبدأ بهفلا،

ولكن تسلم عليه في كتابك، فان رسول صلى الله عليه وآله كان يكتب الى كسرى وقيصر.

٥٣ ـ استحباب الاغضاء عن الاخوان والتسامح معهم

عن ثعلبة بن ميمون ، عمن ذكر ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان عنده قوم يحدثهم اذ ذكر رجل فوقع فيه وشكاه، فقال له أبوعبدالله عليه السلام : واني لك بأخيك كله ، وأي الرجال المهذب .

عن أبي بصير قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : لاتفتش الناس فتبقى بلاصديق.

عن الضحاك بن مخلد قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول : ليس من الانصاف مطالبة الاخوان بالانصاف.

٥٤ ـ استحباب تسميت العاطس

عن جراح المدائني قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : للمسلم على أخيه المسلم من الحق أن يسلم عليه اذا لقيه، ويعوده اذا مرض، وينصح له اذا غاب، ويسمته اذا عطس يقول الحمد لله رب العالمين لاشريك له ، ويقول : يرحمك الله ، فيجيب يقول له : يهديكم الله ويصلح بالكم ، ويجيبه اذا دعاه ، ويشيعه اذا مات .

عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا عطس الرجل فسمتوه .

عن اسحاق بن يزيد ومعمر بن أبي زياد وابن رئاب قالوا : كنا جلوساً عند أبي عبدالله عليه السلام اذا عطس رجل فما رد عليه أحد من القوم شيئاً حتى ابتدأ هو فقال: سبحان الله الاسمتم ان من حق المسلم على المسلم أن يعوده اذا اشتكى وأن يجيبه اذا دعاه وان يشهده اذا مات ، وان يسمته اذا عطس .

عن داود بن الحصين قال: كنا عند أبي عبدالله عليه السلام فأحصيت في البيت

أربعة عشر رجلا فعطس أبوعبدالله عليه السلام فماتكلم أحد من القوم فقال أبوعبدالله عليه السلام : ألا تسمتون ؟ فرض المؤمن اذا مرض أن يعوده ، واذا مات أن يشهدجنازته ، واذا عطس أن يسمته ، واذا دعاه أن يجيبه .

٥٥ - كيفية التسميت والرد

عن سعد بن أبي خلف قال: كان أبوجعفر عليه السلام اذا عطس فقيل له :يرحمك الله قال : يغفر الله لكم ويرحمكم ، واذا عطس عنده انسان قال : يرحمك الله عزوجل .

عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : اذا عطس الرجل فليقل الحمدلله لاشريك له، واذاسمت الرجل فليقل: يرحمك الله واذاردفليقل: يغفرالله لك ولنا ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عن آية أو شيء فيه ذكرالله ، فقال: كلما ذكر الله عزوجل فيه فهو حسن .

عن علي عليه السلام (في حديث الاربعمأة) قال : اذا عطس احدكم فسمتوه قولوا : يرحمكم الله وهو يقول : يغفرالله لكم ويرحمكم ، قال الله عزوجل : «واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها» .

٥٦ - فى تسميت الصبى المرأة

عن نسيم خادمة أبي محمد عليه السلام قالت : قال لى صاحب الزمان عليه السلام : وقد دخلت عليه بعد مولده بليلة فعطست عنده ، فقال لى : يرحمك الله ، ففرحت بذلك، فقال لى : ألاابشرك في العطاس؟ قلت : بلى، فقال : هوأمان من الموت ثلاثة أيام .

٥٧ ـ في العطاس والتثاؤب

عن أحمد بن محمدبن أبي‌نصر قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول : التثاوب من الشيطان ، والعطسة من الله عزوجل .

عن حذيفة بن منصور قال قال : العطاس ينفع في‌البدن كله مالم يزدعلى الثلاث ، فاذا زاد على‌الثلاث فهو داء وسقم .

عن أبي بكرالحضرمي قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: « ان أنكر الاصوات لصوت الحمير » قال : العطسة القبيحة .

عن أحمد بن محمد ، عن بعض اصحابه ، عن رجل من العامة عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث قال : العطسة تخرج من جميع البدن ، كما أن النطفة تخرج من جميع البدن الى ان قال: وصاحب العطسة يأمن‌الموت سبعة أيام.

٥٨ ـ استحباب تكرار التسميت ثلاثاً عند توالي العطاس

عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : اذا عطس الرجل ثلاثاً فسمّته ثم اتركه .

عن وهب بن منبّه ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، ان علياً عليه السلام قال : يسمت العاطس ثلاثاً فما فوقها فهو ريح .

٥٩ ـ استحباب التحميد لمن عطس‌اوسمع ذلك

عن صالح بن أبي حماد قال : سألت العالم عليه السلام عن العطسة وماالعلة في الحمدلله عليها ؟ فقال : ان لله نعماء على عبده في‌صحة بدنه وسلامة جوارحه وأن العبدينسى ذكرالله عزوجل على ذلك ، واذا نسى أمرالله الريح فتجاز في بدنه ثم يخرجها من‌أنفه ، فيحمد الله على ذلك فيكون حمده على‌ذلك شكراً

لمانسي .

عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : عطس غلام لم يبلغ الحلم عند النبي صلى الله عليه وآله فقال : الحمد لله ، فقال له النبى صلى الله عليه وآله : بارك الله فيك .

عن مسمع بن عبدالملك قال : عطس أبوعبدالله عليه السلام فقال: الحمدلله رب العالمين ، ثم جعل اصبعه على أنفه ، فقال: رغم انفي لله رغماً داخراً .

عن ابن فضال ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال في وجع الاضراس ووجع الاذان : اذا سمعتم من يعطس فابدؤوه بالحمد .

عن محمد بن مروان ، رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : من قال اذا عطس : الحمدلله رب العالمين على كل حال لم يجدوجع الاذنين والاضراس.

عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا عطس المرء المسلم ثم سكت لعلة تكون به قالت الملائكة عنه : الحمدلله رب العالمين ، فان قال : الحمدلله رب العالمين قالت الملائكة يغفرالله لك قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : العطاس للمريض دليل العافية وراحة للبدن .

٦٠ ـ استحباب الصلاة على النبى وآله لمن عطس أوسمع ذلك

عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابه قال : عطس رجل عندأبي جعفر عليه السلام فقال : الحمد الله ، فلم يسمته أبو جعفر عليه السلام وقال : نقصنا حقنا ، وقال : اذا عطس أحدكم فليقل : الحمدلله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وأهل بيته ، قال : فقال الرجل : فسمته أبوجعفر عليه السلام .

عن أبي اسامة قال :قال أبوعبدالله عليه السلام : من سمع عطسة فحمدالله عزوجل وصلى على محمد وأهل بيته لم يشتك عينه ولاضرسه .

عن عمروبن شمر ، عن جابر قال : قال أبوجعفر عليه السلام: نعم الشيء العطسة

ينفع الجسد وتذكر بالله عزوجل ، قلت : ان عندنا قوماً يقولون : ليس لرسول الله ﷺ في العطسة نصيب ، فقال : ان كانوا كاذبين فلا انا لهم شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٦١ ـ عدم كراهة الصلاة على النبى وآله عند العطاس

عن الفضيل بن يسار ، قال : قلت لابى جعفر عليه السلام : ان الناس يكرهون الصلاة على محمد وآله في ثلاثة مواطن: عند العطسة وعند الذبيحة وعند الجماع فقال أبو جعفر عليه السلام : مالهم ويلهم نافقوا لعنهم الله .

عن محمد بن علي بن الحسين ، عن الرضا عليه السلام في كتابه الى المأمون قال: الصلاة على النبى ﷺ واجبة في كل موطن وعند العطاس والذبايح وغير ذلك.

٦٢ ـ جواز تسميت الذمى والدعاء له بالهداية والرحمة

عن ابن أبي نجران، عن بعض أصحابنا ، عن أبى عبدالله عليه السلام قال : عطس رجل نصراني عند أبي عبدالله عليه السلام فقال له القوم : هداك الله ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : يرحمك الله فقالوا له انه نصراني: فقال: لايهديه الله حتى يرحمه.

٦٣ ـ استحباب توقير الشيوخ

عن عبدالله بن سنان قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام : ان من اجلال الله عزوجل اجلال الشيخ الكبير .

عن أبي بصير، عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال من اجلال الله عز وجل : اجلال ذي الشيبة المسلم .

عن أحمد بن محمّد رفعه قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا .

عن عبد الله بن سنان ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : من اجلال الله عزوجل اجلال المؤمن ذي الشيبة ومن أكرم مؤمناً فبكرامة الله بدأ ومن استخف بمؤمن ذي شيبة أرسل الله اليه من يستخف به قبل موته .

عن أبي الخطاب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ثلاثة لايجهل حقّهم الا منافق معروف النفاق : ذو الشيبة في الاسلام، وحامل القرآن ، والامام العادل.

عن الرصافي قال :قال أبو عبدالله عليه السلام : عظموا كبرائكم وصلوا أرحامكم.

عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم .

عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من عرف فضل كبير لسنّه فوقره آمنه الله من فزع يوم القيامة .

عن محمّد بن عبد الله رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من عرف فضل شيخ كبير فوقره لسنّه آمنه الله من فزع يوم القيامة ، وقال : من تعظيم الله اجلال ذي الشيبة المؤمن .

عن الزهري ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : بجّلوا المشايخ فان من اجلال الله تبجيل المشايخ .

٦٤ - استحباب اكرام الكريم والشريف

عن الحجّال قال : قلت لجميل بن دراج : قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا أتاكم شريف قوم فاكرموه ، قال : نعم قلت : وما الشّريف ؟ قال : قد سألت أبا عبدالله عليه السلام عن ذلك فقال الشريف من كان له مال (يبذل) قلت: فما الحسب ؟ قال الذي يفعل الافعال الحسنة بماله وغير ماله ، قلت فما الكرم ؟ قال : التقوى .

عن السّكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا أتاكم

كريم قوم فاكرموه .

عن عبد الله العلوي، عن أبيه ، عن جده قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لمّا قدم عدي بن حاتم الى النّبي صلى الله عليه وآله أدخله النبي بيته، ولم يكن في البيت غير خصفة ووسادة آدم ، فطرحها رسول الله صلى الله عليه وآله لعدي بن حاتم .

٦٥ ـ كراهة رد التكريم

عن عبد الله بن القداح ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رجلان على أمير المؤمنين عليه السلام فألقى لكل واحد منهما وسادة فقعد عليها أحدهما وأبى الاخر فقال أمير المؤمنين عليه السلام : اقعد عليها فانّه لا يأبى الكرامة الا الحمار (الجماد: خ).

عن الحسن بن الجهم قال : قال أبو الحسن عليه السلام : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لا يأبى الكرامة الا حمار (الجماد: خ) قلت: مامعنى ذلك؟ قال : التوسعة في المجلس والطيب يعرض عليه .

عن علي بن الجهم قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : لا يأبى الكرامة الا حمار (الجماد: خ) قلت: أي شيء الكرامة؟ قال مثل الطيب وما يكرم به الرجل.

عن أبي زيد المكّي قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : لا يأبى الكرامة الا حمار (الجماد: خ) ، يعني بذلك في الطّيب والوسادة .

عن أحمد بن محمّد البزنطي قال : قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : لا يأبى الكرامة الا حمار (الجماد : خ) فقلت : مامعنى ذلك ؟ فقال: ذلك في الطيب يعرض عليه والتوسعة في المجالس من أباهما كان كما قال .

عن سماعة بن مهران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن الرجل يرد

الطّيب قال : لاينبغي له ان يردالكرامة .

عن الحسين بن علوان ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله : اذا عرض على أحدكم الكرامة فلا يردها .

٦٦ ـ استحباب اكرام الزائر

عن السّكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من حق الداخل على أهل البيت أن يمشوا معه هنيئة اذا دخل واذا خرج وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا دخل أحدكم على أخيه المسلم في بيته فهو أمير عليه حتّى يخرج .

٦٧ ـ في ان المجالس بالامانات

عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المجالس بالامانة .

عن أبي‌عوف ،عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول المجالس‌بالامانة .

عن عثمان بن عيسى ، عمن ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : المجالس بالامانة ، وليس لاحد أن يحدث بحديث يكتمه صاحبه الا باذنه الا ان يكون ثقة او ذكر اله بخير .

عن جابر بن عبدالله قال : قال‌رسول‌الله صلى الله عليه وآله: المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس: مجلس سفك فيه دم‌حرام ، أومجلس استحل‌فيه فرج حرام، أومجلس يستحل فيه مال حرام بغير حقه .

٦٨ ـ كراهة التناجي في المجالس

عن أبي بصير ،عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اذا كان القوم ثلاثة فلا يتناجى منهم اثنان دون صاحبهما ، فان في ذلك مايحزنه ويؤذيه .

عن يونس بن يعقوب ، عن أبي الحسن الاول عليه السلام قال : اذا كان ثلاثة في بيت فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك مما يغمه .

٦٩ ـ كراهة مقاطعة المسلم في حديثه

عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من عرض لاخيه المسلم المتكلم في حديثه فكأنما خدش وجهه .

٧٠ ـ ما يستحب من كيفيات الجلوس ومايكره منها

عن عبدالعظيم بن عبدالله بن الحسن العلوي رفعه قال :كان النبي صلى الله عليه وآله يجلس ثلاثاً القرفصاء وهو أن يقيم ساقيه ، ويستقبلهما بيديه، ويشد يده في ذراعه ، وكان يجثو على ركبتيه ، وكان يثني رجلا واحدة ، ويبسط عليها الاخرى ولم ير صلى الله عليه وآله متربعاً قط .

عن أبي حمزة الثمالي قال : رأيت علي بن الحسين عليهما السلام قاعداً واضعاً احدى رجليه على فخذه ، فقلت : ان الناس يكرهون هذه الجلسة ويقولون : انها جلسة الرب ، فقال : انى انما جلست هذه الجلسة للملالة ، والرب لايمل ولاتأخذه سنة ولانوم .

عن حمّاد ابن عثمان قال : جلس أبو عبدالله عليه السلام متوركاً رجله اليمنى على فخذه اليسرى ، فقال له رجل : جعلت فداك هذه جلسة مكروهة ، فقال :

لانما هوشيء قالته اليهود لماان فرغ الله عزوجل من خلق السموات والارض واستوى على العرش ، جلس هذه الجلسة ليستريح ، فانزل الله عزوجل : «الله لااله الا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولانوم » وبقي أبوعبدالله متوركاً كماهو.

٧١ ـ استحباب التواضع فى الجلوس فى المجالس

عن أبي سليمان الزاهد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من رضى بدون الشرف من المجلس لم يزل الله وملائكته يصلون عليه حتى يقوم .

عن عبدالله ابن المغيرة ، عمن ذكره ، عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا دخل منزلا قعد في ادنى المجلس اليه حين يدخل .

عن هارون بن خارجة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان من التواضع أن يجلس الرجل دون شرفه .

عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس ، وأن تسلم على من تلقى ، وأن تترك المراء وان كنت محقاً ، ولاتحب أن تحمد على التقوى .

عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس على الارض ، ويأكل على الارض ، ويعتلف الشاة ، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير.

عن مصعب بن شيبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا أخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل أخاه وأوسع له في مجلسه فليأته ، فانما هي كرامة أكرمه بها أخوه، وان لم يوسع له أخوه فلينظر أوسع مكان يجده فليجلس فيه .

٧٢ ـ استحباب استقبال القبلة فى المجالس

عن حماد بن عثمان قال : رأيت أباعبدالله عليه السلام يجلس في بيته عند باب

بيته قبالة الكعبة .

عن طلحة بن زيد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :كان رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر مايجلس تجاه القبلة .

وروى الشيخ بهاء الدين في (مفتاح الفلاح) قال: وروي عن أئمتنا عليهم السلام خير المجالس ماستقبل به القبلة .

٧٣ ـ كراهة استقبال الشمس

عن سهل بن زياد ، يرفعه الى أمير المؤمنين عليه السلام قال : لاتستقبلوا الشمس فانها مبخرة تشجب اللون ، وتبلى الثوب ، وتظهر الداء الدفين .

عن موسى بن ابراهيم، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الشمس أربع خصال : تغير اللون ، وتنتن الريح ، وتخلق الثياب ، وتورث الداء .

٧٤ ـ استحباب الجلوس فى بيت الغير حيث يأمر

عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد ، عن ابيه عليهما السلام قال : اذا دخل احدكم على أخيه في رحله فليقعد حيث يأمره صاحب الرحل ، فان صاحب الرحل أعرف بعورة بيته من الداخل عليه .

٧٥ ـ جواز الاحتباء ولوفى ثوب واحد يستر العورة

عن ابراهيم بن عبدالحميد، عن أبي الحسن عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الاحتباء حيطان العرب .

عن سماعة قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن الرجل يحتبى بثوب واحد فقال ان كان يغطي عورته فلابأس .

٧٦ ـ استحباب المزاح والضحك بلااكثار ولافحش

عن معمر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام فقلت جعلت فداك الرجل يكون مع القوم فيجري بينهم كلام يمزحون ويضحكون فقال : لابأس مالم يكن ، فظننت أنه عنى الفحش ، ثم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأتيه الاعرابى فيأتى اليه الهدية ، ثم يقول مكانه : أعطنا ثمن هديتنا فيضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وكان اذا اغتم يقول : مافعل الاعرابى ليته أتانا .

عن الفضل بن أبي قـرة ، عن ابي عبدالله عليه السلام قال : مامن مؤمن الاوفيه دعابة ، قلت : وماالدعابة ؟ قال : المزاح .

عن يونس الشيبانى قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت : قليل ، قال : افلاتفعلوا فان المداعبة من حسن الخلق ، وانك لتدخل بها السرور على أخيك، ولقدكان رسول الله صلى الله عليه وآله يداعب الرجل يريد أن يسره.

عن عبدالله بن محمد الجعفي قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ان الله يحب المداعب في الجماعة بلارفث .

عن حمران بن أعين قال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له : أوصني فقال : أوصيك بتقوى الله ، واياك والمزاح ، فانه يذهب هيبة الرجل ، ومـاء وجهه ـ الحديث .

عن حماد بن عمرو، وأنس بن محمد، عن أبيه جميعاً ، عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام (في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام) قال : ياعلى لاتمزح فيذهب بهاؤك ، ولاتكذب فيذهب نورك .

(وقد) جمع العلماء بين ذلك، وبين غيره بالحمل على كثرة المزاح ، او المزاح في غير محله .

٧٧ ـ كراهة القهقهة واستحباب التبسم

عن الحلبي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : القهقهة من الشيطان .

عن خالد بن طهمان، عن أبي جعفر عليه السلام اذا قهقهت فقل حين تفرغ : اللهم لاتمقتني .

عن علي بن أسباط، عن الحسن بن كليب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ضحك المؤمن تبسم .

٧٨ ـ كراهة الضحك بلاسبب

عن السكوني، عن ابي عبدالله عليه السلام قال: ان من الجهل الضحك من غير عجب، قال: وكان يقول : لاتبدين عن واضحة ، وقد علمت الاعمال الفاضحة ولايأمن البيات من عمل السيئات .

عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال : قال الصادق عليه السلام : كم ممن كثر ضحكه لاغياً يكثر يوم القيامة بكاؤه ، وكم ممن كثر بكاؤه على ذنبه خائفاً يكثر يوم القيامة في الجنة ضحكه وسروره .

عن محمد بن المعلى ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ثلاث فيهن المقت من الله : نوم من غير سهر وضحك من غير عجب وأكل على الشبع.

عن معاوية بن عمار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان بالمدينة رجل بطال يضحك الناس، فقال : قد أعياني هذا الرجل أن أضحكه يعني علي بن الحسين عليهما السلام ـ الحديث . وفيه : أن علي بن الحسين قال : قولوا له : ان لله يوماً يخسر فيه المبطلون .

٧٩ - كراهة كثرة المزاح والضحك

عن حفص بن البختري قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : اياكم والمزاح فانه يذهب بماء الوجه .

عن حريز، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كثرة الضحك تميث القلب ، وقال: كثرة الضحك تميث الدين كما تميث الماء الملح .

عن ابن أبي عمير عمن حدثه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اذا أحببت رجلا فلا تمازحه ولا تماره .

عن عنبسة العابد قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : كثرة الضحك تذهب بماء الوجه .

عن عمار بن مروان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : لاتمار فيذهب بهاؤك ، ولا تمازح فيجتري عليك .

عن علي بن عقبة ، رفعه عن أبي عبدالله عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام أو أحدهما قال: كثرة المزاح تذهب بماء الوجه ، وكثرة الضحك تمج الايمان مجاً .

عن سعد بن أبي خلف ، عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال في وصية له لبعض ولده أو قال : قال أبي لبعض ولده : اياك والمزاح فانه يذهب بنور ايمانك ويستخف بمروتك .

عن ابن القداح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام اياك والمزاح فانه يجر السخيمة ، ويورث الضغينة ، وهو السب الاصغر .

عن محمد بن مروان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اياكم والمزاح فانه يذهب بماء الوجه ومهابة الرجال .

عن عمار بن مروان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لاتمازح فيجترء عليك.

عن طلحة بن زيد ، عن الصادق جعفربن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كثرة المزاح تذهب بماء الوجه ،وكثرة الضحك تمحو الايمان ، وكثرة الكذب يذهب بالبهاء .

عن هارون بن عمر بن عبد العزيز ، عن محمد بن جعفر بن محمد ، عن أبيه أبي عبدالله، عن آبائه ، عن علي عليه السلام قال: كان ضحك النبي صلى الله عليه وآله التبسم فاجتازذات يوم بفيئة من الانصار، واذاهم يتحدثون ويضحكون ملؤا أفواههم فقال : مه ياهؤلاء من غره منكم أمله وقصر به في الخير عمله فليطلع القبور، وليعتبر بالنشور، واذكروا الموت فانه هادم اللذات .

عن عبدالله بن الجعفي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ان الله يحب المداعب في الجماعة بلا رفث، المتوحد بالفكرة ، المتخلي بالعبرة المتباهي بالصلاة .

عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفربن محمد، عن ابيه أن داود قال لسليمان عليه السلام: يابني اياك وكثرة الضحك فان كثرة الضحك تترك الرجل فقيراً يوم القيامة .

عن السيدالرضى(ره) في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : ما مزح الرجل مزحة الا مج من عقله مجة .

٨٠ ـ استحباب التبسم في وجه المؤمن

عن محمد بن علي بن الحسين في كتاب(الاخوان) باسناده ، عن الرضا عليه السلام قال : من خرج في حاجة ومسح وجهه بماء الورد لم يرهق وجهه فقر ولا ذلة ، ومن شرب من سؤر أخيه المؤمن يريد به التواضع أدخله الجنة البتة، ومن تبسم في وجه أخيه المؤمن كتب الله له حسنة ومن كتب الله له حسنة لم يعذ به .

عن جابر بن يزيد ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : تبسم المؤمن في وجه

أخيه حسنة وصرفه القـذى عنه حسنة ، وما عبدالله بمثل ادخال السـرور على المؤمن .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاه كتب له عشر حسنات ، ومن تبسم في وجه أخيه كانت له حسنة .

٨١ ـ استحباب الصبر على اذى الجار وغيره

عن عمرو بن عكرمة قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت: لي جار يؤذيني فقال: ارحمه، فقلت : لارحمه الله ، فصرف وجهه عني فكرهت أن أدعه، فقلت يفعل بي كذا وكذا ويفعل ويؤذيني فقال: أرأيت ان كاشفته انتصفت منه ؟ فقلت بل أرني عليه ، فقال : ان ذا ممن يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فاذا رأى نعمة على أحد فكان له أهل جعل بلائه عليهم، وان لم يكن له أهل جعله على خادمه ، فان لم يكن له خادم أسهر ليله وأيقظ نهاره ـ الحديث .

عن الحسن بن عبدالله ، عن عبد صالح عليه السلام قال: ليس حسن الجوار كف الاذى ، ولكن حسن الجوار صبرك على الاذى .

عن ابن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما أفلت المؤمن من واحدة من ثلاث ولربما اجتمعت الثلاث عليه اما بعض من يكون معه في الدار يغلق عليه بابه يؤذيه، أو جار يؤذيه، أو من في طريقه الى حوائجه يؤذيه، ولو أن مؤمناً على قلة جبل لبعث الله عزوجل عليه شيطاناً يؤذيه، ويجعل له من ايمانه أنساً لايستوحش معه الى أحد.

عن اسحاق بن عمار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما كان ولايكون وليس بكائن مؤمن الا وله جار يؤذيه، ولو أن مؤمناً في جزيرة من جزائر البحر لبعث الله له من يؤذيه.

عن اسحاق بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما كان فيما مضى، ولافيما بقى، ولافيما أنتم فيه مؤمن، الا وله جار يؤذيه.

أقول : هذا تسلية وبيان طبيعة الحياة .

عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فشكى اليه أذى جاره ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : اصبر، ثم أتاه ثانية فقال له : اصبر ـ الحديث.

عن ابراهيم بن أبي رجاء، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: حسن الجوار، يزيد في الرزق .

قال الصادق عليه السلام :من صفت له دنياه فاتهمه في دينه .

عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام ثلاث من أبواب البر: سخاء النفس ، وطيب الكلام ، والصبر على الاذى .

٨٢ ـ فى كف الاذى عن الجار

عن عمرو بن عكرمة ، عن أبي عبدالله عليه السلام (في حديث) ان رسول الله صلى الله عليه وآله أتاه رجل من الانصار فقال : اني اشتريت داراً من بني فلان ، وان أقرب جيراني مني جواراً من لاأرجو خيره ولا آمن شره، قال: فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وسلمان وأباذر ونسيت آخر وأظنّه المقداد أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم بأنه لا ايمان لمن لم يأمن جاره بوائقه فنادوا بها ثلاثاً ثم أومأ بيده الى كل أربعين داراً من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله .

عن طلحة بن زيد، عن أبي عبدالله، عن أبيه عليهم السلام قال: قال قرأت في كتاب علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله كتب بين المهاجرين والانصار ومن لحق بهم من أهل يثرب أن الجار كالنفس غير مضار ولا اثم وحرمة الجار على الجار

كحرمة امّه .

عن زرارة ، عن أبـي عبـدالله عليه السلام قال : جاءت فاطمة عليها السلام تشكو الى رسول الله صلى الله عليه وآله بعض أمرهافأعطاها كربة وقال: تعلمي مافيها فاذا فيها: من كان يؤمن بالله واليوم الاخرفلايؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيراً أويسكت .

عن أبي حمزة قال: سمعت أبـاعبدالله عليه السلام يقول: المؤمن من آمن جاره بوائقه قلت: ما بوائقه؟ قال: ظلمه وغشمه .

عن الحسين بن زيد، عن الصادق ، عن آبائه عن علي عليهم السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وآلـه (في حديث المناهي) قال: من آذى جاره حرم الله عليه ريح الجنة ومأواه جهنم وبئس المصير، ومن ضيع حق جاره فليس منّا ، وما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه ـ الحديث .

عن ابراهيم بن أبي محمود قال: قال الرضا عليه السلام: المؤمن الذي اذا أحسن استبشر، واذا أساء استغفر، والمسلم الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده، و ليس منا من لم يأمن جاره بوائقه .

عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول: من كف أذاه عن جاره أقاله الله عثرته يوم القيامة، ومن عف بطنه وفرجه كان في الجنة ملكاً محبوراً، ومن أعتق نسمة مؤمنة بنى الله له بيتاً في الجنة .

٨٣ ـ استحباب حسن الجوار

عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله حسن الجوار يعمر الديار وينسى في الاعمار .

عن ابراهيـم بن أبي رجاء، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: حسن الجوار يزيد

في الرزق .

عن أبي مسعود قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: حسن الجوار زيادة في الاعمار وعمارة الديار .

عن الحكم الخياط قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: حسن الجوار يعمر الديار ويزيد في الاعمار .

عن أبي ربيع الشامي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال والبيت غاص بأهله : أعلموا أنه ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره .

٨٤ ـ استحباب اطعام الجيران

عن عبيد الله الرصافي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع ، قال : وما من أهل قرية يبيت فيهم جايع ينظر الله اليهم يوم القيامة .

٨٥ ـ كراهة مجاورة جار السوء

عن سعد بن ظريف ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : من القواصم التي تقصم الظهر جار السوء ان رأى حسنة أخفاها ، وان رأى سيئة أفشاها .

عن اسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أعوذ بالله من جار السوء في دار اقامة تراك عيناه ويرعاك قلبه ان رآك بخير ساءه وان رآك بشر سره .

عن جعفر بن محمد ، عن آبائه عليهم السلام (في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام) قال : ياعلي أربعة من قواصم الظهر : امام يعصي الله ويطاع أمره ، وزوجة

يحفظها زوجها وهي تخونه ، وفقر لايجد صاحبه مدارياً ، وجار سوءٍ في دار مقام .

٨٦ - في ان حد الجوار اربعون داراً من كل جانب

عن جميل بن دراج ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : حد الجوار أربعون داراً من كل جانب من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله .

عن عمرو بن عكرمة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله كل أربعين داراً جيران من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله .

عن معاوية بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له :جعلت فداك ماحد الجار ؟ قال : أربعين داراً من كل جانب .

٨٧ - استحباب الرفق بالصاحب في السفر والاقامة لاجله ثلاثاً اذا مرض

عن يعقوب ابن يزيد ، عن عدة من أصحابنا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حق المسافر أن يقيم عليه أصحابه اذا مرض ثلاثاً .

عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما اصطحب اثنان الا كان أعظمهما أجراً وأحبهما الى الله عز وجل أرفقهما بصاحبه .

عن أبي البختري ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جده عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا كنتم في سفر فمرض أحدكم فأقيموا عليه ثلاثة أيام .

٨٨ ـ استحباب اسماع الاصم من غير تضجر

عن أبي البختري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : اسماع الاصم من غير تضجر صدقة هنيئة .

٨٩ ـ استحباب المشى مع الصاحب هنيئة عند المفارقة

عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله ، عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام صاحب رجلا ذميـاً فقال له الذمي : أين تريد ياعبد الله ؟ قال : اريد الكوفة ، فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه أمير المؤمنين عليه السلام (الى أن قال :) فقال له الذمي : لم عدلت معي ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : هذا من تمام حسن الصحبة أن يشيع الرجل صاحبه هنيئة اذا فارقه ،وكذلك أمرنا نبينا ـ الحديث . وفيه أن الذمي أسلم لذلك .

٩٠ ـ استحباب التراسل فى السفر

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : التواصل بين الاخوان فى الحضر التزاور ، وفى السفر التكاتب .

عن محمد بن علي بن الحسين فى كتاب(الاخوان) بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال :التواصل بين الاخوان التزاور، والتواصل بينهم فى السفر التكاتب.

٩١ ـ استحباب الابتداء فى الكتاب بالبسملة وتجويد كتابتها

عن جميل بن دراج قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لاتدع بسم الله الرحمن الرحيم

وان كان بعده شعره .

عن سيف بن هارون مولى آل جعدة قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من أجود كتابك .

عن عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي، عن أبيه، عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السلام (في حديث) ان أمير المؤمنين عليه السلام سئل لم سمي تبع تبعاً ؟ قال: لانه كان غلاماً كاتباً، وكان يكتب لملك كان قبله، وكان اذا كتب، كتب بسم الله الذي خلق صيحاً وريحاً، فقال له الملك: اكتب وابدأ باسم ملك الرعد، فقال: لاابدء الا باسم الهي ، ثم اعطف على حاجتك فشكر الله له ذلك فأعطاه ملك ذلك الملك، فتابعه الناس فسمي تبعاً .

٩٢ ـ استحباب الابتداء في الكتابة باسم المرسل اليه

عن حديد بن حكيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لابأس أن يبدأ الرجل باسم صاحبه في الصحيفة قبل اسمه .

عن سماعة قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن الرجل يبدأ بالرجل في الكتاب قال: لابأس به ذلك من الفضل يبدأ الرجل بأخيه يكرمه .

٩٣ ـ استحباب استثناء مشيئة الله في الكتاب

عن مرازم بن حكيم قال: أمر أبوعبدالله عليه السلام بكتاب في حاجة، فكتب ثم عرض عليه ولم يكن فيه استثناء، فقال : كيف رجوتم أن يتم هذا وليس فيه استثناء انظروا كل موضع لايكون فيه استثناء فاستثنوا فيه .

٩٤ ـ في الامر باحترام ماكتب فيه القرآن او اسم الله

عن عبدالملك بن عتبة عن أبي الحسن الاول عليه السلام قال: سألته عن القراطيس تجمع (تجتمع) هل تحرق بالنار وفيها شيء من ذكر الله؟ قال: لا، تغسل بالماء أولا قبل.

عن عبدالله بن سنان قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: لاتحرقوا القراطيس ولكن امحوها وخرقوها.

عن زرارة قال: سأل أبو عبدالله عليه السلام عن الاسم من اسماء الله يمحوه الرجل بالتفل؟ قال: امحوا بأطهر ماتجدون.

عن محمد بن اسحاق بن عمار، عن أبي الحسن موسى عليه السلام في الظهور التي فيها ذكر الله عزوجل، قال: اغسلها.

عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: امحوا كتاب الله وذكره بأطهر ما تجدون، ونهى أن يحرق كتاب الله، ونهى أن يمحى بالاقدام (بالاقلام).

عن الحسين بن زيد، عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام (في حديث المناهي) قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يمحى شيء من كتاب الله بالبزاق أو يكتب به.

عن الحسن بن علي الرشاء قال: سألني العباس بن جعفر بن الاشعث أن أسأل الرضا عليه السلام أن يحرق كتبه اذا قرأها مخافة أن تقع في يدغيره، قال الوشاء فابتدأني عليه السلام بكتاب من قبل أن أسأله أن يحرق كتبه، قال: اعلم صاحبك أنّي اذا قرأت كتبه أحرقتها.

عن عبدالله بن الحسن، عن علي بن جعفر، عن أخيه عليه السلام قال: سألته عن القرطاس يكون فيه الكتابة أيصلح احراقه بالنار؟ فقال: ان تخوفت فيه شيئاً فاحرقه فلا بأس.

٩٥ ـ في انه يستحب للانسان : ان يقسم نظراته بين اصحابه بالسوية وان لايمد رجله بينهم، وان يترك يده عند المصافحة حتى يقبض الاخر يده

عن جميل بن دراج ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقسم لحظاته بين أصحابه فينظر الى ذا وينظر الى ذا بالسوية ، قال : ولم يبسط رسول الله صلى الله عليه وآله رجليه بين أصحابه قط، وان كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله صلى الله عليه وآله يده من يده حتى يكون هو التارك ، فلما فطنوا لذلك كان الرجل اذا صافحه قال : بيده فنزعها من يده .

عن معاوية بن وهب ،عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما أكل رسول الله صلى الله عليه وآله متكئاً منذ بعثه الله الى أن قبضه تواضعاً لله عز وجل ومازوي ركبتيه أمام جليسه في مجلس قط ، ولا صافح رسول الله صلى الله عليه وآله رجلا قط فنزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده، وما منع سائلا قط ، ان كان عنده أعطى ، والا قال يأتي الله به .

عن مالك بن أعين ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : اذا صافح الرجل صاحبه فالذي يلزم التصافح أعظم أجراً من الذي يدع ألا وان الذنوب لتتحات فيما بينهم حتى لايبقى ذنب .

عن أيمن بن محرز، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ماصافح رسول الله صلى الله عليه وآله رجلا قط فنزع يده حتى يكون هو الذي ينزع منه .

٩٦ ـ استحباب سؤال الصاحب والجليس عن اسمه وخصوصياته

عن عبد الملك بن قدامة ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً لجلسائه : تدرون ما العجز ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ،

فقال : العجز ثلاثة أن يبدر أحدكم بطعام يصنعه لصاحبه فيخلفه ولا يأتيه .

والثانية : أن يصحب الرجل منكم الرجل أو يجالسه يحب أن يعلم من هو ومن أين هو فيفارقه قبل أن يعلم ذلك .

والثالثة : أمر النساء يدنو أحدكم من أهله فيقضي حاجته وهي لم تقض حاجتها ، فقال عبدالله بن عمرو بن العاص : فكيف ذلك يارسول الله ؟ قال : يتحرش (يتحوش) ويمكث حتى يأتي ذلك منهما جميعاً .

عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا أحب أحدكم أخاه المسلم فليسأله عن اسمه واسم أبيه واسم قبيلته وعشيرته ،فان من حقه الواجب وصدق الاخاء ان يسأله عن ذلك والا فانها معرفة حمق .

عن أبي البختري ،عن جعفر بن محمد ،عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة من الجفاء : ان يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته ، و ان يدعى الرجل الى طعام فلا يجيب أو يجيب فلا يأكل ، ومواقعة الرجل اهله قبل الملاعبة .

٩٧ ـ كراهة المبالغة فى الثقة وذهاب الحشمة بين الاخوان

عن عبدالله بن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لاتثق باخيك كل الثقة فان صرعة الاسترسال لن تستقال .

عن سماعة قال : سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول : لاتذهب الحشمة بينك وبين أخيك ابق منها فان ذهابها ذهاب الحياء .

قال : وقال الصادق عليه السلام : لا يطلع صديقك من سرك الا على مالو اطلع عليه عدوك لم يضرك فان الصديق ربما كان عدواً .

عن اسماعيل بن علي الدعبلي ، عن أبيه ، عن علي بن موسى الرضا ،

عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال احبب (احب) حبيبك هوناً ما عسى(فعسى)ان يكون بغيضك يوماً ما وابغض بغيضك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما .

٩٨ ـ من ينتخب للصداقة

عن مفضل بن عمر ويونس بن ظبيان قالا : قال أبو عبدالله عليه السلام: اختبروا اخوانكم بخصلتين فان كانتا فيهم والافاعزب ثم اعزب ثم اعزب المحافظة على الصلوات في مواقيتها ، والبر بالاخوان في العسر واليسر .

٩٩ ـ استحباب حسن الخلق مع الناس

عن أبي ولاد الحناط عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أربع من كن فيه كمل ايمانه ، وان كان من قرنه الى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك قال : وهو الصدق، وأداء الامانة ، والحياء ، وحسن الخلق، اقول : ان تلك تجر الى الطاعة .

عن ذريح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم .

عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أن حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم .

عن أبي عبدالله عليه السلام قال : البر وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الاعمار .

عن عبدالله بن سنان وحسين الاحمسي جميعاً ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد .

عن العلاء بن كامل قال: قال أبو عبدالله عليه السلام اذا خالطت الناس فان استطعت

أن لاتخالط أحداً من الناس الا كان يدك العليا عليه فافعل فان العبد يكون فيه بعض النقيصة (التقصير) من العبادة ويكون له خلق حسن فيبلغه الله بخلقه درجة الصائم القائم .

عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أكثر ماتلج به أمتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق .

عن ابراهيم بن عبدالحميد قال : قال ابوعبدالله عليه السلام: أكمل الناس عقلا أحسنهم خلقاً .

عن عنبسة العابد قال : قال لي أبوعبدالله عليه السلام : مايقدم المؤمن على الله عزوجل بشيء بعد الفرائض أحب الى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه .

عن بحر السقاء قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام : يابحر حسن الخلق اكسير ثم ذكر حديثاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان حسن الخلق .

عن عبدالله بن سنان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : أوحى الله تبارك وتعالى الى بعض أنبيائه الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد .

عن عبدالله بن سنان، عن رجل، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله مايوضع في ميزان امرء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق .

عن اسحاق بن عمار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الخلق منحة يمنحها الله خلقه ، فمنه سجية، ومنه نية ، قلت : فأيهما أفضل ؟ قال : صاحب السجية هو مجبول لا يستطيع غيره ، وصاحب النية يصبر على الطاعة تصبّراً فهو أفضلهما .

عن أبي على ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال ان الله تبارك وتعالى ليعطى العبد الثواب على حسن الخلق ، كما يعطى المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح .

عن الحسين بن خالد ، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله نزل علي جبرئيل من رب العالمين فقال : يا محمد عليك بحسن الخلق فانه ذهب بخير الدنيا والاخرة ، الاوان أشبهكم بي أحسنكم خلقاً .

عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : عليكم بحسن الخلق فان حسن الخلق في الجنة لامحالة ، واياكم وسوء الخلق فان سوء الخلق في النار لامحالة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الخلق السيىء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان العبد لينال بحسن خلقه درجة الصائم القائم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مامن شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق .

قال علي عليه السلام : أكملكم ايماناً أحسنكم خلقاً .

قال علي بن أبي طالب عليه السلام : حسن الخلق خير قرين .

وبالاسناد قال : قال علي بن أبي طالب عليه السلام سئل رسول الله صلى الله عليه وآله ما أكثر ما يدخل به الجنة ؟ قال: تقوى الله وحسن الخلق .

وبالاسناد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً وخيركم لاهله .

وبالاسناد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أحسن الناس ايماناً أحسنهم خلقاً ، وألطفهم بأهله وأنا ألطفكم بأهلي .

عن الحسن، عن الحسن عليه السلام ان أحسن الحسن الخلق الحسن .

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حسن الخلق نصف الدين .

عن زياد بن علاقة بن شريك قال : قيل : يارسول الله ما أفضل ما أعطى المرء المسلم قال : الخلق الحسن .

عن الحسن بن أبان ، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال : ان الله

رضي لكم الاسلام ديناً فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق.

عن موسى بن ابراهيم رفعه الى رسول الله ﷺ قال : قالت ام سلمة : بأبي أنت وامي المرأة يكون لها زوجان فيموتان فيدخلان الجنة لمن تكون ؟ قال : فقال : يا ام سلمة تخير أحسنهما خلقاً وخيرهما لاهله ياام سلمة ان حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والاخرة .

عن موسى بن ابراهيم ، عن أبي الحسن الاول عليه السلام قال : سمعته يقول : ما حسن الله خلق عبد ولاخلقه الا استحيى ان يطعم لحمه يوم القيامة النار .

عن على بن ميمون الصائغ قال : سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول : من أراد ان يدخله الله فى رحمته ويسكنه جنته فليحسن خلقه ، وليعط النصف من نفسه ، وليرحم اليتيم ، وليعن الضعيف ، وليتواضع لله الذي خلقه .

عن أحمد بن أبي عبد الله رفعه قال : قال لقمان لابنه يا بني صاحب مأة ولاتعاد واحداً ، يابنى انما هو خلاقك وخلقك ، فخلاقك دينك ، وخلقك بينك وبين الناس ، ولا تبتغض اليهم ، وتعلم محاسن الاخلاق ، يا بني كن عبداً للاخيار ولاتكن ولداً للاشرار ، يابني أد الامانة تسلم لك دنياك وآخرتك وكن أميناً تكن غنياً .

عن عبد الله بن محمّد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، عن أبيه أنه سمع جعفر بن محمّد عليهما السلام يحدّث عن أبيه ، عن جدّه قال : قال رسول الله ﷺ : أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً .

عن النبي ﷺ قال : ان أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائه .

عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمّد ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أول مايوضع فى ميزان العبد يوم القيامة حسن خلقه.

١٠٠ ـ استحباب الالفة بالناس

عن حبيب الخثعمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أفضلكم أحسنكم أخلاقاً المؤطؤن أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم.

عن عبد الله بن ميمون القدّاح ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : المؤمن مألوف ، ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف .

عن السيد الرّضي (ره) في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قلوب الرّجال وحشية فمن تألّفها أقبلت عليه .

١٠١ ـ استحباب كون الانسان هيناً ليناً

عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا اخبركم بمن تحرم عليه النّار غداً ؟ قالوا: بلى يارسول الله ، قال : الهين القريب ، اللّين السّهل .

عن أبي البختري رفعه قال : سمعته يقول : المؤمنون هيّنون ليّنون كالجمل الالف ان قيد انقاد ، وان انيخ على صخرة استناخ .

عن محمّد بن عبد الرحمن العزرمّي ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من زي الايمان الفقه ، ومن زي الفقه الحلم ، ومن زي الحلم الرّفق ومن زي الرفق اللّين ، ومن زي اللّين السهولة .

عن علي بن علي بن دعبل ، عن علي بن موسى الرّضا ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن علي بن أبيطالب عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المؤمن هيّن ليّن سمح ، له خلق حسن ، والكافر فظ غليظ له خلق سيء وفيه جبرية.

١٠٢ ـ استحباب البشر وطلاقة الوجه

عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فقال يارسول الله أوصني فكان فيما أوصاه ان قال : الق اخاك بوجه منبسط .

عن ابن محبوب ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت ماحد حسن الخلق ؟ قال : تلين جناحك ، وتطيب كلامك ، وتلقى اخاك ببشر حسن .

عن الحسن بن الحسين قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يابني عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فألقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر .

عن سماعة بن مهران ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال ثلاث من أتى الله بواحدة منهن أوجب الله له الجنة : الانفاق من الاقتار ، والبشر بجميع العالم ، و الانصاف من نفسه .

عن سماعة ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله حسن البشر يذهب بالسخيمة .

عن عبدالعظيم الحسني، عن محمد بن علي الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم .

١٠٣ ـ الصدق في الحديث

عن عبدالله بن أبي يعفور ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كونوا دعاة للناس

بالخير بغير ألسنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع .

عن محمد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من صدق لسانه زكى عمله .

عن أبي بصير قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: ان العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين ويكذب حتى يكتب عندالله من الكاذبين، فاذاصدق قال الله عزوجل: صدق وبر، واذاكذب قال الله عزوجل: كذب وفجر .

عن حسن بن زياد الصيقل قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: من صدق لسانه زكى عمله ، ومن حسنت نيّته زيد في رزقه، ومن حسن بره بأهل بيته مد لـه في عمره .

عن عمر بن أبى المقدام قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام في أول دخلة دخلت عليه : تعلموا الصدق قبل الحديث .

عن الفضيل بن يسار قال: قال أبـوعبدالله عليه السلام : يافضيل ان الصادق أول من يصدقه الله عزوجل يعلم انه صادق ، وتصدقه نفسه تعلم انه صادق .

عن الربيع بن سعد، قال: قال لي أبوجعفر عليه السلام: ياربيع ان الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً .

عن زيد بن علي، عن آبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ان أقربكم مني غداً وأوجبكم علي شفاعة اصدقكم للحديث، وأداكم للامانة، وأحسنكم خلقاً، و أقربكم من الناس .

عن محمد بن اسماعيل رفعه الى أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أوصيك ياعلي فى نفسك بخصال، اللهم أعنه : الاولى الصدق ولايخرج من فيك كذبة أبداً ـ الحديث .

١٠٤ ـ الصدق فى الوعد

عن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : انما سمي اسماعيل عليه السلام صادق الوعد لانه وعد رجلا فى مكان فانتظره سنة ، فسماه الله صادق الوعد، ثم ان الرجل أتاه بعد ذلك فقال له اسماعيل : مازلت منتظراً لك .

عن شعيب العقرقوفي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليف اذا وعد .

عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له، فمن أخلف فبخلف الله بدأ، ولمقته تعرض وذلك قوله: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالاتفعلون» .

عن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: أتدري لم سمي اسماعيل عليه السلام صادق الوعد ؟ قلت : لاأدري ، قال : وعد رجلا فجلس حولا ينتظره .

عن عبد الله بن سنان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعد رجلا الى صخرة فقال : انا لك ههنا حتى تأتى قال : فاشتدت الشمس عليه فقال له أصحابه : يا رسول الله لو أنك تحولت الى الظل ، قال : قد وعدته الى ههنا ، وأن لم يجيء كان منه المحشر .

١٠٥ ـ استحباب الحياء

عن معاذ بن كثير ، عن أحدهما عليهما السلام قال : الحياء والايمان مقرونان فى قرن ، فاذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه .

عن أبي عبيدة الحذاء ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الحياء من الايمان والايمان فى الجنّة .

عن الفضيل بن كثير ، عمّن ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لاايمان لمن لاحياء له .

عن حسن الصيقل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : الحياء والعفاف والعيّ اعنى عيّ اللسان لاعيّ القلب من الايمان ،اقول : اى الصمت.

عن علي بن أبي علي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله أربع من كن فيه وكان من قرنه الى قدمه ذنوباً بدلها الله حسنات : الصدق ، والحياء ، وحسن الخلق ، والشكر .

عن السيد الرضيّ (ره) فى(نهج البلاغة)عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : من كساه الحياء ثوبه لم ير النّاس عيبه .

عن معمّر ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ماكان الفخر فى شيء قط الا شأنه ، ولا كان الحياء فى شيء قط الا زانه .

عن محمّد بن علي بن الحسين قال: من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله الموجزة الحياء خير كله .

وباسناده الى أمير المؤمنين عليه السلام فى وصيته لمحمّد بن الحنفية قال : ومن كساه الحياء ثوبه اختفى عن العيون عيبه .

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحياء خير كلمه يعنى انه يكف ذا الدين ومن لادين له عن القبيح فهو جماع كل جميل .

وبالاسناد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحياء والايمان فى قرن واحد ، فاذا سلب أحدهما تبعه الاخر .

وبالاسناد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ينزع الله من العبد الحياء فيصير

ماقتاً ممقتاً ، ثم ينزع الرحمة ثم يخلع دين الاسلام من عنقه فيصير شيطاناً لعيناً .

١٠٦ ـ لاحياء في الدين

عن العوام بن الزبير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من رق وجهه رق علمه.

عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن بعض أصحابنا رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحياء حياءان : حياء عقل ، وحياء حمق ، فحياء العقل هو العلم ، وحياء الحمق هو الجهل .

١٠٧ ـ استحباب العفو

عن ابن فضال قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : ماالتقت فئتان قط الا نصر أعظمهما عفواً .

عن اسماعيل بن أبي زياد السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : عليكم بالعفو فان العفو لايزيد العبد الاعزاً فتعافوا يعزكم الله.

عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله اتي باليهودية التي سمت الشاة للنبي صلى الله عليه وآله فقال لها : ماحملك على ماصنعت؟ فقالت : قلت ان كان نبياً لم يضره ، وان كان ملكاً أرحت الناس منه ، قال فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عنها .

عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة .

عن محمّد بن علي بن الحسين قال : من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله الموجزة عفو الملك أبقى للملك .

عن علي بن الحسن بن علي بن فضال ، عن أبيه قال : قال الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل « فاصفح الصفح الجميل » قال : العفو من غير عتاب .

عن عمرو بن شمر ، عن الصادق ، عن أبيه عليهما السلام قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام في قول الله عز وجل« فاصفح الصفح الجميل » قال : العفو من غير عتاب .

عن محمّد بن الحسين الرضي في(نهج البلاغة)عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة .

عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله (في حديث) : اذاكان يوم القيامة ينادي مناد يسمع آخرهم كما يسمع أولهم فيقول : أين أهل الفضل ؟ فيقوم عنق من النّاس فيستقبلهم الملائكة فيقولون : ما فضلكم هذاالذي نوديتم به ؟ فيقولون : كنا يجهل علينا في الدنيا فنحمل و يساء الينا فنعفوا ، فينادى مناد من الله تعالى : صدق عبادى خلوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب .

١٠٨ - استحباب صلة القاطع ،والاحسان الى المسيء واعطاء المانع

عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة : ألا اخبركم بخير خلايق(أخلاق) الدنيا والاخرة ؟ العفو عمّن ظلمك ، وتصل من قطعك، والاحسان الى من أساءاليك، واعطاء من حرمك .

عن أبي حمزة الثمالي ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سمعته يقول : اذاكان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الاولين والاخرين في صعيد واحد، ثم ينادي مناد أين أهل الفضل ؟ قال : فيقوم عنق من الناس فتتلقاهم الملائكة فيقولون : وماكان فضلكم؟ فيقولون : كنانصل من قطعنا، ونعطي من حرمناونعفو

عمن ظلمنا ، قال : فيقال لهم : صدقتم ادخلوا الجنة .

عن حمران بن أعين قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : ثلاث من مكارم الدنيا والاخرة : تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتحلم اذا جهل عليك .

عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ثلاث لايزيد الله بهن المرء المسلم الاعزا الصفح عمن ظلمه ، واعطاء من حرمه ، والصلة لمن قطعه .

عن أبي اسحاق السبيعي رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألاأدلكم على خير خلائق الدنيا والاخرة ؟ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفوعمن ظلمك .

عن محمدبن علي بن الحسين بن زيدبن علي، عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال صلى الله عليه وآله عليكم بمكارم الاخلاق فان ربي بعثني بها ، وان من مكارم الاخلاق أن يعفو الرجل عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، وأن يعود من لايعوده .

عن محمد بن على بن الحسين باسناده ، عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد بن الحنفية قال : لايكونن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته، ولاعلى الاسائة اليك أقدر منك على الاحسان اليه .

عن حريز ، عن زرارة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : انا أهل بيت مروتنا العفوعمن ظلمنا .

عن علي بن جعفر بن محمد أن محمد بن اسماعيل شاء أن يستأذن عمه أباالحسن موسى عليه السلام في الخروج الى العراق قال : فأذن له ، فقام محمد بن اسماعيل فقال : ياعم أحب ان توصيني ، فقال : أوصيك ان تتقي الله في دمي فقال : لعن الله من يسعى في دمك : ثم قال : ياعم أوصني فقال : أوصيك ان تتقي الله في دمي ، قال: ثم ناوله أبوالحسن عليه السلام صرة فيها مأة وخمسون ديناراً

فقبضها محمد، ثم ناوله اخرى فيها مأة وخمسون ديناراً فقبضها، ثم اعطاه اخرى فيها مأة وخمسون ديناراً فقبضها ، ثم أمر له بألف وخمسمأة درهم كانت عنده فقلت له في ذلك : فاستكثرته، فقال : هذا ليكون أوكد لحجتي عليه اذا قطعني ووصلته، ثم ذكر انه سعى بعمه الى الرشيد وانه يدعى الخلافة ويجيء له الخراج فأمر له بمأة ألف درهم ومات في تلك الليلة .

١٠٩ - استحباب كظم الغيظ

عن زيد الشحام ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها ، فان عظيم الاجر لمن عظيم البلاء ، وما أحب الله قوماً الا ابتلاهم .

عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: ما أحب أن لي بذل نفسي حمر النعم ، وما تجرعت جرعة احب الي من جرعة غيظ لا اكافي بها صاحبها .

عن ربعي ، عمن حدثه، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لي أبي: ما من شيء أقر لعين أبيك من جرعة غيظ عاقبتها صبر، وما يسرني أن لي بذل نفسي حمر النعم .

عن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أحب السبيل الى الله عزوجل جرعتان: جرعة غيظ تردها بحلم ، وجرعة مصيبة تردها بصبر .

عن مالك بن حصين السكوني قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ما من عبد كظم غيظاً الا زاده الله عزوجل عزاً في الدنيا والاخرة وقد قال الله عزوجل: «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» وأثابه الله مكان غيظه ذلك .

عن أبي حمزة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ما من جرعة يتجرعها العبد أحب

الى الله عزوجل من جرعة غيظ يتجرعها عند ترددها في قلبه امّا بصبر وامّا بحلم .

عن سيف بن عميرة قال : حدثني من سمع أباعبدالله عليه السلام يقول : من كظم غيظاً ولوشاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه .

عن الوصافي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من كظم غيظاً وهو يقدر على امضائه حشا الله قلبه امناً وايماناً يوم القيامة .

عن محمد بن علي بن الحسين قال : من الفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله : من يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله .

عن علي بن أبي طالب ، عن النبى صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام انه قال : ياعلي أوصيك بوصية فاحفظها فلاتزال بخير ماحفظت وصيتي ياعلي من كظم غيظاً وهو يقدر على امضائه اعقبه الله امناً وايماناً يجد طعمه ـ الحديث .

عن الحسين بن زيد ، عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى حديث المناهى قال : ومن كظم غيظاً وهو يقدر على انفاذه وحلم عنه اعطاه الله أجر شهيد .

عن ربيع بن عبد الرحمن قال : كان والله موسى بن جعفر عليه السلام من المتوسمين يعلم من يقف عليه ويجحد الامام بعده امامته ، وكان يكظم غيظه عليهم ، ولا يبدي لهم ما يعرفه لهم فسمي الكاظم لذلك .

عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي في (المحاسن) رفعه قال : قال أبو عبدالله عليه السلام ثلاث من كن فيه زوجه الله من الحور العين كيف شاء : كظم الغيظ ، والصبر على السيوف، لله ورجل اشرف على مال حرام فتركه لله .

١١٠ - في كظم الغيظ عن اعداء الدين في دولتهم

عن ثابت مولى آل حريز ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كظم الغيظ عن العدو في دولاتهم تقية حزم لمن أخذ به وتحرز به من التعرض للبلاء في الدنيا ومعاندة الاعداء في دولاتهم ومماظتهم في غير تقية ترك أمر الله عز وجل ، فجاملوا الناس يسمن ذلك لكم عندهم ، ولا تعادوهم فتحملوهم على رقابكم فتذلوا .

١١١ - استحباب الصبر على الحساد

عن معاوية بن وهب ، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال : اصبر على أعداء النعم فانك لن تكافىء من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع فيه .

عن أبي حمزة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان الله أخذ ميثاق المؤمن على بلايا أربع أشدها عليه مؤمن يقول بقوله يحسده ، أو منافق يقفو أثره ، أو شيطان يغويه ، أو كافر يرى جهاده ، فما بقاء المؤمن بعد هذا .

عن داود بن سرحان قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : أربع لايخلو منهن المؤمن أو واحدة منهن : مؤمن يحسده وهو أشدهن عليه ، ومنافق يقفو أثره ، أو عدو يجاهده ، أو شيطان يغويه .

عن عمار بن مروان ، عن أبي الحسن الاول عليه السلام قال : اصبر على اعداء النعم ، فانك لن تكافىء من عصى الله فيك بأفضل من ان تطيع الله فيه .

عن أبي اسامة زيد الشحام ، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله ، وزاد يازيد ان الله اصطفى الاسلام واختاره ، فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق .

١١٢ ـ استحباب الصمت الا عن الخير

عن أحمد بن محمدبن أبي نصر قال: قال أبو الحسن عليه السلام : من علامات الفقه العلم والحلم والصمت ان الصمت باب من أبواب الحكمة ، ان الصمت يكسب المحبة انه دليل على كل خير .

عن صفوان بن يحيى ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: ان من علامات الفقه الحلم والصمت .

عن عبدالله بن سنان ، عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : انما شيعتنا الخرس .

عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل أتاه : ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال: أنل مما أنالك الله ، قال : فان كنت أحوج ممن انيله ، قال : فانصر المظلوم قال: فان كنت أضعف ممن أنصره ، قال : فاصنع للاخرق ، يعني أشر عليه ، قال : فان كنت أخرق ممن أصنع له ؟ قال فاصمت لسانك الا من خير أما يسرك أن يكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك الى الجنّة .

عن ابن القداح ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال لقمان لابنه : يابني ان كنت زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت من ذهب .

عن الوشاء قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : كان الرجل من بني اسرائيل اذا أراد العبادة صمت قبل ذلك عشر سنين .

عن أبي عبدالله عليه السلام في وصيته لاصحابه قال : اياكم ان تذلقوا السنتكم بقول الزور والبهتان والاثم والعدوان ، فانكم ان كففتم السنتكم عما يكرهه الله مما نهيكم عنه كان ذلك خيراً لكم من ان تذلقوا السنتكم به ، فان ذلق

اللسان فيما يكره الله وما نهى عنه رداءة (مرداة) العبد عند الله ، ومقت من الله وصمم وعمى يورثه الله اياه يوم القيامة ـ الحديث .

عن الحلبي رفعه قال : قال رسول الله ﷺ : امسك لسانك فانها صدقة تتصدق بها على نفسك ، ثم قال : ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن لسانه .

عن علي بن الحسن بن رباط ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لايزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكتاً ، فاذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً .

عن محمد بن علي بن الحسين قال : وقال عليه السلام : كلام في حق خير من سكوت على باطل .

قال: وقال الصادق عليه السلام : الصمت كنز وافر، وزين الحليم، وستر الجاهل.

عن الربيع بن محمد المسلي ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما عبد الله بشيء مثل الصمت والمشي الى بيت الله .

عن علي بن مهزيار رفعه قال : يأتي على الناس زمان تكون العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها في اعتزال الناس ، وواحدة في الصمت .

عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: من علامات الفقه العلم والحلم والصمت، ان الصمت باب من أبواب الحكمة ان الصمت يكسب المحبة انه دليل على كل خير .

عن سعدان بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: النوم راحة الجسد، والنطق راحة للروح، والسكوت راحة للعقل .

عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق، وينسي في الاجل، ويحبب الى الاهل ويدخل الجنة .

عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام قال : قال داود لسليمان عليهما السلام: يابني عليك بطول الصمت، فان الندامة على طول الصمت مرة واحدة خير من الندامة على كثرة الكلام مرات يابني لو أن الكلام كان من فضة كان ينبغي الصمت أن يكون من ذهب .

عن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لاخير فى الصمت عن الحكم كما أنه لاخير في القول بالجهل .

قال: وقال أمير المؤمنين عليه السلام: من كثر كلامه كثر خطاؤه، ومن كثر خطاؤه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار .

قال: وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الكلام في وثاقك مالم تتكلم به، فاذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فرب كلمة سلبت نعمة .

١١٣ ـ استحباب التكلم فى الخير وعدم السكوت

عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وآله في وصيته له قال: ياأباذر الذاكر في الغافلين كالمقاتل فى الفارين في سبيل الله، ياأباذر الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء، واملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من املاء الشر، ياأباذر اترك فضول الكلام ، وحسبك من الكلام ماتبلغ به حاجتك ياأباذر كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ماسمع، يا أباذر انه ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان ، يا أباذر ان الله عند لسان كل قائل، فليتق الله امرء وليعلم مايقول .

عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه سئل عن الكلام والسكوت أيهما أفضل ؟

فقال عليه السلام : لكل واحد منهما آفات فاذا سلما من الافات فالكلام أفضل من السكوت ، قيل : وكيف ذاك يابن رسول الله ؟ فقال : لان الله عز وجل مابعث الانبياء والاوصياء بالسكوت ، انما بعثهم بالكلام ، ولا استحقت الجنة بالسكوت ولااستوجبت ولاية الله بالسكوت ، ولاوقيت النار بالسكوت ، ولا تجنب سخط الله بالسكوت ،انما ذاك كله بالكلام ماكنت لاعدل القمر بالشمس انك لتصف فضل السكوت بالكلام ، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت .

١١٤ ـ في حفظ اللسان

عن أبي حمزة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: ان لسان بن آدم يشرف كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول : كيف أصبحتم ؟ فيقولون بخير ان تركتنا ، ويقولون : الله الله فينا ويناشدونه ويقولون : انما نثاب ونعاقب بك.

عن أبي علي الجواني قال : شهدت أباعبدالله عليه السلام وهو يقول لمولى له يقال له : سالم ووضع يده على شفته وقال: ياسالم احفظ لسانك تسلم ، ولاتحمل الناس على رقابنا .

عن عثمان بن عيسى قال: حضرت أبا الحسن عليه السلام وقال له رجل:أوصني فقال : احفظ لسانك تعز ولا تمكن الناس من قيادك فتذل رقبتك .

عن مسعدة ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال لرجل : وقد كلمه بكلام كثير فقال : أيها الرجل تحتقر الكلام وتستصغره ان الله لم يبعث رسله حيث بعثها ومعها فضة ولا ذهب ، ولكن بعثها بالكلام ، وانما عرف الله نفسه الى خلقه بالكلام والدلالات عليه والاعلام .

عن الحلبي رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله نجاة المؤمن حفظ لسانه .

عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول:كان أبو ذر رحمه الله يقول:

يامبتغي العلم ان هذاالسان مفتاح خير ، ومفتاح شر ، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك .

عن قيس أبي اسماعيل رفعه قال : جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أوصني ، فقال احفظ لسانك ، قال يارسول الله ﷺ أوصني ، قال: احفظ لسانك، قال : يارسول الله أوصني ، قال: احفظ لسانك ، ويحك و هل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد ألسنتهم .

عن منصور بن يونس ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : في حكمة آل داود ، على العاقل أن يكون عارفاً بأهل زمانه، مقبلا على شأنه، حافظاً للسانه .

عن أبي جميلة ، عمن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما من يوم الا وكل عضو من أعضاء الجسد يكفر اللسان يقول : نشدتك الله أن نعذب فيك.

عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : ان كان في شيء شوم ففي اللسان .

عن السيد الرضي في (نهج البلاغة) عن امير المؤمنين عليه السلام قال : اللسان سبع عقور ، ان خلى عنه عقر .

قال : وقال عليه السلام : اذا تم العقل نقص الكلام .

عن حماد بن عثمان ، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : في حكمة آل داود : ينبغي للعاقل ان يكون مقبلاعلى شأنه حافظاً للسانه عارفاً بأهل زمانه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد بن الحنفية قال : وما خلق الله عز وجل شيئاً أحسن من الكلام ولا أقبح منه بالكلام ابيضت الوجوه وبالكلام اسودت الوجوه ، واعلم أن الكلام في وثاقك مالم تتكلم به فاذا تكلمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك ، فان اللسان كلب عقور فان أنت خليته عقر، ورب كلمة سلبت نعمة ، من سيب عذاره قاده الى

كل كريهة وفضيحة ،ثم لم يخلص من دهره الا على مقت من الله وذم من الناس.

عن الحارث ،عن علي عليه السلام قال: مامن شيء أحق بطول السجن من اللسان.

عن معمر بن خلاد ، عن أبي الحسن الرضا ، عن أبيه عليهما السلام قال : قال أبو عبدالله عليه السلام: نجاة المؤمن في حفظ لسانه قال: وقال أمير المؤمنين عليه السلام: من حفظ لسانه ستر الله عورته .

عن سليمان بن مهران قال : دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام وعنده نفر من الشيعة فسمعته وهو يقول : معاشر الشيعة كونوا لنازينا ، ولا تكونوا علينا شيناً ، قولوا للناس حسناً واحفظوا ألسنتكم وكفوها عن الفضول وقبيح القول .

عن ابن أبي عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لاتكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسى القلب ، ان أبعد الناس من الله القلب القاسي .

عن عبدالله بن عبدالله ، عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال لاصحابه : اسمعوا مني كلاماً هو خير لكم من الدرهم الموقفة ، لايتكلم أحدكم بمالايعنيه وليدع كثيراً من الكلام فيما يعنيه حتى يجدله موضعاً فرب متكلم في غير موضعه خطأ على نفسه بكلامه ، ولايمارين أحدكم حليماً ولاسفيهاً فانه من مارى حليماً أقصاه ومن مارى سفيهاً أرداه ، واذكروا أخاكم اذا غاب عنكم بأحسن ما تحبون أن تذكروا اذا غبتم عنه ، واعملوا عمل من يعلم أنه مجازي بالاحسان مأخوذ بالاجرام .

عن السكوني، عن أبي عبدالله، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: ثلاث منجيات: تكف لسانك ، وتبكي على خطيئتك ، ويسعك بيتك .

عن الفضل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال يافضيل بلغ من لقيت

من موالينا السلام وقل لهم اني أقول : انى لااغنى عنهم من الله شيئاً الابورع فاحفظوا ألسنتكم وكفوا أيديكم وعليكم بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين .

عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ان على لسان كل قائل رقيباً ، فليتق الله العبد ولينظر ما يقول .

وعنه ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن جده عليهم السلام قال : من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه .

١١٥ ـ كراهة كثرة الكلام بغير الخير

عن عمرو بن جميع ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان المسيح عليه السلام يقول لاتكثروا الكلام في غير ذكر الله ، فان الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لايعلمون .

عن ابن فضال ، عمن رواه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لايحسب كلامه من عمله كثرت خطاياه وحضر عذابه .

عن الغفاري ، عن جعفر بن ابراهيم قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه الافيما يعنيه .

عن أبي عبدالله عليه السلام في رسالته الى أصحابه قال : فاتقوا الله وكفوا ألسنتكم الامن خير (الى أن قال:) وعليكم بالصمت الافيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم ويأجركم عليه ، وأكثروا من التهليل والتقديس والتسبيح والثناء على الله والتضرع اليه والرغبة فيما عنده من الخير الذي لايقدر قدره ، ولايبلغ كنهه أحد ، فاشغلوا ألسنتكم بذلك عما نهى الله عنه من أقاويل الباطل التي تعقب

أهلها خلوداً في النار من مات عليها ولم يتب الى الله ولم ينزع عنها .

عن محمد بن علي بن الحسين قال : مرأمير المؤمنين عليه السلام برجل يتكلم بفضول الكلام فوقف عليه ثم قال: ياهذا انك تملي على حافظيك كتاباً الى ربك فتكلم بمايعنيك ودع مالايعنيك .

قال : وقال أمير المؤمنين عليه السلام : جمع الخير كله في ثلاث خصال : النظر والسكوت والكلام ، فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو ، وكل كلام ليس فيه ذكرفهو لغو وكل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة فطوبي لمن كان نظره عبراً وصمته تفكراً ، وكلامه ذكراً ، وبكى على خطيئته ، وأمن الناس شره .

عن جعفر بن ابراهيم قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من ماز موضع كلامه من عقله قل كلامه فيما لايعنيه .

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أياكم وجدال المفتون فان كل مفتون ملقى حجته الى انقضاء مدته فاذا انقضت مدته أحرقته فتنته بالنار .

عن الزيدي ، عن أبي أراكه قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : ان لله عباداً كسرت قلوبهم خشيةالله فاستنكفوا من المنطق وانهم لفصحاء ألباء نبلاء ، يستبقون اليه بالاعمال الزاكية ، لايستكثرون له الكثير ولا يرضون له القليل ، يرون أنفسهم أنهم شرار، وانهم لاكياس الابرار .

عن زيدبن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: الكلام ثلاثة فرابح وسالم وشاحب، فأما الرابح فالذي يذكرالله، وأما السالم فالذي يقول: احب الله ، وأما الشاحب فالذي يخوض في الناس .

عن القاسم بن سليمان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعت أبي يقول : من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه .

١١٦ ـ استحباب مداراة الناس

عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أمرني ربي بمداراة الناس ، كما أمرني بأداء الفرائض .

عن حبيب السجستاني ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : في التوراة مكتوب فيما ناجى الله به موسى بن عمران : يا موسى اكتم مكتوم سري في سريرتك ، وأظهر في علانيتك المداراة عني لعدوي وعدوك من خلقي ، ولا تستسب لي عندهم باظهار مكتوم سري فتشرك عدوك وعدوي في سبي .

عن الحسين بن الحسن قال: سمعت جعفراً عليه السلام يقول: جاء جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يامحمد ربك يقرئك السلام ويقول لك : دارخلقي .

عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل : ورع يحجزه عن معاصي الله، وخلق يداري به الناس وحلم يرد به جهل الجاهل .

عن مسعدة بن صدقة ، عن ابي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله مداراة الناس نصف الايمان ، والرفق بهم نصف العيش ثم قال أبو عبدالله عليه السلام خالطوا الابرار سراً ، وخالطوا الفجار جهراً .

عن حذيفة بن منصور قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ان قوماً قلّت مداراتهم للناس فالقوا من قريش وأيم الله ماكان بأحسابهم بأس ، وان قوماً من غير قريش حسنت مداراتهم فالحقوا بالبيت الرفيع ، ثم قال : من كف يده عن الناس فانما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه أيدي كثيرة .

عن اسحاق بن عمار قال : قال الصادق عليه السلام : يااسحاق صانع المنافق بلسانك واخلص ودك للمؤمن .

عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد بن الحنفية قال : وأحسن الى جميع الناس كما تحب أن يحسن اليك وأرض لهم ماترضاه لنفسك واستقبح لهم ماتستقبحه من غيرك، وحسّن مع الناس خلقك حتى اذاغبت عنهم حنوا اليك، واذا مت بكوا عليك، وقالوا : انا لله وانا اليه راجعون ، ولاتكن من الذين يقال عند موته الحمدلله رب العالمين، واعلم أن رأس العقل بعد الايمان بالله عزوجل مداراة الناس ولا خير فيمن لا يعاشر بالمعروف من لابد من معاشرته حتى يجعل الله الى الخلاص منه سبيلا، فاني وجدت جميع مايتعايش به الناس وبه يتعاشرون ملؤ مكيال ثلثاه استحسان، وثلثه تغافل .

عن محمد بن أحمد الكاتب رفعه أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال لبنيه: يا بني اياكم ومعاداة الرجال فانهم لايخلون من ضربين: من عاقل يمكر بكم أو جاهل يعجل عليكم، والكلام ذكر والجواب انثى، فاذا اجتمع الزوجان فلابد من النتاج، ثم أنشأ يقول :

سليم العرض من حذر الجوابا ومن داری الرجال فقد أصابا
ومن هاب الرّجال تهيّبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

عن سفيان بن عيينة، قال: قلت للزهري لقيت علي بن الحسين عليهما السلام ؟ قال: نعم لقيته ومالقيت أحداً أفضل منه ، وماعلمت له صديقاً في السر ولا عدواً في العلانية، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لاني لم أر أحداً وان كان يحبّه الا وهو لشدة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت أحداً، وان كان يبغضه الا وهو لشدة مداراته له يداريه .

١١٧ - في حقوق المؤمن

عن مرازم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما عبدالله بشيء أفضل من أداء حق

المؤمن .

عن أبي المعزا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولايخونه، ويحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاقد على التعاطف ، والمواساة لاهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عزوجل، رحماء بينكم متراحمين مغتمّين لما غاب عنكم من أمرهم على مامضى عليه معشر الانصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله .

عن عيسى بن أبي منصور ، عن أبي عبدالله عليه السلام (في حديث) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ست خصال من كن فيه كان بين يدي الله عزوجل وعن يمين الله فقال له ابن أبي يعفور: وماهن جعلت فداك؟ قال: يحب المرء المسلم لاخيه مايحب لاعز أهله ، ويكره المرء المسلم لاخيه مايكره لاعز أهله ، و يناصحه الولاية (الى أن قال:) اذا كان منه بتلك المنزلة بثّه همّه ففرح لفرحه ان هو فرح، وحزن لحزنه ان هو حزن، وان كان عنده مايفرج عنه فرج عنه، والا دعا له (الى أن قال) :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ان كان خلق عن يمين العرش بين يدي الله وجوههم أبيض من الثلج، وأضوء من الشمس الضاحية، يسأل السّائل ماهؤلاء؟ فيقال: هؤلاء الذين تحابوا في جلال الله .

عن الحرث بن مغيرة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : المسلم أخو المسلم هو عينه ومرآته ودليله، لايخونه ولايخدعه ولايظلمه، ولايكذبه، ولايغتابه .

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته ويوارى عورته، ويفرج عنه كربته، ويقضي دينه ، فاذا مات خلفه في أهله وولده .

عن علي بن عقبة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المؤمن أخو المؤمن عينه و

دليله، لايخونه ولايظلمه ولايغشّه ولايعده عدة فيخلفه .

عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت لـه : ماحق المسلم على المسلم؟ قال: له سبع حقوق واجبات، مامنهن حق الا وهوعليه واجب ان ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب، قلت لـه: جعلت فداك وماهي ؟ قال: يامعلّى انّي عليك شفيـق أخاف أن تضيّـع ولا تحفظ وتعلم ولاتعمل، قلت: لاقوة الا بالله، قال: أيسر حق منها أن تحب لـه ماتحب لنفسك، وتكره له ماتكره لنفسك .

والحق الثاني: أن تجتنب سخطه وتتّبع مرضاته، وتطيع أمره .

والحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك .

والحق الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته .

والحق الخامس: أن لاتشبع ويجوع، ولاتروى ويظمأ، ولاتلبس ويعرى.

والحق السادس: أن يكون لك خادم وليس لاخيـك خادم ، فواجب أن تبعث خادمك فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، وتمهد فراشه .

والحق السابـع: أن تبر قسمـه ، وتجيب دعوته وتعود مريضه ، وتشهد جنازته، واذا علمت أن له حاجة تبادره الى قضائها ولاتلجئه الى أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة فاذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته، وولايته بولايتك.

عن ابراهيـم بن عمر اليماني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : حق المسلم على المسلم أن لايشبع ويجوع أخوه، ولايروى ويعطش أخوه، ولايكتسي ويعرى أخوه، فماأعظم حق المسلم على أخيه المسلم وقال: أحب لاخيـك المسلم ما تحب لنفسك، وان احتجت فسله، وان سألك فأعطه لا تمله خيراً، ولايمله لك كن له ظهراً فانه لك ظهر اذا غاب فاحفظه في غيبته، واذا شهد فزره وأجلّه وأكرمه فانه منك وأنت منه، فان كان عليك عاتباً فلاتفارقـه حتى تسل سخيمته

وان أصابه خير فاحمد الله، وان ابتلى فاعضده، وان تمحل له فأعنه، واذا قال الرجل لاخيه: اف انقطع مابينهما من الولاية، واذا قال له: أنت عدوي كفر أحدهما، فاذا أتهمه انماث الايمان في قلبه كما ينماث الملح فى الماء .

عن علي بن عقبة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: للمسلم على المسلم من الحق ان يسلّم عليه اذا لقيه، ويعوده اذا مرض، وينصح له اذا غاب، ويسمته اذا عطس ويجيبه اذا دعاه ويتبعه اذا مات .

عن أبي الميمون الحارثي قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: ماحق المؤمن على المؤمن؟ قال: ان من حق المؤمن على المؤمن المودة له في صدره، والمواساة له فى ماله، والخلف له في أهله، والنصرة له على من ظلمه وان كان نافلة في المسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه واذا مات الزيارة له الى قبره، وان لا يظلمه، وأن لايغشه وأن لايخونه، وأن لايخذله، وأن لايكذبه، وأن لايقول له: اف واذا قال له: اف فليس بينهما ولاية، واذا قال له: أنت عدوي فقد كفر أحدهما، واذا أتهمه انماث الايمان فى قلبه كما ينماث الملح في الماء .

عن معلّى بن خنيس قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن حق المؤمن؟ فقال: سبعون حقاً لااخبرك الا بسبعة، فاني عليك مشفق اخشى أن لاتحتمل، قلت: بلى انشاء الله فقال: لاتشبع ويجوع، ولاتكتسي ويعرى ، وتكون دليله وقميصه الذي يلبسه، ولسانه الذي يتكلم به، وتحب له ماتحب لنفسك، وان كانت لك جارية بعثتها لتمهد فراشه، وتسعى في حوائجه بالليل والنهار، فاذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايتنا، وولايتنا بولاية الله .

عن محمد بن علي بن الحسين باسناده، عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد بن الحنفية قال: لاتضيعن حق أخيك اتّكالا على مابينك وبينه، فانه ليس لك بأخ من أضعت حقّه .

عن مسعدة بن صدقة، عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للمؤمن

على المؤمن سبعة حقوق واجبة من الله عزوجل: الاجلال له في غيبته، والود له في صدره، والمواساة له في ماله، وأن يحرم غيبته، وأن يعوده في مرضه وأن يشيّع جنازته، وأن لايقول فيه بعد موته الا خيرا.

عن ابراهيم بن العباس قال: مارأيت الرضا عليه السلام جفا أحداً بكلمة قط، ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما رد أحداً عن حاجة يقدر عليها ولا مد رجله بين يدي جليس له قط، ولا اتّكأ بين يدي جليس له قط، ولا رأيته شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيته تفل قط، ولا رأيته تقهقه في ضحكه قط، بل كان ضحكه التبسم ـ الحديث.

عن داود بن حفص قال: كنا عند أبي عبدالله عليه السلام اذ عطس فهممنا أن نسمته فقال: ألا سمتم ان من حق المؤمن على أخيه أربع خصال: اذا عطس أن يسمّته، واذا دعا أن يجيبه، واذا مرض أن يعوده، واذا توفى شيّع جنازته.

عن أبان بن تغلب قال: كنت أطوف مع أبي عبدالله عليه السلام فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجته فأشار الي فرآه أبوعبدالله عليه السلام فقال: ياأبان اياك يريد هذا؟ قلت: نعم، قال: هوعلى مثل ماأنت عليه؟ قلت: نعم، قال: فاذهب اليه واقطع الطواف، قلت: وان كان طواف الفريضة قال: نعم، قال: فذهبت معه، ثم دخلت عليه بعد فسألته عن حق المؤمن فقال: دعه لاترده، فلم ازل أرد عليه قال: ياأبان تقاسمه شطر مالك، ثم نظر الي فرأى ما دخلني فقال: ياأبان أماتعلم أن الله قدذكر المؤثرين على أنفسهم؟ قلت: بلى، قال: اذا انت قاسمته فلم تؤثره انما تؤثره اذا أنت أعطيته من النصف الاخر.

عن مزام، عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: ما اقبح بالرجل أن يعرف أخوه حقه ولا يعرف حق أخيه.

عن حفص بن غياث يرفعه الى النبي صلى الله عليه وآله قال: المؤمن مرآة أخيه يميط عنه الاذى.

عن عبدالله بن مسكان، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: أحب أخاك المسلم وأحب له ماتحب لنفسك، واكره له ماتكره لنفسك اذا احتجت فسله، واذا سألك فأعطه، ولاتدخر عنه خيراً فانه لايدخر عنك ، كن له ظهراً فانه لك ظهر، ان غاب فاحفظه في غيبته، وان شهد فزره وأجلّه وأكرمه فانه منك وأنت منه، وان كان عليك عاتباً فلاتفارقه حتى لتسل سخيمته ومافي نفسه، فاذا أصابه خير فاحمد الله، وان ابتلى فاعضده وتمحل له .

عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبدالله عليه السلام (في حديث) قال: ان من حبس حق المؤمن أقامه الله مأة عام على رجليه حتى يسيل من عرقه أودية، ثم ينادى مناد من عندالله جل جلاله: هذا الظالم الذي حبس عن الله حقّه، قال: فيوبخ أربعين عاماً، ثم يؤمر به الى نار جهنّم .

عن الحرث الهمداني، عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : ان للمسلم على أخيه من المعروف ستّاً: يسلّم عليه اذا لقيه، ويعوده اذا مرض، ويسمّته اذا عطس، ويشهده اذامات، ويجيبه اذا دعاه، ويحب له مايحب لنفسه، ويكره له مايكره لنفسه .

عن محمد بن مسلم قال: أتاني رجل من أهل الجبل فدخلت معه على أبي عبدالله عليه السلام فقال له عند الوداع: أوصني ، فقال: اوصيك بتقوى الله وبر أخيك المسلم، واحب له ماتحب لنفسك، واكره له ماتكره لنفسك، وان سألك فأعطه وان كف عنك فاعرض عليه لاتمله خيراً فانه لايملك، وكن له عضداً فانه لك عضد، وان وجد عليك فلاتفارقه حتى تسل سخيمته، وان غاب فاحفظه في غيبته وان شهد فاكنفه واعضده ووازره وأكرمه ولاطفه فانّه منك، وأنت منه .

عن علي بن عثمان بن زرين، عمّن رواه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ست خصال من كن فيه كان بين يدى الله وعن يمينه، ان الله يحب المرء المسلم الذي

يحب لاخيه مايحب لنفسه، ويكره له مايكره لنفسه، ويناصحه الولابة، ويعرف فضلي ويطأ عقبى، وينظر عاقبتي .

عن القاسم بن محمد بن جعفر العلوي ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن علي عليهم السلام قال رسول الله ﷺ : للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً لابراءة له منها الا بالاداء أو العفو : يغفر زلته ، ويرحم عبرته ، ويستر عورته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ، ويرد غيبته ، ويديم نصيحته ، ويحفظ خلته ، ويرعى ذمته ، ويعود مرضته ، ويشهد ميتته ، ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، و يكافي صلته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ، ويحفظ حليلته ، ويقضى حاجته ، و يشفع مسألته ، ويسمت عطسته ، ويرشد ضالته ، ويرد سلامه ، ويطيب كلامه ، ويبر أنعامه ، ويصدق اقسامه ، ويوالي وليه ولايعاديه ، وينصره ظالماً ومظلوماً فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه ، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه، ولايسلمه ، ولايخذله ، ويحب له من الخير مايحب لنفسه ، ويكره له من الشر مايكره لنفسه ، ثم قال عليه السلام : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضي له وعليه .

عن مسعدة بن صدقة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله ﷺ أمرهم بسبع ونهاهم عن سبع : أمرهم بعيادة المرضى ،و اتباع الجنائز ، وابرار القسم ، وتسميت العاطس ، ونصرة المظلوم ، وافشاء السلام ، واجابة الداعي ـ الحديث .

١١٨ ـ في جملة من حقوق العالم

عن سليمان بن جعفر الجعفري ، عمن ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : ان من حق العالم أن لايكثر عليه السؤال ، و

لاتأخذ بثوبه واذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم جميعاً ، وخصه بالتحية واجلس بين يديه ، ولا تجلس خلفه ، ولاتغمز بعينك، ولاتشر بيدك ، ولاتكثر من القول قال فلان: وقال فلان خلافاً لقوله: ولاتضجر بطول صحبته ، فانما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها متى تسقط عليك منها شيء ، واذ، العالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي فى سبيل الله .

عن عبد الله بن الحسن ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي عليه السلام قال : من حق العالم أن لاتكثر عليه السؤال ، ولاتسبقه في الجواب ، ولاتلح اذاأعرض ولا تأخذ بثوبه اذا كسل ، ولاتشر اليه بيدك ، ولاتغمز بعينك ولاتساره في مجلسه ولاتطلب عوراته وان لاتقول قال فلان خلاف قولك ، ولاتفشي لهسراً ولاتغتاب عنده أحداً ، وأن تحفظ له شاهداً وغائباً ، وأن تعم القوم بالسلام و تخصه بالتحية ، وتجلس بين يديه ، وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته ، ولاتمل من طول صحبته ، فانما هو مثل النخلة فانتظر متى تسقط عليك منه منفعته ، والعالم بمنزلة الصائم القائم المجاهد في سبيل الله ، واذا مات العالم انثلم في الاسلام ثلمة لاتسد الى يوم القيامة ، وان طالب العلم ليشيّعه سبعون ألف ملك من مقربي السماء .

١١٩ ـ استحباب التراحم والتعاطف

عن شعيب العقرقوفي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لاصحابه : اتقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين،تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا واحيوه .

عن أبي المعزاء ،عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل ، والتعاون على التعاطف ، والمواساة لاهل الحاجة ، وتعاطف

بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عزوجل رحماء بينهم متراحمين مغتمين لما غاب عنهم من امرهم على ما مضى عليه معشر الانصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

عن كليب الصيداوي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : تواصلوا وتباروا و تراحموا وكونوا اخوة أبراراً كما أمركم الله عز وجل .

عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : تواصلوا وتباروا وتراحموا وتعاطفوا .

عن زرارة ،عن أبي جعفر عليه السلام(في حديث)قال : رحم الله امرءاً ألف بين وليين لنا يامعشر المؤمنين تألفوا وتعاطفوا .

عن الحرث ، عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان الله عزوجل رحيم يحب كل رحيم .

١٢٠ـ استحباب قبول الاعتذار

عن جعفر بن محمد ، عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال : ياعلي من لم يقبل من متنصل عذراً صادقاً كان أو كذاباً لم ينل شفاعتي .

عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لمحمد بن الحنفية قال :لاتصرم أخاك على ارتياب ، ولا تقطعه دون استعتاب لعل له عذراً وأنت تلوم به اقبل من متنصل عذراً صادقاً كان أو كاذباً فتنالك الشفاعة .

عن علي بن جعفر ، عن أبي الحسن ، عن آبائه عليهم السلام في حديث ان علي بن الحسين عليهما السلام قال لولده : ان شتمك رجل عن يمينك ثم تحول اليك عن يسارك فاعتذر اليك فاقبل عذره .

١٢١ ـ استحباب التسليم والمصافحة

عن أبي عبيدة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : اذا التقى المؤمنان فتصافحا أقبل الله بوجهه عليهما ، وتحاتت الذنوب عن وجوههما حتى يفترقا.

عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان المؤمنين اذا التقيا فتصافحا أقبل الله عليهما بوجهه وتساقطت عنهما الذنوب كما يتساقط الورق من الشجر.

عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول: في حديث: المؤمن لا يوصف وان المؤمن ليلقي أخاه فيصافحه فلا يزال الله ينظر اليهما والذنوب تتحات عن وجوههما كما يتحات الورق عن الشجر .

وبالاسناد، عن يونس ، عن رفاعة قال : سمعته يقول : مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة .

عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: تصافحوا فانها تذهب بالسخيمة.

عن أبي خالد القماط ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان المؤمنين اذا التقيا وتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما فتصافح أشدهما حباً لصاحبه. أقول: أي رحمته.

عن مالك بن أعين الجهني ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان المؤمنين اذا التقيا فتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما ، وأقبل بوجهه على أشدهما حباً لصاحبه فاذا أقبل الله بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذنوب كما يتحات الورق من الشجر . . أقول : وجه الله لطفه .

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه وليصافحه فان الله عز وجل أكرم بذلك الملائكة فاصنعوا صنع الملائكة .

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا لقيتم فتلاقوا

بالتسليم والتصافح ، واذا تفرقتم فتفرقوا بالاستغفار .

عن ابن قداح ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لقى النبي صلى الله عليه وآله حذيفة فمد النبي صلى الله عليه وآله يده وكف حذيفة يده فقال النبي صلى الله عليه وآله : ياحذيفة بسطت يدي اليك فكففت يدك عني فقال حذيفة : يارسول الله بيدك الرغبة ، ولكني كنت جنباً فلم احب أن تمس يدك وأنا جنب ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : أما تعلم أن المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما ، كما يتحات ورق الشجر .

عن اسحاق بن عمار قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : في حديث لايقدر قدر المؤمن انه ليلقى أخاه فيصافحه فينظر الله اليهما والذنوب تتحات عن وجوههما حتى يفترقا ، كما تتحات الريح الشديدة الورق من الشجر .

عن أبي حمزة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أنتم في تصافحكم (في) مثل اجور المجاهدين .

عن أبي عبيدة الحذاء قال : قال أبو جعفر عليه السلام : ان المؤمن اذا صافح المؤمن تفرقا من غير ذنب .

عن محمد بن جعفر التميمي ، عن الصادق عليه السلام في حديث ابراهيم مع رجل انه قام اليه فعانقه ، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله جائت المصافحة .

عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام قال: أول اثنين تصافحا على وجه الارض ذوالقرنين وابراهيم الخليل استقبله ابراهيم فصافحه .

عن مالك بن أعين الجهني قال : اقبل الي أبو عبدالله عليه السلام فقال : أنتم والله شيعتنا (الى أن قال :) لايقدر أحد أن يصف حق المؤمن ويقوم به مما أوجب الله على أخيه المؤمن ، والله يامالك ان المؤمنين ليلتقيان فيصافح كل

واحد منهماصاحبه ، فما يزال الله ناظراً اليهما بالمحبة والمغفرة ، وانالذنوب لتحـات عن وجوههما وجوارحهما حتى يفترقا ، فمن يقدر على صفة الله و صفة من هو هكذا عند الله .

عن الحسـن بن محمد الديلمي في (الارشاد) عن أبي عبدالله عليه السلام قال : مصافحة المؤمن بألف حسنة .

١٢٢ ـ استحباب المصافحـة حتى مع قرب العهد باللقاء و كيفية المصافحة

عن هشام بن سالـم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن حد المصافحة فقال: دور نخلة .

عن أبي عبيدة قال : كنت زميل أبي جعفر عليه السلام وكنت أبدء بالركـوب ثم يركب هو فاذا استوينا سلم وسائل مسائلة رجل لاعهد له بصاحبه وصافح قال : وكان اذا نزل نزل قبلـي فاذا استويت أنا وهو على الارض سلم وسائل مسائلة من لاعهد له بصاحبه ، فقلت : يابن رسول الله انك لتفعل شيئاً مايفعله منقبلنا ، وان فعل مرة فكثير، فقال: أما علمت مافي المصافحة : ان المؤمنين يلتقيان فيصافح أحدهما صاحبه فما تزال الذنـوب تتحات عنهما كما يتحات الورق عن الشجر والله ينظر اليهما حتى يفترقا .

عن أبي عبيدة الحـذاء قال : زاملت أبا جعفر عليه السلام في شق محمـل من المدينة الى مكة فنزل في بعض الطريق فلما قضى حاجته وعاد قال: هات يدك فناولتـه يدي فغمزها حتى وجدت الاذى في أصابعي ثم قال : يا أبا عبيدة ما من مسلم لقى أخاه المسلم فصافحه وشبك أصابعه فيأصابعهالا تناثرت عنهما ذنوبهما كما يتناثر الورق عن الشجر في اليوم الشاتي .

عن أبي حمزة قال : زاملت أبا جعفر عليه السلام فحططنا الرحل ثم مشى قليلا ثم جاء فأخذ يدى فغمزها غمزة شديدة فقلت: جعلت فداك ، أو ما كنت معك في المحمل فقال : أو ما علمت أن المؤمن اذا جال جولة ثم أخذ بيد أخيه نظر الله اليهما بوجهه فلم يزل مقبلا عليهما بوجهه ويقول للذنوب : تتحات عنهما ، فتتحات ياأبا حمزة كما يتحات الورق من الشجر فيفترقان وماعليهما من ذنب .

عن أبي عبيدة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ينبغي للمؤمنين اذا توارى أحدهما عن صاحبه شجرة ثم لقيا أن يتصافحا .

عن رزين ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :كان المسلمون اذا غزوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومروا بمكان كثير الشجر ثم خرجوا الى الفضاء نظر بعضهم الى بعض فتصافحوا .

عن الحسين بن زيد، عن الصادق ،عن آبائه عليهم السلام،عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث المناهي نهى عن مصافحة الذمي .

وفي (الخصال)،عن علي عليه السلام في حديث الاربعمأة قال :اذا لقيتم اخوانكم فتصافحوا وأظهروا لهم البشاشة والبشر تتفرقوا وما عليكم من الاوزار قدذهب، صافح عدوك وان كره فانه مما أمر الله عزوجل عباده يقول : ادفع بالتى هي أحسن السيئة ، الايتين .

١٢٣ ـ آداب استقبال القادم وتوديعه

عن الحسن بن على العسكرى ، عن آبائه عليهم السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما جاء جعفر بن أبي طالب من الحبشة قام اليه واستقبله اثنتي عشرة خطوة وعانقه وقبل مابين عينيه (الى أن قال) وبكى فرحاً برؤيته .

عن دارم بن قبيصة ونعيم بن صالح جميعاً ، عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من حق الضيف أن تمشي معه فتخرجه من حريمك الى الباب .

عن اسحاق بن عمار قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : من قام من مجلسه تعظيماً لرجل ؟ قال : مكروه الا لرجل في الدين .

عن الحسن بن الفضل الطبرسي في (مكارم الاخلاق) قال : دخل على النبي صلى الله عليه وآله رجل المسجد وهو جالس وحده فتزحزح له وقال : ان من حق المسلم على المسلم اذا أراد الجلوس أن يتزحزح له .

قال : وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من أحب أن تمثل له الرجال قياماً فليتبوء مقعده من النار .

١٢٤ ـ في تعظيم الاشراف والامراء

عن السيد الرضي في (نهج البلاغة) قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : وقد لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين أهل الانبار فترجلوا له واشتدوا بين يديه ، ماهذا الذي صنعتموه ؟ قالوا : خلق نعظم به امرائنا ، فقال عليه السلام : والله ماينتفع بهذا امراؤكم وانكم لتشقون به على انفسكم ، وتشقون به في آخرتكم فما أخسر المشقة وراءها العقاب ، وما أربح الدعة معها الامان من النار .

١٢٥ ـ النهي عن حجب الناس

عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك ما تقول في مسلم أتى مسلماً وهو في منزله فاستأذن عليه فلم يأذن له ولم يخرج اليه ؟ قال : يا أباحمزة أيما مسلم أتى مسلماً زائراً أو طالب حاجة وهو في منزله ؟

فاستأذن عليه فلم يأذن له ولم يخرج اليه لم يزل في لعنة الله حتى يلتقيا، قلت: جعلت فداك في لعنة الله حتى يلتقيا ؟ قال : نعم .

عن اسحاق بن عمار قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فنظر الي بوجه قاطب ، فقلت: ماالذي غيرك لي؟ قال : الذي غيرك لاخوانك بلغني ياسحاق أنك أقعدت ببابك بواباً يرد عنك فقراء الشيعة، فقلت : جعلت فداك اني خفت الشهرة قال : أفلا خفت البلية أو ماعلمت أن المؤمنين اذا التقيا فتصافحا أنزل الله عزوجل الرحمة عليهما فكانت تسعة وتسعين لاشدهما حباً لصاحبه ، فاذا توافقا غمزتهما الرحمة ، واذا قعدا يتحادثان قالت : الحفظة بعضها لبعض اعتزلوا بنا لعل لهما سراً وقد ستر الله عليهما؟ فقلت : أليس الله عزوجل يقول «مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد» فقال : ياسحاق ان كانت الحفظة لاتسمع فان عالم السر يسمع ويرى .

عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام : أيما مؤمن كان بينه وبين مؤمن حجاب ضرب الله بينه وبين الجنة سبعين ألف سور من السور الى السور مسيرة ألف عام، أقول: هذا كناية عن البعد عن رحمة الله .

عن محمد بن سنان قال : كنت عند الرضا عليه السلام ثم ذكر حديثاً طويلا مضمونه أن ثلاثة من بني اسرائيل حجبوا مؤمناً ولم يأذنوا له ثم صحبوه فنزلت نار من السماء فأحرقتهم وبقي هو .

عن عبدالمؤمن الانصاري، عن أبي الحسن موسى الرضا عليه السلام قال: المؤمن أخو المؤمن لابيه وامه ، ملعون ملعون من اتهم اخاه ، ملعون ملعون من غش أخاه، ملعون ملعون من لم ينصح أخاه ، ملعون ملعون من احتجب عن أخيه ، ملعون ملعون من اغتاب أخاه .

١٢٦ ـ استحباب المعانقة والمسائلة

عن عبدالله بن محمد الجعفي ، عن أبي جعفر ، وأبي عبدالله عليهما السلام قالا : ايما مؤمن خرج الى أخيه يزوره عارفاً بحقه ، كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه سيئة ، ورفعت له درجة ، فاذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء فاذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه، ثم باهي بهم الملائكة فيقول: انظروا الى عبدي تزاورا وتحابا في حق، علي أن لا أعذبهما بالنار بعد ذلك الموقف ـ الحديث.

عن اسحاق بن عمار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان المؤمنين اذا اعتنقا غمرتهما الرحمة ، فاذا التزما لا يريدان بذلك الاوجه الله ولايريدان غرضاً من أغراض الدنياقيل لهما: مغفور لكمافاستأنفا فاذا أقبلاعلى المسائلة قالت الملائكة بعضها لبعض : تنحوا عنهما ، فان لهماسرا وقد ستره الله عليهما ـ الحديث .

عن اسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث انه قال له : لا تمل من زيارة اخوانك ، فان المؤمن اذا لقي أخاه فقال له : مرحباً كتب له مرحبا الى يوم القيامة ، فاذا صافحه أنزل الله فيما بين ابهامهما مأة رحمة ، تسعة وتسعون منها لاشدهما حباً لصاحبه ، ثم أقبل الله عليهما بوجهه فكان على أشدهما حباً لصاحبه أشد اقبالا ، فاذا تعانقا غمرتهما الرحمة (ثم ذكر بقية الحديث نحو الحديث السابق) .

١٢٧ ـ استحباب اكتساب الاخوان في الله

عن محمد بن زيد قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : من استفاد أخاً في الله استفاد بيتاً في الجنة .

عن أبي العباس الفضل بن عبد الملك، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث : ما استفاد امرء مسلم فائدة بعد الاسلام مثل أخ يستفيده في الله ثم قال : يافضل لاتزهدوا في فقراء شيعتنا ، فان الفقير ليشفع يوم القيامة في مثل ربيعة ومضر ، ثم قال : يافضل انما سمي المؤمن مؤمناً لانه يؤمن على الله فيجيز أمانه ؟ ثم قال : أما سمعت الله يقول في اعدائكم اذا رأوا شفاعة الرجل منكم لصديقه يوم القيامة : فمالنا من شافعين ولاصديق حميم .

١٢٨ ـ استحباب تقبيل المؤمن

عن علي بن جعفر ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : من قبل للرحم ذا قرابة فليس عليه شيء وقبلة الاخ على الخدود ، وقبلة الامام بين عينيه .

عن الصباح مولى آل سام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ليس القبلة على الفم الا للزوجة والولد الصغير .

عن رفاعة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا يقبل رأس أحد ولا يده الا رسول الله صلى الله عليه وآله أو من اريد به رسول الله صلى الله عليه وآله .

عن علي بن مزيد صاحب السابري قال : دخلت على أبى عبد الله عليه السلام فتناولت يده فقبلتها ، فقال : أما انها لاتصلح الا لنبي أو وصي نبي .

عن يونس بن يعقوب قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام : ناولني يدك اقبلها ، فأعطانيها فقلت : جعلت فداك رأسك ، ففعل فقبّلته .

عن يونس بن ظبيان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ان لكم لنوراً تعرفون به في الدنيا حتى أن أحدكم اذا لقى أخاه قبله فى موضع النور من جبهته .

عن أحمد بن ابراهيم بن ادريس ، عن أبيه قال : رأيته يعنى صاحب

الزمان عليه السلام بعد مضي أبي محمد عليه السلام حين أيفع وقبلت يديه ورأسه .

١٢٩ ـ كراهة التكفير(١) للناس

عن يعقوب بن جعفر بن ابراهيم،عن أبي الحسن موسى عليه السلام في حديث ان رجلا قص عليه قصة طويلة وهو قائم وأبلغه سلام رجل كافر ثم قال الرجل ان أذنت لي ياسيدي كفرت لك وجلست ؟ فقال : آذن لك أن تجلس ولا آذن لك أن تكفّر ، فجلس ثم قال : أردد على صاحبي السلام أو ما ترد السلام، فقال : على صاحبك أن هداه الله ، فأما التسليم فذاك اذا صار في ديننا .

١٣٠ ـ كراهة المراء والخصومة

عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام اياكم والمراء والخصومة فانهما يمرضان القلوب على الاخوان ،وينبت عليهما النفاق .

وباسناده قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : ثلاث من لقي الله بهن دخل الجنة من أي باب شاء : من حسن خلقه ، وخشي الله في المغيب والمحضر ، وترك المراء وان كان محقاً.

قال أبو عبد الله عليه السلام : لاتمارين حليماً ولاسفيهاً فان الحليم يقليك ، و السفيه يؤذيك .

عن عنبسة العابد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : اياكم والخصومة فانها تشغل القلب وتورث النفاق وتكسب الضغاين .

عن اسماعيل بن أبي زياد، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام قال : قال

---

(١) التكفير : هو وضع احدى اليدين على الاخرى على الصدر

رسول الله ﷺ : أنا زعيم ببيت فى أعلى الجنة وبيت في وسط الجنة ، وبيت فى رياض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقاً.

عن السيد الرضي (ره) فى (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : من ضن بعرضه فليدع المراء .

١٣١ - استحباب تجنب موجبات التباغض

عن عمرو بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : ماكاد جبرئيل يأتيني الا قال: يامحمد اتق شحناء الرجال وعداوتهم.

عن الوليد بن صبيح قال :سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول :قال رسول الله ﷺ: ماعهد الي جبرئيل فى شيء ما عهده الي في معادات الرجال .

عن الحسن بن الحسين الكندي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال جبرئيل عليه السلام للنبي ﷺ : اياك وملاحاة الرجال .

عن عبدالرحمان بن سيابة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : اياكم و المشادة فانها تورث المعرة وتظهر العورة .

عن أحمد بن أبي عبد الله، عن بعض أصحابه رفعه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من زرع العداوة حصد مابذر .

عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : ماأتاني جبرئيل قط الا وعظني فآخر قوله لي اياك ومشادة الناس فانها تكشف العورة وتذهب بالعز .

عن مسمع بن عبد الرحمن بن عبد الملك ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ فى حديث: ألا ان فى التباغض الحالقة لاأعني حالقة الشعر ولكن حالقة الدين .

عن عبدالله بن محمد بن عمر، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من كثر همه سقم بدنه ، ومن ساء خلقه عذب نفسه ، ومن لاحى الرجال سقطت مروته ،ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لم يزل جبرئيل عليه السلام ينهاني عن ملاحاة الرجال كما نهاني عن شرب الخمر وعبادة الاوثان .

عن محمد بن الحسن بن بنت الياس، عن علي بن موسى الرضا ، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اياكم ومشادة الناس فانها تظهر المعرة (العورة) وتدفن العزة .

١٣٢ ـ النهي عن المكر والحسد والغش والخيانة

عن الحسين بن خالد ، عن علي بن موسى الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع فاني سمعت جبرئيل يقول : ان المكر والخديعة في النار ، ثم قال : ليس منا من غش مسلماً ، وليس منا من خان مسلماً ، ثم قال صلى الله عليه وآله : ان جبرئيل الروح الامين نزل علي من عند رب العالمين فقال : يامحمد عليك بحسن الخلق ، فان سوء الخلق ذهب بخير الدنيا والاخرة ، ألا وان أشبهكم بي أحسنكم خلقاً.

عن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ،عن أمير المؤمنين عليهم السلام، انه كان يقول: المكر والخديعة في النار .

عن السكوني عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس منا من ماكر مسلماً .

عن هشام بن سالم رفعه قال: قال علي عليه السلام : لولا أن المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس .

عن ذاذان قال: سمعت علياً عليه السلام يقول : لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ان المكر والخديعة والخيانة في النار لكنت أمكر العرب .

عن عبد الرحمن بن أبي نجران قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: «ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض» قال : لايتمني الرجل امرأة الرجل ، ولا ابنته ، ولكن يتمنى مثلها .

١٣٣ - في تحريم الكذب

عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان أول من يكذب الكذاب الله عز وجل ، ثم الملكان اللذان معه ، ثم هو يعلم أنه كاذب .

عن عمر بن يزيد قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ان الكذاب يهلك بالبينات ويهلك اتباعه بالشبهات .

عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان الله عز وجل جعل للشر أقفالا ، وجعل مفاتيح تلك الاقفال الشراب ، والكذب شر من الشراب.

عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عمن ذكره ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان الكذب هو خراب الايمان .

عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام : من كثر كذبه ذهب بهاؤه .

عن محمد بن سالم رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مواخاة الكذاب فانه يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يصدق.

عن عبيد بن زرارة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : ان مما أعان الله به على الكذابين النسيان .

عن أبي أسحاق الخراساني قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : اياكم

والكذب ، فان كل راج طالب ، وكل خائف هارب .

عن أحمد بن أبي عبدالله البرقي في (المحاسن) عن أبى بصير قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ان العبد ليكذب حتى يكتب من الكذابين ، فاذا كذب قال الله عز وجل : «كذب وفجر» .

عن محمد بن علي بن الحسين قال : من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله أربا الربا الكذب .

كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ألا فاصدقوا ان الله مع الصادقين وجانبوا الكذب فانه يجانب الايمان ، ألا وان الصادق على شفا منجاة وكرامة ، ألا و ان الكاذب على شفا مخزاة وهلكة، ألا و قولوا خيراً تعرفوا به ، وأعملوا به تكونوا من أهله ، وأدوا الامانة الى من ائتمنكم ، وصلوا أرحام من قطعكم ، وعودوا بالفضل على من حرمكم .

عن أبي فضال رفعه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان لابليس كحلا ولعوقاً وسعوطاً، فكحله النعاس ، ولعوقه الكذب وسعوطه الكبر.

عن عبدالله بن عجلان قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ان العبد اذا صدق كان أول من يصدقه الله ونفسه تعلم أنه صادق ، واذا كذب كان أول من يكذبه الله ونفسه تعلم أنه كاذب .

١٣٤ ـ حرمة الكذب على الله ورسوله والائمة

عن أبي النعمان قال: قال أبوجعفر عليه السلام: ياأبا النعمان لاتكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفية، ولاتطلبن أن تكون رأساً فتكون ذنباً، ولاتستأكل الناس بنا فتفقر فانك موقوف لا محالة ومسئول ، فان صدقت صدقناك ، وان كذبت كذبناك .

وعنه، عن أحمد، عن بعض أصحابه رفعه الى أبي عبدالله عليه السلام قال: ذكر الحائك عند أبي عبدالله عليه السلام انه ملعون فقال: انما ذلك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله .

عن أبي خديجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الكذب على الله وعلى رسوله من الكبائر .

عن عمر بن عطية، عن أبي عبدالله عليه السلام (في حديث) انه قال لرجل من أهل الشام: يا أخا أهل الشام اسمع حديثنا ولا تكذب علينا، فانه من كذب علينا في شيء فقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كذب على الله، ومن كذب على الله عذبه الله عزوجل .

عن حماد بن عمرو، وأنس بن محمد عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام (في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام) يا علي من كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار .

عن أبي خديجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الاوصياء عليهم السلام من الكبائر، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قال علي مالم أقل فليتبوء مقعده من النار .

١٣٥ - النهي عن الكذب في الصغير والكبير والجد والهزل

عن سيف بن عميرة، عمن حدثه عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول لولده: اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد و هزل، فان الرجل اذا كذب في الصغير اجترء على الكبير، أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مايزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقاً، ومايزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً .

عن الاصبغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لايجد عبد طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله وجده .

عن الحارث الاعور، عن علي عليه السلام قال: لايصلح من الكذب جد ولا هزل ولاأن يعد أحدكم صبيّه ثم لايفي له ان الكذب يهدي الى الفجور، والفجور يهدي الى النار، ومايزال أحدكم يكذب حتى يقال : كذب وفجر ومايزال أحدكم يكذب حتى لاتبقى موضع ابرة صدق فيسّمى عند الله كذاباً .

عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وآله في وصية له قال: ياأباذر من ملك مابين فخذيه ومابين لحييه دخل الجنة، قلت: وانا لنؤاخذ بماتنطق به ألسنتنا؟ فقال : وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد ألسنتهم، انك لاتزال سالماً ما سكت فاذا تكلمت كتب لك أوعليك ، يا أباذر ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله عزوجل فيكتب بها رضوانه يوم القيامة، وان الرجل ليتكلم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بها فيهوى في جهنم مابين السماء والارض، ياأباذر ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له، ويل له، ويل لـه، ياأباذر من صمت نجى، فعليك بالصمت، ولاتخرجن من فيك كذبة أبداً، قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله فما توبة الرجل الذي يكذب متعمداً ؟ قال: الاستغفار وصلوات الخمس تغسل ذلك .

١٣٦ ـ جواز الكذب في الاصلاح دون الصدق في الفساد

عن جعفر بن محمد، عن آبائه في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: ياعلي ان الله أحب الكذب في الصلاح، وأبغض الصدق في الفساد .

عن المحاربي، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ثلاثة يحسن فيهن الكذب: المكيدة في الحرب، وعدتك زوجتك، والاصلاح بين

الناس، وثلاثة يقبح فيهن الصدق: النميمة، واخبارك الرجل عن اهله بمايكرهه، وتكذيبك الرجل عن الخبر .

عن معاوية بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المصلح ليس بكذاب .

عن الحسن الصيقل قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : انا قد روينا عن أبي جعفر عليه السلام في قول يوسف عليه السلام « أيتها العير انكم لسارقون » فقال : والله ما سرقوا وما كذب ، وقال ابراهيم : «بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون» فقال والله ما فعلوا ، وما كذب ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : ما عندكم فيها ياصيقل ؟ قلت : ما عندنا فيها الا التسليم ، قال : فقال ان الله أحب أثنين وأبغض اثنين ، أحب الخطر فيما بين الصفين ، وأحب الكذب في الاصلاح وأبغض الخطر في الطرقات ، وأبغض الكذب في غير الاصلاح ، ان ابراهيم عليه السلام انما قال : « بل فعله كبيرهم هذا » أرادة الاصلاح ، ودلالة على أنهم لايفعلون ، وقال يوسف عليه السلام : « ارادة الاصلاح » .

أقول : والمراد سرقة شيء كانوا سرقوه حقيقة .

عن عيسى بن حسان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : كل كذب مسئول عنه صاحبه يوماً الا كذباً في ثلاثة : رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه ، أو رجل أصلح بين اثنين يلقى هذا بغيرمايلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح ما بينهما ، أو رجل وعد أهله شيئاً ، وهو لايريد ان يتم لهم .

أقول : أي في الاضطرار .

عن أبي يحيى الواسطي ، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الكلام ثلاثة : صدق وكذب واصلاح بين الناس ، قال: قيل له : جعلت فداك ما الاصلاح بين الناس ؟ قال : تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه فتقول : سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه .

عن عطاء ،عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا كذب على مصلح .

عن محمد بن علي بن الحسين في (كتاب الاخوان) بسنده عن الرضا عليه السلام قال: ان الرجل ليصدق على أخيه فينالـه عنت من صدقه فيكون كذاباً عند الله ، و ان الرجل ليكذب على أخيه يريد به نفعه فيكون عند الله صادقاً .

عن السيد الرضي [رض] في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : علامة الايمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك ، وأن لا يكون في حديثك فضل عن علمك ، وأن تتقى الله في حديث غيرك .

١٣٧ ـ النهى عن كون الانسان ذا وجهين ولسانين

عن ابن أبي يعفور ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من لقى المسلمين بوجهين ولسانين ، جاء يوم القيامة وله لسانان من نار .

عن الزهري ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانيـن ، يطري أخاه شاهداً ، ويأكله غائباً، ان اعطى حسده ، وان ابتلى خذله .

عن عبد الرحمان بن حماد رفعه قال : قال الله تبارك وتعالى لعيسى عليه السلام: ياعيسى ليكن لسانك في السر والعلانية لساناً واحداً ، وكذلك قلبك، اني احذرك نفسك وكفى بك خبيراً لايصلح لسانان فى فم واحد ، ولاسيفان فى غمد واحد ولا قلبان فى صدر واحد ، وكذلك الاذهان .

عن زيد بن علي ، عن آبائه ،عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يجيء يوم القيامة ذو الوجهيـن دالعاً لسانه فى قفاه ، وآخر من قدامه يلتهبـان ناراً حتى يلهبا جسده ، ثم يقال : هذا الذي كان فى الدنيا ذا وجهين ولسانين

يعرف بذلك يوم القيامة .

عن عمار قال : قال رسول الله ﷺ : من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار .

عن رسول الله ﷺ انه قال في خطبة له : ومن كان ذا وجهين وذالسانين كان ذا وجهين ولسانين يوم القيامة من نار .

عن عبدالله بن أبي يعفور قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول : من لقى الناس بوجه وعابهم بوجه جاء يوم القيامة وله لسانان من نار.

عن حفص بن غياث ، عن الصادق جعفر بن محمد ، عن آبائه ، عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ : من مدح أخاه المؤمن فيوجهه واغتابه من ورائه فقد انقطع ما بينهما من العصمة .

١٣٨ - النهى عن الهجر ، والامر بالمسابقة الى الصلة

عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : لاهجرة فوق ثلاث .

عن مرازم بن حكيم ، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث قال : لا خير في المهاجرة .

عن القاسم بن الربيع قال في وصية المفضل، سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : لا يفترق رجلان على الهجران الا استوجب أحدهما البراة واللعنة ، وربما استحق ذلك كلاهما ، فقال له معتب : جعلت فداك هذا الظالم فما بال المظلوم؟ قال : لانه لايدعوا أخاه الى صلته ، ولايتغامس له من كلامه ، سمعت أبي عليه السلام يقول : اذا تنازع اثنان فعاز أحدهما الاخر فليرجع المظلوم الى صاحبه حتى يقول لصاحبه : أي أخي انا الظالم حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه، فان

الله تبارك حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم .

عن أبي بصير قال : سألت أبا عبدالله صلوات الله عليه، عن الرجل يصرم ذوي قرابته ممن لايعرف الحق ، قال : لاينبغي له أن يصرمه .

عن داود بن كثير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال أبي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لايصطلحان الا كانا خارجين من الاسلام [أي الاسلام الكامل] ولم يكن بينهما ولاية فأيهما سبق الى كلام أخيه كان السابق الى الجنة يوم الحساب .

عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لايزال الشيطان فرحاً مااهتجر المسلمان فاذا التقيا اصطكت ركبتاه وتخلعت أوصاله ونادى ياويله مالقا من الثبور .

عن محمد بن علي بن الحسين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث: لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة .

عن الحسين بن زيد ، عن الصادق ، عن آبائه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث المناهي قال : ونهى عن الهجران ، فمن كان لابد فاعلا فلا يهجر أخاه أكثر من ثلاثة أيام ، فمن كان مهاجراً لاخيه أكثر من ذلك كانت النار أولى به.

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لايحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث .

عن محمد بن حمران ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : ما من مؤمنين اهتجرا فوق ثلاث الا وبرئت منهما في الثالثة قيل : هذا حال الظالم فما بال المظلوم ؟ فقال : ما بال المظلوم لايصير الى الظالم فيقول: أنا الظالم حتى يصطلحا .

عن أبي ذر ، عن النبي صلى الله عليه وآله في وصية له قال: ياأبا ذر أياك وهجران أخيك

فان العمل لايتقبل مع الهجران ، يا أباذر أنهاك عن الهجـران فان كنت لابد فاعلا فلاتهجره ثلاثة أيام كملا ، فمن مات فيهامهاجراً لاخيه كانت النار أولى به.

١٣٩ ـ النهى عن ايذاء المؤمن

عن هشام بن سالم قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : قال الله عزوجل: « ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن ، وليأمن غضبي من اكرم عبدي المؤمن» .

عن المفضل بن عمر قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الصدود لاوليائي ، فيقوم قوم ليس على وجوهم لحـم فيقال : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم ثم يؤمر بهم الى جهنم .

عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام وذكر مثله وزاد : قال أبو عبدالله عليه السلام : كانوا والله الذين يقولـون بقولهم ولكنهم حبسوا حقوقهـم و أذاعوا عليهم سرهم .

١٤٠ ـ النهى عن اهانة المؤمن

عن أبان بن تغلب ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما اسري بالنبي صلى الله عليه وآله قال : يارب ما حال المؤمـن عندك ؟ قال : يامحمد من أهان لي وليـا فقد بارزني بالمحاربة ، وأنا أسرع شيء الى نصرة أوليائي .

عن حماد بن بشير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عز وجل : « من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي » .

عن الحسين بن زيد ، عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله

(في حديث المناهي) قال : ومن استخف بفقير مسلم فقد استخف بحق الله ، والله يستخف به يوم القيامة الا أن يتوب .

قال : و قال عليه السلام : من أكرم فقيراً مسلماً لقى الله يوم القيامة و هو عنه راض ألا ومن أكرم أخاه المسلم فانما يكرم الله عز وجل .

عن الرضا ،عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من استذل مؤمناً أو حقره لفقره وقلة ذات يده شهره الله يوم القيامة .

عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لاتحقروا مؤمناً فقيراً فان من حقر مؤمناً أو استخف به حقره الله ولم يزل ماقتاً له حتى يرجع عن محقرته أو يتوب وقال : من استذل مؤمناً أو احتقره لقلة ذات يده شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلاق .

عن ابراهيم بن عمر اليماني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته الا خذله الله في الدنيا والاخرة .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال في خطبة له : ومن أهان فقيراً مسلماً من أجل فقره واستخف به فقد استخف بالله ، ولم يزل في غضب الله عز وجل و سخطه حتى يرضيه ، ومن أكرم فقيراً مسلماً لقى الله يوم القيامة وهو يضحك اليه ، ثم قال : ومن بغى على فقير أوتطاول عليه أواستحقره حقره(حشره)الله يوم القيامة مثل الذرة في صورة رجل حتى يدخل النار .

١٤١ ـ النهى عن اذلال المؤمن

عن معلى بن خنيس ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : قال الله عزو جل : « ليأذن بحرب مني من أذل عبدي المؤمن وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن » .

عن معاوية ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لقد أسرى ربي بي فأوحى الي من وراء الحجاب ما أوحى ، وشافهني ان قال لي: يا محمد من أذل لي ولياً فقد أرصد لي بالمحاربة ، ومن حاربني حاربته، قلت : يارب ومن وليك هذا ؟ فقد علمت أن من حاربك حاربته فقال : ذاك من أخذت ميثاقه لك ولوصيك ولذريتكما بالولاية .

عن معلى بن خنيس ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عزوجل : « من استذل عبدي المؤمن فقد بارزني بالمحاربة » .

عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من استذل مؤمناً واحتقره لقلة ذات يده ولفقره شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق .

عن محمد بن أبي حمزة ، عمن ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين لم يزل الله عزوجل حاقراً له ماقتاً حتى يرجع عن محقرته اياه .

عن معلى بن خنيس ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عزوجل : « قد نابذني من اذل عبدى المؤمن » .

عن منصور الصيقل والمعلى بن خنيس ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عزوجل : « اني لحرب لمن استذل عبدى المؤمن ، واني أسرع الى نصرة أوليائي » .

١٤٢ ـ النهى عن الاستخفاف بالمؤمن

عن أبي هارون ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لنفر عنده وأنا حاضر: مالكم تستخفون بنا ؟ قال : فقام اليه رجل من خراسان فقال : معاذ لوجه الله

أن نستخف بك أوبشيءٍ من أمرك، فقال: بلى انك أحد من استخف بي،فقال: معاذ لوجه الله أن استخف بك ، فقال له : ويحك ألم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك : احملني قدر ميل فقد والله عييت ، والله مارفعت به رأساً لقداستخففت به ، ومن استخف بمؤمن فبنا استخف ، وضيع حرمة الله عزوجل .

١٤٤ ـ ألنهى عن قطع الارحام

عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : اذا قطعوا الارحام جعلت الاموال فى أيدى الاشرار .

عن أبي حمزة الثمالي،عن أمير المؤمنين عليه السلام(فى حديث):ان من الذنوب التي تعجل الفناء قطيعة الرحم .

عن عنبسة العابد قال : جاء رجل فشكا الى أبي عبد الله عليه السلام أقاربه فقال له : اكظم غيظك وافعل ، فقال : انهم يفعلون ويفعلون ، فقال : أتريد أن تكون مثلهم فلاينظر الله اليكم .

عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لاتقطع رحمك وان قطعك .

١٤٤ ـ النهى عن احصاء عثرات المؤمن لتعييره بها

عن ابن بكير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أبعد مايكون العبد من الله أن يكون الرجل يواخي الرجل وهو يحفظ زلاته فيعيره بها يوماً ما .

عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال ان أقرب مايكون العبد الى الكفر ان يواخي الرجل على الدين فيحصى عليه زلاته ليعنفه بها يوماً ما .

عن اسحاق بن عمار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول صلى الله عليه وآله: لاتذموا المسلمين ، ولاتتبعوا عوراتهم ،فانه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته ، يفضحه ولوفى بيته .

عن سيف بن عميرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أدنى مايخرج به الرجل من الايمان أن يواخي الرجل الرجل على دينه فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعيره بها يوماً ما .

١٤٥ ـ النهى عن تعيير المؤمن وتأنيبه

عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من عير مؤمناً بذنب لم يمت حتى يركبه .

عن اسحاق بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أذاع فاحشة كان كمبتديها ، ومن عير مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه .

عن حسين بن عثمان ، عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من أنب مؤمناً أنبه الله عزوجل فى الدنيا والاخرة .

عن معاوية بن عمار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من لقى أخاه بما يؤنبه انبه الله فى الدنيا والاخرة .

عن منصور بن حازم قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أذاع فاحشة كان كمبتديها ، ومن عير مسلماً بذنب لم يمت حتى يركبه .

١٤٦ ـ النهى عن اغتياب المؤمن

عن سليمان بن خالد ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المؤمن من أئتمنه المؤمنون على انفسهم وأموالهم والمسلم من سلم المسلمون

من يده ولسانه ، والمهاجر من هجر السيئات وترك ماحرم الله ، والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه اويخذله أويغتابه أويدفعه دفعه .

عن سماعة بن مهران ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال : من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، كان ممن حرمت غيبته ، وكملت مروته ، وظهر عدله ، ووجبت اخوته .

عن الحرث بن المغيرة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : المسلم أخو المسلم هو عينه ومرآته ودليله ، لايخونه ولايخدعه ولايظلمه ولايكذبه ولايغتابه .

عن ربعي ، عن رجل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايخذله ، ولايغتابه ولايغشه ولايحرمه .

عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من قال فى مؤمن مارأته عيناه وسمعته اذناه فهومن الذين قال الله عزوجل : « أن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم » .

عن السكوني ، عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الغيبة أسرع فى دين الرجل المسلم من الاكلة فى جوفه .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله الجلوس فى المسجد انتظاراً للصلاة عبادة مالم يحدث قيل : يارسول الله صلى الله عليه وآله ومايحدث ؟ قال : الاغتياب .

عن أبي ذر ، عن النبي صلى الله عليه وآله فى وصية له قال : ياأباذر اياك والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا ، قلت : ولم ذاك يارسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال: لان الرجل يزني فيتوب الى الله فيتوب الله عليه، والغيبة لاتغفر حتى يغفرها صاحبها ، ياأباذر سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، وأكل لحمه من معاصي الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه قلت : يارسول الله وماالغيبة ؟ قال : ذكرك أخاك بما يكره قلت : يارسول الله فان كان فيه الذي يذكر به ، قال : اعلم أنك اذا ذكرته بماهو فيه فقد اغتبته ،

واذا ذكرته بماليس فيه فقد بهته .

عن زيد بن علي، عن آبائه ، عن النبي ﷺ قال: تحرم الجنة على ثلاثة : على المنان ، وعلى المغتاب ، وعلى مدمن الخمر .

عن ابراهيم بن أبي البلاد ، عن أبيه رفعه عن رسول الله ﷺ قال :وهل يكب الناس فى النار يوم القيامة الا حصائد السنتهم .

عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية لله ، وحرمة ماله كحرمة دمه.

عن الحسين بن زيد ، عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام فى حديث المناهى أن رسول الله ﷺ نهى عن الغيبة والاستماع اليها ونهى عن النميمة والاستماع اليها ، وقال : لايدخل الجنة قتات ، يعني نماماً ، ونهى عن المحادثة التي تدعو الى غير الله ، ونهى عن الغيبة ، وقال : من اغتاب امرءاً مسلماً بطل صومه ، ونقض وضوئه ، وجاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفة يتأذى به أهل الموقف ، وان مات قبل أن يتوب مات مستحلا لما حرم الله عزوجل، ألاومن تطول على أخيه فى غيبة سمعها فيه فى مجلس فردها عنه رد الله عنه ألف باب من الشر فى الدنيا والاخرة ، فان هو لم يردها وهو قادر على ردها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة .

عن عبد الرحمن بن سيابة ، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : ان من الغيبة أن تقول في أخيك ماستره الله عليه ، وان من البهتان أن تقول في أخيك ماليس فيه .

عن نوف البكالي قال : أتيت أمير المؤمنين عليه السلام وهو في رحبة في مسجد الكوفة ، فقلت : السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال : و عليك السلام يانوف ورحمة الله وبركاته ، فقلت له : ياأمير المؤمنين عظني،

فقال: يانوف أحسن يحسن اليك (الى أن قال :) قلت : زدني ، قال : اجتنب الغيبة فانها ادام كلاب النار ، ثم قال : يانوف كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة .

أقول: أي انه شرك شيطان .

عن الحسين بن خالد ، عن الرضا ، عن أبيه ، عن الصادق عليه السلام قال : ان الله يبغض البيت اللحم واللحم السمين قال : فقيل له : انا لنحب اللحم ، وماتخلو بيوتنا منه، فقال: ليس حيث تذهب، انما البيت اللحم البيت الذي تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة ، وأما اللحم السمين فهو المتبختر المتكبر المختال في مشيه .

عن أسباط بن محمد يرفعه الى النبي صلى الله عليه وآله قال : الغيبة أشد من الزنا ، فقيل : يارسول الله ولم ذلك ؟ قال : أما صاحب الزنا فيتوب فيتوب الله عليه وأما صاحب الغيبة فيتوب فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذي يحله.

عن أسباط بن محمد رفعه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ألااخبركم بالذي هو أشد من الزنا ؟ وقع الرجل في عرض أخيه .

عن علقمة بن محمد، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام (فى حديث) أنه قال: فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً ولم يشهد عليه عندك شاهدان فهو من أهل العدالة والستر، وشهادته مقبولة، وان كان فى نفسه مذنباً، ومن اغتابه بمافيه فهو خارج عن ولاية الله تعالى ذكره داخل في ولاية الشيطان .

ولقد حدثني أبي، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من اغتاب مؤمناً بمافيه لم يجمع الله بينهما في الجنة أبداً، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه فقد انقطعت العصمة بينهما ، و كان المغتاب في النار خالداً فيها و بئس المصير .

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال فى خطبة له : ومن اغتاب أخاه المسلم بطل

صومه، ونقض وضوئه فان مات وهو كذلك مات وهومستحل لما حرم الله (الى أن قال :) و من مشى في عون أخيه و منفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله، ومن مشى في عيب أخيه و كشف عورته كانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم، و كشف الله عورته على رؤوس الخلائق ومن مشى فى فساد مابينهما وقطيعة بينهما غضب الله عزوجل عليه، ولعنه في الدنيا والاخرة وكان عليه من الوزر كعدل قاطع الرحم .

عن عبدالله بن سنان قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: الغيبة أن تقول فى أخيك ما قدستره الله عليه، فأما اذا قلت ماليس فيه فذلك قول الله عزوجل: «فقد احتمل بهتاناً واثماً مبيناً» .

١٤٧ - النهى عن البهتان

عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من بهت مؤمناً أومؤمنة بما ليس فيه بعثه الله فى طينة خبال حتى يخرج مماقال، قلت: وماطينة خبال؟ قال: صديد يخرج من فروج المومسات .

عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من بهت مؤمناً أو مؤمنة ، أوقال فيه ماليس فيه أقامه الله يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج مما قال فيه .

١٤٨ - المواضع التى تجوز فيها الغيبة

عن داود بن سرحان قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن الغيبة؟ قال: هوأن تقول لاخيك فى دينه ما لم يفعل ، وثبّت عليه أمراً قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد .

عن عبدالرحمن بن سيّابة قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: الغيبة أن تقول في أخيك ماستره الله عليه، وأما الامر الظاهر مثل الحدة والعجلة فلا، والبهتان أن تقول فيه ماليس فيه .

عن أبان، عن رجل قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام من ذكر رجلا من خلفه بماهو فيه ممّا عرفه الناس لم يغتبه، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لايعرفه الناس اغتابه، ومن ذكره بماليس فيه فقد بهته .

عن هارون بن الجهم ، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال : اذا جاهر الفاسق بفسقه فلاحرمة له ولاغيبة .

عن أبي البختري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: ثلاثة ليس لهم حرمة، صاحب هوى مبتدع، والامام الجائر، والفاسق المعلن بالفسق .

عن الفضل بن أبي قرة، عن أبي عبدالله عليه السلام فى قول الله: «لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم» قال: من أضاف قوماً فأساء ضيافتهم فهو ممّن ظلم فلاجناح عليهم فيماقالوا فيه (أي في باب الضيافة) .

عن الفضل بن الحسن الطبرسي في (مجمع البيان) فى قوله : «لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم » .

عن أبي عبدالله عليه السلام ان الضيف ينزل بالرجل فلايحسن ضيافته فلاجناح عليه أن يذكر سوء ما فعله .

١٢٩ ـ الامر برد غيبة المؤمن

عن حماد بن عمرو وأنس بن محمد ، عن أبيه ، عن جعفر بن محمد ، عن آبائه عليهم السلام (فى وصية النبى صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام) يا علي من اغتيب عنده أخوه المسلم فاستطاع نصره فلم ينصره خذله الله في الدنيا والاخرة .

عن أبي الورد ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه نصره الله وأعانه في الدنيا والاخرة، ومن لم ينصره ولم يعنه ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه الا حفظه الله فى الدنيا والاخرة .

عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من رد عن عرض أخيه المسلم، وجبت له الجنة البتة .

عن ابراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : مامن مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً الا كان أفضل من صيام شهر واعتكافه فى المسجد الحرام ومامن مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته الا نصره الله فى الدنيا والاخرة، وما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته الا خذله الله فى الدنيا والاخرة.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال فى خطبة له: ومن رد عن أخيه غيبة سمعها فى مجلس رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والاخرة، فان لم يرد عنه وأعجبه كان عليه كوزر من اغتاب .

عن اسماعيل بن مسلم السكوني، عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من رد عن عرض أخيه المسلم كتب له الجنة البتة، ومن أتى اليه معروف فليكاف، فان عجز فليثن به، فان لم يفعل فقد كفر النعمة .

عن ابن أبي الدرداء، عن أبيه قال: نال رجل من عرض رجل عند النبي صلى الله عليه وآله فرد رجل من القوم عليه، فقال النبي صلى الله عليه وآله :من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار .

عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وآله فى وصية له قال : ياأباذر من ذب عن أخيه المؤمن الغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار، ياأباذر من اغتيب عنده أخوه المؤمن وهو يستطيع نصره فنصره نصره الله عزوجل في الدنيا والاخرة وان خذله وهو يستطيع نصره خذله الله فى الدنيا والاخرة .

١٥٠ ـ النهى عن اذاعة سر المؤمن وان ينقل عنه مايعيبه

عن عبدالله بن سنان قال: قلت لـه: عورة المؤمن على المؤمن حرام؟ قال: نعم، قلت: يعني سفلته؟ قال: ليس حيث تذهب انّما هو اذاعة سره.

عن مفضل بن عمر قال: قال لي أبوعبدالله عليه السلام: من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان فلايقبله الشيطان.

عن زيد، عن أبي عبدالله عليه السلام فيماجاء في الحديث عورة المؤمن على المؤمن حرام، قال: ماهو أن تنكشف فترى منه شيئاً، انما هو أن تروى عليه أو تعيبه.

عن محمد بن فضيل، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك الرجل من أخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه، فاساله عنه فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات، فقال لي: يامحمد كذب سمعك وبصرك عن أخيك فان شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولا فصدقه وكذبهم، ولاتذيعن عليه شيئاً تشينه به، وتهدم به مروته فتكون من الذين قال الله: «ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والاخرة».

عن رسول الله صلى الله عليه وآله (في حديث) قال: ومن سمع فاحشة فأفشاها كان كمن أتاها، ومن سمع خيراً فأفشاه كان كمن عمله.

عن منصور بن حازم قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أذاع الفاحشة كان كمبتديها، ومن عيّر مؤمناً بشيء لايموت حتى يركبه.

عن الفيض بن المختار قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: لما نزلت المائدة على عيسى عليه السلام قال للحواريين: لاتأكلوا منها حتى آذن لكم، فأكل منها رجل

منهم ، فقال بعض الحواريين : ياروح الله أكل منها فلان ؟ فقال له عيسى عليه السلام أكلت منها ؟ فقال له : لا، فقال الحواريون : بلي والله ياروح الله لقد أكل منها فقال عيسى عليه السلام : صدق أخاك ، وكذب بصرك .

١٥١ - النهى عن سب المؤمن

عن عبدالرحمن بن الحجاج ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام في رجلين يتسابان ، قال : البادي منهما أظلم ، ووزره ووزر صاحبه عليه مالم يعتذر الى المظلوم .

عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان رجلا من تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال : أوصني ، فكان فيما أوصاه أن قال: لاتسبوا الناس فتكسبوا العداوة لهم.

عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية ، وحرمة ماله كحرمة دمه .

عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة .

عن الحسين بن عبدالله قال: قال أبو جعفر عليه السلام: من كف عن أعراض الناس أقاله الله نفسه يوم القيامة، ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه عذاب يوم القيامة .

١٥٢ - النهى عن الطعن على المؤمن

عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ماشهد رجل على رجل بكفر قط الا باء به أحدهما ان كان شهد على كافر صدق، وان كان مؤمناً رجع الكفر عليه، فايّاكم والطعن على المؤمنين .

عن أبي حمزة قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : اذا قال الرجل لاخيه المؤمن: اف خرج من ولايته واذا قال: أنت عدوي كفر أحدهما، ولايقبل الله من مؤمن عملا وهومضمر على أخيه المؤمن سوءاً أقول: أي الكفر العملي.

عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مامن انسان يطعن في عين مؤمن الا مات بشر ميتة، وكان قمناً أن لايرجع الى خير .

عن المفضل بن عمر قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: ان الله عزوجل خلق المؤمنين من نور عظمته وجلال كبريائه فمن طعن عليهم ورد عليهم فقد رد على الله في عرشه، وليس من الله في شيء، وانما هوشرك الشيطان .

عن داود بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان الله عزوجل خلق المؤمن من عظمة جلاله وقدرته ، فمن طعن عليه أو رد عليه قوله فقد رد على الله .

١٥٣ ـ النهى عن لعن غير المستحق

عن مسعدة بن صدقة قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : ان اللعنة اذا خرجت من صاحبها ترددت بينه وبين الذي يلعن، فان وجدت مساغاً والارجعت الى صاحبها وكان أحق بها، فاحذروا أن تلعنوا مؤمناً فيحل بكم .

عن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : ان اللعنة اذا خرجت من فى صاحبها ترددت فيمابينهما فان وجدت مساغاً والا رجعت على صاحبها .

١٥٤ ـ النهى عن اتهام المؤمن وسوء الظن به

عن ابراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اذا اتّهم المؤمن

أخاه انماث الايمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء .

عن الحسين بن عمر بن يزيد، عن أبيه قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من اتّهم أخاه في دينه فلاحرمة بينهما، ومن عامل أخاه بمثل ماعامل به الناس فهو بريء مما ينتحل .

عن الحسين بن المختار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: (ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك مايغلبك منه ، ولاتظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملا) .

١٥٥ ـ النهي عن اخافة المؤمن

عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله عزوجل يوم لا ظل الا ظلّه .

عن أبي اسحاق الخفّاف، عن بعض الكوفيين، عن أبي عبدالله عليه السلام قال من روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار، ومن روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار.

عن فاطمة بنت الرضا، عن أبيها، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: لايحل لمسلم أن يروع مسلماً .

١٥٦ ـ النهي عن المعونة على قتل المؤمن وأذاه

عن حماد بن عثمان، عن أبي عبدالله عليه السلام أوعمّن ذكره عنه قال: يجيء يوم القيامة رجل الى رجل حتى يلطخه بدمه والناس في الحساب، فيقول: ياعبدالله مالي ولك؟ فيقول: أعنت علي يوم كذا وكذا فقتلت .

عن محمد بن عبيد بن مدرك، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أعان على مؤمن

بشطر كلمة لقى الله عزوجل وبين عينيه مكتوب: آيس من رحمة الله .

عن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان العبد يحشر يوم القيامة وما أدمى دماً فيدفع اليه شبه المحجمة أوفوق ذلك ، فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يارب انك تعلم أنك قبضتني وماسفكت دماً ، قال: بلى ، انّما سمعت من فلان بن فلان كذا وكذا فرويتها عنه فنقلت حتى صار الى فلان فقتله عليها ، فهذا سهمك من دمه .

عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أعان على المؤمن بشطر كلمة لقى الله عزوجل يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمتي .

١٥٧ ـ النهى عن الغيبة والمحاكاة

عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى يارسول الله ، قال: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء المعائب .

عن محمد بن قيس ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : الجنة محرمة على القتاتين المشائين بالنميمة .

عن أبي الحسن الاصفهاني ، عمن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام: شراركم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الاحبة المبتغون للبراء المعائب .

عن أبي ذر ، عن النبي صلى الله عليه وآله في وصية لـه قال : يا أباذر لايدخل الجنة القتات ، قلت : يارسول الله ما القتات ؟ قال : النمام ، يا أباذر صاحب النميمة لايستريح من عذاب الله في الاخرة ياأباذر من كان ذاوجهين ولسانين في الدنيا

فهو ذووجهين في النار ، يا أباذر: المجالس بالامانة وافشاؤك سرأخيك خيانة فاجتنب ذلك وأجتنب مجلس العشرة .

عن رسول الله ﷺ انه قال في خطبة له : ومن مشى في نميمة بين اثنين سلط الله عليه في قبره ناراً تحرقه الى يوم القيامة واذا خرج من قبره سلط الله عليه تنيناً أسود ينهش لحمه حتى يدخل النار .

عن علي بن غالب البصري ، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لايدخل الجنة سفاك الدم ، ولامدمن الخمر ، ولامشاء بنميمة .

عن زيد بن علي ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال علي عليه السلام : يحرم الجنة على ثلاثة : على المنان، وعلى القتات ، وعلى مدمن الخمر .

عن علي بن جعفر ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : حرمت الجنة على ثلاثة : النمام ، ومدمن الخمر ، والديوث وهو الفاجر.

عن الربيع صاحب المنصور أن الصادق عليه السلام قال للمنصور : لاتقبل في ذي رحمك وأهل الرعاية من أهل بيتك قول من حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، فان النمام شاهد زور ، وشريك ابليس فى الاغراء بين الناس ، وقدقال الله تبارك وتعالى : «ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» وان كان يجب عليك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك ، فان المكافي ليس بالواصل انما الواصل الذي اذا قطعته رحم وصلها .

عن أبي سعيد هاشم، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : أربعة لايدخلون الجنة : الكاهن ، والمنافق ، ومدمن الخمر ، والقتات وهو النمام .

عن المفضل بن عمر ، ويونس بن ظبيان ، عن الصادق عليه السلام قال : بينما موسى يناجي ربه اذ رأى رجلا تحت ظل عرش الله ، فقال : يارب من هذا الذي

قد أظله عرشك ؟ قال : هذا كان باراً بوالديه ولم يمش بالنميمة .

عن صفوان بن يحيى ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الله أوحى الى موسى أن بعض أصحابك ينم عليك فأحذره قال : يارب لا أعرفه ، فأخبرني به حتى أعرفه فقال : ياموسى عبت عليه النميمة وتكلفني أن أكون نماماً ؟ فقال : يارب وكيف أصنع ؟ قال : ياموسى فرق أصحابك عشرة عشرة ، ثم تقرع بينهم ، فان السهم يقع على العشرة التي هو فيهم ثم تفرقهم وتقرع بينهم فان السهم يقع عليه ، قال : فلما رأى الرجل ان السهام تقرع قام فقال : يارسول الله أنا صاحبك لا والله لااعود أبداً .

عن حذيفة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : لايدخل الجنة قتات .

١٥٨ ـ استحباب النظر الى صلحاء ذرية الرسول (ص)

عن الحسين بن خالد ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : النظر الى ذريتنا عبادة ، قلت : النظر الى الائمة منكم ، أو النظر الى ذرية النبى صلى الله عليه وآله ؟ فقال : بل النظر الى جميع ذرية النبي صلى الله عليه وآله عبادة مالم يفارقوا منهاجه ، ولم يتلوثوا بالمعاصي .

١٥٩ ـ استحباب النظر الى الوالدين ، والى المصحف ، والى وجه العالم

عن محمد بن علي بن الحسين قال: روي: أن النظر الى الكعبة عبادة ، و النظر الى الوالدين عبادة ، والنظر الى المصحف من غير قرائة عبادة ، و النظر الى وجه العالم عبادة ، والنظر الى آل محمد صلى الله عليه وآله عبادة .

الفهرست

تمهيد	٥
مقدمة	٦
كيفية اعادة المجتمع الاسلامي	٧
مراحل العمل	٩
الميزانية الدقيقة	١١
المعرفة	١٢
سير الحركة الفكرية	١٣
العاطفة	١٥
العواطف المتحجرة	١٧
الحقائق ثابتة ومتغيرة	١٩
المعرفة علمية وفلسفية	٢١
الواقع : تجربي وذهني	٢٣
الطريق الى المعرفة	٢٥
مراحل المعرفة	٢٧

الاسلام والتفكير	٢٩
وسائل المعرفة	٣١
من أين الاجتماع ؟	٣٢
بين الترابط والتباعد	٣٣
أقسام التجمعات	٣٧
الاجتماع وشعبه	٤١
المجتمع المتخلف بؤرة للرذائل الخلقية	٤٣
الثقافة الاجتماعية	٤٥
الكفائة ميزان التقدم	٤٧
نظرة على الانقلابات العسكرية	٤٩
بين حكم السماء وحكم الارض	٥١
مراحل علم الاجتماع	٥٣
مهمة علماء الاجتماع	٥٥
علم الاجتماع سعة وضيقاً	٥٧
مايجب ملاحظته في التحقيق الاجتماعي	٥٩
مستلزمات اتقان التحقيق الاجتماعي	٦١
الانتخاب الدقيق للجمل	٦٣
كشف الاسباب والمسببات والملازمات	٦٥
العوامل المؤثرة في الفرد:	٦٦
١ ـ الجسم	٦٦
٢ ـ الغرائز ٣ ـ العقل	٦٨
٤ ـ الوراثة	٦٩

٥ ـ القوم ٧٠
٦ ـ الدين ٧١
٧ ـ الثقافة ٧٢
٨ ـ الاسوة ٧٣
٩ ـ المحيط الطبيعي ٧٤
١٠ ـ المحيط الاجتماعي ٧٥
لا . . للانانية والعصبيات ٧٧
التأثير المتقابل بين المحيط الاجتماعي والمحيط الطبيعي ٧٩
قد تختلف معيشة الابناء مع معيشة الاباء ٨١
قوة الاجتماع تبعد الانسان عن اضرار الطبيعة ٨٣
اسس رقي المجتمعات ٨٥
المجتمع كلي متمايز عن أفراده ٨٩
الثقافة ٩١
تعقد الثقافة ٩٣
تشابه المجتمعات ٩٥
التنقيب عن الآثار التاريخية ٩٧
الهيكل العظمي للثقافة ٩٩
عوامل تشكل الجماعات ١٠٠
التسالم والتنازع في الجماعات ١٠١
النضج الفكري يقلل النزاعات ١٠٣
طرق تحقيق الانسجام ١٠٥
بين الجماعة والاعضاء والجماعات الاخرى ١٠٧

بين الفرد والجماعة	١٠٨
الانغلاق والانطلاق والانفلاق	١٠٩
دور الثقافة في حركة المجتمع	١١١
الانضمام الى الجماعات	١١٣
موقف الجماعة تجاه المنضمين اليها	١١٥
الاسلام والحرية الثقافية	١١٧
التعديل الاجتماعي	١١٩
لكي يكون التعديل الاجتماعي ناجحاً	١٢١
المتمردون بين المحيط الطبيعي والمحيط الاجتماعي	١٢٣
مصدر التعديل الاجتماعى	١٢٥
المداراة الاجتماعية	١٢٧
الجمع والجماعة	١٢٩
الاسلام يدعو الى التعقل	١٣١
تأثير الجماعة في الفرد	١٣٣
عوامل قوة الجماعة	١٣٥
اعضاء الجماعة	١٣٧
منطلقات الجماعة	١٣٨
اقسام الجماعة	١٣٩
كيفية استكشاف العقيدة	١٤١
وسائل الضغط	١٤٣
طرق التزييف الاعلامي	١٤٥
كيفية مجابهة قوى الضغط المنحرفة	١٤٧

مشكلة بلاد الاسلام	١٤٩
الادوار الاجتماعية	١٥١
مظاهر اختلاف الرتب	١٥٣
مناقشة في نظرية المساواة	١٥٥
مزايا الرتبة الاجتماعية	١٥٧
المكانة الطبيعية والمكانة المكتسبة	١٥٩
انتخاب الدور الافضل	١٦١
تحرك الانسان في رتبته	١٦٣
عوامل تكون الرتب	١٦٥
التفاوت الصحيح والتفاوت الباطل	١٦٧
الطبقية المنحرفة تؤثر في الحياة	١٦٩
الفقر .. والصحة	١٧١
الفقر.. والحياة النظيفة	١٧٣
موقف الاسلام تجاه الفقراء	١٧٥
المنع عن الاحتكار	١٧٧
الوراثة.. والشخصية	١٧٩
الثقافة.. صانعة الانسان	١٨١
المسلمون والنبوغ العلمي	١٨٣
العلم في خدمة الانسان	١٨٧
كيف تتكون الشخصية؟	١٨٩
بين الضمير والمجتمع	١٩١
مراحل تدرج الطفل	١٩٣

تصورات الانسان عن نفسه	١٩٥
تغير الشخصية المادية	١٩٧
اقسام الشخصية المعنوية	١٩٩
اجواء نمو الشخصية	٢٠٣
اختلاف النفسيات	٢٠٥
الاهتمام بالتربية والتثقيف	٢٠٧
عوامل صياغة الشخصية الفردية	٢٠٩
التخطيط لانماء الشخصية	٢١٣
التوجيه السليم لصفات الامة	٢١٥
انحراف الشخصية	٢١٦
الانحراف ليس قدراً	٢١٧
لا .. لفردية الحكام	٢١٩
عوامل الانحراف	٢٢١
تأثير المجتمع في الانحراف والاستقامة	٢٢٣
العائلة .. وانحراف الشخصية	٢٢٥
تناقضات المجتمع تزرع الانحراف	٢٢٧
شروط عقاب المنحرف	٢٢٩
كيف يعالج الانحراف ؟	٢٣١
دعائم اصلاح المجتمع	٢٣٥
القوانين الوضعية تصنع الانحراف	٢٣٧
بين المدينة والقرية	٢٣٩
القرية .. ام المدينة ؟	٢٤١

الفوارق .. بين المدينة والقرية	٢٤٣
بناء المدن	٢٤٧
المدن الكبيرة : المشاكل ... والحلول	٢٤٩
بحث في الجمعية	٢٥٢
الحركة الكيفية	٢٥٣
الهجرة من الريف الى المدينة	٢٥٥
الارض .. والسكان	٢٥٧
دور الثقافة في ازدياد الافراد	٢٥٩
الثقافة ... وقلة الموت	٢٦١
الانفجار السكاني والتخطيط الدقيق	٢٦٣
هل الارض تكفي ؟	٢٦٥
عوامل ارتفاع مستوى المعيشة	٢٦٧
المؤسسات الاجتماعية	٢٦٨
المؤسسة والاعراف الاجتماعية	٢٦٩
مهمات المؤسسة	٢٧١
انواع المؤسسات	٢٧٣
الانشطار والاندماج في المؤسسة	٢٧٥
الفقراء .. والمؤسسات	٢٧٧
التعقيدلنافع والتعقيد الضار	٢٧٩
لزوم المؤسسات الخدومة	٢٨١
بحوث في الاقتصاد الاجتماعي	٢٨٢
تكامل جوانب الحياة	٢٨٣

المعامل تقضي على محورية العائلة والعشيرة	٢٨٥
تحولات عصر الصناعة	٢٨٧
الدين وعصر الالة	٢٨٩
مضاعفات النظام الرأسمالي	٢٩١
المنطق الرأسمالي والمنطق الشيوعي	٢٩٣
مآخذ على النظامين : الغربي والشرقي	٢٩٥
جوهر المشكلة	٢٩٧
ولائد الرأسمالية الغربية	٢٩٩
الاقتصاد الاسلامي	٣٠١
الحكومة	٣٠٢
الحكومة فى العصر الحاضر	٣٠٣
أسباب تعقد الحكومة في العصر الحاضر	٣٠٥
لا .. لتكثير الدوائر	٣٠٧
اعتذارات زائفة	٣٠٩
مشكلة بلاد الاسلام عدم الوعي	٣١١
طريق الخلاص	٣١٣
كيفية انقاذ المسلمين	٣١٥
التنظيم الاسلامي وعوامل الاستقطاب	٣١٧
نقاط .. في كيفية العمل	٣١٩
الحكومة الاسلامية الواحدة	٣٢١
الحرب	٣٢٣
الفوائد المزعومة للحرب	٣٢٥

الحرب .. أسبابها .. وعلاجها	٣٢٧
بين حرب الاستغلال .. وحرب التحرير	٣٢٩
أسباب كثرة الحروب	٣٣١
شروط الحرب	٣٣٣
العوامل المؤثرة في اختلاف الحروب	٣٣٥
اخطار الحرب	٣٣٧
جذور الحرب	٣٣٩
كيفية القضاء على جذور الحرب	٣٤١
الاسلام : يدعو الى السلام	٣٤٣
العائلة	٣٤٥
لا .. لطرد الاولاد	٣٤٧
مركز الثقل في العائلة	٣٤٩
المرأة .. والعمل	٣٥١
مشاكل العائلة الحديثة	٣٥٣
أسباب الطلاق	٣٥٥
اضرار الطلاق	٣٥٧
بحث حول المتعة	٣٥٩
نقاء المحيط العائلي	٣٦١
تأهيل الطفل للمستقبل	٣٦٣
المساواة بين الاطفال	٣٦٥
التقدم العلمي في خدمة العائلة	٣٦٧
الارث في الاسلام	٣٦٩

الدين	٣٧٠
موقف المستغلين تجاه الدين	٣٧١
فقدان الدين .. ينتج الخوف والقلق	٣٧٣
المستقبل .. للاسلام	٣٧٥
التنظيم والحرية	٣٧٩
المؤسسات الاجتماعية	٣٨٠
العلاقة بين المؤسسات	٣٨١
الترابط البنائي والعملي بين المؤسسات	٣٨٣
الانفصام في المؤسسات يولد الانفصام الاجتماعي	٣٨٥
اختلاف تأثير المؤسسات في المجتمع	٣٨٧
الجو العام للمؤسسة	٣٨٩
تحول المؤسسات	٣٩١
مضاعفات تضخم المؤسسة الاقتصادية والمؤسسة الحكومية	٣٩٣
الاكتشافات والاختراعات	٣٩٥
المخترعات ... والاجتماع	٣٩٧
أرضية الاختراع	٣٩٩
استيراد الفكر والصنعة	٤٠١
المخترعات الجديدة بين التأثير والتأثر	٤٠٣
الاقسام الخمسة في ..	٤٠٥
التأثيرات المتبادلة بين الفكر والصنعة	٤٠٧
أقسام المجتمعات	٤٠٩
المجتمع المتسافل	٤١١
سمات المجتمع المتصاعد	٤١٣

أسباب مقاومة المجتمع الراكد للتجديد	٤١٥
نعم للتجديد	٤١٧
بين الجديد ... والمؤسسات الاخرى	٤١٨
.. وقد يحركها ببطوء	٤١٩
المعطيات	٤٢١
فقدان التناسق بين المؤسسات	٤٢٣
تحطم المؤسسات	٤٢٥
آثار التحطم القسري للمؤسسات	٤٢٩
مقومات بقاء المجتمع	٤٣١
بين الجديد والقديم	٤٣٣
موقف الحكومات تجاه الحركات الاصلاحية	٤٣٥
شروط نجاح التخطيط	٤٣٧
أقسام الاصلاح	٤٤١
لا .. للانقلابات العسكرية	٤٤٢
فقدان الوعي هو المشكلة	٤٤٣
وضع الاسس السليمة للثورة	٤٤٥
مراحل الثورة	٤٤٧
عناصر هامة . في نجاح الثورة	٤٤٩
لابد للثورة من تكوين الجذور	٤٥١
ضرورة توزيع القدرة بين القوى	٤٥٣
يجب أن تكون الحكومة عصرية	٤٥٥
من سمات الحكومة الاسلامية	٤٥٧
ملامح النظام الدكتاتوري	٤٦١

حركة التاريخ	٤٦٥
مناقشة .. مع منكري التكامل الاجتماعي	٤٦٧
تعاليم الانبياء .. هي العلاج	٤٦٩
صلاة الختام	٤٧١
خاتمة	٤٧٣
في كيفية السلوك الاجتماعي	٤٧٧
كيفية المعاشرة مع أنواع الاخوان	٤٧٩
استحباب اكتساب الاخوان وقبول العتاب	٤٨١
استحباب اجتماع الاخوان	٤٨٣
استحباب المواساة	٤٨٥
كراهة اشراك السفلة والفجار في الامر	٤٨٧
كراهة مصاحبة الكذاب والفاسق ..	٤٨٩
استحباب مشاورة ذوي الرأي	٤٩١
في استشارة الانسان من دونه	٤٩٣
في جملة ممن ينبغي اجتناب معاشرتهم وترك السلام عليهم	٤٩٥
استحباب الابتداء بالسلام	٤٩٧
الارث في الاسلام	٤٩٩
في الجهر بالسلام والرد	٥٠١
كيفية رد السلام على الحاضر والغائب	٥٠٣
اجزاء سلام الواحد من الجماعة، وكفاية رد الواحد منها	٥٠٥
النهي عن دخول بيت الغير بلا استئذان ولا اشعار ولا تسليم	٥٠٧
جواز مكاتبة أهل الذمة مع الحاجة	٥٠٩

في تسميت الصبي المرأة	٥١١
استحباب الصلاة على النبي وآله لمن عطس أوسمع ذلك	٥١٣
استحباب اكرام الكريم والشريف	٥١٥
في ان المجالس بالامانات	٥١٧
استحباب استقبال القبلة في المجالس	٥١٩
استحباب المزاح والضحك بلا اكثار ولا فحش	٥٢١
كراهة كثرة المزاح والضحك	٥٢٣
استحباب الصبر على اذى الجار وغيره	٥٢٥
استحباب حسن الجوار	٥٢٧
استحباب الرفق بالصاحب	٥٢٩
استحباب استثناء مشيئة الله في الكتاب	٥٣١
استحباب سؤال الصاحب والجليس عن اسمه وخصوصياته	٥٣٣
استحباب حسن الخلق مع الناس	٥٣٥
استحباب كون الانسان هيناً ليناً	٥٣٩
الصدق في الحديث	٥٤١
استحباب الحياء	٥٤٣
استحباب صلة القاطع والاحسان الى المسيء واعطاء المانع	٥٤٥
استحباب كظم الغيظ	٥٤٧
استحباب الصبر على الحساد	٥٤٩
استحباب الصمت الاعلى الخير	٥٥١
في حفظ اللسان	٥٥٣
كراهة كثرة الكلام بغير الخير	٥٥٧

استحباب مداراة الناس	٥٥٩
في حقوق المؤمن	٥٦١
في جملة من حقوق العالم	٥٦٥
أستحباب قبول الاعتذار	٥٦٧
أستحباب التسليم والمصافحة	٥٦٩
آداب أستقبال القادم وتوديعه	٥٧١
النهي عن حجب الناس	٥٧٣
أستحباب تقبيل المؤمن	٥٧٥
استحباب تجنب موجبات التباغض	٥٧٧
في تحريم الكذب	٥٧٩
النهي عن الكذب في الصغير والكبير والجد والهزل	٥٨١
جواز الكذب في الاصلاح دون الصدق في الفساد	٥٨٣
النهي عن الهجر ، والامر بالمسابقة الى الصلة	٥٨٥
النهي عن اهانة المؤمن	٥٨٧
النهي عن استخفاف بالمؤمن	٥٨٩
النهي عن اغتياب المؤمن	٥٩١
النهي عن اغتياب المؤمن	٥٩٣
المواضع التي تجوز فيها الغيبة	٥٩٥
الامر برد غيبة المؤمن	٥٩٧
النهي عن الطعن على المؤمن	٥٩٩
النهي عن المعونة على قتل المؤمن وأذاه	٦٠١
النهي عن الغيبة والمحاكاة	٦٠٣

المطبوع من موسوعة الفقه

١ ـ كتاب الاجتهاد والتقليد

٢ ـ كتاب الطهارة الجزء الاول

٣ ـ كتاب الطهارة الجزء الثاني

٤ ـ كتاب الطهارة الجزء الثالث

٥ ـ كتاب الطهارة الجزء الرابع

٦ ـ كتاب الطهارة الجزء الخامس

٧ ـ كتاب الطهارة الجزء السادس

٨ ـ كتاب الطهارة الجزء السابع

٩ ـ كتاب الطهارة الجزء الثامن

١٠ ـ كتاب الطهارة الجزء التاسع

* * *

١١ ـ كتاب الصلاة الجزء الاول

١٢ ـ كتاب الصلاة الجزء الثاني

١٣ ـ كتاب الصلاة الجزء الثالث

١٤ ـ كتاب الصلاة الجزء الرابع
١٥ ـ كتاب الصلاة الجزء الخامس
١٦ ـ كتاب الصلاة الجزء السادس
١٧ ـ كتاب الصلاة الجزء السابع
١٨ ـ كتاب الصلاة الجزء الثامن

* * *

١٩ ـ كتاب الصوم الجزء الاول
٢٠ ـ كتاب الصوم الجزء الثاني

* * *

٢١ ـ كتاب الحج الجزء الاول
٢٢ ـ كتاب الحج الجزء الثاني
٢٣ ـ كتاب الحج الجزء الثالث
٢٤ ـ كتاب الحج الجزء الرابع
٢٥ ـ كتاب الحج الجزء الخامس
٢٦ ـ كتاب الحج الجزء السادس
٢٧ ـ كتاب الحج الجزء السابع

* * *

٢٨ ـ كتاب الخمس
٢٩ ـ كتاب الزكاة الجزء الاول
٣٠ ـ كتاب الزكاة الجزء الثاني
٣١ ـ كتاب الزكاة الجزء الثالث
٣٢ ـ كتاب الاطعمة والاشربة
٣٣ ـ كتاب الوقوف والصدقات ، الهبة

٣٤ ـ كتاب الحدود والتعزيرات

٣٥ ـ كتاب القصاص

٣٦ ـ كتاب الاجارة

٣٧ ـ كتاب الجهاد

٣٨ ـ كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

٣٩ ـ كتاب الحكم في الاسلام

٤٠ ـ كتاب حول القرآن الحكيم

٤١ ـ كتاب الاقتصاد

٤٢ ـ كتاب القضاء الجزء الاول

٤٣ ـ كتاب القضاء الجزء الثاني

٤٤ ـ كتاب الديات

٤٥ ـ كتاب السياسة

٤٦ ـ كتاب الشهادات

٤٧ ـ كتاب المضاربة

٤٨ ـ كتاب النكاح الجزء الاول

٤٩ ـ كتاب النكاح الجزء الثاني

٥٠ ـ كتاب الشركة ، المزارعة ، المساقاة

٥١ ـ كتاب الضمان ، الحوالة

٥٢ ـ كتاب الوصية

٥٣ ـ كتاب احياء الموات

٥٤ ـ كتاب الاجتماع

672

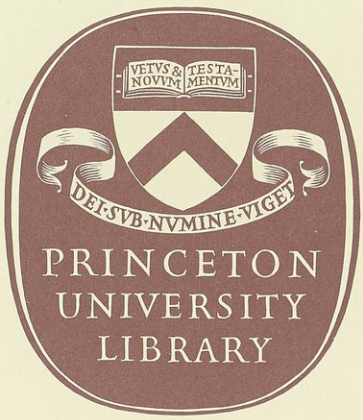
VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

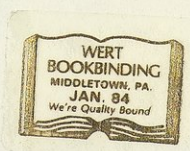
WERT
BOOKBINDING
MIDDLETOWN, PA.
JAN. 84
We're Quality Bound